تفسير البغوي

(معالم التنزيل)

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى ٥١٦هـ)

حققه وخرج أحاديثه
محمد عبد الله النمر | د. عثمان جمعة ضميرية | سليمان مسلم الحرش

المجلد الرابع
الزمر - الناس

دار طيبة

تفسير البغوي

(معالم التنزيل)

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى ٥١٦هـ)

حققه وخرج أحاديثه

محمد عبد الله النمر — د. عثمان جمعة ضميرية — سليمان مسلم الحرش

المجلد الرابع

الزمر - الناس

دار طيبة للنشر والتوزيع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
البغوي، الحسين بن مسعود
تفسير البغوي: معالم التنزيل. / الحسين بن مسعود البغوي، سليمان مسلم الحرش وآخرون- ط٢ - الرياض، ١٤٢٧هـ
٤مج، ٢٠×٢٨سم
ردمك: ٩ـ ٨٧ـ ٨٩١ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)
٧ ـ ٩١ ـ ٨٩١ ـ ٩٩٦٠ (ج٤)
١ ـ القرآن ـ التفسير بالمأثور أ ـ الحرش، سليمان محمد (محقق)
ب ـ العنوان
ديوي: ٢٢٧,٣٢ ١٤٢٧/٣٢٠٢

الإصدار الأول
الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٤١٢هـ)
الطبعة الخامسة (١٤٢٠هـ)
الإصدار الثاني
الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ)
الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق
ص. ب ٣٦١٢ الرمز البريدي ١١٤٧٣ هاتف ٤٢٥٢٧٣٧ فاكس ٤٢٥٨٢٧٧

تفسير البغوي

(معالم التنزيل)

٤

سورة الزُّمَر

مكية إلّا قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ (أي: هذا تنزيل الكتاب من الله، وقيل: تنزيل الكتاب)[٢] مبتدأ وخبره: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ أي: تنزيل الكتاب من الله لا من غيره.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال مقاتل: لم ننزله باطلًا لغير شيء ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ الطاعة ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ قال قتادة: شهادة أن لا إله إلّا الله، وقيل: لا يستحق الدين الخالص إلّا الله، وقيل: الدين الخالص من الشرك هو لله)[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: من دون الله ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: قالوا: ما نعبدهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس.

قال قتادة: وذلك أنهم إذا قيل لهم: مَنْ ربكم، ومَنْ خلقكم، ومَنْ خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، أي: قربى، وهو اسمٌ

---

(١) أخرج النحاس في «تاريخه» عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت بمكة سورة الزمر سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى ثلاث آيات. وانظر: «زاد المسير»: (٧/ ١٦٠).

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٣) في «أ»: (لا يستحق الدين الخالص من الشرك سوى الله).

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

أقيم في مقام المصدر، كأنه قال: إلَّا ليقربونا إلى الله تقريبًا، ويشفعوا لنا عند الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ لا يرشد لدينه من كذب فقال: إن الآلهة تشفع، وكفى باتخاذ الآلهة دونه كذبًا وكفرًا[(١)].

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ﴾ لاختار ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ يعني: الملائكة، كما قال: «لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ»[الأنبياء: ١٧]، ثم نزّه نفسه فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له عن ذلك، وعمَّا لا يليق بطهارته ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ قال قتادة: يغشي هذا هذا، كما قال: «يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ»[الأعراف: ٥٤]، وقيل: يدخل أحدهما على الآخر، كما يقال: «يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ»[الحج: ٦١].

وقال الحسن والكلبي: ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل، فما نقص من الليل دخل في النهار، وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات، ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير اللّف والجمع، ومنه: كوَّر العمامة ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾﴾.

١٠٥/١ ﴿خَلَقَكُم مِّن/ نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ معنى الإنزال هاهنا: الإحداث والإنشاء، كقوله تعالى: «أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ»[الأعراف: ٢٦].

وقيل: إنه أنزل الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه اللباس، وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام.

---

(١) ساقط من «ب».

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

وقيل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ جعلها لكم نُزُلًا ورزقًا ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أصناف، تفسيرها في سورة الأنعام[1] ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نطفة ثم علقة ثم مضغة، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[نوح: ١٤] ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ قال ابن عباس: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة[2] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذي خلق هذه الأشياء ﴿رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ عن طريق الحق بعد هذا البيان.

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ قال ابن عباس والسدي: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[الحجر: ٤٢]، فيكون عامًّا في اللفظ خاصًّا في المعنى، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[الإنسان: ٦]، يريد: بعض العباد، وأجراه قوم على العموم، وقال: لا يرضى لأحد من عباده الكفر.

ومعنى الآية: لا يرضى لعباده أن يكفروا به، يروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضيّ لله عزَّ وجلَّ، وإن كان بإرادته ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ تؤمنوا بربكم وتطيعوه ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ فيثيبكم عليه، قرأ أبو عمرو: «يرضهْ لكم» ساكنة الهاء، ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة، والباقون بالإشباع ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعًا إليه مستغيثًا به ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ أعطاه نعمة منه ﴿نَسِىَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: نسيَ الضُّرَّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ يعني: الأوثان ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ ليزل عن دين الله.

﴿قُلْ﴾ لهذا الكافر: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة.

(١) انظر فيما سبق: (٢/ ٧٢).
(٢) انظر: الطبري: (٢٣/ ١٩٦)، «الدر المنثور»: (٧/ ٢١٢).

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

وقال مقاتل: نزلت[1] في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي.

وقيل: عام في كل كافر[2].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وحمزة «أَمَنْ» بتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بتشديدها، فمن شدد فله وجهان:

أحدهما أن تكون الميم في «أم» صلة، فيكون معنى الكلام استفهامًا وجوابه محذوفًا، مجازه: أَمَنْ هو قانتٌ كمَنْ هو غيرُ قانتٍ؟ كقوله: «أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ»[الزمر: ٢٢]، يعني: كمن لم يشرح صدره.

والوجه الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازه: الذي جعل لله أندادًا خيرٌ أمَّن هو قانت؟

ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على مَنْ، معناه: أهذا كالذي جعل لله أندادًا؟

وقيل: الألف في «أمن» بمعنى حرف النداء، تقديره: يا من هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أبني فلان ويابني فلان، فيكون معنى الآية: قلْ تمتعْ بكفرك قليلًا إنك من أصحاب النار، يا مَنْ هو قانتٌ ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ إنك من أهل الجنة، قاله ابن عباس.

وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق[3].

وقال الضحاك: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[4].

وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان[5].

وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمَّار وسلمان.

والقانت: المقيم على الطاعة، قال ابن عمر: «القنوت»: قراءة القرآن وطول القيام، و«آناء الليل»: ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ يعني: في الصلاة ﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يخاف الآخرة ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ يعني: كمن لا يفعل شيئًا من ذلك ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قيل: «الذين يعلمون»: عمَّار، «والذين لا يعلمون»: أبو حذيفة المخزومي ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾.

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ١٦٥).
(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٢٦.
(٤) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤١٩).
(٥) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٢٦.

قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾ بطاعته واجتناب معصيته ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: آمنوا وأحسنوا العمل ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ يعني: الجنة، قاله مقاتل، وقال السدي: «في هذه الدنيا حسنة» يعني: الصحة والعافية ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ قال ابن عباس: يعني: ارتحلوا من مكة، وفيه حثٌّ على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي، وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة.

وقال سعيد بن جبير: من أُمِر بالمعاصي فليهرب ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى. وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حيث لم يتركوا دينهم لمَّا اشتد بهم البلاء، وصبروا وهاجروا[1].

قال علي - رضي الله عنه -: كل مطيع يكال له كيلًا ويوزن له وزنًا إلَّا الصابرون، فإنه يحثى لهم حثيًا[2].

ويُروى: «يُؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصبُّ عليهم الأجر صبًّا بغير حساب»[3]، قال الله تعالى: « إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ »، حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ مخلصًا له التوحيد لا أشرك به شيئًا.

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ من هذه الأمة.

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى ﴾ وعبدت غيره ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ وهذا حين دعي إلى دين آبائه.

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ أمر توبيخ وتهديد، كقوله: « ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ » [فصلت: ٤٠] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ ﴾ أزواجهم وخدمهم ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ قال ابن عباس:

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤١٩).

(٢) انظر: القرطبي: (١٥/ ٢٤١).

(٣) قطعة من حديثٍ عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢١٥) لابن مردويه.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾

وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلًا في الجنة وأهلًا، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله[١]، وقيل: خُسران النفس بدخول النار، وخُسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾ أطباق سرادقات من النار ودخانها ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القعر، سُمي الأسفل ظُلَلًا؛ لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله عزَّ وجلَّ: «لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ» [الأعراف: ٤١].

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾.

١٠٥/ب ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان / ﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ رجعوا إلى عبادة الله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ في الدنيا، والجنة في العقبى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ القرآن ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قال السدي: أحسن ما يؤمرون فيعملون به، وقيل: هو أن الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو، والعفو أحسنُ الأمرين، وقيل: ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم، وقيل: يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن.

وقال عطاء عن ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي ﷺ، فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا، فنزلت فيهم[٢]: «فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ»، وكله حسن ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾.

وقال ابن زيد: نزلت «والذين اجتنبوا الطاغوت» الآيتان، في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلّا الله: زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي[٣].

والأحسن: قولُ لا إله إلّا الله.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٥/ ٢٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٢٦.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٣/ ٢٠٧)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢١٧) نسبته لابن أبي حاتم.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ۝١٩ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢١﴾

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مَن سبق في علم الله أنه من أهل النار، وقيل: كلمة العذاب (قوله: «لأملأنَّ جهنَّم»، وقيل)[1]: قوله: «هؤلاء في النار ولا أبالي»[2] ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ۝١٩﴾ أي: لا تقدر عليه، قال ابن عباس: يريد: أبا لهب وولده.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ أي: منازل في الجنة رفيعة، وفوقها منازل أرفع منها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ أي: وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدًا لا يخلفه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثني عبد العزيز بن عبد الله، حدثني مالك، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ﴾ أدخل ذلك الماء ﴿يَنَٰبِيعَ﴾ عيونًا وركايا[4] ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال الشعبي: كل ماء في الأرض فمن السماء نزل ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أحمر وأصفر وأخضر ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ﴾ بعد خضرته ونضرته ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ فتاتًا متكسرًا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢١﴾.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده»: (٥/ ٢٣٩) عن معاذ بن جبل: «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فقبض بيده قبضتين فقال: هذه في الجنة ولا أبالي، وهذه في النار ولا أبالي».
وانظر: «مجمع الزوائد»: (٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة: (٦/ ٣٢٠)، ومسلم في الجنة، باب ترائي أهل الجنة الغرف كما يرى الكوكب في السماء برقم ٢٨٣١: (٤/ ٢١٧٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢١٥).

(٤) جمع، مفرده: (ركيّة) وهي البئر.

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ وسَّعه لقبول الحق ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ليس كمن أقسى الله قلبه.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن محمد بن شيبة، حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن يزيد الموصلي ببغداد، حدثنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد، حدثني أبي، عن أبيه، حدثنا زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: تلا رسول الله ﷺ: «﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾»، قلنا: يا رسول الله، كيف انشراح صدره؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، قلنا: يا رسول الله، فما علامة ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت»[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ قال مالك بن دينار: ما ضُرِبَ عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله عزَّ وجلَّ على قوم إلَّا نَزَعَ منهم الرحمة[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا في الحسن، ويصدق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف ﴿مَّثَانِىَ﴾ يُثنّى فيه ذكر الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والأخبار والأحكام ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ تضطرب وتشمئز ﴿مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ والاقشعرار تغير في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، وقيل: المراد من الجلود القلوب، أي: قلوب الذين يخشون ربهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لذكر الله، أي: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم، كما قال الله تعالى: «﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾»[الرعد: ٢٨].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/٢١٩) لابن مردويه، وعزاه الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٤٣ للثعلبي والحاكم والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن مسعود، وقال: (وفيه أبو فروة الرهاوي فيه كلام، ورواه الحكيم الترمذي في «النوادر» في الأصل السادس والثمانين).

(٢) ذكره القرطبي: (١٥/٢٤٨).

وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشعر عند الخوف، وتلين عند الرجاء.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد، حدثنا موسى بن محمد بن علي، حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أم كلثوم بنت العباس، عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعرَ جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبُه كما يتحاتُّ عن الشجرة اليابسة ورقُها»(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد، حدثنا أحمد بن جعفر ابن حمدان، حدثنا موسى بن إسحاق الأنصاري، حدثنا محمد بن معاوية، حدثنا الليث بن سعد، حدثنا يزيد ابن عبد الله بن الهاد بهذا الإسناد، وقال: «إذا اقشعرَّ جلد العبد من خشية الله حرَّمه الله على النار»(٢).

قال قتادة: هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا ابن شيبة، حدثنا حمدان بن داود، حدثنا سلمة بن شيبة، حدثنا خلف بن سلمة، حدثنا هشيم، عن حصين، عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء بن أبي بكر: كيف كان / أصحاب رسول الله ﷺ ١/١٠٦
يفعلون إذا قُرىء عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عزَّ وجلَّ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، قال: فقلت لها: إنَّ ناسًا اليوم إذا قرىء عليهم القرآن خرَّ أحدهم مغشيًا عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(٣).

وبه عن (سليمان بن)(٤) سلمة، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أن ابن عمر مرَّ برجل من أهل العراق ساقطًا فقال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قُرىء عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط، قال ابن عمر: إنَّا لنخشى الله وما نسقط!

وقال ابن عمر: إن الشيطان ليدخل في جوف أحدهم، ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ(٥).

---

(١) قال الهيثمي (١٠/ ٣١٠): (رواه البزار، وفيه أم كلثوم بنت العباس، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات)، وأشار المنذري إلى تضعيفه، وعزاه في «الترغيب»: (٤/ ٢٦٦) لأبي الشيخ في كتاب الثواب، والبيهقي، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٢٢) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وفيه الحمّاني: (اتهموه بسرقة الحديث) «التقريب»، وانظر: «الجرح والتعديل»: (٩/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) ذكره القرطبي: (١٥/ ٢٥٠)، وانظر التعليق السابق.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٢٢) لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم وابن عساكر، وذكره القرطبي: (١٥/ ٢٤٩).

(٤) ساقط من «ب».

(٥) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٧/ ٤٢٣)، والقرطبي: (١٥/ ٢٤٩).

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وذُكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرىء عليهم القرآن، (فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطًا رجليه ثم يُقرأ عليه القرآن)[١] من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق[٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: أحسن الحديث ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: شدته ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال مجاهد: يُجر على وجهه في النار، وقال عطاء: يُرمى به في النار منكوسًا، فأول شيء منه تمسه النار وجهه، قال مقاتل: هو أن الكافر يُرمى به في النار مغلولة يداه إلى عنقه، وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت، فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه، فحرَّ ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه، للأغلال التي في عنقه ويده[٣].

ومجاز الآية: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب؟

﴿وَقِيلَ﴾ يعني: تقول الخزنة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: وباله.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل كفار مكة كذبوا الرسل ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يعني: وهم آمنون غافلون من العذاب.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ العذاب والهوان ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يتعظون.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ قال ابن عباس: غير مختلف، قال مجاهد: غير ذي لَبْس، قال السدي: غير مخلوق، ويروى ذلك عن مالك بن أنس، وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق[٤] ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الكفر والتكذيب به.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٧/ ٤٢٣)، والقرطبي: (١٥/ ٢٤٩).

(٣) ذكر هذه الأقوال القرطبي: (١٥/ ٢٥١).

(٤) ذكر هذه الأقوال السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ قال الكسائي: نصب رجلًا؛ لأنه تفسير للمثل ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازِعون مختلفون سيئة أخلاقهم، يقال: رجل شَكِسٌ شَرِسٌ، إذا كان سيءَ الخُلُق، مخالفًا للناس، لا يرضى بالإنصاف ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة «سالمًا» بالألف، أي: خالصًا له لا شريك ولا منازع له فيه، (وقرأ الآخرون «سلَمًا» بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا ينازع فيه)[1]، من قولهم: هو لك سلم، أي: مسلم لا منازع لك فيه ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هذا مثل ضربه الله عزَّ وجلَّ للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن الذي لا يعبد إلَّا الله الواحد، وهذا استفهام إنكاري، أي: لا يستويان، ثم قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: لله الحمد كله دون غير من المعبودين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ما يصيرون إليه، والمراد بالأكثر الكل.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ أي: ستموت ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: سيموتون، قال الفراء والكسائي: المَيِّتُ بالتشديد: مَنْ لم يمت وسيموت، المَيْتُ بالتخفيف: مَنْ فارقه الروح، ولذلك لم يخفف هاهنا.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ قال ابن عباس: يعني: المحق والمبطل، والظالم والمظلوم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا ابن مالك، حدثنا ابن حنبل، حدثني أبي، حدثنا ابن نمير، حدثنا محمد يعني: ابن عمرو بن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ «﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾»، قال الزبير: أي رسول الله! أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم، ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه»، قال الزبير: والله، إن الأمر لشديد[2].

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الزمر: (٩/ ١١٠ ـ ١١١)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والإمام أحمد: (١/ ١٦٧)، والحاكم: (٤/ ٥٧٢)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٠): (رواه الطبراني ورجاله ثقات)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٢٦) نسبته لابن منيع وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في «الحلية» والبيهقي في «البعث».

وقال ابن عمر: عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾، قلنا: كيف نختصم وديننا وكتابنا واحد؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أنها نزلت فينا[١].

وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم، هو هذا[٢].

وعن إبراهيم قال: لما نزلت: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾، قالوا: كيف نختصم ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان قالوا: هذه خصومتنا[٣].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَن كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له أخذ من سيئاته فجعلت عليه»[٤].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون مَن المفلس»؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من أُمَّتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وكان قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقضى هذا من حسناته وهذا من حسناته، (قال: فإن فنيت حسناته)[٥] قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرِحتْ عليه ثم طرح في النار»[٦].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٢٥) لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٠): (رواه الطبراني ورجاله ثقات).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) لسعيد بن منصور.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٤/ ٢).
وانظر: «الكافي الشاف»: ص١٤٣.

(٤) أخرجه البخاري في المظالم، باب مَن كانت له مظلمة عند رجل فحللها له هل يبين مظلمته: (٥/ ١١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٥٩).

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٦) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم ٢٥٨١: (٤/ ١٩٩٧).

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فزعم أن له ولدًا وشريكًا ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ بالقرآن ﴿ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ منزلٌ ومقام ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ/ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ قال ابن عباس: «والذي جاء بالصدق»، يعني: رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلَّا الله، «وصدَّق به» الرسول أيضًا بلَّغه إلى الخلق، وقال السدي: «والذي جاء بالصدق» جبريل جاء بالقرآن، «وصدق به» محمد ﷺ تلقاه بالقبول، وقال الكلبي وأبو العالية: «والذي جاء بالصدق» رسول الله ﷺ، «وصدق به» أبو بكر رضي الله عنه، وقال قتادة ومقاتل: «والذي جاء بالصدق» رسول الله ﷺ، «وصدق به» هم المؤمنون، لقوله عزَّ وجل: «أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ»، وقال عطاء: «والذي جاء بالصدق» الأنبياء، «وصدَّق به» الأتباع، وحينئذ يكون «الذي» بمعنى: «الذين»، كقوله تعالى: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا»[البقرة: ١٧]، ثم قال: «ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ»[البقرة: ١٧]، وقال الحسن: هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤوا به في الآخرة، وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به» ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾. ١٠٦/ب

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ يسترها عليهم بالمغفرة ﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوىء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾؟ يعني: محمدًا ﷺ، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي «عباده» بالجمع، يعني: الأنبياء عليهم السلام، قصدهم قومهم بالسوء كما قال: «وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ»[غافر: ٥]، فكفاهم الله شرَّ من عاداهم ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ وذلك أنهم خوَّفوا النبي ﷺ معرَّة الأوثان، وقالوا: لتكُفَّنَّ عن شتم آلهتنا أو ليصيبنَّك منهم خبل أو جنون ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ
ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ
حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى
عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾
إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ
تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ منيع في ملكه، منتقم من أعدائه.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ بشدة وبلاء ﴿ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمة وبركة ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ قرأ أهل البصرة: «كاشفاتٌ» و«ممسكاتٌ» بالتنوين، «ضرَّه» و«رحمتَه» بنصب الراء والتاء، وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الإضافة، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسول ﷺ: ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾[1] ثقتي به واعتمادي عليه ﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يثق به الواثقون.

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: ينزل عليه عذاب دائم.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ وبال ضلالته عليه ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ بحفيظ ورقيب لم توكل بهم ولا تؤاخذ بهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ أي: الأرواح ﴿ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها، وقوله: «حِينَ مَوْتِهَا»، يريد: موت أجسادها ﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ ﴾ يريد: يتوفى الأنفس

---

(١) انظر: القرطبي: (١٥/ ٢٥٩).

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣﴾

التي لم تمت ﴿فِي مَنَامِهَاۖ﴾ والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز، ولكل إنسان نفسان: إحداهما: نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوال النفس، والأخرى: نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ فلا يردها إلى الجسد.

قرأ حمزة والكسائي «قُضِيَ» بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء، «الموتُ» رفع على ما لم يُسم فاعلُه، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد، «الموتَ» نصب لقوله عزَّ وجلَّ: «الله يتوفى الأنفس» ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ويرد الأخرى، وهي التي لم يقضِ عليها الموت إلى الجسد ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ إلى أن يأتي وقت موته.

ويقال: للإنسان نفس وروح، فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح، وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى الرؤيا، فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة، ويقال: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله، فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا عبد الله بن عمر، حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(١).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾ لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح، وإرسال ما يرسل منها.

قال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث، يعني: إنَّ توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿أَوَلَوۡ كَانُواْ﴾ وإن كانوا، يعني: الآلهة ﴿لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا﴾ من الشفاعة ﴿وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣﴾ أنكم تعبدونهم، وجواب هذا محذوف تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم.

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام: (١١/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم٢٧١٤: (٤/ ٢٠٨٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٩٩).

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ قال مجاهد: لا يشفع أحد إلّا بإذنه ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت، وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت عن التوحيد، وقال قتادة: استكبرت، وأصل الاشمئزاز: النفور والاستكبار ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِۖ﴾.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يفرحون، قال مجاهد ومقاتل: وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة والنّجم، فألقى الشيطان في أُمنيته: تلك الغرانيق العلى، ففرح به الكفار(١).

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ
١/١٠٧ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ أخبرنا الإمام أبو علي الحسين / بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم الإسفراييني، أخبرنا أبو عوانة، حدثنا السلمي، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة بن عمار، أخبرنا يحيى بن أبي كثير، حدثنا أبو سلمة قال: سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ بِمَ كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة من الليل؟ قالت: كان يقول: «اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة، قال السدي: ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات، والمعنى: أنهم كانوا يتقربون

---

(١) راجع فيما سبق: تفسير سورة الحج، الآية ٥٢: (٣/ ٢٢٧)، تعليق (١).

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم ٧٧٠: (١/ ٥٣٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٧١).

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ
ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

إلى الله بعبادة الأصنام، فلما عُوقبوا عليها بدَا لهم من الله ما لم يحتسبوا، ورُوي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن يبدو لي ما لم أحتسب[1].

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: مساوىء أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ ﴾ شدة ﴿ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ ﴾ أعطيناه ﴿ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ﴾ أي: على علم من الله أني له أهل، وقال مقاتل: على خير علمه الله عندي، وذكَّر الكناية؛ لأن المراد من النعمة الإنعام ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ ﴾ (يعني: تلك النعمة فتنة)[2] استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية، وقيل: بل كلمته التي قالها فتنة ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ أنه استدراج وامتحان.

﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ قال مقاتل: يعني: قارون، فإنه قال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئًا.

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: جزاؤها، يعني: العذاب، ثم أوعد كفار مكة فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ بفائتين؛ لأن مرجعهم إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أي: يوسع الرزق لمن يشاء ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: يقتر على من يشاء ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٥/ ٢٦٥_٢٦٦).

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية[(١)].

وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثامًا، يضاعف له العذاب، وأنا قد فعلت ذلك كله، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا»[مريم: ٦٠]، فقال وحشي: هذا شرط شديد لعليِّ لا أقدر عليه، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ»[النساء: ٤٨، ١١٦]، فقال وحشي: أراني بعد في شبهة، فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فأنزل الله تعالى: «۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ»، فقال وحشي: نعم هذا، فجاء وأسلم، فقال المسلمون: هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: «بل للمسلمين عامة»[(٢)].

وروي عن ابن عمر قال: نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين، كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا، فكنَّا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفًا ولا عدلًا أبدًا، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا[(٣)].

وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال: كنَّا معاشر أصحاب رسول الله ﷺ نُرى أو نقول: ليس بشيء من حسناتنا إلَّا وهي مقبولة حتى نزلت: «أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ»[محمد: ٣٣]، فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر والفواحش، قال: فكنَّا إذا رأينا من أصاب شيئًا منها قلنا قد هلك، فنزلت هذه الآية، فكففنا عن القول في ذلك، فكنَّا إذا رأينا أحدًا أصاب منها شيئًا خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئًا رجونا له، وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الزمر، باب ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ . . .﴾ الآية: (٨/ ٥٤٩).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٣٥) للطبراني وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند لين، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠١): «رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه أبين بن سفيان، ضعفه الذهبي»، وضعفه ابن عدي وابن حبان وغيرهما.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٤/ ١٥)، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي: ص٤٢٧ـ ٤٢٧.

(٤) أخرجه الطبري: (٢٤/ ١٦).

وروي عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال، فقام على رأسه فقال: يا مُذَكِّر، لِمَ تُقَنِّطُ الناسَ؟ ثم قرأ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾(١).

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم ابن خزيم الشاشي، حدثنا (عبد الله)(٢) بن حميد، حدثنا حيان بن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالوا: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ ولا يبالي»(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن قتادة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعةً وتسعين إنسانًا، ثم خرج يسأل فأتى راهبًا فسأله، فقال: هل لي من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به المائة، فقال له رجل: ائتِ قريةَ كذا وكذا، فأدركه الموت فَنَأَى بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تقربي، وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما فوُجِدَ إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»(٤).

١٠٧/ب ورواه مسلم بن الحجاج، عن محمد بن المثنى العنبري، عن / معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة بهذا الإسناد، وقال: «فَدُلَّ على راهب فأتاه فقال إنَّه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال له: لا، فقتله وكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال له: قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناسًا يعبدون الله فاعبدِ اللهَ معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»(٥).

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٤/ ١٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٣٧) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) في «ب»: (عبد الرحمن).

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الزمر: (٩/ ١١١ ـ ١١٢)، وقال: (هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلَّا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء: (٦/ ٥١٢).

(٥) أخرجه مسلم في التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم٢٧٦٦: (٤/ ٢١١٨).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل ـ لم يعمل خيرًا قط ـ لأهله إذا مات فحرِّقوه، ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، قال: فلما مات فعلوا ما أمرهم به، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: لِمَ فعلتَ هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر له»(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عكرمة بن عمار، حدثنا ضمضم بن جوسٍ قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ، فقال: يا يماني تعال، وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبدًا، ولا يدخلك الله الجنة، قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة، قال: فقلت: إن هذه الكلمة يقولها(٢) أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر يقول كأنه مذنب، فجعل يقول: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عمَّا أنت فيه، قال: فيقول: خلِّني وربي، قال: حتى وجده يومًا على ذنب استعظمه، فقال: أَقْصِرْ، فقال: خلِّني وربي أَبُعِثْتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: واللهِ لا يغفر اللهُ لك أبدًا، ولا يدخلك الجنة أبدًا، قال: فبعث الله إليهما مَلَكًا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ فقال: لا يا رب، فقال: اذهبوا به إلى النار»، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر القفَّال، أخبرنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن يونس الخطيب، حدثنا محمد ابن يعقوب الأصم، حدثنا أبو قلابة، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾[النجم: ٣٢]، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»: (١/ ٢٤٠)، والبخاري في التوحيد، باب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾: (١٣/ ٤٦٦)، ومسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه برقم ٢٧٥٦: (٤/ ٢١٠٩ ـ ٢١١٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٨٠).

(٢) في «أ»: (يذكرها).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»: برقم ٩٠٠، وأبو داود في الأدب، باب في النهي عن البغي: (٧/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، والإمام أحمد: (٢/ ٣٢٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾
وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً
وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن
كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

«إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمًّا ... وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألمّا»(١)

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ أخلصوا له التوحيد ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ يعني: القرآن، والقرآن كله حسن، ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن القرآن ذكر القبيح لتجتنبه، وذكر الأدون لئلا ترغب فيه، وذكر الأحسن لتؤثره، قال السدي: «الأحسن» ما أمر الله به في الكتاب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ يعني: لئلا تقول نفس، كقوله: «وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ»[النحل: ١٥]، أي: لئلا تميد بكم، قال المبرد: أي: بادِرُوا واحذَرُوا أن تقول نفس، وقال الزجاج: خوفَ أن تصيروا إلى حال تقول هذا القول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ يا ندامتا، والتحسر الاغتمام على ما فات، وأراد: يا حسرتي، على الإضافة، لكن العرب تحول ياء الكناية ألفًا في الاستغاثة، فتقول: يا حسرتا(٢) وياندامتا، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر «يا حسرتاي»، وقيل: معنى قوله: «ياحسرتا» يا أيتها الحسرة هذا وقتك ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ قال الحسن: قصرت في طاعة الله، وقال مجاهد: في أمر الله، وقال سعيد بن جبير: في حق الله، وقيل: ضيعت في ذات الله، وقيل: معناه: قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضاء الله، والعرب تسمي الجنب جانبًا ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين، قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته.

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، باب تفسير سورة النجم: (٩/ ١٧٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلّا من حديث زكريا بن إسحاق)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٨٧).

(٢) في «ب»: (يا ويلتا).

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾ عيانًا ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الموحدين.

ثم يقال لهذا القائل: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ يعني: القرآن ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ وقلت: إنها ليست من الله ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فزعموا أن له ولدًا وشريكًا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ عن الإيمان.

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: «بمفازاتهم» بالألف على الجمع، أي: بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة، وقرأ الآخرون: «بمفازتهم» على الواحد؛ لأن المفازة بمعنى الفوز، أي: ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة، قال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز، والجمع حسن كالسعادة والسعادات ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ لا يصيبهم المكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ أي: الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مفاتيح خزائن السموات والأرض، واحدها / مقلاد، مثل: مفتاح، ١/١٠٨
ومقليد مثل: منديل ومناديل، وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة، وقال الكلبي: خزائن المطر وخزائن النبات ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾؟ قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه، قرأ أهل الشام «تأمرونني» بنونين خفيفتين على الأصل، وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام.

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الذي عملته قبل الشرك، وهذا خطاب مع الرسول ﷺ، والمراد منه غيره، وقيل: هذا أدب من الله عزَّ وجلَّ لنبيه وتهديد لغيره؛ لأن الله تعالى عصمه من الشرك ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ لإنعامه عليك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ما عظَّموه حق عظمته حين أشركوا به غيره، ثم أخبر عن عظمته فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا شيبان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنَّا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: «وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ»(١).

ورواه مسلم بن الحجاج، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن فضيل بن عياض، عن منصور وقال: والجبال والشجر على إصبع، وقال: يهزهنَّ هزًّا فيقول: «أنا الملك، أنا الله»(٢).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن فنجويه، حدثنا عمر بن الخطاب، حدثنا عبد الله بن الفضل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن عمر ابن حمزة، عن سالم بن عبد الله، أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الزمر، باب ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: (٨/ ٥٥٠ ـ ٥٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار برقم ٢٧٨٦: (٤/ ٢١٤٧).

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

«يطوي اللهُ السمواتِ يوم القيامة ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهنَّ بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني، حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، حدثنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ماتوا من الفزع، وهي النفخة الأولى ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ اختلفوا في الذين استثناهم الله عزَّ وجلَّ، وقد ذكرناهم في سورة النمل(٣)، قال الحسن: إلَّا مَن شاء الله، يعني: الله وحده ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ أي: في الصور ﴿أُخْرَىٰ﴾ أي: مرة أخرى ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (من قبورهم)(٤) ينتظرون أمر الله فيهم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: أربعون يومًا؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: «ثم يُنزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلَّا يبلى إلَّا عظم واحد، وهو عجب الذنب ومنه يتركب الخلق يوم القيامة»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صفة المنافقين وأحكامهم برقم ٢٧٨٨: (٤/ ٢١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الزمر، باب ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: (٨/ ٥٥١)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار برقم ٢٧٨٧: (٤/ ٢١٤٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١١٠-١١١).

(٣) (٦/ ١٨١).

(٤) زيادة من «ب».

(٥) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الزمر، باب ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: (٨/ ٥٥١)، ومسلم في الفتن، باب ما بين النفختين برقم ٢٩٥٥: (٤/ ٢٢٧٠-٢٢٧١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٠٤).

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم
بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ
وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ
فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بنور خالقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو، وقال الحسن والسدي: بعدلِ ربِّها، وأراد بالأرض: عرصات القيامة ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: كتاب الأعمال ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ قال ابن عباس: يعني: الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة، وهم أمة محمد ﷺ، وقال عطاء: يعني: الحفظة، يدل عليه قوله تعالى: «وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ»[ق: ٢١] ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي: لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: ثواب ما عملت ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ قال عطاء: يريد: أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ سوقًا عنيفًا ﴿زُمَرًا﴾ أفواجًا، بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة، قال أبو عبيدة والأخفش: «زمرًا» أي: جماعات في تفرقة، واحدتها زمرة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ السبعة، وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة «فُتِحَتْ» «وفُتِحَتْ» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ توبيخًا وتقريعًا لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ من أنفسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ وهو قوله عزَّ وجلَّ: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[هود: ١١٩].

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ قال الكوفيون: هذه الواو زائدة حتى تكون جوابًا لقوله: «حتى إذا جاءوها» / كما في سَوق الكفار، وهذه كما قال الله تعالى: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ١٠٨/ب

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

وَضِيَآءً»[الأنبياء: ٤٨]، (أي: ضياء)(١)، والواو زائدة.

وقيل: الواو واو الحال، مجازه: وقد فتحت أبوابها، فأدخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفها في الآية الأولى؛ لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم.

فإذا لم تجعل الواو زائدة في قوله: «وفتحت» اختلفوا في جواب قوله: «وقال لهم خزنتها»، والواو فيه ملغاة، تقديره: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها.

وقال الزجاج: القول عندي أن الجواب محذوف، تقديره: «حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، دخلوها»، فحذف «دخلوها» لدلالة الكلام عليه.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون: طبتم، قال ابن عباس: طاب لكم المقام، قال قتادة: هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هُذِّبوا وطيِّبوا أدخلوا الجنة، فقال لهم رضوان وأصحابه: «سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ»(٢).

وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره، ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه، وتلقيهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: «سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ»(٣).

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة، وهو قوله عزَّ وجلَّ: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ»[الأنبياء: ١٠٥] ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ثواب المطيعين.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي: محدقين محيطين بالعرش، مطيفين بحوافيه أي: بجوانبه ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قيل: هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد؛ لأن التكليف يزول(٤) في ذلك اليوم

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) انظر: القرطبي: (١٥/ ٢٨٦).
(٣) انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٢٦٣)، القرطبي: (١٥/ ٢٨٦).
(٤) في «ب»: (متروك).

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ يقول أهل الجنة: شكرًا لله، حين تم وعدُ الله لهم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حمد بن زنجويه، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلًا فمرَّ بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات[1]، فقال: عجبت من الغيث الأول، فهذا أعجب منه وأعجب، فقيل له: إن مثل الغيث الأول مثل عُظْم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل الـ حَمَ في القرآن[2].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو محمد الرومي، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس قال: لكل شيء لباب، ولباب القرآن الحواميم[3]، وقال ابن مسعود: إذا وقعت في آل حَمَ وقعت في روضات دمثات أتأنَّق فيهنَّ[4]، وقال سعيد بن إبراهيم: كن - آل حَمَ - يسمين العرائس[5].

* * *

(١) في تربتها لين وسهولة، تقول: رجل دمث: سهل خلقُه.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٦٨-٢٦٩) لمحمد بن نصر وحميد بن زنجويه.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٦٨) لأبي عبيد الله في فضائله.

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٦٨) لأبي عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر. وانظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤٤٧).

(٥) أخرجه الدارمي: (٢/ ٣٢٨)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٦٩) نسبته لمحمد بن نصر.

سورة غَافِر

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حمٓ ۝١﴾ قد سبق الكلام في حروف التهجي(٢)، قال السدي عن ابن عباس: حمٓ اسم الله الأعظم، وروى عكرمة عنه قال: «الٓر» و«حمٓ» و«نون» حروف «الرحمن» مقطعة(٣)، وقال سعيد ابن جبير وعطاء الخراساني: الحاء افتتاح أسمائه: حكيم حميد حي حليم حنان، والميم افتتاح أسمائه: مالك مجيد منان، وقال الضحاك والكسائي: معناه: قضى ما هو كائن، كأنهما أشارا إلى أن معناه: حُمّ، بضم الحاء وتشديد الميم(٤)، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: حِمٓ بكسر الحاء، والباقون بفتحها.

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ ساتر الذنب ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ يعني: التوبة، مصدر تاب يتوب توبًا، وقيل: التوب جمع توبة، مثل: دومة ودَوم وحَومة وحَوم، قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال: لا إله إلَّا الله، (وقابل التوب ممن قال: لا إله إلَّا الله)(٥) ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن لا يقول: لا إله إلَّا الله ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ ذي الغنى عمن لا يقول: لا إله إلَّا الله، قال مجاهد: «ذي الطول»: ذي السعة والغنى، وقال الحسن: ذو الفضل، وقال قتادة: ذو النعم، وقيل: ذو القدرة، وأصل الطَّول: الإنعام، الذي تطول

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: أُنزلت الحواميم السبع بمكة.
وأخرج ابن جرير عن الشعبي ـ رضي الله عنه ـ قال: أخبرني مسروق ـ رضي الله عنه ـ أنها أُنزلت بمكة.
وأخرج ابن مردويه والديلمي عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: نزلت الحواميم جميعًا بمكة.
وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت حمٓ «المؤمن» بمكة، انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٢٦٨).

(٢) راجع فيما سبق: (١/ ١١ ـ ١٢).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٤/ ٣٩).

(٤) قال صاحب «البحر المحيط» (٧/ ٤٤٧): (تقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في أول البقرة، وقد زادوا في حاميم أقوالًا وهي مروية عن السلف غنينا عن ذكرها لاضطرابها وعدم الدليل على صحة شيء منها).

(٥) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾

مدته على صاحبه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: «مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ»، و«وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ»[البقرة: ١٧٦] (١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن أحمد، حدثنا محمد بن خالد، أخبرنا داود بن سليمان، أخبرنا عبد الله بن حميد، حدثنا الحسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن ليث، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ جدالاً في القرآن كفر»(٢).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتمارون في القرآن، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله عزَّ وجلَّ بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضُه بعضًا، فلا تكذِّبوا بعضَه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه»(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤﴾ تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم، فإن عاقبة أمرهم العذاب، نظيره قوله عزَّ وجلَّ: «لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ»[آل عمران: ١٩٦].

١/١٠٩ ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ وهم الكفار الذين تحزبوا / على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ قال ابن عباس: ليقتلوه ويهلكوه، وقيل:

---

(١) انظر: القرطبي: (١٥/ ٢٩٢).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٧٣) لعبد بن حميد، وليث فيه ضعف. وانظر: «الكافي الشاف»: ص١٤٤.
وأخرجه الطيالسي في «المسند»: ص٣٠٢، والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ: «لا تجادلوا في القرآن، فإن جدالًا فيه كفر».
انظر: «الفتح السماوي»: (٣/ ٩٧٥ ـ ٩٧٦)، «كنز العمال»: (١/ ٦١٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (كتاب الجامع للإمام معمر): (١١/ ٢١٧)، والإمام أحمد: (٢/ ١٩٥)، وابن ماجه بمعناه برقم٨٥ في المقدمة: (١/ ٣٣)، وقال في «الزوائد»: (إسناده صحيح ورجاله ثقات)، وعزاه في «مجمع الزوائد»: (١/ ١٧١) للطبراني في «الكبير»، وفيه صالح بن أبي الأخضر.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾

ليأسروه، والعرب تسمي الأسير أخيذًا ﴿وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾ ليبطلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ الذي جاء به الرسل، ومجادلتهم مثل قولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[إبراهيم: ١٠]، و ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾[الفرقان: ٢١] ونحو ذلك ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يعني: كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة، حقت ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ من قومك ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم أصحاب النار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة، قال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام[(١)]، ويروى أن أقدمهم في تخوم الأرضين، والأرضون والسموات إلى حجزهم، وهم يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملوك، سبحان الحي الذي لا يموت، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة والروح.

وقال ميسرة بن عروبة: أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفًا من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفًا من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفًا من التي تليها، وقال مجاهد: بين الملائكة والعرش سبعون حجابًا من نور.

وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أُذنيه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[(٢)].

وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده أنه قال: (إن ما)[(٣)] بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام، والعرش يُكْسى كل يوم سبعين ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة.

وقال مجاهد: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب من نور، وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/ ١٤٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) لعبد بن حميد وابن مردويه.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب في الجهمية: (٧/ ١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/ ١٤٢) بسند صحيح، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٧٤)، عزوه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة» وابن مردويه.

(٣) زيادة من «ب».

وقال وهب بن منبه: إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صف خلف صف يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويدبر[١] هؤلاء، فإذا استقبل بعضهم بعضًا هلَّل هؤلاء وكبرَّ هؤلاء، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام، أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم، فقالوا: سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلَّك أنت الله لا إله غيرك، أنت الأكبر، الخلق كلهم لك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلَّا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام، وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربعمائة عام، واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابًا من نار، وسبعين حجابًا من ظلمة، وسبعين حجابًا من نور، وسبعين حجابًا من دُرٍّ أبيض، وسبعين حجابًا من ياقوت أحمر، (وسبعين حجابًا من ياقوت أصفر)[٢]، وسبعين حجابًا من زبرجد أخضر، وسبعين حجابًا من ثلج، وسبعين حجابًا من ماء، وسبعين حجابًا من برد، وما لا يعلمه إلَّا الله تعالى، قال: ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه، وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه إنسان، ولكلِّ واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهفو بهما، ليس لهم كلام إلَّا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يصدِّقون بأنه واحد لا شريك له.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد ابن زنجويه، حدثنا عمر بن عبد الله الرقاشي، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا هارون بن رباب، حدثنا شهر بن حوشب قال: حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، قال: وكأنهم ينظرون ذنوب بني آدم[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا﴾ يعني: يقولون: ربنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ قيل: نصب على التفسير، وقيل: على النقل، أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ دينك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ قال مطرِّف[٥]: أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين[٦].

---

(١) في «أ»: (ويقبل).
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٣) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٢٠٨).
(٤) ذكره ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٧٣).
(٥) ساقط من «أ».
(٦) انظر: القرطبي: (١٥/ ٢٩٥).

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة(1).

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ العقوبات ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: ومن تقه السيئات، يعني: العقوبات، وقيل: جزاء السيئات ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ يوم القيامة وهم في النار، وقد مَقَتُوا أنفسهم حين عُرِضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب، فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ يعني: لمقت الله إيَّاكم في الدنيا إذْ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وقتادة والضحاك: كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموت التي لا بدَّ منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان(2)، وهذا كقوله تعالى: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ/ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ»[البقرة: ٢٨]، وقال السدي: أُميتوا في الدنيا ثم أُحيوا في قبورهم للسؤال، ثم أُميتوا في قبورهم ثم أُحيوا في الآخرة(3) ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ أي: من خروج من النار إلى الدنيا، فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك، نظيره: «هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ»[الشورى: ٤٤]. ١٠٩/ب

(١) أخرجه الطبري: (٢٤/ ٤٥).
(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٧٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.
(٣) أخرجه الطبري: (٢٤/ ٤٨).

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ فيه متروك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه، مجازه: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم، إذا قيل: لا إله إلّا الله كفرتم[1]، وقلتم: «أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا»[ص: ٥] ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ غيره ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ تصدقوا ذلك الشرك ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ الذي لا أعلى منه ولا أكبر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ يعني: المطر الذي هو سبب الأرزاق ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ وما يتعظ بهذه الآيات ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره.

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الطاعة والعبادة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ ينزل الوحي، سماه روحًا؛ لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ قال ابن عباس: من قضائه، وقيل: من قوله، وقال مقاتل: بأمره ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾ أي: لينذر النبيُّ بالوحي ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ وقرأ يعقوب بالتاء، أي: لتنذر أنت يا محمد يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض، قال قتادة ومقاتل: يلتقي فيه الخلق والخالق، قال ابن زيد: يتلاقي العباد، وقال ميمون ابن مهران: يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم، وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون، وقيل: يلتقي فيه المرء مع عمله[2].

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم، ظاهرون لا يسترهم شيء ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ﴾ من أعمالهم وأحوالهم ﴿شَىْءٌ﴾ يقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا أحد يجيبه، فيجيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ الذي قهر الخلق بالموت.

---

(١) في «ب»: (أنكرتم).

(٢) ذكر هذه الأقوال القرطبي: (١٥/ ٣٠٠).

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا
شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يجزى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ يعني: يوم القيامة، سميت بذلك؛ لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب، نظيره قوله عزّ وجلّ: «أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ»[النجم: ٥٧]، أي: قربت القيامة ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر، فلا هي تعود إلى أماكنها، ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا ﴿كَٰظِمِينَ﴾ مكروبين ممتلئين خوفًا وحزنًا، والكظم: تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ فيشفع فيهم.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي: خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل، قال مجاهد: وهو نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ (يعني: الأوثان)[١] ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ لأنها لا تعلم شيئًا ولا تقدر على شيء، قرأ نافع (وابن عامر)[٢] «تدعون» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قرأ ابن عامر «منكم» بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فلم ينفعهم ذلك ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ يدفع عنهم العذاب.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ
الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن
يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك العذاب الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا﴾ يعني: فرعون وقومه: ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ قال قتادة: هذا غير القتل الأول؛ لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم، فمعناه: أعيدوا عليهم القتل[1] ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾ وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: يذهب كيدهم باطلًا، ويحيق بهم ما يريده الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لملئه: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ وإنما قال هذا؛ لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفًا من الهلاك ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ أي: وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منَّا ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ﴾ يُغيِّر ﴿دِينَكُمْ﴾ الذي أنتم عليه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ قرأ يعقوب وأهل الكوفة «أو أن يظهر»، وقرأ الآخرون «وأن يظهَر»، وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص «يُظْهِر» بضم الياء وكسر الهاء على التعدية، «الفسادَ» نصب لقوله: «أن يبدل دينكم»، حتى يكون الفعلان على نسق واحد، وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم، «الفسادُ» رفع، وأراد بالفساد: تبديل الدين وعبادة غيره.

---

(١) ذكره القرطبي: (١٥/ ٣٠٥).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لما توعده فرعون بالقتل ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾.

واختلفوا في هذا المؤمن، قال مقاتل والسدي: كان قبطيًا ابن عم فرعون، وهو الذي حكى الله عنه فقال: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[القصص: ٢٠]، وقال قوم: كان إسرائيليًا، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، وكان اسمه: «حزئيل» عند ابن عباس وأكثر العلماء، وقال ابن إسحاق: كان اسمه: جبران[(١)]، وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبًا[(٢)] ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ لأنه يقول ربي الله ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بما يدل على صدقه ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا/ فَعَلَيْهِ ١/١١٠
كَذِبُهُۥ﴾ لا يضركم ذلك ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ فكذبتموه ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ قال أبو عُبيد: المراد بالبعض الكل، أي: إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب، قال الليث: «بعض» صلة، يريد: يُصِبْكم الذي يعدكم، وقال أهل المعاني: هذا على الظاهر في الحِجاج، كأنه قال: أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وفي بعض ذلك هلاككم، فذكر البعض ليوجب الكل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إلى دينه ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك[(٣)] ﴿كَذَّابٌ ۝٢٨﴾ على الله.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عُروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص:

---

(١) في «ب»: (جبريل).

(٢) هذا القول الأخير ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٢٨٥)، وذكر القولين السابقين الطبري: (٢٤/ ٥٨)، وقال مرجحًا: (وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، القول الذي قاله السدي من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، وقيل ما قال، وقال له: ما أريكم إلّا ما أرى، وما أهديكم إلّا سبيل الرشاد، ولو كان إسرائيليًا لكان حريًا أن يعاجل هذا القائل له ولمله ما قال بالعقوبة على قوله؛ لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل، لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلًا، ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله، وكفَّ عما كان همَّ به في موسى) اهـ.

(٣) زيادة من «ب».

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾

أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: «أتقتلون رجلًا أن يقولَ ربِّيَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»(١).

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غالبين في أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ من يمنعنا من عذاب الله ﴿إِن جَآءَنَا﴾ والمعنى: لكم الملك اليوم فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي، فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ﴾ من الرأي والنصيحة ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ لنفسي، وقال الضحاك: ما أعلمكم إلَّا ما أعلم ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ ما أدعوكم إلَّا إلى طريق الهدى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ أي: لا يهلكُهم قبل اتخاذ الحجة عليهم.

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ يوم القيامة يُدعى كل أناس بإمامهم، ويُنادي بعضُهم بعضًا، فينادي أصحابُ الجنة أصحابَ النار، وأصحابُ النار أصحابَ الجنة، وينادى أصحابُ الأعراف، ويُنادى بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا، وينادى حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت.

وقرأ ابن عباس والضحاك: «يوم التنادّ» بتشديد الدال، أي: يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا فندُّوا في الأرض، كما تَنِدُّ الإبلُ إذا شردت عن أربابها.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة المؤمن: (٨/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤).

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾

قال الضحاك: وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندُّوا هربًا، فلا يأتون قطرًا من الأقطار إلَّا وجدوا الملائكة صفوفًا، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: «وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ»[الحاقة: ١٧]، وقوله: «يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟»[الرحمن: ٣٣] (١).

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عن موقف الحساب إلى النار، وقال مجاهد: فارين غير معجزين ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ يعني: يوسف بن يعقوب، «مِن قَبْلُ»، أي: من قبل موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني قوله: «ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ»[يوسف: ٣٩] ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ قال ابن عباس: من عبادة الله وحده لا شريك الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي: أقمتم على كفركم، وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ شاكٌ.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال الزجاج: هذا تفسير للمسرف المرتاب، يعني: هم الذين يجادلون في آيات الله، أي: في إبطالها بالتكذيب ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ (من الله)(٢) ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي: كبر ذلك الجدال مقتًا ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر «قلبٍ» بالتنوين، وقرأ الآخرون بالإضافة، دليله: قراءة عبد الله بن مسعود «على قلبِ كلِّ متكبر جبار».

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لوزيره: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ والصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر

---

(١) انظر: القرطبي: (١٥/ ٣١١).

(٢) زيادة من «ب».

أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ
صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى
لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾

وإن بَعُد، وأصله من التصريح: وهو الإظهار ﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ يعني: طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ قراءة العامة برفع العين نسقًا على قوله: «أبلغ الأسباب»، وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين، وهي قراءة حميد الأعرج، على جواب «لعل» بالفاء ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني: موسى ﴿ كَـٰذِبًا﴾ فيما يقول: أن له ربًا غيري ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب «وصُدَّ» بضم الصاد نسقًا على قوله: «زُيِّن لفرعون»، قال ابن عباس: صده الله عن سبيل الهدى، وقرأ الآخرون بالفتح، أي: صَدَّ فرعونُ الناس عن السبيل ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ يعني: وما كيده في إبطال آيات موسى إلَّا في خسار وهلاك.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ طريق الهدى.

﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ﴾ متعة، تنتفعون بها مدة ثم تنقطع ﴿ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ التي لا تزول.

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ قال مقاتل: لا تَبعة عليهم فيما يعطون في الجنة في الخير.

﴿ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ يعني: ما لكم، كما تقول: ما لي أراك حزينًا؟ أي: مالك؟ يقول: أخبروني عنكم؟ كيف هذه الحال، أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله ﴿ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ إلى الشرك الذي يوجب النار؟ ثم فسر فقال:

﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامه ممن كفر
﴿ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ لذنوب / أهل التوحيد. ١١٠/ب

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ
وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ
أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ
بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ﴾ أي: إلى الوثن ﴿لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ قال السدي: لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، يعني: ليست له استجابة دعوة، وقيل: ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا؛ لأن الأوثان لا تَدَّعِي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادتها، وفي الآخرة تتبرأ من عابديها ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مرجعنا إلى الله، فيجازي كلًّا بما يستحقه ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ إذا عاينتم العذاب، حين لا ينفعكم الذكر ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ يعلم المحق من المبطل، ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه.

وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ (ما أرادوا به من الشر)[1]، قال قتادة: نجا مع موسى وكان قبطيًّا ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ الغرق في الدنيا، والنار في الآخرة.

وذلك قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ﴾ هي رفع على البدل من السوء ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحًا ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين، تغدو وتروح إلى النار، ويقال: يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة[2].

وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرةً وعشيًّا ما دامت الدنيا.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا مصعب، عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤٦٨)، والقرطبي: (١٥/ ٣١٨).

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾

«إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعدُه بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيُقالُ له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»(١).

ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر: «الساعةُ»، «ادخلوا» بحذف الألف والوصل، وبضمها في الابتداء، وضم الخاء من الدخول، أي: يقال لهم: ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب، وقرأ الآخرون «أَدْخِلوا» بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال، أي: يقال للملائكة: ﴿آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ قال ابن عباس: يريد: ألوان العذاب، غير الذي كانوا يعذبون به منذ أُغرقوا.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون، يعني: أهل النار في النار ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ والتبع يكون واحدًا وجمعًا في قول أهل البصرة، وواحده: تابع، وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له، وجمعه: أتباع.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ حين اشتد عليهم العذاب ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿قَالُوا﴾ يعني: خزنة جهنم لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم إذًا ربكم، إنا لا ندعو لكم؛ لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ أي: يبطل ويضل ولا ينفعهم.

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي: (٣/ ٢٤٣)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه برقم ٢٨٦٦: (٤/ ٢١٩٩).

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى الْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: بالغلبة والقهر، وقال الضحاك: بالحجة، وفي الآخرة بالعذر، وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين، فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل، قتل به سبعون ألفًا، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ يعني: يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم، وإن تابوا لم ينفعهم ﴿ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من الرحمة ﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ يعني: جهنم.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾ قال مقاتل: الهدى من الضلالة، يعني: التوراة ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾﴾ التوراة[1] ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى الْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على أذاهم ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ في إظهار دينك، وإهلاك أعدائك ﴿ حَقٌّ﴾ قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر[2] ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ هذا تعبد من الله ليزيده به درجة، وليصير سنة لمن بعده ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلِّ شاكرًا لربِّك ﴿ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ قال الحسن: يعني: صلاة العصر، وصلاة الفجر، وقال ابن عباس: الصلوات الخمس.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ﴾ ما في قلوبهم، والصدر: موضع القلب، فكنَّى به عن القلب لقرب الجوار ﴿ إِلَّا كِبْرٌ﴾ قال ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) راجع فيما سبق: (١/ ٦٥٣)، تعليق (١).

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾

إلَّا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر؛ لأن الله عزَّ وجلَّ مذلهم.

قال ابن قتيبة: إنْ في صدورهم إلَّا تكبر على محمد ﷺ، وطمع في أن يغلبوه[١]، وما هم ببالغي ذلك.

قال أهل التفسير: نزلت في اليهود، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود ـ يعني: الدجال ـ يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه في البر والبحر، ويرد الملك إلينا[٢]، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من فتنة الدجال ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٥٦﴾.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع عظمهما ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم في الصدور ﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: من إعادتهم بعد الموت ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها، وقال قوم: «أَكْبَرُ»، (أي: أعظم)[٣] من خلق الدجال «وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧»، يعني: اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال.

وروي عن هشام بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبر من خلق الدجال»[٤].

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، (أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبد الرزاق)[٥]، حدثنا معمر عن قتادة، / عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي فذُكر الدجال، ١/١١١
فقال: «إنَّ بين يديه ثلاثَ سنين: سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله، والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلَّا هلك، وإنَّ من أشد فتنته أنه يأتي الأعرابي فيقول: أرأيتَ إن أحييتُ لك إبلك ألستَ تعلم أني ربُّك؟ قال: فيقول: بلى، فيتمثل له نحو إبله كأحسن ما يكون ضروعًا

---

(١) في «غريب القرآن»: (أن تقتلوه)، راجع: «القرطين» لابن مطرف: (٢/ ١٠٦).
(٢) انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٢٩٤).
(٣) زيادة من «ب».
(٤) أخرجه مسلم في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال برقم ٢٩٤٦: (٤/ ٢٢٦٦ـ٢٢٦٧).
(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

وأعظمه أسنمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول: أرأيتَ إن أحييت لك أباك وأخاك ألستَ تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيتمثل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه»، قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغمٍّ مما حدثهم، قالت: فأخذ بلحمتي الباب فقال: مهيم أسماء؟ فقلت: يا رسول الله، لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال، قال: «إن يخرج وأنا حيٌّ فأنا حجيجه، وإلَّا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن»، قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله، والله إنا لنعجن عجنتنا فما نخبزها حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: «يجزيهم ما يجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس»[(١)].

وبهذا الإسناد قال: أخبرنا معمر، عن ابن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة في النار»[(٢)].

أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلَّا أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وإن الله ليس بأعور»[(٣)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية، عن نافع، عن عبد الله قال: ذُكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»[(٤)].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا علي بن حجر، حدثنا

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٣٩١)، ومن طريقه الإمام أحمد: (٦/ ٤٥٣)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ٣٤٤ـ ٣٤٥)، وقال: (رواه كله أحمد والطبراني من طرق، وفي إحداها: يكون قبل خروج سنون خمس جدب، وفيه شهر بن حوشب، وفيه ضعف، وقد وثق)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٦٠ـ ٦١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٣٩٢)، ومن طريقه الإمام أحمد: (٦/ ٤٥٤)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ٣٤٧)، ونسبه إلى الطبراني وأعله بشهر، قال: (ولا يحتمل مخالفته للأحاديث الصحيحة أنه يلبث في الأرض أربعين يومًا وفي هذا أربعين سنة)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾: (٦/ ٣٧٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٤٩).

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾: (١٣/ ٣٨٩).

شعيب بن صفوان، عن عبد الملك بن عُمير، عن ربعي بن حراش، عن عقبة بن عمرو بن مسعود الأنصاري قال: انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان، فقال له عقبة: حدثني ما سمعتَ من رسول الله ﷺ في الدجال؟ قال: «إن الدجال يخرج وإنَّ معه ماءً ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماءً فنارٌ تحرق، وأما الذي يراه الناس نارًا فماءٌ بارد عَذْبٌ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارًا فإنه ماء عذب طيب»، فقال عقبة: وأنا قد سمعته، تصديقًا لحذيفة[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثني إبراهيم بن المنذر، حدثنا ابن الوليد، حدثنا ابن عمرو وهو الأوزاعي، حدثنا إسحاق، حدثني أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلّا سيطؤه الدجال إلّا مكة والمدينة، ليس من نِقَابها إلّا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم[2] ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق»[3].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة، حتى ينزل دُبُرَ أُحد، ثم تَصْرِفُ الملائكة وجهه قِبَلَ الشام، وهناك يهلك»[4].

أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفًا عليهم السِّيجان[5]»[6]، ويرويه أبو أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج وسيف محلى»[7].

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته ومن معه برقم ٢٩٣٤ ـ ٢٩٣٥: (٤/ ٢٢٥٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٥٢).

(٢) في «أ»: (يوم).

(٣) أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة: (٤/ ٩٥)، ومسلم في الفتن، باب قصة الجساسة برقم ٢٩٤٣: (٤/ ٢٢٦٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (٧/ ٣٢٦).

(٤) أخرجه مسلم في الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها برقم ١٣٨٠: (٢/ ١٠٠٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (٧/ ٣٢٦).

(٥) الطيلسان الأخضر.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» كتاب الجامع: (١١/ ٣٩٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٦٢)، وفيه أبو هارون العبدي وهو متروك.

(٧) قطعة من حديث طويل رواه ابن ماجه في الفتن، باب فتنة الدجال ... برقم ٤٠٧٧: (٢/ ١٣٥٩ ـ ١٣٦٣)، وأخرجه الحاكم مختصرًا، وصححه على شرط مسلم: (٤/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧)، وعزاه في «كنز العمال»: (١٤/ ٢٩٦) لابن خزيمة والضياء المقدسي.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ قرأ أهل الكوفة «تتذكرون» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء؛ لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ أي: القيامة ﴿لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: اعبدوني دون غيري أجبكم وأثيبكم وأغفر لكم، فلما عبَّر عن العبادة بالدعاء جعل الإنابة استجابةً.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن منصور، عن ذرٍّ، عن يُسيع الكندي، عن النعمان بن بشير قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول على المنبر: «إن الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: «﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾»[1].

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي الدورقي، حدثنا أبو الحسن علي بن يوسف الشيرازي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى القرشي ببغداد، حدثنا محمد بن عبيد بن العلاء، حدثنا أحمد بن بديل، حدثنا وكيع، حدثنا أبو المليح قال: سمعت أبا صالح يذكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لم يدعُ اللهَ غضبَ اللهُ عليه»[2].

وقيل: الدعاء: هو الذكر والسؤال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء: (٢/ ١٤١)، والترمذي في التفسير، تفسير سورة المؤمن: (٩/ ١٢١ ـ ١٢٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٢٥٣)، وابن ماجه في الدعاء، باب فضل الدعاء برقم٣٨٢٨: (٢/ ١٢٥٨)، وابن حبان في الأدعية، باب ما جاء في فضل الدعاء برقم٢٣٩٦: ص٥٩٥، والحاكم: (١/ ٤٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، والطيالسي: (١/ ١٥٣)، والطبري: (٢٤/ ٧٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ١٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات: (٩/ ٣١٣)، وابن ماجه في الدعاء، باب فضل الدعاء برقم٣٨٢٧: (٢/ ١٢٥٨)، والإمام أحمد: (٢/ ٤٤٢)، والحاكم: (١/ ٤٩١)، والطبري: (٢٤/ ٧٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ١٨٨)،.وأبو صالح الخوزي: ضعفه ابن معين. وانظر: «فتح الباري»: (١١/ ٩٥).

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ
كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

١١١/ب قرأ ابن كثير / وأبو جعفر وأبو بكر: «سَيُدْخَلون» بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، «داخرين» صاغرين ذليلين.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ يعني: كما أفكتم عن الحق من قيام الدلائل كذلك ﴿ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ فراشًا ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ سقفًا كالقبة ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ قال مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم، قال ابن عباس: خلق ابن آدم قائمًا معتدلًا يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفيه ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ قيل: من غير رزق الدواب ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قال الفراء: هو خبر وفيه إضمار الأمر، مجازه: فادعوه واحمدوه، وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال: مَن قال لا إله إلّا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: «فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ»(١).

(١) أخرجه الطبري: (٢٤/٨١)، والحاكم: (٢/٤٣٨)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (١/١٧٩) موقوفًا على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/٣٠٤) نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ وذلك حين دعي إلى الكفر.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: أطفالًا ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يصير شيخًا، ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ جميعًا ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتًا معلومًا محدودًا لا تجاوزونه، يريد: أجل الحياة إلى الموت ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن، يقولون: ليس من عند الله ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ كيف يصرفون عن دين الحق، قيل: هم المشركون[١]، وعن محمد بن سيرين وجماعة: أنها نزلت في القدرية[٢].

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ يجرون[٣].

﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ قال مقاتل: توقد بهم النار، وقال مجاهد: يصيرون وقودًا للنار.

---

(١) ذكره الطبري: (٢٤/ ٨٣).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٤/ ٨٣).

(٣) زيادة من «ب».

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟
مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ
نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ
أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى
صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟ يعني: الأصنام ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ فقدناهم فلا نراهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ قبل: أنكروا، وقيل: معناه: بل لم نكن ندعو من قبل شيئًا ينفع ويضر، وقال الحسين بن الفضل: أي: لم نكن نصنع من قبل شيئًا، أي: ضاعت عبادتنا لها، كما يقولُ مَنْ ضاعَ عمله: ما كنتُ أعمل شيئًا، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أضل هؤلاء ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ تبطرون وتأشرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ تفرحون وتختالون.

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك ﴿حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن يحل ذلك بهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ خبرهم في القرآن ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمر الله وإرادته ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قضاؤه بين الأنبياء والأمم ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟﴾ بعضها ﴿مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد،

وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ
سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

ولتبلغوا عليها حاجاتكم ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ أي: على الإبل في البر، وعلى السفن في البحر، نظيره: قوله تعالى: «وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ» [الإسراء: ٧٠].

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل قدرته ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: مصانعهم وقصورهم ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ لم ينفعهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ وقيل: هو بمعنى الاستفهام، مجازه: أيُّ شيء أغنى عنهم كسبهم؟

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟﴾ رضوا ﴿بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ قال مجاهد: هو قولهم: نحن أعلم، لن نُبعث ولن نُعذب، سمي ذلك علمًا على ما يدعونه ويزعمونه، وهو في الحقيقة جهل ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يعني: تبرأنا مما كنّا نعدل بالله.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ قيل: نصبها بنزع الخافض، أي: كسنة الله، وقيل: على المصدر، وقيل: على الإغراء، أي: احذروا سنة الله ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ وتلك السنة: أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ بذهاب الدارين، قال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنه يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

* * *

سورة فُصِّلت

مكية(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ قال الأخفش: «تنزيل» مبتدأ، وخبره قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بينت آياته ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ اللسان العربي، ولو كان بغير لسانهم ما علموه / ونصب قرآنًا بوقوع البيان عليه، أي: فصلناه قرآنًا. ١١٢/أ

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ نعتان للقرآن، أي: بشيرًا لأولياء الله، ونذيرًا لأعدائه ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ لا يصغون إليه تكبرًا.

﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: مشركي مكة ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ في أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ فلا نفقه ما تقول ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم فلا نسمع ما تقول، والمعنى: إنا في ترك القبول عندك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين، وحاجز في الملة، فلا نوافقك على ما تقول ﴿فَٱعْمَلْ﴾ أنت على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ على ديننا.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعني: كواحدٍ، ولولا الوحي ما دعوتكم، وهو قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ قال الحسن: علّمه الله التواضع ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ توجهوا إليه بالطاعة، ولا تميلوا عن سبيله ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من ذنوبكم ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت «حمٓ» السجدة بمكة، وأخرج ابن مردويه عن الزبير ـ رضي الله عنه ـ مثله. انظر: «الدر المنثور»: (٣٠٨/٧).

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩﴾

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال ابن عباس: الذين لا يقولون: لا إله إلَّا الله[١]، وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد، وقال الحسن وقتادة: لا يقرون بالزكاة، ولا يرون إيتاءها واجبًا، وكان يقال: الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك[٢]، وقال الضحاك ومقاتل: لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون، وقال مجاهد: لا يزكون أعمالهم ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ قال ابن عباس: غير مقطوع، وقال مقاتل: غير منقوص، ومنه «المنون»؛ لأنه ينقص مُنَّة الإنسان وقوته، وقيل: غير ممنون عليهم به، وقال مجاهد: غير محسوب.

وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه[٣].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن خيثمة ابن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبدَ إذا كان على طريقة حسنة من العبادة، ثم مرض قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا حتى أطلقه أو أكفِتَهُ إليَّ»[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ يوم الأحد والاثنين ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩﴾.

---

(١) ذكر السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣١٣) عن ابن عباس قال: «لا يشهدون أن لا إله إلَّا الله»، وعزا هذا لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣١٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة، بلفظ: «الزكاة قنطرة الإسلام، من قطعها برىء ونجا، ومن لم يقطعها هلك».

(٣) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤٨٥).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»، كتاب الجامع: (١١/ ١٩٦)، والإمام أحمد: (٢/ ٢٠٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٣): (رواه أحمد وإسناده صحيح)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، وله شاهد عند البخاري.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبالًا ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ من فوق الأرض ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض، بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال الحسن ومقاتل: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم، وقال عكرمة والضحاك: قدَّر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد[1]، قال الكلبي: قدر الخبز لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، والذرة لأهل قطر، والسمك لأهل قطر، وكذلك أقواتها ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يريد: خلق ما في الأرض، وقدر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام، رد الآخر على الأول في الذكر، كما تقول: تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين، وإحداهما هي التي تزوجتها بالأمس ﴿سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ قرأ أبو جعفر «سواءٌ» رفع على الابتداء، أي: هي سواء، (وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله: «في أربعة أيام»، وقرأ الآخرون «سواءً»)[2] نصب على المصدر، أي: استوت سواء، أي: استواءً، ومعناه: سواء للسائلين عن ذلك، قال قتادة والسدي: مَن سأل عنه فهكذا الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابًا لمن سأل: في كم خلقت الأرض والأقوات؟

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: عمد إلى خلق السماء ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وكان ذلك الدخان بخار الماء ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: ائتيا ما آمركما، أي: افعلاه، كما يقال: ائت ما هو الأحسن، أي: افعله.

وقال طاووس عن ابن عباس: ائتيا: أعطيا[3]، يعني: أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد.

(قال ابن عباس)[2]: قال الله عزَّ وجلَّ: أمَّا أنتِ يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما: افعلا ما آمركما طوعًا وإلَّا ألجأتكما إلى ذلك (حتى تفعلاه كرهًا)[4]، فأجابتا بالطوع[5] و﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ (ولم يقل: طائعتين)[4]؛ لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومَن فيهنَّ، مجازه: أتينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٥/ ٣٤٢_٣٤٣).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الطبري: (٢٤/ ٩٨_٩٩).

(٤) زيادة من «ب».

(٥) انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٣١٦_٣١٧)، القرطبي: (١٥/ ٣٤٣_٣٤٤).

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: أتمهن وفرغ من خلقهنَّ ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البَرَدِ وما لا يعلمه إلَّا الله.

وقال قتادة والسدي: يعني: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها.

وقال مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ كواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ لها، ونصب «حفظًا» على المصدر، أي: حفظناها بالكواكب حفظًا من الشياطين الذين يسترقون السمع ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من صنعه ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ بحفظه[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ يعني: هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوَّفتكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ أي: هلاكًا مثل هلاكهم، والصاعقة المهلكة من كل شيء.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ﴾ يعني: عادًا وثمودًا ﴿ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أراد بقوله: «مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ»: الرسل الذين أُرسلوا إلى آبائهم من قبلهم «وَمِنْ خَلْفِهِمْ» يعني: ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أُرسلوا إليهم: هودٌ صالح، فالكناية في قوله «من بين أيديهم» راجعة إلى (عاد وثمود)[2]، وفي قوله:
١١٢/ب («ومن خلفهم» راجعة إلى الرسل)[3] / ﴿أَلَّا﴾ بأن لا ﴿تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ بدل هؤلاء الرسل ﴿مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: لو شاء ربنا دعوة الخلق[4] لأنزل ملائكة ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، حدثنا عبد الله بن حامد الأصفهاني، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العبيدي، أخبرنا أحمد بن نجدة بن العريان، حدثنا الحماني، حدثنا ابن فضيل، عن الأجلح، عن الذيال بن حرملة، عن جابر بن عبد الله قال: قال الملأ من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا

(١) في «ب»: (بخلقه).
(٢) في «أ»: (الرسل).
(٣) ساقط من «أ».
(٤) في «أ»: (الحق).

أمر محمد، فلو التمستم رجلًا عالمًا بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه فكلّمه، ثم أتانا ببيانٍ من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله، لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علمًا، وما يخفى عليَّ إن كان كذلك أو لا، فأتاه فلما خرج إليه قال: يا محمد، أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فبم تشتم آلهتنا؟ وتُضلل آباءنا؟ فإن كنتَ تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسًا ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوَّجناك عشرة نسوة تختار من أي بنات قريش؟ وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك؟ ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ، قرأ رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ . . .﴾ الآية، فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلَّا قد صبأ إلى دين محمد، وقد أعجبه طعامه، وما ذاك إلَّا من حاجة أصابته، فانطلِقوا بنا إليه، فانطلَقوا إليه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة، ما حبسك عنَّا إلَّا أنك صبوت إلى دين محمد وأعجبك طعامه، قال: فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمدًا أبدًا، وقال: والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالًا، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ . . .﴾ الآية، فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب[1].

وقال محمد بن كعب القرظي: حُدِّثْتُ أن عتبة بن ربيعة كان سيدًا حليمًا، قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد وأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعلَّه يقبل منَّا بعضها، فنعطيه ويكف عنَّا، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يابن أخي، إنك منَّا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم: فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم، وكفَّرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها، فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، فقال: يابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد شرفًا سوَّدناك علينا، وإن كان هذا الذي بك رئيًا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب، ولعل هذا شعر جاش في صدرك، فإنكم

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣١٠) للبيهقي في «الدلائل» وابن عساكر، والأجلح فيه لين.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

لعمري بني عبد المطلب يقدرون على ذلك ما لا يقدر عليه غيركم، حتى إذا فرغ، فقال له رسول الله ﷺ: أوَ قد فرغتَ يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال: أفعلُ، فقال ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، ثم مضى فيها يقرأ، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد، ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني قد سمعتُ قولًا والله ما سمعت بمثله قط، ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني، خلُّوا ما بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تُصِبْه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم، فأنتم أسعد الناس به، فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وذلك أن هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ هددهم بالعذاب، فقالوا: مَن أشد منَّا قوة؟ نحن نقدر على دفع العذاب عنَّا بفضل قوتنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، قال الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ عاصفة شديدة الصوت، من الصَّرة وهي الصيحة، وقيل: هي الباردة من الصِّر وهو البرد ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب «نَحْسات» بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: نكدات مشؤومات ذات نحوس، وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، ودامت الرياح عليهم من غير مطر ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ أي: عذاب الهون والذل ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أشد إهانة ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٠٩) لابن إسحاق: (١/ ٢٩٣) من «سيرة ابن هشام» وابن المنذر والبيهقي في «الدلائل» وابن عساكر.

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى
ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ
شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ
سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ دعوناهم، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: بيَّنَّا لهم سبيل الهدى، وقيل: / ١/١١٣ دللناهم على الخير والشر، كقوله: «هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ»[الإنسان: ٣] ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ (أي: هلكة العذاب)[1] ﴿ٱلْهُونِ﴾ أي: ذي الهون، أي: الهوان، وهو الذي يهينهم ويخزيهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ قرأ نافع ويعقوب: «نحشر» بالنون، «أعداءَ» نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين، «أعداءُ» رفع، أي: يجمع إلى النار ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ يساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدي: يُحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ جاؤوا النار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ أي: بشراتهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ قال السدي وجماعة: المراد بالجلود: الفروج، وقال مقاتل: تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم.

﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: الكفار، الذين يحشرون إلى النار ﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ تمّ الكلام هاهنا، وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وليس هذا من جواب الجلود ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ أي: تستخفون (عند أكثر أهل العلم)[2]، وقال مجاهد: تتقون، وقال قتادة: تظنون ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) ساقط من «أ».
(٢) ساقط من «ب».

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا الحميدي، أخبرنا سفيان، أخبرنا منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود قال: اجتمع عند البيت ثقفيَّان وقرشي، أو قرشيَّان وثقفي كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: «وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ»[1]، قيل: الثقفي: عبد ياليل، وختناه القرشيان: ربيعة وصفوان بن أميَّة.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ أهلككم، أي: ظنكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون أرداكم، قال ابن عباس: طرحكم في النار ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

ثم أخبر عن حالهم فقال: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ مسكن لهم ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ يسترضوا ويطلبوا العتبى ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المُرضين، والمعتَب: الذي قُبِل عتابه، وأُجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني فلان، أي: أرضاني بعد إسخاطه إيَّاي، واستعتبته: طلبت منه أن يعتب، أي: يرضى.

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾ أي: بعثنا ووكَّلنا، وقال مقاتل: هيَّأنا، وقال الزجاج: سبَّبْنا لهم ﴿قُرَنَاءَ﴾ نُظراء من الشياطين حتى أضلوهم ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ﴾ (مع أمم)[2] ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مشركي قريش ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ قال ابن عباس: يعني:

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة حمٓ السجدة، باب ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾: (٨/ ٥٦٢)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم ٢٧٧٥: (٤/ ٢١٤١).

(٢) زيادة من «ب».

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الغطوا فيه، وكان بعضُهم يُوصي إلى بعضٍ إلى رأيتم محمدًا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو، قال مجاهد: والغوا فيه بالمُكاء والصفير، وقال الضحاك: أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول[1]، وقال السدي: صيحوا في وجهه ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ محمدًا على قراءته.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى﴾ يعني: بأسوأ الذي، أي: بأقبح الذي ﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ في الدنيا، وهو الشرك بالله.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت من العذاب الشديد ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ ثم بيَّن ذلك الجزاء فقال: ﴿ٱلنَّارُ﴾ أي: هو النار ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ أي: في النار ﴿دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ دار الإقامة، لا انتقال منها ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: في النار يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ يعنون: إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه؛ لأنهما سنَّا المعصية ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ليكونا في الدرك الأسفل من النار، قال ابن عباس: ليكونا أشد عذابًا منَّا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ سئل أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئًا[2]، وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «الاستقامة»: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب[3]، وقال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: أخلصوا العمل لله[4]، وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: أدُّوا الفرائض[5]، وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض[6].

---

(١) أخرج الطبري: (٢٤/ ١١٢) قول مجاهد، وذكر القرطبي أكثر الأقوال الأخرى: (١٥/ ٣٥٦).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٤/ ١١٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٢٢) لابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد في «الزهد» وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر.

(٤) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤٩٦).

(٥) أخرجه الطبري: (٢٤/ ١١٥).

(٦) أخرجه الطبري: (٢٤/ ١١٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٢٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

وقال الحسن: استقاموا على أمر الله تعالى، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته.

وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهاد أن لا إله إلّا الله حتى لحقوا بالله.

وقال مقاتل: استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا.

وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال ابن عباس: عند الموت، وقال قتادة ومقاتل: إذا قاموا من قبورهم[(١)]، قال وكيع بن الجراح: البشرى تكون في ثلاث مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ من الموت، وقال مجاهد: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله[(٢)]، وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم[(٣)] ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة: نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (أي: في الدنيا والآخرة، وقال السدي: تقول الملائكة: نحن الحفظة الذين كنّا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة)[(٤)]، يقولون: لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ من الكرامات واللذات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ تتمنون.

﴿نُزُلًا﴾ رزقًا ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

١١٣/ب قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى/ ٱللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ قال ابن سيرين (والسدي وابن عباس)[(٥)]: هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلّا الله[(٦)]، وقال الحسن: هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحًا في إجابته،

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤٩٦)، «زاد المسير»: (٧/ ٢٥٤).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٤/ ١١٦)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ١٠٠).

(٣) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤٩٦).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٥) زيادة من «ب».

(٦) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٢٥) لعبد بن حميد وابن المنذر.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

وقال: إنني من المسلمين[١]. وقالت عائشة: أرى هذه الآية نزلت في المؤذِّنين[٢].

وقال عكرمة: هو المؤذن أبو أمامة الباهلي، «وعمل صالحًا»: صلى ركعتين بين الأذان والإقامة.

وقال قيس بن أبي حازم: هو الصلاة بين الأذان والإقامة[٣].

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي، حدثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة، حدثنا عبد الله بن زيد المقري، حدثنا كهمس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة، عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «بين كل أذانين صلاة» ثلاث مرات، ثمَّ قال في الثالثة: «لمن شاء»[٤].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن زيد العمي، عن أبي إياس معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك ـ قال سفيان: لا أعلمه إلّا وقد رفعه إلى النبي ﷺ ـ قال: «لا يردّ الدعاءُ بين الأذان والإقامة»[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ قال الفراء: «لا» هاهنا صلة، معناه: ولا تستوي الحسنة والسيئة، يعني: الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ قال ابن عباس: أمر بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾ يعني: إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك، وصار الذي بينك وبينه عداوة ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ كالصديق والقريب، قال مقاتل بن حيان: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم أسلم فصار وليًا بالإسلام، حميمًا بالقرابة[٦].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٢٥) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٢٥) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه من وجه عن عائشة.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٤/ ١١٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٢٥) للخطيب في «تاريخ بغداد».

(٤) أخرجه البخاري في الأذان، باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء: (٢/ ١١٠)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب بين كل أذانين صلاة برقم٨٣٨: (١/ ٥٧٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (٢/ ٢٩٣).

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في الدعاء بين الأذان والإقامة: (١/ ٢٨٣)، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة: (١/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥)، قال أبو عيسى: (حديث أنس حديث صحيح)، والإمام أحمد: (٣/ ١١٩)، وابن حبان في الأذان، باب فضل الأذان والمؤذن وإجابته برقم٢٩٦: ص٩٧، والمصنف في «شرح السنة»: (٢/ ٢٨٩).

(٦) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٤٩٨).

وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ
وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ
خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن
يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ ما يلقى هذه الخصلة وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على كظم الغيظ واحتمال المكروه ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ في الخير والثواب، وقال قتادة: «الحظ العظيم»: الجنة، أي: ما يلقاها إلَّا من وجبت له الجنة.

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لاستعاذتك وأقوالك ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ بأفعالك وأحوالك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ إنما قال: «خلقهن» بالتأنيث؛ لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ عن السجود ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني: الملائكة ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ لا يملون ولا يفترون.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ دلائل قدرته ﴿ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ ﴾ يابسة غبراء لا نبات فيها ﴿ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ يميلون عن الحق في أدلتنا.

قال مجاهد: يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط، قال قتادة: يكذبون في آياتنا، قال السدي: يعاندون ويشاقون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

قال مقاتل: نزلت في أبي جهل[1].

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ وهو أبو جهل ﴿خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ قيل: هو حمزة، وقيل: عثمان، وقيل: عمار بن ياسر ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ أمر تهديد ووعيد ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ عالم، فيجازيكم به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ﴾ بالقرآن[2] ﴿لَمَّا جَآءَهُمْۖ﴾ ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب: «إن الذين كفروا»، على تقدير: الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم، وقيل: خبره قوله من بعد: «أولئك يُنادَوْنَ من مكانٍ بعيد» ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ قال الكلبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كريم على الله، قال قتادة: أعزه الله عزَّ وجلَّ عزًّا فلا يجد الباطل إليه سبيلاً[3].

وهو قوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ﴾ قال قتادة والسدي: الباطل: هو الشيطان، لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه[4].

قال الزجاج: معناه: أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى «الباطل»: الزيادة والنقصان.

وقال مقاتل: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجي من بعده كتاب فيبطله.

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

ثم عزَّ نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من الأذى ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ﴾ يقول: إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك: ساحر كما يقال لك، وكُذّبوا كما كُذِّبْتَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لمن تاب وآمن بك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ لمن أصر على التكذيب.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٥/ ٣٦٦).

(٢) زيادة من «ب».

(٣) انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٣٣٢).

(٤) انظر: الطبري: (٢٤/ ١٢٥).

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ بغير لغة العرب ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ هلَّا بيِّنت آياته بالعربية حتى نفهمها ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ يعني: أكِتاب أعجمي ورسول عربي؟ وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي: أنهم كانوا يقولون: المنزَّل عليه عربي والمنزَل أعجمي.

قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسارٍ: غلام عامر بن الحضرمي، وكان يهوديًّا أعجميًّا، يكنى: أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار، فضربه سيِّده وقال: إنَّك تعلم محمدًا، فقال يسار: هو يعلمني، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]:

١١٤/أ ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ / هدى من الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ وشفاء لما في الصدور، وقيل: شفاء من الأوجاع.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ قال قتادة: عَمُوا عن القرآن وصمُّوا عنه فلا ينتفعون به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي: أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دُعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مَثَلٌ لقلة انتفاعهم بما يوعظون به، كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فمصدق ومكذب، كما اختلف قومك في كتابك ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ لفرغ من عذابهم وعُجِّل إهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من صدقك ﴿مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ موقع لهم الريبة.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

---

(١) انظر فيما سبق: تفسير سورة النحل: (٥/ ٤٤ـ ٤٥).

۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ
إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ
ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ
فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾

﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي: علمها إذا سئل عنها مردود إليه لا يعلمه غيره ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وحفص «ثمرات» على الجمع، وقرأ الآخرون «ثمرة» على التوحيد ﴿ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ أوعيتها، واحدها: كِمٌّ[1]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني: الكُفَرَّى[2] قبل أن تنشق ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ (إلَّا بإذنه)[3]، يقول: يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ ينادي الله المشركين ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِى ﴾ الذين كنتم تزعمون أنهم آلهة ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ يعني: المشركون: ﴿ ءَاذَنَّٰكَ ﴾ أعلمناك ﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي: مِن شاهدٍ بأن لك شريكًا لَمَّا عاينوا العذاب تبرأوا من الأصنام.

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ ﴾ يعبدون ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الدنيا ﴿ وَظَنُّوا۟ ﴾ أيقنوا ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ مهرب.

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ لا يمل الكافر ﴿ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ﴾ أي: لا يزال يسأل ربَّه الخير، يعني: المال والغنى والصحة ﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾ الشدة والفقر ﴿ فَيَـُٔوسٌ ﴾ من روح الله ﴿ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ من رحمته.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ آتيناه خيرًا وعافية وغنى ﴿ مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ من بعد شدة وبلاء أصابته ﴿ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ أي: بعملي، وأنا محقوق بهذا ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ يقول هذا الكافر: لست على يقين من البعث، فإن كان الأمر على ذلك وَرُدِدْتُ إلى ربي إن لي عنده للحسنى، أي: الجنة، كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لنقفنّهم[2] على مساوىء أعمالهم ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾.

---

(١) الكِمُّ - بالكسر -: وعاءُ الطَّلعِ وغطاء النَّوْر.
(٢) هم كِمُّ العنب قبل أن يُنَوِّر.
(٣) زيادة من «ب».
(٤) في «أ»: (لنقفهنَّهم).

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١
قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ
بَعِيدٖ ٥٢ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ
يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ
بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، فيقال: أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض، أي: أكثر.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢﴾ خلاف للحق بعيد عنه، أي: فلا أحد أضل منكم.

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: منازل الأمم الخالية ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بالبلاء والأمراض.

وقال قتادة: «في الآفاق»، يعني: وقائع الله في الأمم، «وفي أنفسهم» يوم بدر.

وقال مجاهد والحسن والسدي: «في الآفاق»: ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين[1]، «وفي أنفسهم»: فتح مكة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ يعني: دين الإسلام، وقيل: القرآن، يتبين لهم أنه من عند الله، وقيل: محمد ﷺ، يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى.

وقال عطاء وابن زيد: «في الآفاق»، يعني: أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار، «وفي أنفسهم» من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، حتى يتبين لهم أنه الحق[2].

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ قال مقاتل: أوَ لَمْ يكفِ بربِّك شاهدًا أن القرآن من الله تعالى، قال الزجاج: معنى الكفاية هاهنا: أن الله عزَّ وجلَّ قد بيَّن من الدلائل ما فيه كفاية، يعني: أو لم يكف بربك ـ لأنه على كل شيء شهيد ـ شاهد لا يغيب عنه شيء.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ في شكٍّ من البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا.

---

(١) انظر: ابن كثير: (٤/ ١٠٦).

(٢) انظر: القرطبي: (١٥/ ٣٧٤ـ٣٧٥).

سورة الشُّورى

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ سُئل الحسين بن الفضل: لِمَ يُقطَّع حَم عَسَقَ ولَمْ يُقطَّع كهيعص؟ فقال: لأنها سورة أوائلها حمٓ، فجرت مجرى نظائرها، فكان «حمٓ» مبتدأ و«عٓسٓقٓ» خبره؛ ولأنهما عُدًّا آيتين، وأخواتها مثل: «كٓهيعٓصٓ» و«الٓمٓصٓ» و«الٓمٓر» عُدَّتْ آية واحدة.

وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في «كٓهيعٓصٓ» وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير، واختلفوا في «حمٓ»، فأخرجها بعضُهم من حيز الحروف وجعلها فعلًا، وقال: معناها: حُمَّ، أي: قُضِي ما هو كائن[٢].

وروى عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «ح» حلمه، «مٓ» مجده، «عٓ» علمه، «سٓ» سناؤه، «قٓ» قدرته، أقسم الله بها.

وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح: «ح» حرب يعز فيها الذليل، ويذل فيها العزيز من قريش، «مٓ» ملك يتحول من قول إلى قوم، «عٓ» عدو لقريش يقصدهم، «سٓ» سيء يكون فيهم، «قٓ» قدرة الله النافذة في خلقه.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: ليس من نبيٍّ صاحب كتاب إلَّا وقد أُوحيت إليه «حمٓ عٓسٓقٓ»[٣]، فلذلك قال:

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير ـ رضي الله عنهم ـ: نزلت «حمٓ عٓسٓقٓ» بمكة.
وذكر صاحب «البحر المحيط»: (٧/ ٥٠٧): (أنها مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وقال ابن عباس: مكية إلَّا أربع الآيات من قوله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلى آخر الأربع آيات فإنها نزلت بالمدينة، وقال مقاتل: فيها مدني قوله: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ إلى ﴿الصُّدُورِ﴾. انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٣٣٥).

(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ١)، وراجع فيما سبق: (١/ ٥٨ ـ ٥٩)، وفي هذا الجزء: ص٣٣، تعليق (٤).

(٣) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٢٧١).

كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾

﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ قرأ ابن كثير «يُوحَى» بفتح الحاء، وحجته قوله: «وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ»[الزمر: ٦٥]، فعلى هذه القراءة قوله: «اللهُ العزيزُ الحكيمُ» (تبيين للفاعل، كأنه قيل: مَن يُوحِي؟ فقيل: الله العزيز الحكيم)(١)، وقرأ الآخرون «يُوحِي» بكسر الحاء ﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾.

قال عطاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد: أخبار الغيب.

١١٤/ب ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ أي: كل واحدة منها تتفطر / فوق التي تليها من قول المشركين: «اتَّخذ الله ولدًا»، نظيره في سورة مريم: «وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ»[مريم: ٨٨ - ٩٠] ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ لم يوكلك الله بهم حتى تؤخذ بهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ مثل ما ذكرنا ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ مكة، يعني: أهلها ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ يعني: قرى الأرض كلها ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ ﴾ أي: تنذرهم بيوم الجمع: وهو يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين، وأهل السموات وأهل الأرضين ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ لا شك في الجمع أنه كائن، ثم بعد الجمع يتفرقون ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، حدثنا أبو منصور الخشماذي، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان التنوخي، حدثنا بشر بن بكر، حدثني سعيد بن عثمان، عن أبي الزاهر، حدثنا جرير بن كريب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الثعلبي: وأخبرنا

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث، حدثني أبو قبيل المعافري، عن شفي الأصبحي، عن عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضًا على كفيه ومعه كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان»؟ قلنا: لا يا رسول الله، فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفًا في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفًا في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة، (ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم، قبل أن يستقروا نطفًا في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفًا في الأرحام إذْ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة)[(١)]»، فقال عبد الله بن عمرو: ففيم العمل إذًا يا رسول الله؟ فقال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيَّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإنْ عمل أيّ عمل»، ثم قال: «فريقٌ في الجنة» فضل من الله، «وفريق في السعير» عدل من الله عزَّ وجلَّ»[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: على دين واحد، وقال مقاتل: على ملة الإسلام كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[الأنعام: ٣٥] ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ في دين الإسلام ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ يمنعهم من النار.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟﴾ (بل اتخذوا، أي: الكافرون)[(١)] ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ (أي: من دون الله)[(١)] ﴿أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ (قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ)[(١)]: وليُّك يا محمد، وولي مَنِ اتَّبعك ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الترمذي في القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن: (٦/ ٣٥٠ـ٣٥٢)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٢٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (١/ ١٥٤)، والإمام أحمد: (٢/ ١٦٧)، والطبري: (٢٥/ ٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٣٧) لابن المنذر وابن مردويه. وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: رقم٨٤٨.

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾
فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ
فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ
بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ
إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ من أمر الدين ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ﴾ يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾ الذي يحكم بين المختلفين هو ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.

﴿فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ من مثل خلقكم حلائل، قيل: إنما قال «من أنفسكم»؛ لأنه خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا: ذكورًا وإناثًا ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ أي: في الرحم، وقيل: في البطن، وقيل: على هذا الوجه من الخلقة، قال مجاهد: نسلًا بعد نسل من الناس والأنعام، وقيل: «في» بمعنى الباء، أي: يذرؤكم به، وقيل: معناه يكثركم بالتزويج ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ «مثل» صلة، أي: ليس هو كشيء، فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: «فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ»[البقرة: ١٣٧]، وقيل: الكاف صلة، مجازه: ليس مثله شيء، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ليس له نظير ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ مفاتيح الرزق في السموات والأرض، قال الكلبي: المطر والنبات ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ لأنَّ مفاتيح الرزق بيده ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ بيَّن وسنَّ لكم ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ وهو أول أنبياء الشريعة، قال مجاهد: أوصيناك وإياه يا محمد دينًا واحدًا ﴿وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن وشرائع الإسلام ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ واختلفوا في وجه الآية، فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقال الحكم: تحريم الأمهات والبنات والأخوات.

وقال مجاهد: لم يبعث الله نبيًّا إلَّا وَصَّاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة له، فذلك دينه الذي شرع لهم.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾

وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك[١]، وقيل: هو ما ذكر من بَعْدُ، وهو قوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ من التوحيد ورفض الأوثان، ثم قال: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ﴾ يصطفي إليه[٢] من عباده من يشاء ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ يُقبل إلى طاعته.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني: أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: أهل الكتاب، كما ذكر في سورة المنفكين ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بأن الفرقة ضلالة، ولكنهم فعلوا ذلك ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي: للبغي، قال عطاء: يعني: بغيًا بينهم على محمد ﷺ ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عنهم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بين مَن آمن وكفر، يعني: أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: / اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ من بعد أنبيائهم، ١١٥/أ
وقيل: من بعد الأمم الخالية، وقال قتادة: معناه: من قبلهم، أي: من قبل مشركي مكة ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ أي: من محمد ﷺ.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾ أي: فإلى ذلك، كما يقال: دعوت إلى فلان ولفلان، وذلك إشارة إلى ما وصّى به الأنبياء من التوحيد ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ اثبت على الدين الذي أُمرت به ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ أي: آمنت بكتبِ الله كلِّها ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ (أن أعدل بينكم)[٣]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أُمرتُ أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام، وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ يعني:

---

(١) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٢٧٦)، القرطبي: (١٦/ ١١).

(٢) في «ب»: (لدينه).

(٣) زيادة من «ب».

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

إلهنا واحد، وإن اختلفت أعمالنا، فكلٌّ يُجازَى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ لا خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ نسختها آية القتال[1]، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لمن يكن بينه وبين مَن لا يجيب خصومة ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد، لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ يخاصمون في دينَ الله تعالى نبيَّه ﷺ، وقال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيكم، فنحن خير منكم، فهذه خصومتهم[2] ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ (أي: استجاب له)[3] الناسُ فأسلموا ودخلوا في دينه؛ لظهور معجزته ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ خصومتهم باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ في الآخرة.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ قال قتادة ومجاهد ومقاتل: سُمي العدل ميزانًا؛ لأنَّ الميزان آلة الإنصاف والتسوية، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أمر الله تعالى بالوفاء، ونهى عن البَخْس ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ ولم يقل قريبة؛ لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازه: الوقت، وقال الكسائي: إتيانها قريب، قال مقاتل: ذكر النبي ﷺ الساعة وعنده قوم من المشركين، قالوا تكذيبًا: متى تكون الساعة؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ ظنًّا منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أنها آتية لا ريب فيها ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يخاصمون، وقيل: تدخلهم المرية والشك ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حفيٌّ بهم، قال عكرمة: بارٌّ بهم، قال السدي: رفيق، قال مقاتل: لطيف بالبرّ والفاجر، حيث لم يهلكهم جوعًا بمعاصيهم، يدل عليه قوله:

---

(١) انظر فيما سبق: (١/٦٥٣)، تعليق (١).

(٢) انظر: الطبري: (٢٥/١٩).

(٣) زيادة من «ب».

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

«يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ»[البقرة: ٢١٢]، وكل من رزقه اللهُ من مؤمنٍ وكافرٍ وذي روحٍ فهو ممن يشاء الله أن يرزقه، قال جعفر الصادق: اللطف في الرزق من وجهين، أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني: أنه لم يدفعه إليك بمرة واحدة[(١)] ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الحرث في اللغة: الكسب، يعني: من كان يريد بعمله الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ يريد بعمله الدنيا ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ قال قتادة: أي: نؤته بقدر ما قَسَم الله له، كما قال: «عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ»[الإسراء: ١٨] ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ لأنه لم يعمل للآخرة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد ابن يحيى بن بلال، حدثنا أبو الأزهر أحمد بن منيع العبدي، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا سفيان، عن المغيرة، عن أبي العالية، عن أُبيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني: كفار مكة، يقول: أم لهم آلهة سنُّوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: شرعوا لهم دينًا غير دين الإسلام.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ لولا أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، حيث قال: «بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ»[القمر: ٤٦] ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ لفُرِغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ المشركين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ في الآخرة.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٦/ ١٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد: (٥/ ١٣٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٠): (رواه أحمد وابنه من طرق، ورجال أحمد رجال الصحيح)، وابن حبان في «موارد الظمآن» برقم ٢٥٠١: ص٦١٨، والحاكم: (٤/ ٣١١) وصححه ووافقه الذهبي، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٣٥).

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين يوم القيامة ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ وجلين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ جزاء كسبهم واقع بهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي﴾ ذكرت من نعيم الجنة ﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ﴾ فإنهم أهل ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طاووسًا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سئل عن قوله: «ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ»، قال سعيد ابن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عجلتَ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلَّا كان له فيهم قرابة، فقال: إلَّا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة(١).

وكذلك روى الشعبي وطاووس عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ»، يعني: أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي(٢)، وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك رضي الله عنهم. وقال عكرمة: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرًا إلَّا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم(٢)، وليس كما يقول الكذابون.

وروى ابن أبي عن مجاهد عن ابن عباس في معنى الآية: إلَّا أن تودُّوا الله وتتقربوا إليه بطاعته(٣)، وهذا قول الحسن، قال: هو القربى إلى الله، يقول: إلَّا التقرب إلى الله، والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح.

١١/ب وقال بعضهم: معناه: إلَّا أن تودّوا / قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة «حمٓ عٓسٓقٓ»، باب ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾: (٨/ ٥٦٤).

(٢) عزاه ابن حجر لأحمد بن منيع بإسناد صحيح. انظر: «المطالب العالية»: (٣/ ٣٦٨).

(٣) انظر: الطبري: (٢٥/ ٢٣).

واختلفوا في قرابته، قيل: هي فاطمة وعلي وأبناؤهما، وفيهم نزل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[الأحزاب: ٣٣].

وروينا عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي»، قيل لزيد بن أرقم: مَنْ أهل بيته؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا خالد، حدثنا شعبة، عن واقد قال: سمعت أبي يحدث عن ابن عمر، عن أبي بكر قال: ارقبُوا محمدًا في أهل بيته(٢).

وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه، ويقسم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم، وبنو المطلب، الذين لم يتفرقوا في جاهلية ولا في إسلام(٣).

وقال قوم: هذه الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة، وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ، وصلة رحمه(٤)، فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحبَّ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام حيث قالوا: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء: ١٠٩]، فأنزل الله تعالى: «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلّا على الله» فهي منسوخة بهذه الآية، وبقوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦]، وغيرها من الآيات، وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل.

وهذا قول غير مرضي؛ لأن مودة النبي ﷺ، وكف الأذى عنه، ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين، وهذه أقاويل السلف في معنى الآية، فلا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء.

وقوله: ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجرًا في مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: ولكني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم، كما روينا في حديث زيد بن أرقم: «أذكركم الله في أهل بيتي».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: (١/ ٢٦٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٣): (رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد فيهم قزعة بن سويد، وثقه ابن معين وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات)، والحاكم: (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٤٧) عزوه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ برقم ٢٤٠٨: (٤/ ١٨٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ: (٧/ ٧٨).

(٤) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٢٨٥).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: من يزد[1] طاعةً نزد له فيها حسنًا بالتضعيف ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ للقليل حتى يضاعفها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون، يعني: كفار مكة ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾ قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم: إنه مفتر، قال قتادة: يعني: يطبع الله على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية، ثم ابتدأ فقال: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، مجازه: والله يمحو الباطل، وهو في محل رفع، ولكنه حذف منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله: «وَيَدْعُ الْإِنسَانُ»[الإسراء: ١١]، و«سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ»[العلق: ١٨]، أخبر أن ما يقولونه باطل يمحوه الله ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ﴾ أي: الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ قال ابن عباس: لما نزلت: «قل لا أسألكم عليه أجرًا إلَّا المودة في القربى»، وقع في قلوب قوم منها شيء، وقالوا: يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل فأخبره أنهم اتهموه وأنزل هذه الآية، فقال القوم: يا رسول الله، فإنا نشهد أنك صادق؟ فنزل:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[2] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد: أولياءه وأهل طاعته، قيل: التوبة: ترك المعاصي نيةً وفعلًا، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلًا، قال سهل بن عبد الله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ إذا تابوا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن سليمان، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبد الله أعوده، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أفرح بتوبة عبده من رجل ـ أظنه قال ـ: (في بريّة)[3] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه،

---

(١) في «ب»: (يكتسب).
(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٦).
(٣) في «ب»: (بدَويّة).

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلَّتْ[1] راحلته، فطاف عليها حتى أدركه العطش، فقال: أرجع إلى حيث كانت راحلتي فأموت عليه، فرجع فأغفى فاستيقظ فإذ هو بها عنده عليها طعامه وشرابه»[2].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا: حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك وهو عمه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذْ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[3].

﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فيمحوها إذا تابوا ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص «تفعلون» بالتاء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء؛ لأنه بين خبرين عن قوم، فقال قبله: «عن عباده»، وبعده: «ويزيدهم من فضله».

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ / (أي: ويجيب الذين آمنوا)[4] ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إذا دعوه، وقال عطاء عن 1/116
ابن عباس: ويثيب الذين آمنوا ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ سوى ثواب أعمالهم تفضلًا منه، قال أبو صالح عنه: يُشفِّعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله، قال: في إخوان إخوانهم ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية[5]، وذلك أنّا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فتمنَّيناها، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ وسع الله الرزق ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾ ﴿لَبَغَوْا۟﴾ لطغوا وعتوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) في «ب»: (هلكت).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب التوبة: (١١/ ١٠٢)، ومسلم في التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم٢٧٤٤: (٤/ ٢١٠٣) واللفظ له، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٨٤ـ ٨٥).

(٣) أخرجه مسلم في التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم٢٧٤٧: (٤/ ٢١٠٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٨٧ـ ٨٨).

(٤) زيادة من «ب».

(٥) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٣٤.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

قال ابن عباس: بغيُهم: طلبهم منزلةً بعد منزلة، ومركبًا بعد مركب، وملبسًا بعد ملبس.

﴿وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ﴾ أرزاقهم ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ كما يشاء، نظرًا منه لعباده ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي، حدثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقي، حدثنا صدقة، عن عبد الله حدثنا هشام الكناني، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عزَّ وجلَّ قال: «يقول الله عزَّ وجلَّ: مَن أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ولسانًا ويدًا ومؤيدًا، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته ولا بدَّ له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أنْ لا يدخله عُجْبٌ فيفسده ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلَّا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلَّا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلَّا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلَّا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبِّر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير»[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ يعني: من بعد ما يئس الناس منه، وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكَّرهم الله نعمته ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ يبسط مطره، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[الأعراف: ٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ لأهل طاعته ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ عند خلقه.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ يعني: يوم القيامة.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٥٣) لابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن مردويه وأبي نعيم في «الحلية»، وابن عساكر في «تاريخه»، وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: ص٣٣٨.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝٣١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٣٢﴾

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ قرأ أهل المدينة والشام «بما كسبت» بغير فاء، وكذلك هو في مصاحفهم، فمن حذف الفاء جعل «ما» في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلَّا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا أبو بكر ابن مالك القطيعي، حدثنا بشر بن موسى الأسدي، حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا مروان بن معاوية، أخبرني الأزهر بن راشد الباهلي، عن الخضر بن القواس البجلي، عن أبي سخيلة قال: قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عزَّ وجلَّ حدثنا بها رسول الله ﷺ؟ «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾»، قال: «وسأفسرها لك يا علي: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله عزَّ وجلَّ أكرم من أن يُثَنِّي عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنكم في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه»(٢).

قال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبدًا فما فوقها إلَّا بذنب، لم يكن الله ليغفر له إلَّا بها، أو درجة لم يكن الله ليبغلها إلَّا بها.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ بفائتين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ هربًا، يعني: لا تعجزوني حيث ما كنتم، ولا تسبقونني ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝٣١﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾ يعني: السفن، واحدتها جارية وهي السائرة ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٣٢﴾ أي: الجبال، (قال مجاهد: القصور، واحدها عَلَم)(٣)، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو عَلَم.

---

(١) أخرجه هناد مرسلًا في الزهد: (١/ ٥١٩)، وله شواهد عند الترمذي من حديث أبي موسى الأشعري، وعند الطبراني من حديث البراء، انظر: التعليق على كتاب الزهد في الموضع السابق، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٥٤) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد: (١/ ٨٥)، والحاكم: (٤/ ٣٨٨)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٥٤) عزوه لابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، وقال الهيثمي (٧/ ١٠٤): (فيه أزهر بن راشد وهو ضعيف).

(٣) ساقط من «أ».

إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾
أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن
مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ التي تجريها ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ يعني: الجواري ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ على ظهر البحر لا تجري ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي: لكل مؤمن؛ لأن صفة المؤمن: الصبر في الشدة، والشكر في الرخاء.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يهلكهنَّ ويغرقهنَّ ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: بما كسبت ركبانها من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ من ذنوبهم، (فلا يعقب عليها)[1].

﴿وَيَعْلَمَ﴾ قرأ أهل المدينة والشام «ويعلمُ» برفع الميم على الاستئناف، كقوله عزَّ وجلَّ في سورة براءة: «وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»[التوبة: ١٥]، وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف، والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، وهو كقوله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ»[آل عمران: ١٤٢]، صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافًا وكراهية لتوالي الجزم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ أي: يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ (من رياش الدنيا)[2] ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ليس من زاد المعاد ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ (من الثواب)[1] ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع قليل لهما يتمتعان بها، فإذا صاروا إلى الآخرة كان ما عند الله خيرٌ للمؤمن.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ قرأ حمزة والكسائي «كبير الإثم» على الواحد هاهنا وفي سورة النجم، وقرأ الآخرون «كبائر» بالجمع، وقد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء[3] ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ قال السدي: يعني: الزنا، وقال مجاهد ومقاتل: ما يوجب الحدّ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يحلمون ويكظمون
١١٦/ب الغيظ ويتجاوزون. /

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) زيادة من «ب».

(٣) انظر فيما سبق: (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٤).

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ يتشاورون فيما يبدون لهم ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ الظلم والعدوان ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا، قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين: صنف يعفون عن ظالميهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله: «وإذا ما غضبوا هم يغفرون»، وصنف ينتصرون من ظالميهم، وهم الذين ذكروا في هذه الآية.

قال إبراهيم في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا.

قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم، ثم مكنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم[1]، ثم ذكر الله الانتصار فقال:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (سمى الجزاء سيئة)[2] وإن لم تكن سيئة؛ لتشابههما في الصورة، قال مقاتل: يعني: القصاص في الجراحات والدماء[3].

قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح إذا قال: أخزاك الله، تقول: أخزاك الله، وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي[4].

قال سفيان بن عيينة: قلت لسفيان الثوري ما قوله عزَّ وجلَّ: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا»؟ قال: أن يشتمك رجل فتشتمه، وأن يفعل بك فتفعل به، فلم أجد عنده شيئًا، فسألت هشام بن حجيرة عن هذه الآية؟ فقال: الجارح إذا جرح يُقتص منه، وليس هو أن يشتمك فتشتمه.

ثم ذكر العفو فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عمن ظلمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بالعفو بينه وبين ظالمه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: مَن كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلَّا من عفا، ثم قرأ هذه الآية[5] ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ قال ابن عباس: الذين يبدؤون بالظلم.

---

(١) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٢٩١).

(٢) زيادة من «ب».

(٣) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٢٩٣).

(٤) انظر: «البحر المحيط»: (٧/ ٥٢٣)، «زاد المسير»: (٧/ ٢٩٣).

(٥) ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٥٩).

وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: بعد ظلم الظالم إياه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني: المنتصرين ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ بعقوبة ومؤاخذة.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يبدؤون بالظلم ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يعملون فيها بالمعاصي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ حقها وجزمها، قال مقاتل: من الأمر التي أمر الله بها، قال الزَّجَّاج: الصابر يؤتى بصبره الثواب، فالرغبة في الثواب أتم عزمًا.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فما له من أحدٍ يلي هدايته بعد إضلال الله إيَّاه، ويمنعه من عذاب الله ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ يسألون الرجعة في الدنيا.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾ خاضعين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ خفيِّ النظر، لما عليهم من الذل، يسارقون النظر إلى النار خوفًا منها وذلةً في أنفسهم، وقيل: «من» بمعنى الباء، أي: بطرف خفي ضعيف من الذل، وقيل: إنما قال: «من طرفٍ خفي»؛ لأنه لا يفتح عينه، إنما ينظر ببعضها، وقيل: معناه: ينظرون إلى النار بقلوبهم؛ لأنهم يحشرون عميًا، والنظر بالقلب خفي ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قيل: خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار، وأهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ طريق إلى الصواب، وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى، قد انسدَّ عليهم طريق الخير.

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ أجيبوا داعي الله، يعني: محمدًا ﷺ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لا يقدر أحد على دفعه: وهو يوم القيامة ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجأون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ من منكِرٍ، يُغير ما بكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ﴾ ما عليك ﴿إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ قال ابن عباس: يعني: الغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قحط ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ أي: لما تقدم من نعمة الله عليه، ينسى ويجحد بأول شدة جميع ما سلف من النعم.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ له التصرف فيهما بما يريد ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ فلا يكون له ولد ذكر، قيل: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر؛ لأن الله تعالى بدأ بالإناث ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ فلا يكون له أنثى.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ يجمع له بينهما، فيولد له الذكور والإناث ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له، قيل: هذا في الأنبياء عليهم السلام «يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا»، يعني: لوطًا لم يولد له ذكر، إنما ولد له ابنتان، «وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ» يعني: إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى، «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا»، يعني: محمدًا ﷺ، وُلد له بنون وبنات، «وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا»: يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا على وجه التمثيل، والآية عامة في حق كافة الناس ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تُكلم الله وتنظر إليه إن كنتَ نبيًّا، كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال: «لم ينظر موسى إلى الله عزَّ وجلَّ»، فأنزل

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

الله تعالى: «﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾»[1] يوحى إليه في المنام أو بالإلهام ﴿أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ يُسمعه كلامه ولا يراه، كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ إما جبريل أو غيره من الملائكة ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يوحي ذلك الرسولُ إلى المرسَل إليه بإذن الله ما يشاء.

قرأ نافع «أو يرسلُ» برفع اللام على الابتداء، «فيوحي» ساكنة الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفًا على محل الوحي؛ لأن معناه: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا أن يوحي إليه أو يرسل رسولًا ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أوحينا إلى سائر رسلنا ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ قال ابن عباس: نبوة، وقال الحسن: رحمة، وقال السدي ومقاتل: وحيًا، وقال الكلبي: كتابًا، وقال الربيع: جبريل، وقال مالك بن دينار: يعني: القرآن ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ قبل الوحي ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ يعني: شرائع الإيمان ومعالمه، قال محمد بن إسحاق بن خزيمة[2]: «الإيمان» في هذا الموضع: الصلاة، ودليله: قوله عزَّ وجلَّ: «﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾»[البقرة: ١٤٣].

وأهل الأُصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ قال ابن عباس: يعني: الإيمان، وقال السدي: يعني: القرآن ﴿نَّهْدِي بِهِۦ﴾ نرشد به ﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ أي: لتدعو ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ يعني: الإسلام.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ أي: أمور الخلائق كلها في الآخرة.

* * *

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٤٦: (لم أجده).

(٢) انظر: «صحيح ابن خزيمة»: (٢/ ١٦٠).

سورة الزُّخْرُف

مكية[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ أقسم بالكتاب الذي أبان طريق الهدى من طريق الضلالة، وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ قوله: «جعلناه» أي: صيَّرنا قراءة هذا الكتاب عربيًّا، وقيل: بيَّنَّاه، وقيل: سميناه، وقيل: وصفناه، يقال: جعل فلان زيدًا أعلم الناس، أي: وصفه، هذا كقوله تعالى: «وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا»[الزخرف: ١٩]، وقوله: «جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ»[الحجر: ٩١]، وقال: «۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ»[التوبة: ١٩]، كلها بمعنى الوصف والتسمية.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ، قال قتادة: «أم الكتاب»: أصل الكتاب، وأم كل شيء: أصله، قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده[2]، ثم قرأ «وإنه في أم الكتاب لدينا»، فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: «بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۞ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ»[البروج: ٢١ ـ ٢٢] ﴿لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ قال قتادة: يخبر عنه منزلته وشرفه، أي: إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعليٌّ رفيعٌ شريفٌ محكم من الباطل.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ يقال: ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه،

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٦٥) لابن مردويه، عن ان عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت بمكة سورة «حمٓ» الزخرف.

(٢) أخرجه الطبري: (٢٥/ ٤٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٦٦) لابن أبي حاتم، وانظر: «السنة» لابن أبي عاصم مع «ظلال الجنة» للألباني: (١/ ٤٨ ـ ٥٠).

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾

و«الصفح» مصدر قولهم: «صفحت عنه» إذا أعرضت عنه، وذلك بأن تُوليه صفحة وجهك وعنقك[1]، والمراد بالذكر القرآن، ومعناه: أفنترك عنه الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم (ولا ننهاكم)[1] من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا نفعل ذلك، وهذا قول قتادة وجماعة. قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رُفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله[2].

وقيل: معناه: أفنضرب عنكم بتذكيرنا إيَّاكم صافحين معرضين.

قال الكسائي: أفنطوي عنكم الذكر طيًّا فلا تُدْعَوْن ولا توعَظون، وقال الكلبي: أفنترككم سُدًى لا نأمركم ولا ننهاكم، وقال مجاهد والسدي: أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم[3].

﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي: «إن كنتم» بكسر الهمزة على معنى: إذ كنتم، كقوله: «وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»[آل عمران: ١٣٩]، وقرأ الآخرون بالفتح، على معنى: لأن كنتم قومًا مسرفين مشركين[4].

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم﴾ أي: وما كان يأتيهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧﴾ كاستهزاء قومك بك، يعزِّي نبيه ﷺ.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: أقوى من قومك، يعني: الأولين الذين أُهلكوا بتكذيب الرسل ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ أي: صفتهم وسنَّتهم وعقوبتهم، فعاقبة هؤلاء كذلك في الإهلاك.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي: سألت قومك ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ أقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزِّه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم، إلى هاهنا تم الإخبار عنهم، ثم ابتدأ دالًّا على نفسه بصنعه فقال:

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٥/٤٩).

(٣) انظر: الطبري: (٢٥/٤٩).

(٤) زيادة من «ب».

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أحيينا هذه البلدة الميتة[1] بالمطر، كذلك ﴿تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ من قبوركم أحياء.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ أي: الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ في البر والبحر ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكَّر الكناية؛ لأنه ردها إلى «ما» ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ بتسخير المراكب في البر والبحر ﴿وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ ذلل لنا هذا ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ مطيقين، وقيل: ضابطين ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لمنصرفون في المعاد.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أخبرنا إسماعيل ابن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، أخبرني علي بن ربيعة أنه شهد عليًا ـ رضي الله عنه ـ حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنَّا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقبلون، ثم ١١٧/ب
حمد ثلاثًا وكبر ثلاثًا، ثم قال: لا إله إلَّا الله ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، ثم ضحك، فقال: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ / فعل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله؟ قال: «العبد»، أو قال: «عجبت للعبد إذا قال: لا إله إلَّا الله ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلَّا هو»[2].

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب: (٣/ ٤١٠)، والترمذي في الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة: (٩/ ٤٠٨ـ٤٠٩)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»: ص٣٤٩، والإمام أحمد: (١/ ١١٥)، وابن حبان في الأذكار، باب ما يقول إذا ركب الدابة برقم٢٣٨١: ص٥٩١، والحاكم: (٢/ ٩٨) من طريق ميسرة بن حبيب النهدي عن المنهال=

وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ أن: نصيبًا وبعضًا، وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ومعنى الجعل ـ هاهنا ـ: الحكم بالشيء والقول، كما تقول: جعلت زيدًا أفضل الناس، أي: وصفته وحكمت به ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ جحود لنعم الله ﴿مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ ظاهر الكفران.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ هذا استفهام توبيخ وإنكار، يقول: أتَّخذ ربُّكم لنفسه البنات ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾؟ كقوله: «أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ»[الإسراء: ٤٠].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ بما جعل لله شبهًا، وذلك أن ولد كل شيء يشبهه، يعني: إذا بُشِّر أحدهم بالبنات كما ذكر في سورة النحل: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ»[النحل: ٥٨] ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ من الحزن والغيظ.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص «يُنَشَّأ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي: يُربَّى، وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي: ينبت ويكبر ﴿فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ في الزينة، يعني: النساء ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهنَّ وسفههنَّ، قال قتادة في هذه الآية: قلَّما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلَّا تكلمت بالحجة عليها(١).

وفي محل «مَنْ» ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازه: أَوَ مَنْ ينشؤ في الحلية يجعلونه بنات الله، والخفض ردًّا على قوله: «مما يخلق»، وقوله: «بما ضرب».

﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو «عباد الرحمن» بالباء والألف بعدها ورفع الدال، كقوله تعالى: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ»[الأنبياء: ٢٦]، وقرأ الآخرون «عند الرحمن» بالنون ونصب الدال على الظرف، وتصديقه قوله عزَّ وجلَّ: «إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ...» الآية[الأعراف: ٢٠٦]

= ابن عمرو، وقال: (هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ١٣٨ ـ ١٣٩).
وانظر: «الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» لابن علان: (٥/ ١٢٥ ـ ١٢٦).

(١) أخرجه الطبري: (٢٥/ ٥٧)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ١٩٥)، وزاد السيوطي في «الدر»: (٧/ ٣٧٠) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾
أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم
بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ قرأ أهل المدينة على ما لم يسم فاعله، ولينّ الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام، أي: أحَضَرُوا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين، أي: أحَضَرُوا خلقهم حين خُلقوا، وهذا كقوله: «أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ» [الصافات: ١٥٠] ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ على الملائكة أنهم بنات الله ﴿وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ عنها.

قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يُدريكم أنهم إناث»؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا[١]، فقال الله تعالى: «وَيُسْأَلُونَ» عنها في الآخرة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ يعني: الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي، قال مجاهد: يعني: الأوثان، وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منّا بعبادتها، قال الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ فيما يقولون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ما هم إلّا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منّا بعبادتها، وقيل: إن هم إلّا يخرصون في قولهم: إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ على دين وملة، قال مجاهد: على إمام ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم مهتدين ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ أغنياؤها ورؤساؤها ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ بهم.

﴿۞ قَالَ﴾ قرأ ابن عامر وحفص «قال» على الخبر، وقرأ الآخرون «قل» على الأمر ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾ قرأ أبو جعفر «جئناكم» على الجمع، والآخرون «جئتكم» على الواحد ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا﴾ بدين أصوب ﴿وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا﴾ قال الزَّجَّاج: قل لهم (يا محمد)[٢]: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه؟ فأبوا أن يقبلوا ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٣٠٧)، وقد عزاه للبغوي، وقال: (وهو منقطع).
(٢) زيادة من «ب».

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)﴾

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ أي: بريء، ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يؤنث؛ لأنه مصدر وضع موضع النعت ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾ يرشدني لدينه.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ يعني: هذه الكلمة ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال مجاهد وقتادة: يعني: كلمة التوحيد، وهي «لا إله إلَّا الله» كلمة باقية في عقبه في ذريته، قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده، وقال القرظي: يعني: وجعل وصية إبراهيم التي أوصى بها بنيه باقية في نسله وذريته، وهو قوله عزَّ وجلَّ: «وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ»[البقرة: ١٣٢]، وقال ابن زيد: يعني قوله: «أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[البقرة: ١٣١]، وقرأ: «هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ»[الحج: ٧٨].

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ لعلَّ أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم، وقال السدي: لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ يعني: المشركين في الدنيا، ولم أعاجلهم بالعقوبة على الكفر ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني: القرآن، وقال الضحاك: الإسلام ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩)﴾ يبين لهم الأحكام، وهو محمد ﷺ، وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوه، فلم يفعلوا، وعصوا وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)﴾ يعنون: الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة، وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف، وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، ومن الطائف: حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، ويُروى هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[1].

---

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري: (٢٥/ ٦٥ ـ ٦٦)، ثم قال: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبرًا عن هؤلاء=

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾

قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني: النبوة، قال مقاتل: / يقول: بأيديهم مفاتيح الرسالة ١١٨/أ
فيضعونها حيث شاؤوا؟ ثم قال:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا هذا غنيًا وهذا فقيرًا، وهذا ملكًا وهذا مملوكًا، فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا، كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالغنى والمال ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ليستخدم بعضهم بعضًا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش، هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتئم قِوامُ أمر العالم.

وقال قتادة والضحاك: يملك بعضهم بمالهم بعضًا بالعبودية والملك ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ (يعني: الجنة)(١) ﴿خَيْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مما يجمع الكفار من الأموال.

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا أن يصيروا كلهم كفارًا فيجتمعون على الكفر ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو «سَقْفًا» بفتح السين وسكون القاف على الواحد، ومعناه الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾[النحل: ٢٦]، وقرأ الباقون بضم السين والقاف على الجمع، وهي جمع «سقف» مثل: رُهُن ورَهْن، قال أبو عبيدة: ولا ثالث لهما، وقيل: هو جمع سقيف، وقيل: جمع سقوف جمع الجمع ﴿وَمَعَارِجَ﴾ مصاعد ودرجًا من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ من فضة ﴿وَسُرُرًا﴾ أي: وجعلنا لهم سررًا من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

= المشركين ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ إذ كان جائزًا أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عُنُوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ، والاختلاف فيه موجود على ما بينت)، وبنحوه قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢٧ـ ١٢٨): (... والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان).

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

﴿وَزُخْرُفًاۚ﴾ أي: وجعلنا مع ذلك لهم زخرفًا وهو الذهب، نظيره: «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ» [الإسراء: ٩٣] ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ قرأ حمزة وعاصم «لمّا» بالتشديد على معنى: وما كل ذلك إلّا متاع الحياة الدنيا فكان: «لمّا» بمعنى «إلّا»، وخففه الآخرون على معنى: وكل ذلك متاع الحياة الدنيا، فيكون «إن» للابتداء، و«ما» صلة، يريد: إن هذا كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ خاصة، يعني: الجنة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام، أخبرنا أحمد بن سيّار القرشي، حدثنا عبد الرحمن بن يونس أبو مسلم، حدثنا أبو بكر بن منظور، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها قطرة ماء»[1].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن مجالد[2] بن سعيد، عن قريش بن أبي حازم، عن المستورد بن شداد أخي بني فهر قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها»؟ قالوا: مِن هوانها ألقوها، قال رسول الله ﷺ: «فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله: (٦/ ٦١١)، وقال: (هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه)، وابن ماجه في الزهد، باب مثل الدنيا برقم ٤١١٠: (٢/ ١٣٧٧)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٣/ ٢٥٣) من رواية أبي هريرة، وقال: (رواه البزار)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٢٩).

قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٨٨): (وفيه صالح مولى التوأمة، وهو ثقة لكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات)، وصححه المناوي في «فيض القدير»: (٥/ ٣٢٨).

وذكره الألباني في «الصحيحة»: رقم ٦٨٦، وقال: (روي من حديث سهل بن سعد وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وجماعة من الصحابة والحسن وعمرو بن مرة مرسلًا)، ثم ساق الروايات وقال: (وبالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والله أعلم).

(٢) في «أ»: (خالد)، وما أثبتناه هو الصواب.

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عزَّ وجلَّ: (٦/ ٦١١ - ٦١٢)، وقال: (حديث حسن)، وابن ماجه في الزهد، باب مثل الدنيا برقم ٤١١١: (٢/ ١٣٧٧)، والإمام أحمد: (٤/ ٢٢٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٢٧ - ٢٢٨).

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: يعرض عن ذلك الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرجُ ثوابه، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشوًا، إذا قصدتها مهتديًا بها، وعشوت عنها: أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه، وملت إليه وملت عنه، قال القرظي[1]: يولي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن، قال أبو عبيدة والأخفش: يُظلم بصرف بصره عنه، قال الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر بيصر ضعيف، وقرأ ابن عباس «ومن يعشَ» بفتح الشين، أي: يعم، يقال: عشي يعشى عشًا إذا عمي فهو أعشى، وامرأة عشواء ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ قرأ يعقوب «يقيض» بالياء، والباقون بالنون، نسبب له شيطانًا ونضمه إليه ونسلطه عليه ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ لا يفارقه، يزين له العمى، ويخيل إليه أنه على الهدى.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني: الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: ليمنعونهم عن الهدى، وجمع الكناية؛ لأن قوله: «ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا» في مذهبِ جمعٌ وإن كان اللفظ على الواحد ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ويحسب كفار بني آدم أنهم على الهدى.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ قرأ أهل العراق غير أبي بكر: «جاءنا» على الواحد، يعنون: الكافر، وقرأ الآخرون «جاءانا» على التثنية، يعنون: الكافر وقرينه، جُعلا في سلسلة واحدة ﴿قَالَ﴾ الكافر لقرينه الشيطان: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: بُعد ما بين المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما على الآخر، كما يقال للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعمر: العُمَران، وقيل: أراد بالمشرقين: مشرق الصيف ومشرق الشتاء. والأول أصح ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ قال أبو سعيد الخدري: إذا بعث الكافر زُوِّج بقرينه من الشياطين، فلا يفارقه حتى يصير إلى النار[2] ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ في الآخرة ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أشركتم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ يعني: لا ينفعكم الاشتراك في العذاب، ولا يخفف الاشتراك عنكم شيئًا من العذاب؛ لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب، وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الدنيا (في الكفر)[3].

---

(١) في المخطوطتين: (القرطبي)، والصحيح: (القرظي) كما ذكره القرطبي: (١٦/ ٩٠).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٥/ ٧٤)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ١٩٦)، كلاهما عن سعيد الجريري خلافًا لما في المخطوطتين إذ نسبتا القول لأبي سعيد الخدري. وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٧٨) عزوه لابن المنذر.

(٣) زيادة من «ب».

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ يعني: الكافرين الذين حقَّت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل أن نعذبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ بالقتل بعدك.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قادرون، متى شئنا عذبناهم، وأراد به: مشركي مكة، انتقم منهم يوم بدر، هذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن وقتادة: عنى به: أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ، وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في أمته، فأكرم الله نبيه وذهب
١١٨/ب به ولم يره في أمته إلَّا الذي / يقر عينه، وأبقى النقمة بعده، ورُوي أن النبي ﷺ أُري ما يُصيب أمته بعده فما رُئي ضاحكًا منبسطًا حتى قبضه الله[(١)].

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ لشرف ذلك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ من قريش، نظيره: «لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ»[الأنبياء: ١٠]، أي: شرفكم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ عن حقِّه وأداء شكره، روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك؟ لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل لمن هذا؟ قال: لقريش[(٢)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا عاصم بن محمد بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان»[(٣)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث عن

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٥/ ٧٥)، والحاكم: (٢/ ٤٤٧)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ١٩٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٧٩) أيضًا لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٣٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب قريش: (٦/ ٥٣٣)، ومسلم في الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش برقم ١٨٢٠: (٣/ ١٤٥٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٦٠).

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلَّا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين»[(١)].

وقال مجاهد: القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم، ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتى يكون (الأكثر لقريش ولبني هاشم.

وقيل: «ذكر لك» شرف لك بما أعطاك من الحكمة، «ولقومك» المؤمنين بما هداهم)[(٢)] الله به، «وسوف تسئلون» عن القرآن وعمَّا يلزمكم من القيام بحقه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ اختلفوا في هؤلاء المسئولين:

قال عطاء عن ابن عباس: لما أُسري بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذَّن جبريل ثم أقام، وقال: يا محمد، تقدم فصلِّ بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سلْ يا محمد «من أرسلنا قبلك من رسلنا . . .» الآية، فقال رسول الله ﷺ: «لا أسأل فقد اكتفيت»، وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد، قالوا: جمع له المرسلين ليلة أُسري به وأمره أن يسئلهم فلم يشك ولم يسأل[(٣)].

وقال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أُرسِلَتْ إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلَّا بالتوحيد[(٤)]؟ وهو قول ابن عباس في سائر الروايات، ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن والمقاتليين، يدل عليه قراءة عبد الله وأُبَيّ: «واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا»، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عزَّ وجلَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ استهزاءً.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب قريش: (٦/ ٥٣٣).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) ذكره القرطبي: (١٦/ ٩٤ ـ ٩٥) عن ابن عباس وابن زيد، وانظر: الطبري: (٢٥/ ٧٨).

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٣٠): (أي: جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت إليه . . . كقوله: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ واختاره ابن جرير.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾
وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ
وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ بالسنين والطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه دلالاتٍ لموسى وعذابًا لهم، فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عن كفرهم.

﴿وَقَالُوا۟﴾ لموسى لَمّا عاينوا العذاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ يا أيها العالم الكامل الحاذق، وإنما قالوا هذا توقيرًا وتعظيمًا له؛ لأن السحر عندهم كان علمًا عظيمًا وصفةً ممدوحة، وقيل: معناه: يا أيها الذي غلبنا بسحره، وقال الزَّجّاج: خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمنّا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنّا العذاب ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ مؤمنون، فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا، فذلك قوله عزَّ وجلَّ:

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أنهار النيل ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ من تحت قصوري، وقال قتادة: تجري بين يدي في جناني وبساتيني، وقال الحسن: بأمري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ عظمتي وشدة ملكي.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ بل أنا خير، «أم» بمعنى «بل» وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: الوقف على قوله: «أم»، وفيه إضمار مجازه: أفلا تبصرون أم تبصرون[1]، ثم ابتدأ فقال: أنا خيرٌ ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير، يعني: موسى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ﴾ إن كان صادقًا ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ قرأ حفص ويعقوب «أسورة» جمع سوار، وقرأ الآخرون «أساورة» على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع، قال مجاهد: كانوا إذا سوَّدوا رجلًا سوَّروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلا ألقى ربُّ موسى عليه أسورة من

---

(١) ساقط من «ب».

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾

ذهب إن كان سيِّدًا تجب علينا طاعته ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ متتابعين، يقارن بعضُهم بعضًا، يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره.

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي: استخف فرعون قومه القبط، أي: وجدهم جهالًا، وقيل: حملهم على الخفة والجهل، يقال: استخفه عن رأيه، إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ على تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ قرأ حمزة والكسائي «سُلُفًا» بضم السين واللام، قال الفراء: هو جمع سليف، من سلُف بضم اللام يسلف، أي: تقدم، وقرأ الآخرون بفتح السين واللام على جمع السلف، مثل: حارس وحرس، / وخادم وخدم، وراصد ورصد، ١١٩/أ
وهما جميعًا الماضُون المتقدمون من الأمم، يقال: سلُف يسلُف إذا تقدم، والسلف: مَن تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ عبرة وعظة لِمَن بقي بعدهم، وقيل: سلفًا لكفار هذه الأمة إلى النار، ومثلًا لمن يجيء بعدهم.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله عزَّ وجلَّ: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ»[الأنبياء: ٩٨]، وقد ذكرناه في سورة الأنبياء عليهم السلام [(١)] ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ قرأ أهل المدينة والشام والكسائي «يصُدون»، أي: يعرضون، نظيره قوله تعالى: «يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا»[النساء: ٦١]، وقرأ الآخرون بكسر الصاد.

واختلفوا في معناه، قال الكسائي: هما لغتان، مثل: يعرُشون ويعرِشون، وشد عليه يَشُدّ ويَشِد، ونمّ بالحديث يَنُمُّ ويَنِمُّ.

وقال ابن عباس: معناه: يضجّون، وقال سعيد بن المسيب: يصيحون، وقال الضحاك: يعجّون، وقال قتادة: يجزعون، وقال القرظي: يضجرون، ولمَّا ضُرب ابنُ مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون يقولون: ما يريد محمد منَّا إلَّا أن نعبده ونتخذه إلهًا كما عبدت النصارى عيسى.

---

(١) انظر فيما سبق: (٣/ ١٩٤).

وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ
إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي
ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ قال قتادة: «أم هو» يعنون: محمدًا، فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا، وقال السدي وابن زيد: «أم هو» يعني: عيسى، قالوا: يزعم محمدٌ أن كلَّ ما عبد من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار، وقال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ يعني: هذا المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ خصومة بالباطل، وقد علموا أن المراد من قوله: «وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ»[الأنبياء: ٩٨] هؤلاء الأصنام ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الحمشاوي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا حجاج بن دينار الواسطي، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدًى كانوا عليه إلَّا أوتوا الجَدَل»، ثم قرأ: «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ»[(1)].

ثم ذكر عيسى فقال: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ ما هو، يعني: عيسى عليه السلام ﴿إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا﴾ آية وعبرة ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ يعرفون به قدرة الله عزَّ وجلَّ على ما يشاء، حيث خلقه من غير أب.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ﴾ أي: ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلًا منكم ملائكة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ يكونون خلفًا منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني، وقيل: يخلف بعضُهم بعضًا.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: عيسى عليه السلام ﴿لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعني: نزوله من أشراط الساعة يُعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة: «وإنه لَعَلَمٌ للساعة» بفتح اللام والعين، أي: أمارة وعلامة.

ورُوينا عن النبي ﷺ: «لَيُوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عادلًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتهلك في زمانه الملل كلها إلَّا الإسلام»[(2)].

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، باب سورة الزخرف: (٩/ ١٣٠ ـ ١٣١)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح، إنما نعرفه من حديث حجاج ابن دينار، وحجاج ثقة مقارب الحديث، وأبو غالب اسمه حزَوَّر، وابن ماجه في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل برقم٤٨: (١/ ١٩)، والإمام أحمد: (٥/ ٢٥٢ ـ ٢٥٦)، والحاكم: (٢/ ٤٤٨) وقال: (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: (١/ ١١٤)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (١/ ٤٨)، وحسَّن الألباني إسناده، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) لعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام: (٦/ ٤٩٠ ـ ٤٩١)، ومسلم في الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ برقم١٥٥: (١/ ١٣٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٨٠).

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

ويُروى: «أنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة، وعليه ممصرتان[1]، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر، فيتأخر الإمامُ فيقدِّمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويخرب البيَع والكنائس، ويقتل النصارى إلّا من آمن به»[2].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامُكم منكم»[3]؟

وقال الحسن وجماعة: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: وإن القرآن ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعلمكم قيامها، ويخبركم بأحوالها وأهوالها ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فلا تشكنَّ فيها، قال ابن عباس: لا تكذبوا بها ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي أنا عليه ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ لا يصرفنكم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ عن دين الله ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، قال قتادة: يعني: اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى، قال الزجاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبيَّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾.

---

(١) تثنية ممصَّرة: وهي الثياب التي فيها صفرة خفيفة.

(٢) انظر: أبو داود في الملاحم، باب خروج الدجال: (٦/ ١٧٧)، «مسند الإمام أحمد»: (٢/ ٤٠٦، ٤٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم ﷺ: (٦/ ٤٩١)، ومسلم في الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ برقم ١٥٥: (١/ ١٣٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٨٢).

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني: أنها تأتيهم لا محالة، فكأنهم ينتظرونها ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ إلَّا المتحابين في الله عزَّ وجلَّ على طاعة الله عزَّ وجلَّ.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني عقيل ابن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير، حدثنا ابن عبد الأعلى، عن قتادة، حدثنا أبو ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبي إسحاق أن عليًا قال في هذه الآية: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا رب، إن فلانًا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جُمع بينهما، فيقول ليثنِ أحدكما على صاحبه، فيقول: نِعْمَ الأخ، ونعم الخليل، ونعم الصاحب، قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا رب، إن فلانًا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فيقول: بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب[1]. / ١١٩/ب

﴿يَٰعِبَادِ﴾ أي: فيقال لهم: يا عبادي ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ورُوي عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلَّا فزع، فينادي منادٍ: «يا عبادِ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون» فيرجوها الناس كلهم فيتبعها[2]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ فييأس الناسُ منها غير المسلمين، فيقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ تسرون وتنعمون.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٥/ ٩٤)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، وزاد السيوطي في «الدر»: (٧/ ٣٨٩) نسبته لعبد بن حميد وحميد بن زنجويه وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٥/ ٩٥)، وانظر: السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ جمع صحفة: وهي القصعة الواسعة ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب: وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها ﴿وَفِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وحفص «تشتهيه» وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الآخرون بحذف الهاء ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد ابن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال رجل: يا رسول الله، أفي الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل، فقال ﷺ: «إن يدخلك اللهُ الجنة لا تشاء أن تركب فرسًا من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت، إلّا فعلتَ»، فقال أعرابي: يا رسول الله، أفي الجنة إبل؟ فقال: «يا أعرابي، إن يدخلك اللهُ الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»[(١)].

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ وفي الحديث: «لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة إلّا نبت مكانها مثلاها»[(٢)].

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ يدعون خازن النار: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمتنا ربُّك فنستريح، فيجيبهم مالك بعد ألف سنة ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ مقيمون في العذاب.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي،

---

(١) أخرجه الترمذي في الجنة، باب ما جاء في صفة خيل الجنة: (٧/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢)، والإمام أحمد: (٥/ ٣٥٢) عن علقمة عن سليمان بن بريدة عن أبيه، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢٢٢)، وقد علق الشيخ الأرناؤوط بقوله: (رجاله ثقات، إلّا أنه مرسل، عبد الرحمن بن سابط تابعي ثقة). قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٤١٣): (رواه الطبراني ورجاله ثقات).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٥/ ٩٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٩٢) أيضًا لعبد بن حميد.
قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٤١٤): (رواه الطبراني والبزار، ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات).

لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠
أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾

أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة يذكره، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال (النبي ﷺ)[1]: «إنَّ أهل النار يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يردّ عليهم: إنكم ماكثون»، قال: «هانت ـ والله ـ دعوتهم على مالك وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنَّا قومًا ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنَّا ظالمون»، قال: «فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون»، قال: «فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلَّا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق»[2].

﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ يقول: أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ ﴾ أم أحكموا ﴿ أَمْرًا ﴾ في المكر برسول الله ﷺ ﴿ فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ محكمون أمرًا في مجازاتهم، قال مجاهد: إن كادُوا شرًّا كدتهم مثله.

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ ﴾ ما يسرونه من غيرهم، ويتناجون به بينهم ﴿ بَلَىٰ ﴾ نسمع ذلك ونعلم ﴿ وَرُسُلُنَا ﴾ أيضًا من الملائكة، يعني: الحفظة ﴿ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ يعني: إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فأنا أول من عبده، فإنه واحد لا شريك له ولا ولد، وروي عن ابن عباس: «إن كان» أي: ما كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل «إن» بمعنى الجحد.

وقال السدي: معناه: لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك، ولكن لا ولد له.

وقيل: «العابدين» بمعنى: «الآنفين»، أي: أنا أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم.

ويقال: معناه: أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد، يقال: عبد يعبد إذا أنف وغضب.

وقال قوم: قلَّ ما يُقال: عَبَدَ فهو عابد، إنما يقال: فهو عَبِدٌ.

ثم نزه نفسه فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ عما يقولون من الكذب.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب»، والحديث موقوف على عبد الله بن عمرو كما جاء مختصرًا في «مجمع الزوائد»: (١٠/ ٣٩٦).

(٢) أورده الهيثمي في «المجمع»: (١٠/ ٣٩٦)، ثم قال: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح).

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ (قال قتادة: يُعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلَّا هو)(١) ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ بمصالحهم.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عُبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون «من» في محل الرفع، وقيل: «من» في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني: أنهم لا يملكون الشفاعة إلَّا من شهد بالحق، والأول أصح، وأراد بشهادة الحق قول: لا إله إلَّا الله كلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يصرفون عن عبادته.

١٢٠/أ ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ يعني: قول محمد ﷺ شاكيًا إلى ربه: يا رب ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ / قرأ عاصم وحمزة «وقيله» بجر اللام والهاء، على معنى: وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب، والثاني: وقال قيله.

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أعرض عنهم ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ معناه: المتاركة، كقوله تعالى: «سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ»[القصص: ٥٥] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ قرأ أهل المدينة والشام بالتاء، والباقون بالياء، قال مقاتل: نسختها آية السيف(٢).

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) انظر: (١/ ٦٥٣)، تعليق (١)، عن النسخ بآية السيف.

سورة الدُّخَان

مكية[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر، أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عن النبي ﷺ نجومًا في عشرين سنة[2]، وقال آخرون: هي ليلة النصف من شعبان[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا الأصبغ بن الفرج، أخبرني ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن عبد الملك بن عبد الملك حدثه أن ابن أبي ذئب واسمه مصعب حدثه عن القاسم بن محمد، عن أبيه أو عمه، عن جده، عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلَّا إنسانًا في قلبه شحناء أو مشركًا بالله»[4] ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾.

﴿فِيهَا﴾ أي: في الليلة المباركة ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ محكم، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج،

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٩٧) لابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير قالا: نزلت بمكة سورة «حمٓ» الدخان.

(٢) أخرجه الطبري: (٢٥/ ١٠٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٩٩) أيضًا لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٥/ ١٠٩)، ثم رجَّح قائلًا: (وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مَن قال: ذلك ليلة القدر لما تقدم من بياننا عن أن المعنيّ بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ ليلة القدر، والهاء في قوله: «فيها» من ذكر الليلة المباركة، وعنى بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ في هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأُخرى).

(٤) ذكره الهيثمي في «المجمع»: (٨/ ٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (١/ ٢٢٢)، كلاهما عن أبي بكر، وقال البخاري: (عبد الملك بن عبد الملك بن أبي ذئب عن القاسم: فيه نظر)، قال أبو حاتم: (عبد الملك بن مصعب بن أبي ذئب يروي عن القاسم عن أبيه: منكر الحديث) عن «شرح السنة»: (٤/ ١٢٧)، وأخرجه ابن حبان في «الموارد»: برقم٤٦٨، وأبو نعيم في «الحلية»: (٥/ ١٩١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ١٢٧).

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾

يقال: يحج فلان (ويحج فلان)[1]، قال الحسن ومجاهد وقتادة: يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة.

وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة، وتنسخ الأحياء من الأموات، فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد[2].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له ولقد أخرج اسمه في الموتى»[3].

وروى أبو الضحى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن الله يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان، ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر.

﴿أَمْرًا﴾ أي: أنزلنا أمرًا ﴿مِّنْ عِندِنَآ﴾ قال الفراء: نُصب على معنى: فيها يفرق كل أمر فرقًا وأمرًا، أي: نأمر ببيان ذلك أمرًا ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ محمدًا ﷺ ومَن قبله من الأنبياء.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ قال ابن عباس: رأفة مني بخلقي ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل، وقال الزجاج: أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ قرأ أهل الكوفة «رب» جرًا، ردًا على قوله: «من ربك»، ورفعه الآخرون ردًا على قوله: «هو السميع العليم»، وقيل: على الابتداء ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ أن الله رب السموات والأرض.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ من هذا القرآن ﴿يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ يهزؤون به، لاهُونَ عنه.

---

(١) زيادة من «ب»، والأثر ذكره القرطبي: (١٦/ ١٢٧).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٥/ ١٠٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤٠١) أيضًا لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٥/ ١٠٩)، وقال الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٤/ ١٣٨): (هو حديث مرسل، ومثله لا تعارض به النصوص). وانظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٤٠١)، «فتح القدير» للشوكاني: (٤/ ٥٧٢).

﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾

﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ اختلفوا في هذا الدخان:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن كثير، عن سفيان، حدثنا منصور والأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة، فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهيئة[1] الزكام، ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئًا فغضب فجلس، فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن لا يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦]، وإنَّ قريشًا أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سَنَةٌ حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد، جئتَ تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادعُ الله لهم، فقرأ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ إلى: ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾، أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء؟ ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾: يوم بدر و«الزامًا» يوم بدر، ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾، إلى ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾[الروم: ١-٣]، والروم قد مضى[2].

ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى عن وكيع عن الأعمش قال: قالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾، فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ إلى: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله قال: خمس قد مضين «اللِّزامُ والرومُ والبطشةُ والقمرُ والدخانُ»[4].

وقال قوم: هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد، فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيذ، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار، وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن[5].

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الروم: (٨/ ٥١١).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الدخان: (٨/ ٥٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الفرقان: (٨/ ٤٩٦).

(٥) انظر: الطبري: (٢٥/ ١١٣)، «الدر المنثور»: (٧/ ٤٠٧-٤٠٨).

يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عقيل بن محمد الجرجاني، حدثنا أبو الفرج المعافي بن زكريا البغدادي، حدثنا محمد بن جرير الطبري، حدثني عصام بن رواد بن الجراح، حدثنا أبي، أخبرنا أبو سفيان بن سعيد، حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن خراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان
١٢٠/ب / يقول: قال رسول الله ﷺ: «أول الآيات الدخان، ونزول عيسى بن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا»، قال حذيفة: يا رسول الله، وما الدخان؟ فتلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾، يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره»[(١)].

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ من أين لهم التذكرة والاتعاظ؟ يقول: كيف يتذكرون ويتعظون؟ ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ ظاهر الصدق، يعني: محمدًا ﷺ.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ أعرضوا عنه ﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ أي: يعلمه بشر ﴿مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: عذاب الجوع ﴿قَلِيلًا﴾ أي: زمانًا يسيرًا، قال مقاتل: إلى يوم بدر ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلى كفركم.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ وهو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء، وقال الحسن: يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بلونا ﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل هؤلاء ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ على الله، وهو موسى بن عمران.

﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ يعني: بني إسرائيل، أطلقهم ولا تعذبهم ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ على الوحي.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٥/ ١١٤) بذكر كلمة (الدجال) بدل: (الدخان)، وكذلك عند ابن كثير، ثم قال الطبري: (ولم أشهد له بالصحة؛ لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روادًا عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا، فقلت له: فقرأته عليه؟ فقال: لا، فقلت له: فقرئ عليه وأنت حاضر فأقرّ به؟ فقال: لا، فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي: اسمعه منا فقرؤوه عليّ، ثم ذهبوا، فحدثوا به عني، أو كما قال).

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾
وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا
إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾

﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ لا تتجبروا عليه بترك طاعته ﴿ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ ﴾ ببرهان بيِّن على صدق قولي، فلما قال ذلك توعدوه بالقتل، فقال:

﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: تقتلوني، وقال ابن عباس: تشتموني، وتقولوا: هو ساحر، وقال قتادة: ترجموني بالحجارة.

﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ فاتركوني، لا معي ولا عليَّ، وقال ابن عباس: فاعتزلوا أذايَ باليد واللسان، فلم يؤمنوا.

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ مشركون، فأجابه الله وأمره أن يسري، فقال:

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ أي: ببني إسرائيل ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿ رَهْوًا ﴾ ساكنًا على حالته وهيئته، بعد أن ضربته ودخلته، معناه: لا تأمره أن يرجع، اتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل «الرهو»: السكون، وقال مقاتل: معناه: اترك البحر رهوًا راهيًا[1] أي: ساكنًا، فسمي بالمصدر، أي: ذَا رَهْوٍ، وقال كعب: اتركه طريقًا، قال قتادة: طريقًا يابسًا، قال قتادة: لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده[1]، فقيل له: اترك البحر رهوًا كما هو ﴿ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ أخبر موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما جاوزه، ثم ذكر ما تركوا بمصر.

فقال: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ ﴾ (يعني: بعد الغرق)[1] ﴿ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ مجلس شريف، قال قتادة: الكريم الحسن.

﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾ ومتعة وعيش لين ﴿ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ناعمين، وفكهين: أشرين بطرين.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ قال الكلبي: كذلك أفعل بمن عصاني ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ يعني: بني إسرائيل.

---

(١) زيادة من «ب».

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبد الله الفنجوي، حدثنا أبو علي المقري، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا أحمد بن إسحاق البصري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا موسى ابن عبيدة الرَّبذي، أخبرني يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ عبدٍ إلّا له في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل فيه عمله، فإذا مات فقداه وبكيا عليه»، وتلا: «﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾»[1].

قال عطاء: بكاء السماء حمرة أطرافها.

قال السدي: لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء، وبكاؤها: حمرتها[2].

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ لم يُنظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل.

﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ يعني: مؤمني بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ بهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ على عالمي زمانهم.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ قال قتادة: نعمة بيّنة من فلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، والنعم التي أنعمها عليهم، وقال ابن زيد: ابتلاهم بالرخاء والشدة، وقرأ: «﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾» [الأنبياء: ٣٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة الدخان: (٩/ ١٣٦-١٣٧) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلّا من هذا الوجه، وموسى ابن عبيدة ويزيد بن أبان الرَّقاشي يُضعفان في الحديث)، وأبو يعلى في «مسنده»: (٤/ ١٥٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد»: (٨/ ٣٢٧).
قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠٥): (رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف)، وعزاه ابن حجر في «المطالب العالية»: (٣/ ٣٧٠) لأبي يعلى بإسناد ضعيف، وقال البوصيري: (رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف يزيد الرقاشي وموسى بن عبيدة الربذي)، ورواه الترمذي مختصرًا. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤١١) لابن أبي الدنيا وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في «الحلية».

(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ١٤١).

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: لا موتة إلَّا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها، وهو قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بمبعوثين بعد موتتنا.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ (الذين ماتوا)(١) ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أنَّا نُبعث أحياءً بعد الموت، ثم خوَّفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أي: ليسوا خيرًا منهم، يعني: أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع، قال قتادة: هو تُبَّع الحميري، وكان سارَ بالجيوش حتى حيَّر الحيرة، وبنى سمرقند، وكان من ملوك اليمن، سُمِّي تُبَّعًا لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى: «تبعًا»؛ لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا يعبد النار، فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حِمْيَر فكذبوه، وكان من خبره ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره.

وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا: كان تُبَّع الآخر وهو أسعد أبو كرب بن مُلَيك (جاء بكرب)(١) حين أقبل من المشرق، وجعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرَّ بها خلف بين أظهرهم ابنًا له فقتل غيلة، فَقَدِمَها وهو مُجْمِعٌ لإخرابها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار حين سمعوا ذلك من أمره، فخرجوا لقتاله وكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل، فأعجبه ذلك وقال: إن هؤلاء لكرام، إذ جاءه حَبْرَان اسمهما: كعب وأسد من أحبار بني قريظة عالمان، وكانا ابني عم، حين سَمِعَا ما يُريد من إهلاك / ١/١٢١
المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل، فإنك إن أبيت إلَّا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فإنها مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه: محمد، مولده مكة، وهذه دار هجرته، ومنزلك الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه، وفي عدوهم، قال تُبَّع: من يقاتله وهو نبي؟ قالا: يسير إليه قومه فيقتتلون هاهنا، فتناهى لقولهما عمَّا كان يريد بالمدينة، ثم إنهما دعواه إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة، وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن، فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا: إنَّا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة، قال: أيُّ بيت؟ قالوا: بيت بمكة، وإنما تريد هذيل هلاكه؛ لأنهم عرفوا أنه لم يُرِدْهُ أحد قط بسوء إلَّا هلك، فذكر ذلك للأحبار، فقالوا: ما نعلم لله في الأرض بيتًا غير هذا البيت، فاتخذه مسجدًا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك، وما أراد القوم إلَّا هلاكك؛ لأنه ما ناوأهم أحدٌ قط إلَّا هلك، فأكرِمْهُ واصنع عنده ما يصنع أهله، فلما قالوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم، فلما قدم

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) انظر: الطبري: (٢٥/١٢٨)، «سيرة ابن إسحاق»: ص٢٩ ـ ٣٣، تحقيق: محمد حميد الله.

مكة نزل الشعب شعب البطائح، وكسا البيت الوصائل، وهو أول من كسا البيت، ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة، وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف، فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بين ذلك وبينه، قالوا: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه دين خير من دينكم، قالوا: فحاكِمْنَا إلى النار، وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه، فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فقال تُبَّع: أنصفتم، فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدُوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما، يتلون التوراة تعرق جباههما لم تضرهما، ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما، فمن هنالك كان أصل اليهودية في اليمن[(١)].

وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال: كان أبو كرب أسعد الحميري من التبابعة، آمن بالنبي محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة.

وذكر لنا أن كعبًا كان يقول: ذم الله قومه ولم يذمه[(٢)].

وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تُبَّعًا، فإنه كان رجلًا صالحًا[(٣)].

وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت[(٤)].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير، عن سهل بن سعد قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لا تسبُّوا تُبَّعًا، فإنه كان قد أسلم»[(٥)].

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق»: المرجع السابق، «البداية والنهاية» لابن كثير: (٢/ ١٦٣ـ١٦٧).

(٢) انظر: الطبري: (٢٥/ ١٢٩)، القرطبي: (١٦/ ١٤٦).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٥/ ١٢٨)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤١٥) عزوه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري: (٢٥/ ١٢٩)، وعزاه السيوطي في «الدر»: (٧/ ٤١٥) أيضًا لابن المنذر وابن عساكر.

(٥) أخرجه الإمام أحمد: (٥/ ٣٤٠)، وعزاه السيوطي في «الدر»: (٧/ ٤١٥) للطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه.

قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٤٨: (وفيه ابن لهيعة عن عمرو بن جابر وهما ضعيفان، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٧٦): (رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه عمرو بن جابر وهو كذاب).

والذي في السند عند الإمام أحمد وعند المصنف: (أبو زرعة بن عمرو بن جرير) وليس (عمرو بن جابر).

والأول: أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي، الكوفي، قيل: اسمه هَرِم، وقيل: عمرو، وقيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: جرير، ثقة، من الثالثة «تقريب».

والثاني: عمرو بن جابر الحضرمي، أبو زرعة المصري، ضعيف شيعي، من الرابعة، مات بعد العشرين ومائة «التقريب».

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا محمد بن علي بن سالم الهمداني، حدثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدري تبع نبيًا كان أو غير نبي»[1] ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الكافرة ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قيل: يعني: للحق، وهو الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم يفصل الرحمن بين العباد ﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ يوافي يوم القيامة الأولون والآخرون ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ لا ينفع قريب قريبه، ولا يدفع عنه شيئًا ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ لا يُمنعون من عذاب الله ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ يريد: المؤمنين، فإنه يشفع بعضُهم لبعض ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ بالمؤمنين.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ (أي: ذي الإثم)[2]، وهو أبو جهل.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو درديُّ الزيت الأسود ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾ قرأ ابن كثير وحفص «يغلي» بالياء، جَعَلوا الفعل للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، «في البطون» أي: بطون الكفار ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ كالماء الحار إذا اشتدَّ غليانه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو بكر العبدوسي، أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد، حدثنا سليمان بن يوسف، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه الحاكم: (١/ ٣٦)، والبيهقي في «السنن»: (٨/ ٣٢٩)، وعزاه الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٤٨ للثعلبي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٥/ ٢٥١ـ٢٥٣).

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾
ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي
مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾

«أيها الناس، اتقوا الله حقَّ تقاته، فلو أن قطرة من الزَّقوم قطرت على الأرض لأمرَّتْ على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره»[(١)].

قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ﴾ أي: يقال للزبانية: خذوه، يعني: الأثيم ﴿ فَٱعۡتِلُوهُ﴾ قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان، أي: ادفعوه وسوقوه، يقال: عتلَه يعتِله عَتْلاً، إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ وسطه.

﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ قال مقاتل: إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه، ثم يصب فيه ماءً حميمًا قد انتهى حره[(٢)].

ثم يقال له: ﴿ ذُقۡ﴾ هذا العذاب ﴿ إِنَّكَ﴾ قرأ الكسائي «أنك» بفتح الألف، أي: لأنك كنت تقول: أنا العزيز، وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ عند قومك بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له هذا خزنةُ النار، على طريق الاستحقار والتوبيخ.

﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ تشكُّون فيه ولا تؤمنون به، ثم ذكر مستقر المتقين، فقال:

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾﴾ قرأ أهل المدينة والشام: «في مُقام» بضم الميم على المصدر، أي: في إقامة، وقرأ الآخرون بفتح الميم، أي: في مجلس أمين، أمنوا فيه من الغير، أي: من الموت ومن الخروج منه.

١٢١/ب ﴿ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ/ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ أي: كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس، كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم ﴿ بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾﴾ أي: قرناهم بهنَّ، ليس من عقد التزويج؛ لأنه لا يقال: زوجته بامرأة، قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجًا لهنَّ كما يزوَّج البعل بالبعل، أي: جعلناهم اثنين اثنين، و«الحور»: هنَّ النساء النقيات البياض، قال مجاهد:

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار: (٧/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في الزهد، باب صفة النار برقم٤٣٢٥: (٢/ ١٤٤٦)، والإمام أحمد: (١/ ٣٠١)، وابن حبان في «موارد الظمآن» كتاب البعث، باب في صفة جهنم برقم٢٦١١: ص٦٤٩، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢٤٦).

(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ١٥٠).

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾

يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن، وقال أبو عبيدة: «الحور»: هُنَّ شديدات بياض الأعين الشديدات سوادها، واحدها أحور، والمرأة حوراء، و«العِيْن»: جمع العيناء، وهي عظيمة العينين.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ اشتهوها ﴿ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ من نفادها ومن مضرتها، وقال قتادة: آمنين من الموت والأوصاب والشياطين.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا، ويعدها وضع: «إلَّا» موضع «سوى» و«بعد»، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[النساء: ٢٢]، أي: سوى ما قد سلف، وبعد ما قد سلف، وقيل: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا من موتٍ في الجنة؛ لأنَّ السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلى أسباب الجنة، يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة، فكان موتهم في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إيَّاها ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: فعل ذلك بهم فضلًا منه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ سهلنا القرآن، كناية عن غير مذكور ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: على لسانك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ يتعظون ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر النصر من ربك، وقيل: فانتظر لهم العذاب ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ منتظرون قهرك بزعمهم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن فنجويه، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا أبو عيسى موسى بن علي الختلي، حدثنا أبو هاشم الرفاعي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عمر بن عبد الله بن أبي خثعم، عن يحيى بن كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ حمَ الدُّخَان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك»(١).

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء في «حمَ» الدخان: (٨/ ١٩٨)، وقال: (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وعمر ابن أبي خثعم يضعف، قال محمد: هو منكر الحديث)، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٥/ ٤١١ ـ ٤١٢)، وقال: (وكذلك رواه عمر ابن يونس عن عمر بن عبد الله بن أبي خثعم، وعمر بن عبد الله منكر الحديث)، وأخرجه ابن عدي في «الكامل»: (٥/ ١٧٢٠)، وقال الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»: (موضوع)، وانظر: «الكافي الشاف» لابن حجر: ص١٤٨ ـ ١٤٩.

سورة الجاثية

مكية[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾
يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ﴾ قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «آياتٍ» «وتصريف الرياح آياتٍ» بكسر التاء فيهما ردًّا على قوله: «لآيات» وهو في موضع النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف، على أن العرب تقول: إن لي عليك مالًا وعلى أخيك مال، ينصبون الثاني ويرفعونه ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ أنه لا إله غيره.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ يعني: الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يريد: هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بعد كتاب الله ﴿وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب «تؤمنون» بالتاء، على معنى: قل لهم يا محمد: فبأي حديث تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾ كذاب صاحب إثم، يعني: النضر بن الحارث.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤٢٢) لابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت بمكة سورة «حمٓ» الجاثية.

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى
عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ
ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ قال مقاتل: من القرآن ﴿ شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ وذكر بلفظ الجمع ردًّا إلى «كل» في قوله: «لكل أفاك أثيم».

﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ ﴾ أمامهم ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ يعني: أنهم في الدنيا (ممتعون بأموالهم)[1]، ولهم في الآخرة النار يدخلونها ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ ﴾ من الأموال ﴿ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾ ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ هَٰذَا ﴾ يعني: هذا القرآن ﴿ هُدًى ﴾ بيان من الضلالة ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ومعنى تسخيرها: أنه خلقها لمنافعنا، فهو مسخر لنا من حيث إنا ننتفع به ﴿ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ فلا تجعلوا أندادًا، قال ابن عباس: «جميعًا منه» كل ذلك رحمة منه، قال الزجاج: كل ذلك تفضل منه وإحسان ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته، قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ وذلك أن رجلًا من بني غفار شتمه بمكة فهمَّ عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن يبطش به، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يعفو عنه[2].

وقال القرظي والسدي: نزلت في أُناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذًى شديد من المشركين، من قبل أن يؤمروا بالقتال، فشكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية[3] ثم

(١) ما بين القوسين غير موجود بالنسختين، لكن المعنى يقتضيه، وهو المطبوع.
(٢) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٣٥٨).
(٣) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٣٥٨)، وقد عزاه مع سابقه للبغوي.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

نسختها آية القتال[1] ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «لنجزي» بالنون، وقرأ الآخرون بالياء، أي: ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر «ليُجزى» بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو: وهو لحن، قال الكسائي: معناه: ليجزي الجزاء قومًا ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات، يعني: / المنّ والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ ١/١٢٢ أي: عالمي زمانهم، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ يعني: العلم بمبعث محمد ﷺ، وما بيّن لهم من أمره ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ (يا محمد)[2] ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ سنة وطريقة بعد موسى ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ يعني: مراد الكافرين، وذلك أنهم كانوا يقولون له: ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك، فقال جلّ ذِكْرُه:

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ (لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئًا)[3] إن اتبعت أهواءهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿هَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ (معالم للناس)[2] في الحدود والأحكام يبصرون بها ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) انظر فيما سبق: (١/ ٦٥٣).   (٢) زيادة من «ب».   (٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبَ﴾ (بل حسب)[1] ﴿ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ اكتسبوا المعاصي والكفر ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقًا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فُضّلنا عليكم في الدنيا[2] ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب «سواءً» بالنصب، أي: نجعلهم سواء، يعني: أحسبوا أن حياة الكافرين ﴿وَمَمَاتُهُمْ﴾ كحياة المؤمنين وموتهم سواءً كلا، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر، أي: محياهم ومماتهم سواء، فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعًا، معناه: المؤمن مؤمن محياه ومماته، أي: في الدنيا والآخرة، والكافر كافر في الدنيا والآخرة ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ بئس ما يقضون، قال مسروق: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو كاد أن يصبح يقرأ آيةً من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي[3] «أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...» الآية.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوَى شيئًا إلّا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله، وقال آخرون: معناه: اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما تهواه نفسه.

قال سعيد بن جبير: كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئًا أحسن من الأول رموه أو كسروه، وعبدوا الآخر[4].

قال الشعبي: إنما سُمِّي الهوى؛ لأنه يَهوي بصاحبه في النار[4].

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منه بعاقبة أمره، وقيل: على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه ﴿وَخَتَمَ﴾ طبع ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ فلم يسمع الهدى ﴿وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ﴾ فلم يعقل الهدى ﴿عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن﴾ قرأ حمزة والكسائي

(١) زيادة من «ب».
(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ١٦٥)، «زاد المسير»: (٧/ ٣٦١).
(٣) انظر: القرطبي: (١٦/ ١٦٦).
(٤) ذكره القرطبي: (١٦/ ١٦٧).

﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾

«غَشْوة» بفتح الغين وسكون الشين، والباقون «غشاوة» ظلمة فهو لا يبصر الهدى ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا﴾ (أي: فمن يهديه)[1] بعد أن أضله الله ﴿تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾.

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني: منكري البعث: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلّا حياتنا الدنيا ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت الآباء ويحيى الأبناء، وقال الزجاج: يعني: نموت ونحيا، فالواو للاجتماع ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ أي: وما يفنينا إلّا مرُّ الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ الذي قالوه ﴿مِنْ عِلْمٍۖ﴾ أي: لم يقولوه عن علم علموه[1] ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، حدثنا أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما»[2].

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، حدثنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسب أحدُكم الدهر (فإن الله هو الدهرُ)[3]، ولا يقولن للعنب: الكرم، فإن الكرم هو الرجل المسلم»[4].

ومعنى الحديث: أن العرب كان من شأنهم ذم الدهر، وسبُّه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، كما أخبر الله تعالى عنهم: «﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾»، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبهم إلى الله عزَّ وجلَّ، إذْ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها إلى الدهر، (فنُهوا عن سبِّ الدهر)[3].

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٥/ ١٥٣)، وعبد الرزاق في كتاب الجامع للإمام معمر «المصنف»: (١١/ ٣٤٦).
وأخرجه البخاري من طريق معمر عن أبي هريرة في الأدب، باب لا تسبوا الدهر: (١٠/ ٥٦٤)، ومسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة تسمية العنب كرمًا برقم٢٢٤٧: (٤/ ١٧٦٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٢/ ٣٥٥).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) أخرجه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهية تسمية العنب كرمًا برقم٢٢٤٧: (٤/ ١٧٦٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٢/ ٣٥٨).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (أي: ليوم القيامة)[1] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يعني: الكافرين الذين هم أصحاب الأباطيل، يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ باركة على الركب، وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء.

قال سلمان الفارسي: إن في القيامة ساعة هي عشر سنين، يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربه: لا أسألك إلا نفسي[2].

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ الذي فيه أعمالها، وقرأ يعقوب «كلَّ أمة» نصب، ويقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

١٢٢/ب ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ يعني: ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ يشهد عليكم ببيان شاف، فكأنه ينطق، / وقيل: المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي: بكتبها وإثباتها عليكم.

وقيل: «نستنسخ»، أي: نأخذ نسخته، وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان، فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو نحو قولهم: هلم واذهب.

وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ، تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فيُنسخ كتابٌ من كتاب.

وقال الضحاك: نستنسخ، أي: نثبت، وقال السدي: نكتب، وقال الحسن: نحفظ.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ١٧٤).

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ
نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ
ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ الظفر[1] الظاهر.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ متكبرين كافرين.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ قرأ حمزة «والساعة» نصب عطفها على الوعد، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما نعلم ذلك إلَّا حدسًا وتوهما ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أنها كائنة.

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ (في الآخرة)[2] ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ في الدنيا، أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نتركم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله؛ لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذرًا ولا توبةً.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ العظمة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) زيادة من «ب».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي، حدثنا أحمد بن حفص وعبد الله بن محمد الفراء وقطن بن إبراهيم قالوا: أخبرنا حفص بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزَّ وجلَّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما أدخلته النار»[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم الكبر برقم ٢٦٢٠: (٤/ ٢٠٢٣)، بلفظ: «العز إزاره، الكبرياء رداؤه . . .»، وفي الكلام محذوف تقديره يقول الله: . . . .
والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ١٦٩).

سورة الأحقاف

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يعني: يوم القيامة، وهو الأجل الذي تنتهي إليه السموات والأرض، وهو إشارة إلى فنائهما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾ خُوِّفوا به في القرآن من البعث والحساب ﴿مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾ أي: بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ قال الكلبي: أي: بقية من علم يؤثر عن الأولين، أي: يسند إليهم، قال مجاهد وعكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء، وقال قتادة: خاصة من علم، وأصل الكلمة من الأثر: وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثرًا وأثارة، ومنه قيل للخبر: أثر ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾.

﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ يعني: الأصنام لا تجيب عابديها إلى شيء يسألونها ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أبدًا ما دامت الدنيا ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤٣٣) لابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة «حمٓ» الأحقاف.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٨ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٩﴾

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦﴾ جاحدين، بيانه قوله: «تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ»[القصص: ٦٣].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧﴾ يسمون القرآن سحرًا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ محمد من قِبَل نفسه، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذَّبني على افترائي، فكيف أفتري على الله من أجلكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه: إنه سحر ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أن القرآن جاء من عنده ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٨﴾ في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله عزَّ وجلَّ غفور لمن تاب منكم رحيم به.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: بديعًا، مثل: نصف ونصيف، وجمع البِدْع: أبداع، لست بأول مرسل، قد بُعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ اختلف العلماء في معنى هذه الآية:

فقال بعضهم: معناه: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، فقالوا: واللات والعزى ما أمْرُنا وأمر محمد عند الله إلَّا واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه ما يُفعل به، فأنزل الله: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»[الفتح: ٢]، فقالت الصحابة: هنيئًا لك يا نبي الله، قد علمنا ما يُفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: «لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ...» الآية[الفتح: ٥]، وأنزل: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا»[الأحزاب: ٤٧]، فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم، وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة، قالوا: إنما قال هذا
١/١٢٣ قبل أن يخبر / بغفران ذنبه (وإنما أخبر بغفران ذنبه)[1] عام الحديبية، فنسخ ذلك[2].

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) انظر: الطبري: (٢٦/ ٧)، «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٥٦)، القرطبي: (١٦/ ١٨٥).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أخبرنا إسماعيل ابن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن خارجة بن زيد قال: كانت أم العلاء الأنصارية تقول: لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الأنصار على سكنتهم، قالت: (فطار لنا)[١] عثمان بن مظعون في السكنى، فمرض فمرَّضناه، ثم توفي فجاء رسول الله ﷺ فدخل، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي قد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: «وما يُدريك أن الله قد أكرمه»؟ فقلت: لا والله لا أدري، فقال النبي ﷺ: «أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي ولا بكم»، قالت: فوالله لا أزكي بعده أحدًا أبدًا، قالت: ثم رأيت لعثمان بعد في النوم عينًا تجري فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال: «ذاك عمله»[٢].

وقال جماعة: قوله: «وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم» في الدنيا، أمَّا في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن من كذبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه:

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما اشتدَّ البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضًا ذات سباخ ونخل رفعت له، يهاجر إليها، فقال له أصحابه متى تهاجر إلى الأرض التي أُريتَ؟ فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: «وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم»، أأُترك في مكاني أم أخرج وإيَّاكم إلى الأرض التي رُفعت لي[٣]؟

وقال بعضهم: «وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم» إلى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا، إما أن أخرج كما أُخرجت الأنبياء من قبلي، أم أُقتل كما قُتل مَن قبلي من الأنبياء، وأنتم أيها المُصدِّقون لا أدري تخرجون معي أم تُتركون، أم ماذا يفعل بكم، وأنتم[٤] أيها المكذبون، أتُرمون بالحجارة من السماء أم يُخسَفُ بكم، أم أي شيء يفعل بكم، مما فعل بالأمم المكذبة؟

ثم أخبر الله عزَّ وجلَّ أنه يظهر دينه على الأديان، فقال: «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ»[الصف: ٩]، وقال في أمَّته: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ»[الأنفال: ٣٣]، فأخبر الله ما يصنع به وبأمَّته، هذا قول السدي.

﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: ما أتبع إلَّا القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئًا ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٩﴾.

---

(١) في «أ»: (فشاركنا)، وفي «المصنف»: (فصار لنا).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في الجامع للإمام معمر، «المصنف»: (١١/ ٢٣٧)، والبخاري في التعبير، باب العين الجارية في المنام: (١٢/ ٤١٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي: ص٤٣٩، القرطبي: (١٦/ ١٨٦ ـ ١٨٧).

(٤) ساقط من «ب».

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ معناه: أخبروني ماذا تقولون ﴿إِن كَانَ﴾ يعني: القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أيها المشركون ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ المثل: صلة، يعني: عليه، أي: على أنه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ يعني: الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به، وجواب قوله: «إن كان من عند الله» محذوف، على تقدير: أليس قد ظلمتم؟ يدل على هذا المحذوف قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ وقال الحسن: جوابه فمَنْ أضل منكم، كما قال في سورة السجدة.

واختلفوا في هذا الشاهد، قال قتادة والضحاك: هو عبد الله بن سلام، شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به، واستكبر اليهود فلم يؤمنوا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن منير، سمع عبد الله بن بكير، حدثنا حميد، عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنَّ إلَّا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أُمّه؟ قال: «أخبرني بهنَّ جبريلُ آنفًا»، قال: جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: «﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٩٧]»، فأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأمَّا أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نَزَعَتْ»، قال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنك رسول الله، (يا رسول الله)[(١)]، إن اليهودَ قومٌ بُهتٌ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال: «أي رجل عبد الله فيكم»؟ قالوا: خَيْرُنا وابن خَيْرِنا، وسَيِّدُنا وابن سَيِّدِنا، قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، فقالوا: شَرُّنا وابن شرِّنا، فانتقصوه، قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله[(٢)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكًا يحدث عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة البقرة، باب ﴿مَن كان عدوًّا لجبريل﴾: (٨/ ١٦٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٣٧٢-٣٧٣).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلَّا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾، قال: لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث[(١)].

وقال الآخرون: الشاهد هو موسى بن عمران[(٢)].

وقال الشعبي: قال مسروق في هذه الآية: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام؛ لأن الـ حمٓ نزلت بمكة، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجَّةٍ كانت من رسول الله ﷺ لقومه، ومثل القرآن: التوراة، فشهد موسى على التوراة، ومحمد ﷺ على الفرقان، وكل / واحد يصدق الآخر[(٣)]. ١٢٣/ب

وقيل: هو نبي من بني إسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ﴾ (دين محمد ﷺ)[(٤)] ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ يعني: عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقال قتادة: نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمد خيرًا ما سبقنا إليه فلان وفلان[(٥)].

وقال الكلبي: الذين كفروا: أسد وغطفان، قالوا للذين آمنوا، يعني: جهينة ومزينة: لو كان ما جاء به محمد خيرًا ما سبقنا إليه رعاء البهم[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الصحابة، باب مناقب عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ: (٧/ ١٢٨)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ برقم ٢٤٨٣: (٤/ ١٩٣٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٩ ـ ١٠)، وقال مرجحًا في (٢٦/ ١٠): (والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل؛ لأن قوله: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ في سياق توبيخ الله ـ تعالى ذكره ـ مشركي قريش، واحتجاجًا عليهم لنبيه ﷺ، وهذه الآية نظير سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك، وشهد عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل على مثله، يعني: على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمدًا مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوبًا عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي).

(٤) زيادة من «ب».

(٥) انظر: الطبري: (٢٦/ ١٣)، «البحر المحيط»: (٨/ ٥٩)، «الدر المنثور»: (٧/ ٤٤٠).

(٦) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٥٩).

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ يعني: بالقرآن، كما اهتدى به أهل الإيمان ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ كما قالوا: أساطير الأولين.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: ومن قبل القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يعني: التوراة ﴿إِمَامًا﴾ يقتدى به ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله لمن آمن به، ونُصِبَا على الحال عن الكسائي، وقال أبو عبيدة: فيه إضمار، أي: جعلناه إمامًا ورحمة، وفي الكلام محذوف، تقديره: وتقدمه كتاب موسى إمامًا ولم يهتدوا به، كما قال في الآية الأولى: «وإذ لم يهتدوا به».

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ أي: القرآن مصدق للكتب التي قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال، وقيل: بلسان عربي ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني: مشركي مكة، قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب: «لتنذر» بالتاء على خطاب النبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء، يعني: الكتاب ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ «وبشرى» في محل الرفع، أي: هذا كتاب مصدق وبشرى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ قرأ أهل الكوفة «إحسانًا» (كقوله تعالى: «وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا»[البقرة: ٨٣])(١) ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ يريد: شدة الطلق، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «كَرْهًا» بفتح الكاف فيهما، وقرأ الآخرون بضمهما ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ فطامه، وقرأ يعقوب: «وفصله» بغير

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾

ألف ﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ يريد: أقل مدة الحمل، وهي ستة أشهر، وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرًا.

وروى عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهرًا، وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرًا[١] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ نهاية قوته، وغاية شبابه واستوائه، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله: ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾.

وقال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد مضت القصة[٢]. وقال الآخرون: نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو.

قال علي بن أبي طالب: الآية نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعًا، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده[٣].

وكان أبو بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة، في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونُبِّىء النبي ﷺ آمن به ودعا ربه[٤] فـ ﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ بالهداية والإيمان ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ قال ابن عباس: وأجابه الله عزَّ وجلَّ، فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئًا من الخير إلَّا أعانه الله عليه، ودعا أيضًا فقال: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ فأجابه الله، فلم يكن له ولد إلَّا آمنوا جميعًا، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعًا، فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ، وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق، كلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة[٥]، قوله: ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ يعني: أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وكلها حسن، و«الأحسن» بمعنى الحسن، فيثيبهم عليها ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ فلا نعاقبهم عليها، قرأ حمزة والكسائي وحفص «نتقبل» «ونتجاوز» بالنون، «أحسنَ» نصب، وقرأ الآخرون بالياء وضمها، «أحسنُ» رفعٌ ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ مع أصحاب الجنة ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ وهو قوله عزَّ وجلَّ: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ»[التوبة: ٧٢].

---

(١) ذكره ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ١٥٨)، القرطبي: (١٦/ ١٩٣).

(٢) انظر فيما سبق: (٣/ ٤٦٣).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٣٩ ـ ٤٤٠، وانظر: «زاد المسير»: (٧/ ٣٧٨).

(٤) انظر: القرطبي: (١٦/ ١٩٤).

(٥) انظر: «زاد المسير»: (٧/ ٣٧٨).

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ وهي كلمة كراهية ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ من قبري حيًا ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ فلم يبعث منهم أحد ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يستصرخان ويستغيثان الله عليه، ويقولان له: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ ما هذا الذي تدعواني إليه ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال ابن عباس والسدي ومجاهد: نزلت في عبد الله[1].

وقيل: في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى، ويقول: أحيُوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش؛ حتى أسألهم عمَّا تقولون[2].

وأنكرت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن يكون هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر[3].

والصحيح أنها نزلت في كافر عاقٍّ لوالديه، قاله الحسن وقتادة.

وقال الزجاج: قول مَن قال: إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، يبطله قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ...﴾ الآية، أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب.

ومعنى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ (مع أمم)[4] ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل
١٢٤/أ ممن تخلَّف عنه / ولو بساعة، وقال مقاتل: ولكل فضائل أعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم.

وقيل: «وَلِكُلٍّ» يعني: ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين «دَرَجَٰتٌ» منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٦٠)، القرطبي: (١٦/ ١٩٧).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٥٩ ـ ١٦٠): (ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه). وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٦١).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٩)، وانظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٦٠)، «الدر المنثور»: (٧/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥).

(٤) زيادة من «ب».

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قال ابن زيد في هذه الآية: درج أهل النار تذهب سفلًا، ودرج أهل الجنة تذهب علوًّا[(١)].

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم: بالياء، وقرأ الباقون بالنون ﴿أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب «أأذهبتم» بالاستفهام، ويهمز ابن عامر همزتين، والآخرون بلا استفهام على الخبر، وكلاهما فصيحان؛ لأن العرب تستفهم بالتوبيخ وترك الاستفهام، فتقول: أذهبت ففعلت كذا؟ وذهبت ففعلت كذا؟ ﴿وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ يقول: أذهبتم طيباتكم، يعني: اللذات وتمتعتم بها؟ ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الذي فيه ذل وخزي ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون[(٢)] ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ فلما وبّخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا آثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

وروينا عن عمر قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرِّمَالُ بجنبه، فقلت: يا رسول الله، ادعُ اللهَ فيوسع على أُمّتك، فإن فارس والروم قد وسّع عليهم وهم لا يعبدون الله، فقال: «أولئك قومٌ عجّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا»[(٣)].

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا: حدثنا محمد ابن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الأسود بن يزيد، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ[(٤)].

---

(١) انظر: القرطبي: (١٦/ ١٩٨).

(٢) زيادة من «ب».

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها: (٩/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩)، وكذلك عند مسلم في الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهنّ . . . برقم١٤٧٩: (٢/ ١١٠٥ ـ ١١٠٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١).

والرِّمَالُ: نسيج من السعف، يقال: رملتُ الحصير وأرملتُ.

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل: ص٩٢، ومسلم في الزهد برقم٢٩٧٠: (٤/ ٢٢٨١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٧٣).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن المنصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لقد كان يأتي علينا الشهر ما نُوقد فيه نارًا وما هو إلّا الماء والتمر، غير أن جزى الله نساءً من الأنصار خيرًا، كُنَّ ربما أهدين لنا شيئًا من اللبن[١].

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي، حدثنا ثابت بن يزيد، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتابعة طاويًا، وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير[٢].

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا روح بن أسلم، حدثنا أبو حاتم البصري، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُخفت في الله وما يُخاف أحد، ولقد أُوذيت في الله وما يُؤذى أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين ليلة ويوم وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلّا شيء يواريه إبط بلال»[٣].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، (حدثنا محمد بن إسماعيل)[٤]، حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أنه قال: لقد رأيتُ سبعين من أصحاب الصُّفَّة ما منهم رجل عليه رِدَاء، إمَّا إزار وإمَّا كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته[٥].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني، حدثنا أبو طاهر محمد بن الحارث، حدثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن مبارك، عن شعبة بن الحجاج، عن سعد بن إبراهيم، (عن أبيه إبراهيم)[٤] أن عبد الرحمن بن

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابهم وتخليهم عن الدنيا: (١١/ ٢٨٣)، ومسلم في الزهد والرقاق برقم٢٩٧٢: (٤/ ٢٢٨٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله: (٧/ ٢٥)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في الأطعمة، باب خبز الشعير برقم٣٣٤٧: (٢/ ١١١١)، والإمام أحمد: (١/ ٢٥٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٧٤ـ ٢٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي في القيامة: (٧/ ١٧٠ ـ ١٧١)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ برقم١٥١: (١/ ٥٤)، والإمام أحمد: (٣/ ١٢٠)، وابن حبان في الزهد، باب فضل الفقراء برقم٢٥٢٨: ص٦٢٦، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٧٦).

(٤) ساقط من «أ».

(٥) أخرجه البخاري في الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد: (١/ ٥٣٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٧٧).

﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

عوف أُتي بطعام وكان صائمًا، فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير منِّي فكفن في بردة إن غُطِّيَ به رأسُه بدت رجلاه، وإن غُطِّي بها رجلاه بَدَا رأسُه، قال: وأراه قال: وقُتل حمزةُ وهو خير منِّي، فلم يُوجد ما يُكَفَّن فيه إلَّا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلتْ لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[1].

وقال جابر بن عبد الله: رأى عمر بن الخطاب لحمًا معلقًا في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيتُ لحمًا فاشتريته، فقال عمر: أَوَكلما اشتهيت شيئًا يا جابر اشتريت، أما تخاف هذه الآية: «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا»[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾ يعني: هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ قال ابن عباس: «الأحقاف»: وادٍ بين عُمان ومَهْرَة.

وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له: «مَهْرَة» وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إِرَم.

قال قتادة: ذكر لنا أن عادًا كانوا أحياء باليمن، وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: «الشِّحْر»، و«الأحقاف» جمع حقف، وهي المستطيل المعوج من الرمال.

قال ابن زيد: هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن / يكون جبلًا. ١٢٤/ب

قال الكسائي: هي ما استدار من الرمل.

﴿ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ ﴾ مضت الرسل ﴿ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ أي: من قَبْل هُود ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ ﴾ إلى قومهم ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا ﴾ لتصرفنا[3] ﴿ عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ أي: عن عبادتها ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ (من العذاب)[3] ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أن العذاب نازل بنا.

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد: (٣/ ١٤٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٢) أخرجه الحاكم: (٢/ ٤٥٥)، وفيه القاسم بن عبد الله العمري، قال الذهبي: (القاسم واهٍ).

(٣) زيادة من «ب».

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ هود: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ من الوحي ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني: ما يُوعَدُون به من العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابًا يعرض، أي: يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له: «المغيث» وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ فجعلت الريح تحمل الفسطاط، وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ﴾ مرت به من رجال عاد وأموالها (﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾)[1] فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجًا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاء الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنينٌ، ثم أمر الله الريح فكشف عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم البحر.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أخبرنا يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، أخبرنا النضر حدثه عن سليمان بن يسار، عن عائشة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه بياض لهواته، وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله، إن النَّاس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وإذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: «هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا...» الآية[2].

﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ قرأ عاصم وحمزة ويعقوب: «يُرى» بضم الياء، «مساكنُهُم» برفع النون، يعني: لا يرى إلَّا مساكنهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها، «مساكنَهُم» نصبٌ، يعني: لا ترى أنت

(١) ساقط من «أ».
(٢) أخرجه مسلم في الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر برقم٨٩٩: (٢/ ٦١٦-٦١٧).

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾

يا محمد إلَّا مساكنهم؛ لأن السكان والأنعام بادت بالريح، فلم يبق إلَّا هود ومَن آمن معه ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ يعني: فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان، وطول العمر وكثرة المال. قال المبرد: «ما» في قوله: «فيما» بمنزلة «الذي»، و«إن» بمنزلة «ما»، وتقديره: ولقد مكنّاهم في الذي ما مكنّاكم فيه.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ الحجج والبيّنات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم، يخوِّف مشركي مكة.

﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ يعني: الأوثان، اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عزَّ وجلَّ، «القربان»: كل ما يتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ، وجمعه: «قرابين»، كالرهبان والرهابين.

﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل: بل ضلّت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي: كذبهم الذي كانوا يقولون: إنها تقربهم إلى الله عزَّ وجلَّ وتشفع لهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يكذبون أنها آلهة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾ الآية، قال المفسرون: لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل ومسعود وحبيب

بنو (عمرو بن)(١) عمير، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة، إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: ما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله ما أكلمك كلمة أبدًا، لئن كنت رسولًا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن أردَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ سري(٢)، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيزيدهم عليه ذلك، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائطٍ لعتبةَ وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومَن كان تبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من
١/١٢٥ سفهاء ثقيف، ولقد لقي رسول الله / ﷺ تلك المرأة التي من بني جمح، فقال لها: «ماذا لقينا من أحمائك»؟

فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أشكو إليك: ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليَّ سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلَّا بك».

فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلامًا لهما نصرانيًّا يقال له: عدَّاس، فقالا له: خذ قطفًا من العنب وضعه في ذلك الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل ذلك عدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال: «بسم الله»، ثم أكل، فنظر عدَّاسُ إلى وجهه ثم قال: والله، إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: «من أي البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينك»؟ قال: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال له رسول الله ﷺ: «أمِنْ قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى»؟ قال له: وما يدريك ما يونس بن متَّى؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ذاك أخي كان نبيًّا وأنا نبي»، فأكبَّ عدَّاس على رسول الله ﷺ فقبَّل رأسه ويديه وقدميه.

قال: فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاء عدَّاس قالا له: ويلك يا عدَّاس مالك تُقَبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلَّا نبي، فقالا: ويحك يا عدَّاس، لا يصرفك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

---

(١) ساقط من «أ». (٢) ساقط من «ب».

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمرَّ به نفر من جنِّ أهل نصيبين اليمن، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولَّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا فقص الله خبرهم عليه، فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾(1).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدينَ إلى سوق عكاظ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، فأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلَّا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[الجن: ١-٢]، فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[الجن: ١]، وإنما أوحي إليه قول الجن(2).

ورُوي: أنهم لما رجموا بالشهب بعث إبليس سراياه لتعرف الخبر، وكان أول بعثٍ بعثَ ركبًا من أهل نصيبين، وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة.

وقال أبو حمزة الثمالي(3): بلغنا أنهم من الشيصبان وهم أكثر الجن عددًا، وهم عامة جنود إبليس، فلما رجعوا قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

وقال جماعة: بل أُمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن، صرف إليه نفرًا من الجن من نينوى، وجمعهم له، فقال رسول الله ﷺ: «إني أُمرتُ أن أقرأ على الجن الليلة، فأيُّكم يتبعني»؟ فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فاتَّبعه عبد الله بن مسعود، قال عبد الله: ولم يحضر معه أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنَّا على مكة دخل نبي الله ﷺ شعبًا يقال له: شعب الحجون، وخطَّ لي خطًّا ثم أمرني أن أجلس فيه، وقال: «لا تخرج منه حتى أعود إليك»، ثم انطلق حتى قام فافتتح

---

(1) ذكره ابن هشام في «السيرة»: (١/ ٤١٩ـ٤٢٢)، الطبري في «التاريخ»: (٢/ ٣٤٤ـ٣٤٧)، وأخرج الطبراني قطعة منه وهي: اللهم إليك أشكو . . . ، قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٥): (فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات).
وانظر: «فقه السيرة» للغزالي، بتخريج الألباني: ص١٣٧، وراجع ما كتبه العلامة اللكنوي في توثيق ابن إسحاق وقبول روايته في كتابه: «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام»: ص٢٨٠ـ٢٩١، بتحقيق: عثمان جمعة ضميرية.

(2) أخرجه البخاري في الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر: (٢/ ٢٥٣)، والتفسير: (٨/ ٦٦٩).

(3) في «أ»: (اليماني)، والصحيح ما أثبتناه.

القرآن، وجعلت أرى أمثال النسور تهوي، وسمعت لغطًا شديدًا حتى خفت على نبي الله ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر، فانطلق إليَّ وقال: «أنمتَ؟» فقلت: لا والله يا رسول الله، وقد هممت مرارًا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك، تقول: «اجلسوا»، قال: «لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم»، ثم قال: «هل رأيت شيئًا؟» قلت: نعم يا رسول الله، رأيتُ رجالًا سودًا مستثفري ثياب بيض، قال: «أولئك جن نصيبين سألوني المتاع ـ والمتاع الزاد ـ فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة».

قال: فقالوا: يا رسول الله، تقذرها الناس، فنهى النبي ﷺ أن يستنجى بالعظم والروث.

قال: فقلت: يا رسول الله، وما يغني ذلك عنهم؟ قال: «إنهم لا يجدون عظمًا إلَّا وجدوا عليه لحمه يوم أُكل، ولا روثة إلَّا وجدوا فيها حبها يوم أُكلت»، قال: فقلت: يا رسول / الله، سمعتُ لغطًا شديدًا؟ ١٢٥/ب فقال: «إن الجنَّ تدارأت في قتيل قُتل بينهم فتحاكموا إليَّ فقضيت بينهم بالحق»، قال: ثم تبرز رسول الله ﷺ ثم أتاني، فقال: «هل معك ماء؟» قلت: يا رسول الله، معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر، فاستدعاه فصببتُ على يده فتوضأ، وقال: «تمرةٌ طيبةٌ وماءٌ طهور»[1].

قال قتادة: ذُكر لنا أن ابن مسعود لمَّا قدم الكوفة رأى شيوخًا شمطًا من الزُّطِّ فأفزعوه حين رآهم، فقال: أظهروا، فقيل له: إن هؤلاء قوم من الزُّطِّ، فقال: ما أشبههم بالنفر الذي صُرفوا إلى رسول الله ﷺ[2]، يريد: الجن.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغفار بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود وهو ابن أبي هند، عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألتُ ابن مسعود فقلتُ: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن قال: لا، ولكنَّا كنَّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله،

---

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الوضوء بالنبيذ: (١/ ٨٢)، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في الوضوء بالنبيذ: (١/ ٢٩٢)، قال أبو عيسى: (وإنما روي هذا الحديث عن أبي زيد عن عبد الله عن النبي ﷺ، وأبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث، لا تعرف له رواية غير هذا الحديث، وقد رأى بعض أهل العلم الوضوء بالنبيذ، منهم سفيان الثوري وغيره)، وابن ماجه في الطهارة، باب الوضوء بالنبيذ برقم٣٨٤: (١/ ١٣٥)، وقال: (مدار الحديث على أبي زيد وهو مجهول عند أهل الحديث)، والإمام أحمد: (١/ ٤٥٠)، وعبد الرزاق: (١/٢٣٨)، وابن المنذر في «الأوسط»: (١/٢٥٦)، وانظر: «نصب الراية» للزيلعي: (١/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، «الأوسط» لابن المنذر: (١/٢٥٣ـ٢٥٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد: (١/ ٤٥٥)، والطبري: (٢٦/ ٣٢).

فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأتُ عليهم القرآن».

قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

قال: وسألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن»[(١)].

ورواه مسلم، عن علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن داود بهذا الإسناد إلى قوله: «وآثار نيرانهم»[(٢)].

قال الشعبي: وسألوه الزاد وكان من جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلًا من حديث عبد الله[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ اختلفوا في عدد ذلك النفر، فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلًا إلى قومهم، وقال آخرون: كانوا تسعة[(٤)]، وروى عاصم بن زر بن حبيش: كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ قالوا: صه[(٥)].

وروي في الحديث: «أن الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون»[(٦)].

فلما حضروه قال بعضُهم لبعض: أنصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم.

﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فرغ من تلاوته ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم﴾ انصرفوا إليهم ﴿مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مخوِّفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم في الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح، والقراءة على الجن برقم ٤٥٠: (١/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

(٣) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

(٤) انظر: الطبري: (٢٦/ ٣٠ـ٣١).
وذكر الهيثمي في «المجمع» عدة روايات عن ابن عباس لكنها ضعيفة. انظر: «المجمع»: (٧/ ١٠٦).

(٥) قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠٦): (رواه البزار ورجاله ثقات، لكن بلفظ: «سبعة» بدلًا من «تسعة»).

(٦) صححه الحاكم: (٢/ ٤٥٦) على شرط الشيخين، وابن حبان برقم ٢٠٠٧: ص ٤٩٢ من «موارد الظمآن»، وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/ ١٣٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار»: (٤/ ٩٥ ـ ٩٦)، قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٦): (رواه الطبراني ورجاله وثقوا، وفي بعضهم خلاف).
وعزاه ابن حجر في «المطالب العالية»: (٣/ ٢١٨) لأبي يعلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير»: (٣/ ٨٥).

﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ قال عطاء: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى[1].

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» صلة، أي: ذنوبكم ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلًا من الجن، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فوافقوه في البطحاء، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم[2]، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثًا إلى الجن والإنس جميعًا.

قال مقاتل: لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجن جميعًا[3].

واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن[3]، فقال قوم: ليس لهم ثواب إلَّا نجاتهم من النار، وتأوَّلوا قوله: «يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ»، وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه، وحكى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابًا، وهذا مثل البهائم.

وعن أبي الزناد قال: إذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن: عودوا ترابًا، فيعودون ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: «يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا»[النبأ: ٤٠].

وقال الآخرون: يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس، وإليه ذهب مالك وابن أبي ليلى.

وقال جرير عن الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون.

وذكر النقاش في «تفسيره» حديث أنهم يدخلون الجنة، فقيل: هل يصيبون من نعيمها؟ قال: يلهمهم الله تسبيحه وذكره، فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة، وقال أرطاة بن المنذر: سألت ضمرة ابن حبيب: هل للجن ثواب؟ قال: نعم، وقرأ: «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ»[الرحمن: ٧٤]، قال: فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢١٧)، «زاد المسير»: (٧/ ٣٩٠).
(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢١٧).
(٣) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢١٧ ـ ٢١٨)، «طريق الهجرتين» لابن القيم: ص٣٢٣ ـ ٣٢٤، «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني: (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وللشبلي النعماني كتاب استوفى فيه أحكام الجان اسمه «آكام المرجان في أحكام الجان».

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة، في ربض ورحاب، وليسوا فيها.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لا يعجز الله فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ أنصار يمنعونه من الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يعجز عن إبداعهنَّ ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ هكذا قراءة العامة، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتأكيد، كقوله: «تنبت بالدهن»، وقال الكسائي والفراء: العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد، فتقول: ما أظنك بقائم، وقرأ يعقوب «يقدر» بالياء على الفعل، واختار أبو عبيدة قراءة العامة؛ لأنها في قراءة عبد الله «قادر» بغير باء ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فيقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ﴾ أي: فيقال لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

١/١٢٦ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال ابن عباس: ذوو الحزم، وقال / الضحاك: ذوو الجد والصبر، واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أُولي عزم، لم يبعث الله نبيًّا إلّا كان ذا عزم وحزم، ورأي وكمال عقل، وإنما أُدخلت «من» للتجنيس لا للتبعيض، كما يقال: اشتريت أكسيه من الخز وأردية من البز، وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولو عزم إلّا يونس بن متَّى، لعجلةٍ كانت منه، ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ: «ولا تكنْ كصاحب الحوت»؟ وقال قوم: هم نُجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر، لقوله تعالى بعد ذكرهم: «أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ»[الأنعام: ٩٠].

وقال الكلبي: هم الذين أُمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين.

وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورين على النسق في سورة الأعراف والشعراء.

وقال مقاتل: هم ستة: «نوح» صبر على أذى قومه، و«إبراهيم» صبر على النار، و«إسحاق» صبر على الذبح، و«يعقوب» صبر على فقد ولده وذهاب بصره، و«يوسف» صبر على البئر والسجن، و«أيوب» صبر على الضر.

وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة.

قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾[الشورى: ١٣].

أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، حدثني أبو ذر محمد بن إبراهيم سبط الصالحاني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الحافظ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، أخبرنا محمد بن الحجاج، أخبرنا السري بن حيان، أخبرنا عباد بن عباد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم إلّا بالصبر على مكروهها، والصبر على مجهودها، ولم يرض إلّا أن كلفني ما كلفهم، وقال: «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل»، وإني والله لابدَّ لي من طاعته، والله لأصبرنَّ كما صبروا، وأجهدنَّ كما جهدوا، ولا قوة إلّا بالله»(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أي: ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال.

ثم أخبر عن قرب العذاب فقال:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ (في الدنيا)(٢) ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ أي: إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار؛ لأن ما مضى وإن كان طويلًا كأن لم يكن.

ثم قال: ﴿بَلَاغٌ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الخارجون من أمر الله.

قال الزجاج: تأويله: لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلّا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آيةٌ أقوى من هذه الآية.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في ابن كثير: (٤/ ١٧٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤٥٤) للديلمي في «مسند الفردوس»، وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٤٨)، وقد عزاه الأرناؤوط لأبي الشيخ في «أخلاق النبي»: ص٢٩٣، وقال: (نقله من كتاب التفسير لشيخه ابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف، لجهالة السري بن حيان، وضعف مجالد بن سعيد).

(٢) زيادة من «ب».

سورة مُحَمَّد

مدنية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾﴾ أبطلها، فلم يقبلها (وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام)[٢].

قال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم[٣].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ قال سفيان الثوري: يعني: لم يخالفوه في شيء ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «الذين كفروا وصدوا»: مشركو مكة، «والذين آمنوا وعملوا الصالحات»: الأنصار ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ حالهم، قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: عصمهم أيام حياتهم، يعني: أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعني: القرآن ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾﴾ أشكالهم، قال الزَّجَّاج: كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤٥٦) لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٢٣).

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ نصبٌ على الإغراء، أي: فاضربوا رقابهم، يعني: أعناقهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ بالغتم في القتل وقهرتموهم ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ يعني: في الأسر، حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: «مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ»[الأنفال: ٦٧] ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ يعني: بعد أن تأسروهم، فإمَّا أن تمنّوا عليهم منًّا بإطلاقهم من غير عوض، وإما أن تفادوهم فداء.

واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله: «فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ»[الأنفال: ٥٧]، وبقوله: «فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ»[التوبة: ٥]، وإلى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، وهو قول الأوزاعي وأصحاب الرأي، قالوا: لا يجوز المنّ على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء. وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة، والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقَّهم أو يمنّ عليهم، فيطلقهم بلا عوض، أو يفاديهم
١٢٦/ب بالمال، أو بأسارى المسلمين، / وإليه ذهب ابن عمر، وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء، وهو قول الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق.

قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عزَّ وجلَّ في الأُسارى «فإمَّا منًّا بعد وإمَّا فداء».

وهذا هو الأصح والاختيار؛ لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، (حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن يوسف)(١)، حدثنا الليث، حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلًا قِبَلَ نجدٍ، فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية (من سواري)(٢) المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذَا دمٍ، وإن تُنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، حتى كان الغد، فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، إن تُنعم تنعم على شاكر، و(إن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال سل تعط)(٣) فتركه، حتى كان بعد الغد، فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ». (٢) زيادة من «ب». (٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

ما قلت لك، فقال: «أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أَصَبَوْتَ؟ فقال: لا، ولكن أسلمتُ مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ[(١)].

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن عمران بن حصين قال: أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلًا من بني عقيل فأوثقوه، وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي ﷺ، ففداه رسول الله ﷺ بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: أثقالها وأحمالها، يعني: حتى يضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب.

وأصل «الوزر»: ما يحتملُ الإنسانُ، فسمى الأسلحة أوزارًا؛ لأنها تحمل.

وقيل: «الحرب» هم المحاربون، كالشرب والركب. وقيل: «الأوزار» الآثام، ومعناه: حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله.

وقيل: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر؛ حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال»[(٣)].

وقال الكلبي: حتى يسلموا أو يسالموا، وقال الفراء: حتى لا يبقى إلَّا مسلم أو مسالِم.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب وفد بني حنيفة: (٨/ ٨٧)، ومسلم في الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه برقم١٧٦٤: (٣/ ١٣٨٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ٨٠ـ٨٢).

(٢) قطعة من حديث رواه الشافعي في «المسند»: (٢/ ٤٠٤)، أخرجه مسلم في النذر، باب لا وفاء في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد برقم١٦٤١: (٣/ ١٢٦٢ـ١٢٦٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١١/ ٨٣ـ٨٥).

(٣) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في الجهاد، باب الغزو مع أئمة الجور: (٣/ ٣٨٠)، وسعيد بن منصور في «السنن» برقم٢٣٦٧: (٢/ ١٤٣) عن أنس بن مالك. قال المنذري: (والراوي عن أنس: يزيد بن أبي نُشْبَة، وهو في معنى المجهول)، قال ابن حجر في «التقريب»: (نشبة ـ بضم النون وسكون المعجمة ـ السُّلمي، مجهول من الخامسة. وانظر: «نصب الراية للزيلعي»: (٣/ ٣٧٧)، «مجمع الزوائد»: (١/ ١٠٦).

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ فأهلكهم، وكفاكم أمرهم بغير قتال ﴿ وَلَٰكِن ﴾ أمركم بالقتال ﴿ لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب، ومن قتل من الكافرين إلى العذاب ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قرأ أهل البصرة وحفص «قُتلوا» بضم القاف وكسر التاء خفيف، يعني: الشهداء، وقرأ الآخرون: «قاتلوا» بالألف من المقاتلة، وهم المجاهدون ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أُحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل[(١)].

﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ يرضي خصماءَهم، ويقبل أعمالهم.

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ أي: بيَّن لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطئون ولا يستدلون عليها أحدًا كأنهم سكانها منذ خلقوا، فيكون المؤمن أهدى إلى درجته وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين.

وروى عطاء عن ابن عباس: «عرفها لهم»، أي: طيبها لهم، من العَرْف، وهو الريح الطيبة، وطعام معرَّف، أي: مطيَّب[(٢)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ ﴾ أي: دينه ورسوله ﴿ يَنصُرْكُمْ ﴾ على عدوكم ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ عند القتال.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ قال ابن عباس: بُعْدًا لهم، وقال أبو العالية: سقوطًا لهم، وقال الضحاك: خيبةً لهم، وقال ابن زيد: شقاءً لهم، قال الفراء: هو نصبٌ على المصدر، على سبيل الدعاء، وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة التردي في النار، ويقال للعاثر: تعسًا إذا لم يريدوا قيامه، وضده لعًا إذا أرادوا قيامه[(٣)] ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾ لأنها كانت في طاعة الشيطان.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التعس والإضلال ﴿ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٤٤)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٢١)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤٦١) عزوه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٣١).

(٣) انظر: «لسان العرب»، مادة «تعس»: (٦/ ٣٢).

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم (١٤)﴾

ثم خوَّف الكفار فقال:

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلكهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)﴾ إن لم يؤمنوا، يتوعد مشركي مكة.

١/١٢٧ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وليهم وناصرهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١)﴾/ لا ناصر لهم، ثم ذكر مآل الفريقين فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ليس لهم همة إلَّا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عمَّا في غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢)﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ أي: أخرجك أهلها، قال ابن عباس: كم رجال هم أشد من أهل مكة؟ يدل عليه قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ولم يقل: أهلكناها ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣)﴾ قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: «أنت أحبُّ بلاد الله إلى الله وأحبُّ بلاد الله إليَّ، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك» فأنزل الله هذه الآية[1].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ يقين من دينه، محمدٌ والمؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم (١٤)﴾ يعني: عبادة الأوثان، وهم أبو جهل والمشركون.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٤٨).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٤٦٣) أيضًا لعبد بن حميد وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه.
وانظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم: (١/ ٢٨٠).

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦)﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفتها ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ آجن متغير منتن، قرأ ابن كثير «أسن» بالقصر، والآخرون بالمد، وهما لغتان، يقال: أسن الماء يأسن أسنًا، وأجن يأجن، أسونًا وأجونًا، إذا تغير ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ﴾ لذيذة[1] ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعلي بن مسهر، عن عبيد الله بن عمر، عن خُبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كلٌّ من أنهار الجنة»[2].

قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ أي: مَن كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ شديد الحر، تسعر عليهم جهنم منذ خلقت إذا أُدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)﴾ فخرجت من أدبارهم، والأمعاء جميع ما في البطن من الحوايا، واحدها: معي.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني: من هؤلاء الكفار ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وهم المنافقون، يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه، تهاونًا به وتغافلًا ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ يعني: فإذا خرجوا من عندك ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الصحابة: ﴿مَاذَا قَالَ﴾ محمد ﴿آنِفًا﴾؟ يعني: الآن، هو من الائتناف، ويقال: ائتنفت الأمر، أي: ابتدأته وأنف الشيء أوله.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه مسلم في الجنة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة برقم ٢٨٣٩: (٤/ ٢١٨٣).

(٣) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٣٧).

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨)﴾

قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله ابن مسعود استهزاءً: ماذا قال رسول الله ﷺ؟

قال ابن عباس: وقد سئلت فيمن سئل[١].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦)﴾ في الكفر والنفاق.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ يعني: المؤمنين ﴿زَادَهُمْ﴾ ما قال الرسول ﷺ ﴿هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ وفقهم للعمل بما أمرهم به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبير: وآتاهم ثواب تقواهم.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾.

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، حدثنا أبو إسحاق الهاشمي، حدثنا الحسين بن الحسن، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا معمر بن راشد عمن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلّا غنًى مطغيًا، أو فقرًا مُنسيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مُفَنِّدًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمرُّ»[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: أماراتها وعلاماتها، واحدها: شرط، وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، حدثنا سهل بن سعد قال: رأيتُ النبي ﷺ قال بأصبعه هكذا، بالوسطى والتي تلي الإبهام: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين»[٣].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حفص بن عمر الحوضي، حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس قال: لأحدثنّكم بحديث

---

(١) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٣٨).

(٢) أخرجه الحاكم: (٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢١)، وقال: (إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، وقال مخرجه: (إسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين معمر بن راشد وسعيد المقبري).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النازعات: (٨/ ٦٩١)، ومسلم في الفتن، باب قرب الساعة برقم ٢٩٥٠: (٤/ ٢٢٦٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٩٨).

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾

سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقلّ الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثني هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم إذْ جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى
١٢٧/ب رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض / القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه، قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾﴾ فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟ نظيره: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾[الفجر: ٢٣].

قوله عزَّ وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه: فاثبتْ عليه، وقال الحسين بن الفضل: فازددْ علمًا على علمك، وقال أبو العالية وابن عيينة: هو متصل بما قبله، معناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها إلَّا إلى الله، وقيل: فاعْلَمْ أنه لا إله إلَّا الله، أن الممالك تبطل عند قيامها، فلا ملك ولا حكم لأحد إلَّا الله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستنَّ؛ به أُمَّتُه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أبي بردة، عن الأغر المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل: (١/ ١٧٨)، ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه برقم٢٦٧١: (٤/ ٢٠٥٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ٣١٥).

(٢) أخرجه البخاري في العلم، باب مَن سئل علمًا وهو مشتغل في حديث فأتم الحديث ثم أجاب السائل: (١/ ١٤١ ـ ١٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب الاستغفار واستحباب الاستغفار والاستكثار منه برقم٢٧٠٢: (٤/ ٢٠٧٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٧٠).

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيَّهم ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ قال ابن عباس والضحاك: «متقلبكم» متصرفكم (ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، و«مثواكم» مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار.

وقال مقاتل وابن جرير: «متقلبكم» منصرفكم)[1] لأشغالكم في بالنهار، «ومثواكم» مأواكم إلى مضاجعكم بالليل.

وقال عكرمة: «متقلبكم» من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، «ومثواكم» مقامكم في الأرض.

وقال ابن كيسان: «متقلبكم» من ظهر إلى بطن، «ومثواكم» مقامكم في القبور.

والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حرصًا منهم على الجهاد: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ تأمرنا بالجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ قال قتادة: كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: المنافقين ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ شزرًا بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبنًا عن لقاء العدو ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ كما ينظر الشاخص بصره عند الموت ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد: «أولى لك»، أي: وَلِيَك وقاربك ما تكره.

ثم قال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ وهذا ابتداء محذوف الخبر، تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أي: لو أطاعوا وقالوا قولًا معروفًا كان أمثل وأحسن. وقيل: مجازه: يقول هؤلاء المنافقين قبل نزول السورة المحكمة: طاعةٌ، رفع على الحكاية، أي: أمرنا طاعة أو منَّا طاعة، «وقول معروف»: حسن. وقيل: هو متصل بما قبله، واللام في قوله: «لهم» بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي: لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: جدَّ الأمر، ولزم فرض القتال، وصار الأمر معزومًا ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في إظهار الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ وقيل: جواب «إذا» محذوف، تقديره: فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا، ولو صدقوا الله لكان خيرًا لهم.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ فلعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، فتفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالإسلام ﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ قرأ يعقوب «وتَقْطَعُوا» بفتح التاء خفيف، والآخرون بالتشديد «وتُقَطِّعوا» من التقطيع، على التكثير، لأجل الأرحام، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ وقال بعضهم: هو من الولاية، وقال المسيب بن شريك والفراء: يقول: فهل عسيتُم إن وُليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم، نزلت في بني أمية وبني هاشم[1]، يدل عليه قراءة علي بن أبي طالب «تُوُليتم» بضم التاء والواو وكسر اللام، يقول: إن وليتكم ولاة جائرة خرجتم معهم في الفتنة وعاونتموهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ عن الحق.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه، و«أم» بمعنى «بل».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنبأني عقيل بن محمد، أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا بشر، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ»، فقال شابٌّ من أهل اليمن: بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها، فما زال الشابُّ في نَفْسِ عُمَرَ حتى وُلِّي فاستعان به[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ رجعوا كفارًا ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ قال قتادة: هم كفار
١/١٢٨ أهل الكتاب كفروا / بمحمد ﷺ بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم.

وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون[3].

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ زين لهم القبيح ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ قرأ أهل البصرة بضم الألف وكسر اللام

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٨٢).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٥٧).

(٣) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٤٩).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧)
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ
فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)﴾

وفتح الياء على ما لم يسمَّ فاعله، وقرأ مجاهد بإرسال[1] الياء على وجه الخبر من الله عزَّ وجلَّ عن نفسه أنه يفعل ذلك، وتروى هذه القراءة عن يعقوب، وقرأ الآخرون «وأملَى لهم» بفتح الألف، أي: وأملى الشيطان لهم، مدَّ لهم في الأمل.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ يعني: المنافقين أو اليهود ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وهم المشركون ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ في التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد، وكانوا يقولونه سرًّا فأخبر الله تعالى عنهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)﴾ قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَٰلِكَ﴾ الضرب ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ قال ابن عباس: بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: المنافقين ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩)﴾ لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم، واحدها: «ضغن»، قال ابن عباس: حسدهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أي: لأعلمناكهم وعرَّفناكهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم، قال الزجاج: المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها. قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم[2].

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ في معناه ومقصده.

و«اللحن»: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب: لَحِنَ يَلْحَنُ لَحْنًا فهو لَحِنٌ إذا فطن للشيء،

---

(١) في «الأصل»: (بسكون)، وصححت في الهامش (بإرسال).

(٢) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٥٢).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)﴾

ومنه قول النبي ﷺ: «ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»(١).

والفعل من الخطأ لَحَنَ يَلْحَنُ لَحْنًا فهو لَاحِنٌ، والأصل فيه: إزالة الكلام عن جهته.

والمعنى: إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلَّا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد دخيلته.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ أي: علم الوجود، يريد: حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾ أي: نظهرها ونكشفها بإباء من يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد.

وقرأ أبو بكر عن عاصم «وليبلونكم حتى يعلم»، ويبلو بالياء فيهن، لقوله تعالى: («والله يعلم أعمالكم»، وقرأ الآخرون بالنون فيهنَّ، لقوله تعالى)(٢): «ولو نشاءُ لأريناكهم»، وقرأ يعقوب «ونبلوا» ساكنة الواو، ردًّا على قوله: «ولنبلونكم»، وقرأ الآخرون بالفتح ردًّا على قوله: «حتى نعلم».

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ إنما يضرون أنفسهم ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢)﴾ فلا يرون لها ثوابًا في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المطعمون يوم بدر، نظيرها قوله عزَّ وجلَّ: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . .» الآية[الأنفال: ٣٦].

﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)﴾ قال عطاء: بالشك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسمعة، وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر.

وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الشهادات، باب مَن أقام البينة بعد اليمين: (٥/ ٢٨٨)، ومسلم في الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة برقم١٧١٣: (٣/ ١٣٣٧).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعده أن تحبط الأعمال(١).

وقال مقاتل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد، وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ قيل: هم أصحاب القليب، وحكمها عام.

﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ لا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي: لا تدعوا إلى الصلح ابتداء، منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ لن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترًا وتِرَةً: إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها، ثم حضَّ على طلب الآخرة فقال:

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل وغرور ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ الفواحش ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم في الآخرة ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ﴾ ربكم ﴿أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ لإيتاء الأجر، بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة، نظيره قوله: «مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ»[الذاريات: ٥٧]، وقيل: لا يسألكم محمدٌ أموالكم، نظيره: «قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ»[الذاريات: ٥٧].

وقيل: معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات، إنما يسألانكم غيضًا من فيض، ربع العشر، فطيبوا بها نفسًا، وإلى هذا القول ذهب ابن عُيينة، يدل عليه / سياق الآية: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ أي: يجهدكم ويلحف عليكم بمسألةِ جميعها، يقال: أحفى فلان فلانًا إذا جهده وألحف عليه بالمسألة. ١٢٨/ب

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة: (٢/ ٦٤٦)، وإسناده ضعيف، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٠٤ـ٥٠٥) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

﴿تَبْخَلُوا﴾ بها، فلا تعطوها ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ بغضكم وعداوتكم.

قال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضغان.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: إخراج ما فرض الله عليكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بما فرض عليه من الزكاة ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن صدقاتكم وطاعتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليه، وإلى ما عنده من الخير ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم.

قال الكلبي: هم كندة والنخع، وقال الحسن: هم العجم، وقال عكرمة: فارس والروم.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر، حدثنا إسحاق النجيبي المصري المعروف بابن النحاس، أخبرنا أبو الطيب الحسن بن محمد الرياش، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، حدثنا مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: «وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم»، قالوا: يا رسول الله، مَن هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس»[(١)].

* * *

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة محمد: (٩/ ١٤٥)، وقال: (هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وقد روى عبد الله بن جعفر أيضًا هذا الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن)، والطبري: (٢٦/ ٦٦ ـ ٦٧)، والحاكم: (٢/ ٤٥٨) وصححه، وعبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٦٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٠٠).

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٠٦) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الدلائل».

سورة الفَتْح

مدنية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمُّك يا عمر نزَّرتَ رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما لبثت أن سمعت صارخًا يصرخ بي، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمس»، ثم قرأ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»(٢).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي، حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس قال: نزلت على النبي ﷺ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» إلى آخر الآية، مَرْجِعَه من الحديبية وأصحابه مخالطهم الحزن والكآبة، فقال: «نزلت عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعًا»، فلما تلاها نبي الله ﷺ قال رجل من القوم: هنيئًا مريئًا قد بيَّن الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله الآية التي بعدها «لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»، حتى ختم الآية(٣).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ اختلفوا في هذا الفتح، رُوي عن أبي جعفر الرازي عن قتادة عن أنس:

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٠٧) لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية . . . : (٧/ ٤٥٢)، ومعنى «نزَّرت»: ألحَحْت.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية . . . : (٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥١)، ومسلم في الجهاد، باب صلح الحديبية برقم ١٧٨٦: (٣/ ١٤١٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٢٢).

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾

أنه فتح مكة، وقال مجاهد: فتح خيبر[١]. والأكثرون على أنه صلح الحديبية[٢].

ومعنى الفتح: فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذرًا حتى فتحه الله عزَّ وجلَّ، ورواه شعبة عن قتادة عن أنس: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا»، قال: الحديبية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان، يوم الحديبية كنَّا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبَّه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا[٣].

وقال الشعبي في قوله: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا»، قال: فتح الحديبية، غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأُطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس[٤].

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا»، أي: قضينا لك قضاءً بيِّنًا، وقال الضحاك: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا بغير قتال، وكان الصلح من الفتح.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قيل: اللام في قوله: «ليغفر» لام «كي»، معناه: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح.

وقال الحسين بن الفضل: هو مردود إلى قوله: «وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ»[محمد: ١٩]، «لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»، و«لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ...» الآية.

وقال محمد بن جرير: هو راجع إلى قوله: «إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ

---

(١) في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٠٨) عن أنس.

(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية...: (٧/ ٤٤١).

(٤) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٨٩)، «الدر المنثور»: (٧/ ٥١٠).

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾

١/١٢٩ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾[النصر: ١-٣] ليغفر لك / الله ما تقدم من ذنبك في الجاهلية قبل الرسالة، وما تأخر إلى وقت نزول هذه السورة(١).

وقيل: «ما تأخر» مما يكون، وهذا على طريقة من يجوز الصغائر على الأنبياء(٢).

وقال سفيان الثوري: «ما تقدم» ممَّا عملت في الجاهلية، «وما تأخر»: كل شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد، كما يقال: أعطى من رآه ومن لم يره، وضرب من لقيه ومن لم يلقه.

وقال عطاء الخراساني: «ما تقدم من ذنبك»، يعني: ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، «وما تأخر» ذنوب أُمَّتِك بدعوتك(٣).

﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بالنبوة والحكمة ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢﴾ أي: يثبتك عليه، والمعنى: ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام، وقيل: «ويهديك»، أي: يهدي بك.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ غالبًا، وقيل: معزًّا.

---

(١) انظر: الطبري: (٢٦/ ٦٨).

(٢) قال القرطبي (١/ ٣٠٨-٣٠٩): (واختلف العلماء في هذا الباب، هل وقع من الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها أم لا؟ بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شَيْن ونقص إجماعًا عند القاضي أبي بكر، وعند الأستاذ أبي إسحاق أن ذلك مقتضى دليل المعجزة، وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم، فقال الطبري وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدِّثين: تقع الصغائر منهم، خلافًا للرافضة حيث قالوا: إنهم معصومون من جميع ذلك، واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث، وهذا ظاهر لا خفاء فيه.

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي: إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها، لأنا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرًا مطلقًا من غير التزام قرينة، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم، إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة أو الحظر أو المعصية، ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية، لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: واختلفوا في الصغائر، والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم، وصار بعضهم إلى تجويزها، ولا أصل لهذه المقالة.

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى القول الأول: الذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها، وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يُزري بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة، قال: وهذا هو الحق، ولقد أحسن الجُنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين، منهم - صلوات الله وسلامه عليهم - وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يُخِلَّ ذلك بمناصبهم ولا قدح في رُتبهم، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه).

(٣) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٦٣).

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة والوقار ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم، قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلَّا التي في سورة البقرة ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾.

قال ابن عباس: بعث الله رسوله بشهادة أن لا إله إلَّا الله، فلما صدَّقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم(١)، فكلما أُمروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقًا إلى تصديقهم. وقال الضحاك: يقينًا مع يقينهم. قال الكلبي: هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ وقد ذكرنا عن أنس أن الصحابة قالوا لما نزل «ليغفر لك الله»: هنيئًا مريئًا فما يفعل بنا فنزل: «لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ...» الآية(٢).

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أن لن ينصر محمدًا والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالعذاب والهلاك ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تعينوه وتنصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تعظموه وتفخموه، هذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ، وهاهنا وقف ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله، يريد: تصلوا له ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ بالغداة

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٧٢)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥١٤) عزوه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل».

(٢) انظر فيما سبق: ص١٣٢-١٣٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

والعشي، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «وليؤمنوا»، «ويعزروه»، «ويوقروه» «ويسبحوه» بالياء فيهنَّ، لقوله: «في قلوب المؤمنين»، وقرأ الآخرون بالتاء فيهنَّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت[١].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا يزيد بن زريع، عن خالد، عن الحكم بن عبد الله بن الأعرج، عن معقل بن يسار قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصنًا من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفر[٢].

قال أبو عيسى: معنى الحديثين صحيح، بايعه جماعة على الموت، أي: لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل، وبايعه آخرون، وقالوا: لا نفر[٣].

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم. وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة.

قال الكلبي: نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة[٤].

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ عليه وباله ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ ثبت على البيعة ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ قرأ أهل العراق «فسيؤتيه» بالياء، وقرأ الآخرون بالنون ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ وهو الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: (٧/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة برقم ١٨٥٦: (٣/ ١٤٨٣).

(٣) الترمذي: (٥/ ٢١٨).

(٤) انظر: القرطبي: (٢٦/ ٢٦٧).

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني: أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرًا استنفر مَن حول المدينة مِن الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرًا من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حربًا، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، وتخلفوا واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم[1]: «سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ»، يعني: الذين خلَّفهم الله عزَّ وجلَّ عن صحبتك إذا انصرفت إليهم، فعاتبهم الله على التخلف.

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ يعني: النساء والذراري، أي: لم يكن لنا من يخلفنا فيهم ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ تخلُّفَنا عنك، فكذَّبهم الله عزَّ وجلَّ في اعتذارهم، فقال:

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من أمر الاستغفار، فإنهم لا يبالون أستغفر لهم النبي ﷺ أو لا.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ سوءًا[2] ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ قرأ حمزة والكسائي
١٢٩/ب «ضُرًّا» بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها؛ لأنه قابله بالنَّفع، والنَّفع ضد الضَّر، / وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنه الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم أنه: إن أراد بهم شيئًا من ذلك لم يقدر أحدٌ على دفعه ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ زيَّن الشيطان ذلك الظنَّ في قلوبكم ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وذلك أنهم قالوا: إن محمدًا وأصحابه أكَلة رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون معه، انتظروا ما يكون من أمرهم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ هلكى لا تصلحون لخير.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٦٨).

(٢) زيادة من «ب».

وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ
إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل
لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ
يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ يعني: هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية: ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ﴾ سرتم وذهبتم (أيها المؤمنون)(١) ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ يعني: غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر لنشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر، وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة، عوضًا عن غنائم أهل مكة إذ انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئًا.

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي «كلم الله» بغير ألف جمع كلمة، وقرأ الآخرون «كلام الله» يريدون: أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة. وقال مقاتل: يعني: أمر الله نبيه ﷺ أن لا يسير منهم أحد. وقال ابن زيد: هو قول الله عزَّ وجلَّ: «فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا»[التوبة: ٨٣]، والأول أصوب، وعليه عامة أهل التأويل.

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: مِن قبل مرجعنا إليكم: أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعلمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ منهم، وهو من صدَّق الله والرسول.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء(٢): هم أهل

---

(١) زيادة من «ب». (٢) ساقط من «أ».

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

فارس[١]، وقال كعب: هم الروم[٢]، وقال الحسن: فارس والروم[٣]، وقال سعيد بن جبير: هوازن وثقيف[٤]، وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين[٥]، وقال الزهري ومقاتل وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب[٦].

قال رافع بن خديج: كنَّا نقرأ هذه الآية ولا نعلم مَنْ هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم[٧].

وقال ابن جريج: دعاهم عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى قتال فارس.

وقال أبو هريرة: لم تأتِ هذه الآية بعد[٨].

﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ﴾ يعني: الجنة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ تعرضوا[٩] ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عام الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ وهو النار، فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟

فأنزل الله تعالى[١٠]: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ (يعني: في التخلف عن الجهاد)[٩] ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ قرأ أهل المدينة والشام «ندخله» و«نعذبه» بالنون فيهما، وقرأ الآخرون بالياء لقوله: «ومن يطع الله».

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٨٢)، ابن كثير: (٤/ ١٩١)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥١٩) عزوه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٨٣)، وانظر: ابن كثير: (٤/ ١٩١).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٨٢)، ابن كثير: (٤/ ١٩١)، وعزاه السيوطي أيضًا في «الدر المنثور»: (٧/ ٥١٩) لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٨٣)، وانظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٥١٩).

(٥) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٨٣)، ابن كثير: (٤/ ١٩١)، عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٢٦).

(٦) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٨٣)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥١٩) عزوه لابن المنذر والطبراني.

(٧) انظر: القرطبي: (١٦/ ٢٧٢).

(٨) أخرجه الطبري: (٢٦/ ٨٣) وقال مرجحًا: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلَّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضح لنا الدليل من خبر ولا عقل أن المعنيَّ بذلك هوازن ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عنى بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عُني بهم غيرهم، ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جلَّ ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد).

(٩) زيادة من «ب».

(١٠) انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٥٢١).

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية على أن يناجزوا قريشًا ولا يفروا ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وكانت سَمُرة[١]، قال سعيد بن المسيب: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها[٢].

ورُوي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول: هاهنا، وبعضهم: هاهنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا، قد ذهبت الشجرة[٣].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنَّا ألفًا وأربع مائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة[٤].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا حجاج عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا يُسأل كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنَّا أربع عشرة مائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره[٥].

وروى سالم عن جابر قال: كنَّا خمس عشرة مائة[٦].

وقال عبد الله بن أبي أوفى: كان أصحاب الشجرة ألفًا وثلثمائة، وكانت أسلم ثُمْنَ المهاجرين[٧].

---

(١) السَّمُرة ـ بضم الميم ـ: من شجر الطلح، وهو شجر عظيم من شجر العضاة.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: (٧/ ٤٤٧).

(٣) انظر: الطبري: (٢٦/ ٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: (٧/ ٤٤٣)، ومسلم في الإمارة، باب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال برقم١٨٥٦: (٣/ ١٤٨٤).

والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ١٩٥).

(٥) أخرجه مسلم في الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال برقم١٨٥٦: (٣/ ١٤٨٣).

(٦) قطعة من حديث أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: (٧/ ٤٤١).

(٧) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: (٧/ ٤٤٣)، ومسلم في الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال برقم١٨٥٧: (٣/ ١٤٨٥).

وكان سبب هذه البيعة ـ على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم ـ أن رسول الله ﷺ دعا خراش ابن أبي أمية الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمل له، يقال له: «الثعلب» ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش، فخلَّوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله، إني
١/١٣٠ أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي / بن كعب أحدٌ يمنعني، وقد عرفت قريشُ عداوتي إيَّاها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعزّ بها منّي: عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لِحرب، وإنما جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه، وأجاره حتى بلَّغ رسالة رسول الله ﷺ، فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ: إنْ شئتَ أنْ تطوفَ بالبيت فطفْ به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.

وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، قال بكر بن الأشج: بايعوه على الموت، فقال رسول الله ﷺ: بل على ما استطعتم.

وقال جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أنْ لا نفر، فكان أول من بايع بيعة الرضوان من بني أسد يقال له: أبو سنان بن وهب، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلَّا جد بن قيس أخو بني سلمة، قال جابر: لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته مستترًا بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل[1].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا علي بن أحمد بن نضرويه، حدثنا أبو عمران موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني، حدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث ابن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة»[2].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق: (٢/ ٣١٤ـ٣١٦)، وانظر: تعليق الألباني على «فقه السيرة» للغزالي: ص٣٤٢.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب في الخلفاء: (٧/ ٣١)، والترمذي في المناقب، باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة: (١٠/ ٣٦٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٣١٠)، والإمام أحمد: (٣/ ٣٥٠).
وأخرجه مسلم من حديث جابر عن أم مُبَشِّر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها . . .» وذكر قصة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما. انظر: «صحيح مسلم» كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة برقم٢٤٩٦: (٤/ ١٩٤٢).

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة والرضا ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ يعني: فتح خيبر.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسمها رسول الله ﷺ بينهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همَّتْ قبائل من أسد وغطفان أن يُغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكفَّ اللهُ أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كفَّ أيديَ الناس عنكم، يعني: أهل مكة بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ كفهم وسلامتكم ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على صدقك، ويعلموا أن الله هو المتولي حياطَتَهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ يثبتكم على الإسلام، ويزيدكم بصيرة ويقينًا بصلح الحديبية وفتح خيبر، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ: كان إذا غزَا بِنَا قومًا لم يكن يغير بنَا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم، قال: فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلًا، فلما أصبح ولم يسمع أذانًا ركب وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمسُّ قدم النبي ﷺ، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا: محمد ـ والله ـ محمد والخميس، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: «الله أكبر، الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين»[1].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا أبو علي

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان، باب ما يُحقن بالأذان من الدماء: (٢/٨٩ ـ ٩٠)، ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة خيبر برقم ١٣٦٥: (٣/١٤٢٦ ـ ١٤٢٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١١/٥٨ ـ ٥٩).

الحنفيُّ عبيدُ الله بن عبد المجيد، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: . . .
خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، قال: فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تـالله لـولا اللهُ مـا اهتـدينـا ولا تصـدَّقنـا ولا صلَّينـا
ونحنُ عن فَضْلِكَ ما اسْتَغْنَيْنَا فثبِّـتِ الأقـدامَ إنْ لاقينـا
(وأنزلَنْ سكينةً علينا)(١)

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ هذا»؟ فقال: أنا عامر، قال ﷺ: «غفر لك ربُّك»، قال سلمةُ: وما استغفر رسولُ الله ﷺ لإنسان يخصه إلَّا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبيَّ الله، لولا متعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خيبر خرج مَلِكُهم: مرحَّب، يخطر بسيفه يقول:

قد علِمتْ خيبرُ(٢) أنّي مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ
إذا الحروب أقبلت تلهَّبَ

قال: وبرز له عمي عامر، فقال:

قـد علمـت خيبـرُ أنّـي عـامرُ شـاكي السـلاح بطـلٌ مغـامِرُ

قال: فاختلفنا ضربتين، فوقع سيف مرحَّب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه (على نفسه)(٢) فقطع أكحله، وكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفرٌ من أصحاب النبي / ﷺ يقولون: ١٣٠/ب
بَطَلَ عملُ عامر قَتَلَ نفسَه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، بَطَلَ عملُ عامر قتل نفسه، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قال ذلك»؟ قلت: ناسٌ من أصحابك، قال: «كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين»، ثم أرسلني إلى علي ـ رضي الله عنه ـ وهو أرمد، فقال: «لأعطين الراية رجلًا يحب اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسولُه»، قال: فأتيتُ عليًا ـ رضي الله عنه ـ فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية، وخرج مرحَّب فقال:

قـد عَلِمَـتْ خيبـرُ أنّـي مـرحـبُ شـاكـي السـلاحِ بطـلٌ مجـرّب
إذا الحروب أقبلت تلهَّبُ

فقال علي ـ رضي الله عنه ـ:

أنـا الـذي سَمَّتنـي أُمّـي حَيـدَرَهْ كليثِ غاباتٍ (كريهِ المَنْظَرَهْ)(٣)
أُوفِيهم بالصَّاع كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في «ب»: (شديد قصورة).

قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه(١).

وروى حديث خيبر جماعة: سهل بن سعد وأنس وأبو هريرة، يزيدون وينقصون، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر - رضي الله عنه - رَايةَ رسولِ الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالًا شديدًا، ثم رجع، فأخذها عمر - رضي الله عنه - فقاتل قتالًا شديدًا، هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لأعطينّ الراية غدًا رجلًا يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسولُه، يفتح الله على يديه، فدعا عليَّ بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال: «امشِ ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فأتى مدينة خيبر، فخرج مرحب، صاحب الحصن، وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز، فبرز إليه عليّ فضربه فقدَّ الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر يرتجز، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقالت أمه صفية بن عبد المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله، ثم التقيا فقتله الزبير، ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون، ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية، ويحوز الأموال.

قال محمد بن إسحاق: وكان أول حصونهم افتتح: حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن سلمة، ألقت عليه اليهود حجرًا فقتله، ثم فتح العموص، حصن ابن أبي الحقيق، فأصاب منه سبايا، منهم صفية بنت حيي ابن أخطب، جاء بلال بها وبأخرى معها، فمرَّ بهما على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكَّت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أعزبوا عني هذه الشيطانة»، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ اصطفاها لنفسه، وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما، وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرًا وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلّا أنك تتمنين مَلِكَ الحجاز محمدًا، فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها، فأُتي رسول الله ﷺ بها وبها أثر منها فسألها ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر، وأُتي رسول الله ﷺ بزوجها كنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضير فسأله، فجحده أن يكون يعلم مكانه، فأُتي رسول الله ﷺ برجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ: إني قد رأيتُ كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك؟ قال: نعم؟ فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله مَا بقي فأبى أن يؤديه، فأمر رسولُ الله ﷺ الزبير بن العوام

(١) أخرجه مسلم مطولًا في الجهاد والسير، باب غزوة ذي قَرَد برقم١٨٠٧: (٣/ ١٤٣٣ - ١٤٤١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ١٩ - ٢٢).

فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن سلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة[(١)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فصلينا عندها صلاة الغداة بغَلَس، فركب نبي الله ﷺ، وركب أبو طلحة، وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمسّ فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين» قالها ثلاثًا، وخرج القوم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد، قال عبد العزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس، يعني: الجيش، قال: فأصبناها عنوة، فجمع السبي فجاء دحية فقال: يا نبي الله (أعطني جارية من السبي، قال: «اذهب فخذ جارية» فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله)[(٢)]، أعطيتَ دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلَّا لك، قال: «ادعوه بها» فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «خذ جارية من السبي غيرها»، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسَها، أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي ﷺ عروسًا، فقال: «مَن كان عنده شيء
١/١٣١ فليجيء به»، وبسط نطعًا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن، قال: / وأحسبه قد ذكر السويق، قال: فحاسوا حيسًا فكانت وليمة رسول الله[(٣)].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد الشيباني قال: سمعت ابن أبي أوفى يقول: أصابتنا مجاعة ليالي خيبر، فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحُمُر الأهلية فانتحرناها، فلما غلت القدور نادَى منادي رسول الله ﷺ: أكفئوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحُمُر شيئًا، قال عبد الله: فقلنا إنما نهى النبي ﷺ؛ لأنها لم تخمس، وقال آخرون: حرمها البتة، وسألت سعيد بن جبير فقال: حرمها البتة[(٤)].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام: (٢/٣٣٦، وما بعدها) في غزوة خيبر.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ما يذكر في الفخذ: (١/٤٧٩ ـ ٤٨٠)، ومسلم في النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها برقم١٣٦٥: (٢/١٠٤٣ـ١٠٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة خيبر: (٧/ ٤٨١).

إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي، أخبرنا خالد بن الحارث، حدثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: «ما كان الله ليسلطك على ذلك»، أو قال: «عليَّ»، قال: قالوا: ألَا نقتلها؟ قال: «لا»، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ(١).

وقال محمد بن إسماعيل: قال يونس: عن الزهري قال عروة: قالت عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوانٌ وجدتُ انقطاع أبهري من ذلك السم»(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا حرمي، أخبرنا شعبة قال: أخبرني عمارة عن عكرمة، عن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا موسى بن عقبة، أخبرني نافع، عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين، فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر، فقال رسول الله ﷺ: «نقرُّكم على ذلك ما شئنا»، فأُقروا حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحاء(٤).

قال محمد بن إسحاق: فلما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل، ثم إن أهل خيبر سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف، ففعل على أنا إذا شئنا أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

---

(١) أخرجه البخاري في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين :(٥/ ٢٣٠)، ومسلم في السلام، باب السم برقم٢١٩٠: (٤/ ١٧٢١).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته: (٨/ ١٣١).

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة خيبر: (٧/ ٤٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه: (٦/ ٢٥٢)، ومسلم في المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع برقم١٥٥١: (٣/ ١١٨٧ ـ ١١٨٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١١/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)﴾

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصليَّة، وقد سألت أيّ عضوٍ من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمَّمت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إنَّ هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك»؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلت: إن كان ملكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيخبر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل.

قال ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله ﷺ تعوده في مرضه الذي توفي فيه، فقال: «يا أم بشر، ما زالت أكلة خيبر التي أكلت بخيبر مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري»[1]، وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدًا مع ما أكرمه الله من النبوة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ أي: وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ حتى يفتحها لكم، كأنه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم. واختلفوا فيها، فقال ابن عباس والحسن ومقاتل: هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولًا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام.

وقال الضحاك وابن زيد: هي خيبر، وَعَدَها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها.

وقال قتادة: هي مكة، وقال عكرمة: حنين، وقال مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١)﴾.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أسد وغطفان وأهل خيبر ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾ لانهزموا[2] ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢)﴾.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ أي: كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)﴾.

---

(١) «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٣٣٧-٣٣٨). (٢) زيادة من «أ».

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ قرأ أبو عمرو بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، واختلفوا في هؤلاء:

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، / أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا ١٣١/ب
إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنهم ـ: أن ثمانين رجلًا من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلمًا فاستحياهم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية: «وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ»[(١)].

قال عبد الله بن مغفل المزني: كنَّا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح، فخرج علينا ثلاثون شابًا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم نبي الله ﷺ فأخذ الله أبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «جئتم في عهد؟ أو هل جعل لكم أحدٌ أمانًا»؟ فقالوا: اللهم لا، فخلى سبيلهم[(٢)]، (فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية)[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ الآية، روى الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، يريدون زيارة البيت، لا يريد قتالًا، وساق معه سبعين بدنةً، والناس

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ...﴾ الآية برقم١٨٠٨: (٣/ ١٤٤٢).

(٢) أخرجه النسائي في «التفسير»: (٢/ ٣١٢ـ٣١٣)، والطبري: (٢٦/ ٩٣ـ٩٤)، وصححه الحاكم: (٢/ ٤٦٠) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن»: (٦/ ٣١٩). قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٤٥): (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)، وصححه ابن حجر في «الفتح»: (٥/ ٣٥١)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٣٢) عزوه لأبي نعيم في «الدلائل» ولابن مردويه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

سبعمائة رجل، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر، فلما أتى ذا الحُلَيفة قلّد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينًا له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط قريبًا من عُسْفان أتاه عينه الخزاعي وقال: إن قريشًا قد جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «أشيروا عليَّ أيها الناس، أترون أن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن نجوا تكن عُنقًا قطعها الله؟ أو ترون أن نؤم البيت فمن صدّنا عنه قاتلناه»؟

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنما خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتال أحدٍ ولا حربًا، فتوجَّهْ له فمن صدَّنا عنه قاتلناه.

فقال: «امضوا على اسم الله» فنفروا، قال النبي ﷺ: «إن خالدَ بن الوليد بالغَمِيم في خيلٍ لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلٌ حلٌ، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا تدعوني قريشٌ اليوم إلى خطة يعظِّمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلَّا أعطيتهم إيَّاه»، ثم زجرها فوثبت.

قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضًا، فلم يلبث الناس أن نزحوه، وشكا الناس إلى النبي ﷺ العطش، فنزع سهمًا من كنانته وأعطاه رجلًا من أصحابه يقال له: ناجية بن عمير، وهو سائق بُدْن النبي ﷺ، فنزل في البئر فغرزه في جوفه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت.

فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنَّا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب وأضرَّت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلَّا فقد جمُّوا، وإن همْ أبوْا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذنَّ الله أمره».

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشًا، قال: إنَّا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولًا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، قال: فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم: هاتِ ما سمعته يقول.

قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: أيْ قومِ، ألستُم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولستُ بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرتُ أهل عكاظ، فلما بلَّحُوا[1] عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته، قالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحوًا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: يا محمد، أرأيتَ إن استأصلتَ قومك فهل سمعت بأحد مِنَ العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوهًا وأشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدَعوك.

فقال له أبو بكر الصديق: امصصْ بظْرَ اللات[2]، أنحن نفرُّ عنه وندعه؟

فقال: مَن ذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أمَا والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتُك.

قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما كلمه / أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ١٣٢/أ
ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحيةِ النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال أخِّرْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أيْ غُدَرُ، ألست أسعى في غدرتك.

وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلستُ منه في شيء».

ثم إنَّ عروة جعل يرمق أصحاب أصحاب النبي ﷺ، قال: فوالله، ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلَّا وقعت في كف رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيمًا له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أيْ قومِ، والله لقد وفدتُ على الملوك ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيتُ ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحابُ محمدٍ محمدًا، والله إنْ تنخم نخامة إلَّا وقعت في كف رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون إليه النظر تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

---

(١) امتنعوا.

(٢) البَظْر ـ بفتح الموحدة وسكون المعجمة ـ: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: هذا فلان وهو من قوم يعظمون البُدْن، فابعثوها له، فبعثت له واستقبله الناس يلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيت؟

فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيتُ البُدْنَ قد قُلِّدتْ وأُشعِرَتْ، فما أرى أن يُصَدُّوا عن البيت.

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا بالهدي في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائد قد أكل أوباره من طول الحبس، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأى، فقال: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما لا يحل صدّ الهدي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، فقالوا له: اجلس، إنما أنت رجل أعرابي لا علم لك، فغضبَ الحليس عند ذلك، فقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظمًا له، والذي نفس الحليس بيده لتخلنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مه، كفَّ عنَّا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به.

فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذا جاء سهيل بن عمرو، وقال عكرمة: فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد سهل لكم من أمركم».

قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات نكتب بيننا وبينكم كتابًا، فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال له: «اكتبْ بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال سهيل: أمَّا الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتبْ باسمك اللهم، كما كنت تكتب.

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلَّا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي ﷺ لعلي: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ».

فقال سهيل: والله، لو كنَّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله.

فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي محمدُ بن عبد الله».

قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألون خطة يعظمون فيها حرمات الله إلَّا أعطيتهم إيَّاها، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمدُ بنُ عبدِ الله سهيلَ بن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض، فقال له النبي ﷺ: «وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب إنَّا أُخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل:

وعلى أن لا يأتيك منَّا رجل وإن كان على دينك إلَّا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟

وروى أبو إسحاق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبد الله، قال: «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله»، ثم قال لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «امحُ رسول الله»، قال: لا والله، لا أمحوك أبدًا، قال: «فأرنيه»، فأراه إياه، فمحاه النبي ﷺ بيده، وفي روايته: فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن أن يكتب، فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله.

قال البراء: صالح على ثلاثة أشياء: على أن من أتاه من المشركين ردَّه إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلى أن يدخلها من قابل، ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلَّا بجُلُبَّانِ السلاح السيف والقوس ونحوه.

وروى ثابت عن أنس: أن قريشًا صالحوا / النبي ﷺ فاشترطوا: أن مَن جاءنا منكم لم نرده عليكم، ١٣٣/ب
ومن جاءكم منَّا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله، أنكتب هذا؟ قال: «نعم، إنه من ذهب منَّا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا».

رجعنا إلى حديث الزهري، قال: فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول مَن أقاضيك عليك أن ترده إليَّ، فقال النبي: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذًا لا أصالحك على شيء أبدًا، فقال النبي ﷺ: «فأجِزْهُ لي»، فقال: فما أنا بمجيره لك، قال: «بلى فافعلْ»، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش، قال أبو جندل: أيْ معشر المسلمين، أُردّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذِّب عذابًا شديدًا في الله.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا جندل، احتسبْ فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنَّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدًا وصلحًا، وإنَّا لا نغدر»، فوثب عمر يمشي إلى جنب أبي جندل، ويقول: اصبر فإنما هم المشركون ودم أحدهم كدم كلب، ويدني قائم السيف منه، قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فضنَّ الرجل بأبيه.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكُّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك دخل الناسَ أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون، وزادهم أمرُ أبي جندل شرًّا إلى ما بهم.

قال عمر: والله[1] ما شككت منذ أسلمت إلَّا يومئذ.

---

(١) ساقط من «ة».

قال الزهري في حديثه عن عروة، عن مروان[1] والمسور، ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: ألستَ نبيَّ الله حقًّا؟ قال: «بلى»، قلتُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قلت: فلِمَ نعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله، ولستُ أعصيه وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتُكَ أنَّا نأتيه العام»؟ قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوِّف به»، قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى، قلتُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فَلِمَ نعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، ليس يعصي ربَّه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق، قلتُ: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تأتيه العام؟ قلتُ: لا، قال: فإنك آتيه ومطوِّف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرجْ ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم أن يقتل بعضًا غمًّا.

قال ابن عمر وابن عباس: حلق رجال يوم الحديبية وقصَّر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلِّقين»، قالوا: والمقصرين؟ قال: «يرحم الله المحلِّقين»، قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: «والمقصرين»، قالوا: يا رسول الله، فلِمَ ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: لأنهم لم يشكُّوا»، قال ابن عمر: وذلك لأنه تربص قوم وقالوا: لعلنا نطوف بالبيت.

قال ابن عباس: وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية في هداياه جملًا لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك.

وقال الزهري في حديثه: ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ حتى بلغ: ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[الممتحنة: ١٠]، فطلق عمر ـ رضي الله عنه ـ يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، قال: فنهاهم أن يردوا النساء وأمر بردِّ الصداق.

---

(١) ساقط من «أ».

قال: ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد، رجل من قريش وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفي إلى رسول الله ﷺ، وبعثا في طلبه رجلًا من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم، فقدِمَا على رسول الله ﷺ، وقالا: العهد الذي جعلت لنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بصير، إنَّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح في ديننا الغدر، وإن الله جعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيدًا، فاستلَّه الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأخذه وعلاه به فضربه حتى برد، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه، لقد رأى هذا ذعرًا، فلما انتهى إلى النبي ﷺ، قال: «ويْلَك، مَا لَكَ»؟ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، / فوالله ١/١٣٣
ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحًا السيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله، أوفَى الله ذمَّتَك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ: «ويلَ أُمِّه، مِسْعَر حرب، لو كان معه أحد»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سِيفَ البحر، وبلغ المسلمين الذين كانوا حُبسوا بمكة قولُ رسول الله ﷺ لأبي بصير: «ويل أُمِّه، مِسْعَر حرب، لو كان معه أحد»، فخرج عصابة منهم إليه، وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلًا، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلَّا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لَمَّا أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل إليهم النبي ﷺ، فقدموا عليه المدينة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ حتى بلغ: «حمية الجاهلية» وكانت حميتهم أنهم لم يقرُّوا أنه نبي الله ﷺ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت[1].

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: كفار مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن تطوفوا به ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ أي: وصدوا الهدي، وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ، وكانت سبعين بدنة ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوسًا، يقال: عكفته عكفًا إذا حبستُه وعكوفًا للازم، كما يقال: ركع رجعًا ورجوعًا ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ منحره، وحيث يحل نحره، يعني: الحرم ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ يعني: المستضعفين بمكة ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تعرفوهم ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بالقتل، وتوقعوا بهم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال ابن زيد: معرة إثم، وقال ابن إسحاق: غرم الدية.

---

(١) أخرجه البخاري في الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام: (٥/ ٣١٢)، وبطوله في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط: (٥/ ٣٢٩ـ٣٣٣). وانظر: «فتح الباري»: (٥/ ٣٣٣، وما بعدها).

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

وقيل: الكفارة؛ لأن الله عزَّ وجلَّ أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية، فقال: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء: ٩٢].

وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون: قتلوا أهل دينهم، والمعرة: المشقة، يقول: لولا أن تطؤوا رجالًا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها، ولكنه حال بينكم وبين ذلك.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فاللام في «ليدخل» متعلق بمحذوفٍ دلَّ عليه معنى الكلام، يعني: حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ لو تميزوا، يعني: المؤمنين من الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ بالسبي والقتل بأيديكم.

وقال بعضُ أهل العلم: «لعذبنا» جواب لكلامين، أحدهما: «لولا رجال»، والثاني: «لو تزيلوا»، ثم قال: «ليدخل الله في رحمته من يشاء»، يعني: المؤمنين والمؤمنات.

وقوله: «في رحمته»، أي: جنته، وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمدًا رسول الله ﷺ، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة.

قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، (فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا)[1] على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ التي دخلت قلوبهم.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة والسدي وابن زيد وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إله إلا الله»[2]. وروي عن أبي بن كعب مرفوعًا.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٥٣٦ـ٥٣٧).

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

وقال علي وابن عمر: «كلمة التقوى» لا إله إلَّا الله والله أكبر(١). وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير(٢). وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلَّا الله محمد رسول الله(٣). وقال الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم(٤).

﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ من كفار مكة ﴿وَكَانَ﴾ أي: وكانوا أهلها في علم الله؛ لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير ﴿ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وذلك أنَّ النبي ﷺ أُري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شقَّ عليهم، فأنزل الله هذه الآية(٥).

ورُوي عن مجمع بن جارية الأنصاري: قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، (فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر، فقال بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أُوحي إلى رسول الله ﷺ، قال: فخرجنا نوجب، فوجدنا النبي ﷺ)(٦) واقفًا على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: «إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا»، فقال عمر: أوَ فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده»(٧).

ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقُّق الرؤيا كان في العام المقبل، فقال جلَّ ذكره: «لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ»، أخبر أن الرؤية التي أراها إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدقٌ وحقٌّ.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٠٤)، وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٩٩).
(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٠٥)، وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٩٩).
(٣) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٠٦).
(٤) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٠٦)، وعبد الرزاق في التفسير: (٢/ ٢٢٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٣٧) أيضًا لابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٥) انظر: الطبري: (٢٦/ ١٠٧)، «الدر المنثور»: (٧/ ٥٣٨).
(٦) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٧) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب من أسهم له سهمًا: (٢/ ٥٢ ـ ٥٣)، والإمام أحمد: (٣/ ٤٢٠)، والحاكم: (٢/ ١٣١)، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾

قوله: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ﴾، يعني: وقال: لتدخلن، وقال ابن كيسان: «التدخلن» من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله عن رسوله أنه قال ذلك، وإنما استثنى / مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تأدبًا بآداب الله، حيث قال له: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[الكهف: ٢٣]. ١٣٣/ب

وقال أبو عبيدة: «إن» بمعنى «إذ»، مجازه: إذْ شاء الله، كقوله: «إن كنتم مؤمنين».

وقال الحسين بن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول؛ لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس، فمجاز الآية: لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله.

وقيل: الاستثناء واقع على الأمن لا على الدخول؛ لأن الدخول لم يكن فيه شك، كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[1]، فالاستثناء راجع إلى اللحوق لا إلى الموت.

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ﴾ كلها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بأخذ بعض شعورها ﴿لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾ أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ...﴾ الآية[الفتح: ٢٥] ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من قبل دخولكم المسجد الحرام ﴿فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧﴾ وهو صلح الحديبية عند الأكثرين، وقيل: فتح خيبر.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ على أنك نبي صادق فيما تخبر.

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ تمَّ الكلام هاهنا، قاله ابن عباس، شهد له بالرسالة، ثم قال مبتدئًا: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ فالواو فيه للاستئناف، أي: والذين معه من المؤمنين ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ غلاظ عليهم، كالأسد على فريسته، لا تأخذهم فيهم رأفة ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد، كما قال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤] ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها برقم ٩٧٥: (٢/ ٦٧١).

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أن يدخلهم الجنة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أن يرضى عنهم ﴿سِيمَاهُمْ﴾ أي: علامتهم ﴿فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ اختلفوا في هذه السيما، فقال قوم: هو نورٌ وبياض في وجوههم يوم القيامة يُعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا، وهو رواية عطية العوفي عن ابن عباس، قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلَّوا، وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر.

وقال آخرون: هو السمت الحسن والخشوع والتواضع، وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال: ليس بالذي ترون ولكنه سيماء الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه، وهو قول مجاهد، والمعنى: أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يُعرفون به.

وقال الضحاك: هو صفرة الوجه من السهر.

وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى.

قال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على الجباه.

قال أبو العالية: إنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب.

وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس[1].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ هاهنا تم الكلام، ثم ذكر نعتهم في الإنجيل فقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر: «شَطَأه» بفتح الطاء، وقرأ الآخرون بسكونها، وهما لغتان كالنَّهَر والنَّهْر، وأراد: أفراخه، يقال: أشطأ الزرع فهو مشطيء إذا أفرخ، قال مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج بعده فهو شطؤه، وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى.

قوله: ﴿فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا﴾ قرأ ابن عامر «فأزره» بالقصر والباقون بالمد، أي: قواه وأعانه وشدَّ أزره ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ غلظ ذلك الزرع ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي: تمَّ وتلاحق نباته وقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ أصوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أعجب ذلك زراعه.

هذا مثل ضربه الله عزَّ وجلَّ لأصحاب محمد ﷺ في الإنجيل (أنهم يكونون قليلًا، ثم يزدادون ويكثرون.

---

(١) أورد هذه الأقوال الإمام الطبري: (٢٦/ ١١٠ ـ ١١٢)، ثم قال مرجحًا: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت، وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود).

قال قتادة: مثل أصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل)[1] مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر[2].

وقيل: «الزرع» محمد ﷺ، و«الشطء»: أصحابه والمؤمنون.

وروي عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: «محمد رسول الله والذين معه»: أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ «أشداء على الكفار» عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ «رحماء بينهم» عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ «تراهم ركعًا سجدًا» علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ «يبتغون فضلًا من الله» بقية العشرة المبشرين بالجنة.

وقيل: «كمثل زرع» محمد ﷺ «أخرج شطأه» أبو بكر «فآزره» عمر «فاستغلظ» عثمان للإسلام «فاستوى على سوقه» علي بن أبي طالب استقام الإسلام بسيفه «يعجب الزراع» قال: هم المؤمنون.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ قول عمر لأهل مكة بعدما أسلم: لا تعبدوا اللهَ سرًّا بعد اليوم:

حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد الشجاعي السرخسي إملاءً، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أحمد القفال، حدثنا أبو أحمد عبد الله بن محمد الفضل السمرقندي، حدثنا شيخي أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي، حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عبد الرحمن ابن عوف: أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[3].

حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التيمي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن قاسم، حدثنا خيثمة ابن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي، حدثنا أحمد بن هاشم الأنطاكي، حدثنا قطبة بن العلاء، حدثنا سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم أُبي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[4].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١١٤).

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، مناقب عبد الرحمن بن عوف: (١٠/ ٢٤٩) من طريق عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه أيضًا: (١٠/ ٢٤٩) من طريق عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد، وقال: (هذا أصح من الأول)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة: (١/ ٢٧٨) بإسناد حسن، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ١٢٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، فضل خباب برقم١٥٤: (١/ ٥٥)، وأشار إليه الترمذي بقوله: (وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبي ﷺ نحوه)، والإمام أحمد: (٣/ ١٨٤)، وابن حبان في المناقب، باب فضل جماعة من أصحاب النبي ﷺ برقم٢٢١٨: ص٥٤٨، والحاكم: (٣/ ٤٢٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ١٣١ ـ ١٣٢).

ورواه معمر عن قتادة مرسلًا، وفيه: «وأقضاهم علي»[١].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد العزيز المختار، قال خالد الحذاء: حدثنا عن أبي عثمان قال: حدثني عمرو بن العاص / أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلتُ: أي الناس ١/١٣٤ أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها»، قلت: ثمَّ مَنْ؟ قال: «عمر بن الخطاب» فعدَّ رجالًا فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم[٢].

أخبرنا أبو منصور عبد الملك وأبو الفتح نصر ابنا علي بن أحمد بن منصور ومحمد بن الحسين بن شاذويه الطوسي بها قالا: حدثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أخبرنا الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك الأسدي، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل هو ابن يحيى بن سلمة بن كهيل، حدثنا أبي، عن أبيه، عن سلمة، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعد من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود»[٣].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد أنَّ أُحدًا ارتجَّ وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعثمان، فقال النبي ﷺ: «اثبتْ أُحد ما عليك إلَّا نبي أو صديق أو شهيد»[٤].

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدثنا أبو سعيد الأشج، أخبرنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي قال:

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت . . . : (١٠/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلَّا من هذا الوجه، وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبي ﷺ نحوه).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا»: (٧/ ١٨)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه برقم ٢٣٨٤: (٤/ ١٨٥٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (١٠/ ٣٠٨)، وقال: (هذا حديث غريب من هذا الوجه، من حديث ابن مسعود لا نعرفه إلَّا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث)، والحاكم: (٣/ ٧٥)، والبيهقي في «السنن»: (٨/ ١٥٣) عن حذيفة، والإمام أحمد في «المسند»: (٥/ ٣٨٢)، وفي فضائل الصحابة: (١/ ١٨٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ١٠٢)، وللحديث طرق وشواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد: (٥/ ٣٣١)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٢٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (٢/ ٦١٨).
قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٥٥): (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح)، وأخرجه المصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ١٠٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» بهذا اللفظ عن أنس بن مالك: (٧/ ٤٩)، وانظر: «مسند أبي يعلى»: (٣/ ٢٢٥، ٢٤٢).

«عهد إليَّ النبي ﷺ أنه لا يُحبُّك إلَّا مؤمن، ولا يبغضك إلَّا منافق»(١).

حدثنا أبو المظفر التميمي، أخبرنا عبد الرحمن بن عثمان، أخبرنا خيثمة بن سليمان، حدثنا محمد بن عيسى بن حيان المدائني، حدثنا محمد بن الفضل بن عطية، عن عبد الله بن مسلم، عن ابن بريدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «مَن مات من أصحابي بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: إنما كثرهم وقواهم؛ ليكونوا غيظًا للكافرين.

قال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية(٣).

أخبرنا أبو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوي، حدثنا أبو معمر الفضل بن إسماعيل بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا جدي أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرني الهيثمي بن خلف الدوري، حدثنا المفضل بن غسان بن المفضل العلائي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا عبيدة بن أبي رابطة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهَ اللهَ في أصحابي، اللهَ اللهَ في أصحابي، اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»(٤).

حدثنا أبو المظفر بن محمد بن أحمد بن حامد التميمي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان، حدثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي القصار بالكوفة، أخبرنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلامته برقم٧٨: (١/٨٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/١١٣-١١٤).

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب، باب من سب أصحاب النبي ﷺ: (١٠/٣٦٧)، وقال: (هذا حديث غريب)، وأخرجه ابن عساكر وأبو نعيم في المعرفة. وفيه علية: عبد الله بن مسلم، قال أبو حاتم: (لا يحتج به)، وعثمان بن ناجية: مستور، والحديث أخرجه أيضًا الضياء في «المختارة». انظر: «كنز العمال»: (١١/٥٣٧-٥٣٨)، «تحفة الأحوذي»: (١٠/٣٦٧).
وأخرجه المصنف في «شرح السنة»: (١٤/٧٢).

(٣) انظر: القرطبي: (١٦/٢٩٦-٢٩٧).

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب، باب من سب أصحاب النبي ﷺ: (١٠/٣٦٥)، وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه)، والإمام أحمد: (٤/٨٧)، وفي فضائل الصحابة: (١/٤٨، ٤٩)، وابن حبان في المناقب برقم٢٢٨٤: ص٥٦٨ - ٥٦٩، والخطيب في «تاريخ بغداد»: (٩/١٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٧/٢٨٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/٧٠).
وفيه: عبد الرحمن بن زياد، قال الذهبي: (لا يعرف)، وفي «الميزان»: (في الحديث اضطراب). انظر: «فيض القدير»: (٢/٩٨).

(٥) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا»: (٧/٢١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم برقم٢٥٤٠: (٤/١٩٦٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/٦٩).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعفراني، حدثنا أبو محمد عبد الله بن عروة، حدثنا محمد بن الحسين بن محمد بن إشكاب، حدثنا شبابة[1] بن سوّار، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن أبي خباب، عن أبي سليم الهمدانين، عن أبيه، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنْ سَرَّك أن تكون من أهل الجنة، فإن قومًا ينتحلون حبك يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، نبزهم الرافضة، فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون»[2]، في إسناد هذا الحديث نظر.

قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ قال ابن جريج: يعني: من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة، وردَّ الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: «منه ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ يعني: الجنة.

* * *

(١) في «أ»: (بشارة).

(٢) عزاه صاحب «الكنز»: (١١/ ٣٢٤) لابن بشران والحاكم في «الكنى».

سورة الحُجُرات

مدنية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ يعقوب «لا تَقَدَّموا» بفتح التاء والدال، من التقدم، أي: لا تتقدموا، وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال، من التقديم، وهو لازم بمعنى التقدم، (قال أبو عبيدة)(٢): تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي: لا تعجل بالأمر والنهي دونه، والمعنى: بين اليدين الأمام والقدام، أي: لا تقدموا بين يدي أمرهما ونهيهما، واختلفوا في معناه، روى الشعبي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى، وهو قول الحسن، أي: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ، وذلك أن ناسًا ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا محمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن زبيد، عن الشعبي، عن البراء قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل أن نصلي فإنما هو لحم عجّله لأهله ليس من النسك في شيء»(٤).

وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك(٥)، أي: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٤٦) لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة الحجرات بالمدينة.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٣) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١١٧)، وعبد الرزاق في التفسير: (٢/ ٢٣٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٤٧) أيضًا لعبد بن حميد وابن المنذر. ويلاحظ أن هذا مخالف للروايات المسندة الصحيحة في سبب نزول الآية، فيكون كلام الحسن وجابر إنما هو داخل في عموم الآية لا أنه سبب لنزولها.

(٤) أخرجه البخاري في العيدين، باب الخطبة بعد العيد: (٢/ ٤٥٣).

(٥) انظر: «الكافي الشاف»: ص١٥٥.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن
١٣٤/ب إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن موسى، / حدثنا هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة: أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردتَ إلّا خلافي، قال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ» حتى انقضت[1].

ورواه نافع عن ابن أبي مُليكة، قال: فنزلت «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ» إلى قوله: «وَأَجْرٌ عَظِيمٌ»، وزاد: قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر عن أبيه، يعني: أبا بكر[2].

وقال قتادة: نزلت الآية في ناس كانوا يقولون: لو أُنزل في كذا، أو صُنع في كذا وكذا، فكره الله ذلك[3].

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه[4].

وقال الضحاك: يعني: في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تضييع حقه ومخالفة أمره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ بأفعالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده، ولا ينادونه كما ينادي بعضُهم بعضًا ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ لئلا تحبط حسناتكم، وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: (٨/ ٥٩٢) وفي المغازي، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ...﴾ الآية: (٨/ ٥٩٠).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١١٧)، وعبد الرزاق في التفسير: (٢/ ٢٣٠)، وانظر: «الكافي الشاف»: ص١٥٥، «البحر المحيط»: (٨/ ١٠٥)، القرطبي: (١٦/ ٣٠١).

(٤) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١١٦)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٤٧) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «الشعب».

وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٠٥)، القرطبي: (١٦/ ٣٠١).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ... ﴾ الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو، ما شأن ثابت أشتكى»؟ فقال سعد: إنه لجاري وما علمت له شكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»(١).

ورُوي أنه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي، فمرَّ به عاصم بن عدي فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: هذه الآية أتخوَّف أن تكون نزلت فيَّ، وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملي، وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ، وغلب ثابتًا البكاء، فأتى امرأته جميلة بن عبد الله بن أبي بن سلول، فقال لها: إذا دخلتُ بيت فرسي فشدي عليَّ الضبّة بمسمار، وقال: لا أخرج حتى يتوفَّاني الله أو يرضى عنِّي رسول الله ﷺ، فأتى عاصمٌ رسولَ الله ﷺ فأخبره خبره، فقال له: «اذهب فادعه»، فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسرِ الضبة فكسرها، فأتيا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت»؟ فقال: أنا صيِّتٌ وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ، فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة»؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبدًا على رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ... ﴾ الآية(٢).

قال أنس: فكنَّا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب، رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم، فقال: أفٍّ لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما كنَّا نقاتل(٣) أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا وقاتلا حتى قُتلا، واستشهد ثابت وعليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلانًا رجل من

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ... ﴾ الآية: (٨/ ٥٩٠)، ومسلم في الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله برقم ١١٩: (١/ ١١٠).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١١٨)، وابن مردويه من طريق زيد بن الحباب، وأخرجه ابن سعد بإسناد صحيح، انظر: «فتح الباري»: (٦/ ٦٢٠ ـ ٦٢١).

(٣) ساقط من «أ».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من المعسكر عند فرس يسير في طِوَلِهِ، وقد وضع على درعي بُرْمَة، فأتِ خالد بن الوليد وأخبره حتى يسترد درعي، وأتِ أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ وقلْ له: إن عليَّ دينًا حتى يقضى، وفلان من رقيقي عتيق، فأخبر الرجل خالدًا فوجد درعه والفرس على ما وصفه له، فاسترد الدرع، وأخبر خالدٌ أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته[1].

قال مالك بن أنس: لا أعلم وصيةً أُجيزتْ بعد موت صاحبها إلّا هذه.

قال أبو هريرة وابن عباس: لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله ﷺ إلّا كأخي السرار[2].

وقال ابن الزبير: لما نزلت هذه الآية ما حدَّث عمر النبي ﷺ بعد ذلك فيسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾[3] يخفضون ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ إجلالًا له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ قرأ العامة بضم الجيم، وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم، وهما لغتان، وهي جمع الحُجَر، والحُجَرُ جمع الحُجْرَة فهي جمع الجمع.

قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سريةً إلى بني العنبر وأمَّر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة بن حصن وقدم بهم على رسول الله ﷺ، فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري، فقدموا وقت الظهيرة، ووافقوا رسول الله ﷺ قائلًا في أهله، فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون، وكان / لكل امرأة من نساء رسول الله ﷺ (حجرة، فعجَّلوا أن يخرج ١/١٣٥
إليهم رسول الله ﷺ)[4]، فجعلوا ينادون: يا محمد، اخرج إلينا، حتى أيقظوه من نومه، فخرج إليهم،

(١) أخرجه الإمام أحمد: (٣/ ١٣٧)، وعبد بن حميد: ص٣٦٣ـ٣٦٤، وابن سعد والطبراني والحاكم، من رواية حماد بن أبي سلمة عن ثابت، وأخرج الحاكم قصة الدرع والوصية مطولة من وجه آخر عن ثابت بن قيس. انظر: «فتح الباري»: (٦/ ٥٢).
وذكره ابن حجر في «المطالب العالية»: (٤/ ١٢٠)، ونسبه لأبي يعلى، وقال البوصيري وأصله في «صحيح البخاري» و«سنن الترمذي» من حديث أنس. وانظر: ابن كثير: (٤/ ٢٠٧)، و«تفسير عبد الرزاق»: (٢/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه الحاكم: (٢/ ٤٦٢)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٤٨) لعبد بن حميد والبيهقي في «شعب الإيمان». وانظر: «فتح الباري»: (٨/ ٥٩١)، «مجمع الزوائد»: (٧/ ١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ...﴾: (٨/ ٥٩٠).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

فقالوا: يا محمد، فادِنَا عيالنا، فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلًا، فقال لهم رسول الله ﷺ: أترضون أن يكون بيني وبينكم سَبرة بن عمرو، وهو على دينكم؟ فقالوا: نعم، فقالوا: نعم، فقال سبرة: أنا لا أحكم بينهم إلَّا وعمي شاهد، وهو الأعور بن بشامة، فرضوا به، فقال الأعور: أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم، فقال رسول الله ﷺ: «قد رضيت» ففادى نصفهم وأعتق نصفهم، فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»، وصفهم بالجهل وقلة العقل[(١)].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قال مقاتل: لكان خيرًا لهم؛ لأنك كنت تعتقهم جميعًا وتطلقهم بلا فداء ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

وقال قتادة: نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاؤوا إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب[(٢)].

ويُروى ذلك عن جابر قال: جاءت بنو تميم فنادوا على الباب: اخرج إلينا يا محمد، فإنَّ مَدْحَنا زين، وذمَّنا شين، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين»، فقالوا: نحن ناس من بني تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا لنشاعرك ونفاخرك، فقال النبي ﷺ: «ما بالشعر بُعثتُ، ولا بالفخار أُمرتُ، ولكن هاتوا»، فقام شابٌّ منهم فذكر فضله وفضل قومه، فقال النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس، وكان خطيب النبي ﷺ: «قم فأجبه» فأجابه، وقام شاعرهم فذكر أبياتًا، فقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: «أجبه» فأجابه، فقام الأقرع بن حابس فقال: إنَّ محمدًا لمُؤتَّى له، والله ما أدري هذا الأمر! تكلم خطيبُنا فكان خطيبُهم أحسن قولًا، وتكلم شاعرُنا فكان شاعرُهم أشعر وأحسن قولًا، ثم دنا من النبي ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنك رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «ما يضرك ما كان قبل هذا»، ثم أعطاهم رسولُ الله ﷺ وكساهم، وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنِّه، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم، وأزرى به بعضُهم، وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ، فنزل فيهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...» الآيات الأربع إلى قوله: «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»[(٣)].

---

(١) انظر: «الكافي الشاف»: ص١٥٦.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٣٠)، وانظر: الطبري: (٢٦/ ١٢٢)، «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٥٦١).

(٣) أخرجه الواحدي بسنده في «أسباب النزول»: ص٤٤٧، وقال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٥٦: (أورده الثعلبي من طريق يعلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن شمر بن الحكم عن جابر «جاءت بنو تميم فدخلوا...» فذكره مطولًا.

وأخرج المقطع الأول منه الترمذي: (٩/ ١٥٢ - ١٥٣) عن البراء بن عازب وقال: (هذا حديث حسن غريب)، وأخرجه الإمام أحمد: (٣/ ٤٨٨) عن الأقرع بن حابس، والهيثمي في «المجمع»: (٧/ ١٠٨) عن الأقرع بن حابس، ثم قال: (رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع وإلَّا فهو مرسل كإسناد أحمد الآخر».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾

وقال زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى النبي ﷺ فقال بعضُهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبيًّا فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكًا نعش في جنابه، فجاؤوا فجعلوا ينادونه: يا محمد، يا محمد، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ . . .﴾ الآية، نزلت في الوليد بن عقبة ابن أبي مُعيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقًا، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيمًا لأمر رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهمَّ أن يغزوهم، فبلغ القومَ رجوعُه فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من حق الله عزَّ وجلَّ، فبدا له الرجوع، فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنَّا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتَّهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه، وقال له: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم ترَ ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار، ففعل ذلك خالد، ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم، ولم يرَ منهم إلَّا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾ يعني: الوليد بن عقبة[2] ﴿بِنَبَإٖ﴾ بخبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ﴾ كي لا تصيبوا بالقتل والقتال ﴿قَوۡمَۢا﴾ برآء ﴿بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ من إصابتكم بالخطأ.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٢١)، وذكره ابن حجر في «المطالب العالية»: (٣/ ٣٧٥)، ونسبه لمسدَّد وإسحاق وأبي يعلى، وقال البوصيري: (رجاله ثقات)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠٨): (رواه الطبراني وفيه داود بن راشد الطفاوي وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين)، وانظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٥٥٢_٥٥٣)، القرطبي: (١٦/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٢٣)، والإمام أحمد: (٤/ ٢٧٩)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٣/ ٢٣١)، قال ابن كثير (٤/ ٢٠٩_٢١٠): (ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» من رواية ملك بني المصطلق وهو الحارث بن أبي ضرار . . . ثم ساق الحديث وساق روايات أخرى.

وقال الهيثمي (٧/ ١١١): (رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف).

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ فاتقوا الله أن تقولوا باطلًا أو تكذبوه، فإن الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتفتضحوا ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ أي: الرسول ﴿فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ مما تخبرونه به، فيحكم برأيكم ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ لأثمتم وهلكتم، والعَنَتُ: الإثم والهلاك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ فجعله أحب الأديان إليكم ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ حسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ حتى اخترتموه، وتطيعون رسول الله ﷺ ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ﴾ قال ابن عباس: يريد: الكذب، ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ جميع معاصي الله، ثم عاد من الخطاب إلى الخبر، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ المهتدون.

﴿فَضۡلٗا﴾ أي: كان هذا فضلًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ . . .﴾ الآية.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، / حدثنا مسدد، حدثنا معتمر قال: سمعت أبي يقول: إن أنسًا قال: قيل للنبي ﷺ: ١٣٥/ب
لو أتيتَ عبد الله بن أُبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا وانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله أطيب ريحًا منك، فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه فتشاتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها نزلت: «وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ»(١).

ويروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ، فاصطلحوا وكفَّ بعضهم عن بعض.

---

(١) أخرجه البخاري في الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس . . . : (٥/ ٢٩٧)، ومسلم في الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ، وصبره على أذى المنافقين برقم ١٧٩٩: (٣/ ١٤٢٤).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾

وقال قتادة: نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حقٍّ بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذنَّ حقي منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضُهم بعضًا بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف[1].

وقال سفيان عن السدي: كانت امرأة من الأنصار يقال لها: «أم زيد» تحت رجل، وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها إلى عُلية وحبسها، فبلغ ذلك قومها فجاؤوا، وجاء قومه فاقتتلوا بالأيدي والنعال، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾»، بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما[2] ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ تعدت إحداهما ﴿عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله ﴿فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ في كتابه ﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ رجعت إلى الحق ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله ﴿وَأَقْسِطُوٓا﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين والولاية ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا اختلفا واقتتلا، قرأ يعقوب «بين إخوتكم» بالتاء على الجمع ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ فلا تعصوه، ولا تخالفوا أمره ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾.

(أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي)[3]، أخبرنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يشتمه، مَنْ كان في حاجة أخيه كان اللهُ في حاجته، ومَن فَرَّج عن مسلم كُرْبَةً فرَّج اللهُ بها عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[4].

وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، يدل عليه ما روي عن الحارث الأعور أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ سُئل ـ وهو القدوة في قتال أهل البغي ـ عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا، مِنَ الشرك فرُّوا، فقيل:

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٢٩)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٦٠) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٢٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٦٠ ـ ٥٦١) لابن أبي حاتم.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) أخرجه البخاري في المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه: (٥/ ٩٧)، ومسلم في البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم ٢٥٨٠: (٤/ ١٩٩٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٩٨).

أمنافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلًا، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بَغَوْا علينا[١].

والباغي في الشرع: هو الخارج عن الإمام العدل، فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل محتمل، ونصبوا إمامًا، فالحكم فيهم أن يبعث الإمام إليهم ويدعوهم إلى طاعته، فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم، وإن لم يذكروا مظلمة، وأصروا على بغيهم، قاتلهم الإمام حتى يفيئوا إلى طاعته، ثم الحكم في قتالهم: أن لا يُتَّبع مُدْبِرُهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يذفف على جريحهم، نادى منادي علي ـ رضي الله عنه ـ يوم الجمل: ألا لا يُتَّبع مدبر، ولا يُذفَّف على جريح[٢]، وأُتي علي ـ رضي الله عنه ـ يوم صفين بأسير فقال له: لا أقتلك صبرًا، إني أخاف الله رب العالمين، وما أتلفتْ إحدى الطائفتين على الأخرى في حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليه.

قال ابن شهاب: كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول، وأتلف فيها أموال كثيرة، ثم صار الناس إلى أن سكنت الحرب بينهم، وجرى الحكم عليهم، فما علمتُه اقتصّ من أحد ولا أغرم مالًا أتلفه.

أما مَن لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث: بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم، أو لم يكن لهم تأويل، أو لم ينصبوا إمامًا، فلا يتعرض لهم إن لم ينصبوا قتالًا ولم يتعرضوا للمسلمين، فإن فعلوا فهم كقطاع الطريق.

رُوي أن عليًا ـ رضي الله عنه ـ سمعَ رجلًا يقول في ناحية المسجد: لا حكم إلّا لله تعالى، فقال علي: كلمة حق أُريدَ بها باطل، لكم علينا ثلاث: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بالقتال[٣]

---

(١) أخرج محمد بن نصر المروزي في كتابه «تعظيم قدر الصلاة»: (٢/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤) آثارًا ثلاثة عن علي ـ رضي الله عنه ـ رواها عنه: طارق بن شهاب وأبو وائل وحكيم بن جابر.
وانظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية: (٥/ ٢٤٢ـ٢٤٨)، «تفسير القرطبي»: (١٦/ ٣٢٣ـ٣٢٤).

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن» موقوفًا على علي: (٨/ ١٨١)، وصححه الحاكم في «المستدرك»: (٢/ ١٥٥) ووافقه الذهبي، ورواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وسعيد بن منصور، وصححه الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام».
وأخرجه الحاكم والبيهقي والبزار عن ابن مسعود مرفوعًا بسند ضعيف، فيه كوثر بن حكيم وهو متروك.
انظر: «نصب الراية»: (٣/ ٤٦٣)، «تلخيص الحبير»: (٤/ ٤٣)، «سبل السلام» للصنعاني: (٣/ ٢٥٩)، «إرواء الغليل»: (٨/ ١١٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن»: (٨/ ١٨٤) موصولًا من طرق، ورواه عن الشافعي بلاغًا قال: (قال الشافعي رحمه الله بلغنا أن عليًا . . .).
وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٤/ ٤٥): (أخرجه الشافعي بلاغًا، وابن أبي شيبة والبيهقي موصولًا، وأصله في «صحيح مسلم» من حديث عبيد الله بن أبي رافع).
وانظر: «إرواء الغليل» للألباني: (٨/ ١١٧).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ . . .﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس ابن شماس، وذلك أنه كان في أذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته (ركعة من صلاة الفجر)[1]، فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم، فضن كلُّ رجل بمجلسه، فلا يكاد يُوسِّع أحدٌ لأحدٍ، فكان الرجلُ إذا جاء فلم يجد مجلسًا يجلس فيه قام قائمًا كما هو، فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل، فقال له: تفسح، فقال الرجل: قد أصبتَ مجلسًا فاجلس، فجلس ثابت خلفه مغضبًا،
١/١٣٦ فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل، فقال: مَن هذا؟ قال: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، وذكر / أمًّا له كان يعير بها في الجاهلية، فنكَّسَ الرجل رأسه واستحيا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم، كانوا يستهزئون بفقراء أصحاب النبي ﷺ مثل: عمار وخبَّاب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم[3]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ أي: رجال من رجال، و«القوم»: اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختص بجمع الرجال ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾.

روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله ﷺ حين عيَّرنَ أم سلمة بالقِصَر[4].

وعن عكرمة عن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين[5] ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا يعب بعضُكم بعضًا، ولا يطعن بعضُكم على بعض ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ التنابز: التفاعل من النبز، وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمِّي به.

(١) في «ب»: (ركعتا الفجر).
(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٥٣.
(٣) أورده السيوطي في «الدر»: (٧/ ٥٦٣) عن مقاتل، وعزاه لابن أبي حاتم.
(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٥٤.
(٥) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٥٤، القرطبي: (١٦/ ٣٢٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قال عكرمة: هو قول الرجلِ للرجل: يا فاسق، يا منافق، يا كافر. وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يُسْلِم، فيقال له بعد إسلامه: يا يهودي، يا نصراني، فنُهوا عن ذلك[(١)].

قال عطاء: هو أن تقول لأخيك: يا كلب، يا حمار، يا خنزير.

وروي عن ابن عباس قال: «التنابز بالألقاب»: أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها، فنُهي أن يعير بما سلف من عمله[(٢)].

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: بئس الاسم أن يقول: يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب، وقيل: معناه: إن مَن فعل ما نُهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ قيل: نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضمَّ الرجلَ المحتاجَ إلى رجلين موسرين يخدمهما، ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيىء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب، فضمَّ سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام فلم يهيىء لهما شيئًا، فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئًا؟ قال: لا، غلبتني عيناي، قالا له: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعامًا، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعامًا، فقال له رسول الله ﷺ: «انطلق إلى أسامة بن زيد، وقلْ له: إن كان عنده فضل من طعام وإدام فليعطك» وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ وعلى رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما وأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة طعامٌ ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئًا، فلما رجع قالا: لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان، هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ؟ فلما جاءا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: «ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما»، قالا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحمًا، قال: «بل ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة، فأنزل الله

---

(١) أخرجه الطبري هذين القولين لعكرمة والحسن: (٢٦/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، ثم قال: (والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله ـ تعالى ذكره ـ نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمَّ الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه، أو صفة يكرهها، وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض؛ لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضًا).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٣٣)، وانظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٥٦٤).

عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾(١)، وأراد: أن يُظَنَّ بأهل الخير سوءًا ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ قال سفيان الثوري: الظَّنُّ ظنَّان، أحدهما: إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر: ليس بإثم، وهو أن تظن ولا تتكلم.

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ التجسس: هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إيّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»(٢).

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي بها، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا عبد الله بن ناجية، حدثنا يحيى بن أكثم، أخبرنا الفضل بن موسى الشيباني، عن الحسين بن واقد، عن أوفى بن دلهم، عن نافع، عن ابن عمر - رضي الله عنهم - أن النبي ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات المسلمين يتتبع الله عورته، ومن يتتبع اللهُ عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

قال: ونظر ابن عمر يومًا إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك(٣).

وقال زيد بن وهب: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرًا، فقال: إنا قد نُهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيء نأخذه به(٤) ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ يقول: لا يتناول بعضكم بعضًا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله

---

(١) ذكره القرطبي: (١٦/ ٣٣٠-٣٣١).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ...﴾ الآية: (١٠/ ٤٨٤)، ومسلم في البر والصلة، باب تحريم الظن برقم٢٥٦٣: (٤/ ١٩٨٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ١٠٩-١١٠).

(٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن: (٦/ ١٨٠-١٨١)، وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد، وقد روى إسحاق بن إبراهيم السمرقندي عن حسين بن واقد نحوه، وقد روي عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ نحو هذا)، والإمام أحمد: (٤/ ٤٢١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ١٠٤)، وأخرجه أبو داود في الأدب، باب في الغيبة: (٧/ ٢١٣-٢١٤) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في النهي عن التجسس: (٧/ ٢١٩)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (١٠/ ٢٣٢)، ومن طريق البيهقي في «السنن»: (٨/ ٣٣٤).

بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرُكَ أخاكَ بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقدِ اغتبته، / وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»(١). ١٣٦/ب

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو الطاهر الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلًا فقالوا: لا يأكل حتى يُطعم، ولا يرحل حتى يُرحَّل، فقال النبي ﷺ: «اغتبتموه»، فقالوا: إنما حدثنا بما فيه، قال: «حسبك إذا ذكرتَ أخاك بما فيه»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ قال مجاهد: لما قيل لهم: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا» قالوا: لا، قيل: «فكرهتموه»، أي: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبًا.

قال الزجاج: تأويله: إنَّ ذِكْرَكَ من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك، وهو ميت لا يحس بذلك.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبة، حدثنا الفريابي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، حدثني صفوان بن عمرو، حدثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»(٣).

قال ميمون بن سِياه(٤): بينا أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول: كلْ، قلتُ: يا عبد الله ولِمَ آكل؟ قال: بما اغتبت عبد فلان، فقلت: والله ما ذكرت فيه خيرًا ولا شرًّا، قال: لكنك استمعت ورضيت به، فكان ميمون لا يغتاب أحدًا ولا يدع أحدًا يغتاب عنده أحد(٥).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم الغيبة برقم٢٥٨٩: (٤/ ٢٠٠١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩).

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٥٠٦): (رواه الأصبهاني بإسناد حسن).

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في الغيبة: (٧/ ٢١٣)، وقال المنذري: (وذكر أن بعضهم رواه مرسلًا)، والإمام أحمد: (٣/ ٢٢٤)، قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢١٥) بعد أن ساق الحديث: (تفرد به أبو داود).

(٤) في «أ»: (شياه)، وفي «ب»: (سيار)، والتصويب من «التهذيب» وغيره.

(٥) انظر: «حلية الأولياء»: (٣/ ١٠٧) فقد ذكر القطعة الأخيرة عنه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ . . .﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس، وقوله للرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، يعيِّره بأمِّه، قال النبي ﷺ: «مَنْ الذاكر فلانة»؟ فقال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال: «انظر في وجوه القوم» فنظر، فقال: «ما رأيتَ يا ثابت»؟ قال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: «فإنك لا تفضلهم إلَّا في الدين والتقوى»، فنزلت في ثابت هذه الآية، وفي الذي لم يتفسح: «﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟﴾»(1)[المجادلة: ١١].

وقال مقاتل: لما كان يوم فتح مكة أمر رسولُ الله ﷺ بلالًا حتى علا ظهر الكعبة وأذن، فقال عتاب ابن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم يرَ هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمدٌ غير هذا الغراب الأسود مؤذنًا، وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئًا يغيره، وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئًا أخاف أن يخبرَ به ربُّ السماء، فأتى جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا، فدعاهم وسألهم عمَّا قالوا فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية(2)، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء فقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ يعني: آدم وحواء، أي: إنكم متساوون في النسب ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شَعْب بفتح الشين، وهي رؤوس القبائل، مثل: ربيعة ومضر والأوس والخزرج، سموا شُعوبًا لتشعبهم واجتماعهم، كشعب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد، يقال: شَعَبَ، أي: جمع، وشعب، أي: فرَّق ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ وهي دون الشعوب، واحدتها قبيلة: وهي كبكر من ربيعة، وتميم من مضر، ودون القبائل: العمائر، واحدتها عَمارة بفتح العين: وهم كشيبان من بكر، ودارم من تميم، ودون العمائر: البطون، واحدتها بطن: وهي كبني غالب ولؤي من قريش، ودون البطون: الأفخاذ، واحدتها فخذ: وهي كبني هاشم وأمية من بني لؤي، ثم الفصائل والعشائر واحدتها: فصيلة وعشيرة، وليس بعد العشيرة حي يُوصف به. وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل.

وقال أبو روق: «الشعوب» الذين لا يعتزون إلى أحد، بل ينتسبون إلى المدائن والقرى، و«القبائل»: العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم.

---

(1) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٥٥، القرطبي: (١٦/ ٣٤١)، وانظر فيما سبق: ص٣٤٣.

(2) المرجع السابق.

﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ليعرف بعضكم بعضًا في قرب النسب وبعده، لا ليتفاخروا، ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ قال قتادة في هذه الآية: إن أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا إبراهيم بن خزيم الشاشي، حدثنا عبد بن حميد، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا سلام بن أبي مطيع، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة ابن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسبُ المال، والكرم التقوى»[(١)].

وقال ابن عباس: كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم، أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا إبراهيم بن خزيم، حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا الضحاك بن مخلد، عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه، فلما خرج لم يجد مَناخًا، فنزل على أيدي الرجال، ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها بآبائها[(٢)]، الناس رجلان: برٌّ تقي كريم على الله، وفاجرٌ شقي هين على الله، ثم تلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، ثم قال: «أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»[(٣)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد هو ابن سلام، / حدثنا عبدة، عن عبيد الله، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة ١٣٧/أ
قال: سُئل رسول الله ﷺ، أيُّ الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك،

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة الحجرات: (٩/ ١٥٦ ـ ١٥٧)، وقال: (هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث سمرة لا نعرفه إلّا من حديث سلام بن أبي مطيع)، وابن ماجه في الزهد، باب الورع والتقوى برقم٤٢١٩: (٢/ ١٤١٠ ـ ١٤١١)، والإمام أحمد: (٥/ ١٠)، والحاكم: (٢/ ١٦٣)، (٤/ ٣٢٥)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن»: (٧/ ١٣٦)، والدارقطني في «السنن»: (٣/ ٣٠٢)، وله شواهد عنده أيضًا عن أبي هريرة في الموضع نفسه.
وانظر: «إرواء الغليل»: (٦/ ٢٧١ ـ ٢٧٢)، «فتح الباري»: (٩/ ١٣٥).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير: (٩/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلّا من هذا الوجه، وعبد الله بن جعفر يضعَّف، ضعفه يحيى بن معين وغيره، وهو والد علي بن المديني)، وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند»: ص٢٥٣ ـ ٢٥٤، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ١٢٤)، وقال: (هذا حديث غريب).
وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٥٧٩) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

قال: «فعن معادن العرب تسألوني»؟ قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»(١).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عمرو الناقد، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، عن يزيد، عن الأصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ . . .﴾ الآية، نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة، قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السرِّ، فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العربُ بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على النبي ﷺ ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطِنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية(٣).

وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلَّفوا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾(٤) صدقنا.

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ﴾ فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيمانًا دون التصديق بالقلب والإخلاص.

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾: (٦/ ٣٨٧)، ومسلم في الفضائل، باب من فضائل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ برقم٢٣٧٨: (٤/ ١٨٤٦ـ١٨٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله برقم٢٥٦٤: (٤/ ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٤٠ـ٣٤١).

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق»: (٢/ ٢٣٥)، «البحر المحيط»: (٨/ ١١٧)، «الدر المنثور»: (٧/ ٥٨٥)، القرطبي: (١٦/ ٣٤٨).

(٤) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١١٧)، القرطبي: (١٦/ ٣٤٨).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن غُرَيْر الزهري، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح، عن ابن شهاب، أخبرني عامر بن سعد، عن أبيه قال: أعطى رسول الله ﷺ رهطًا وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ فيهم رجلًا لم يعطه وهو أعجبهم إليَّ، فقمت إلى رسول الله ﷺ فساررته[1]، فقلت: ما لك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمنًا، قال: «أو مسلمًا»، قال: فسكت قليلًا، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله، مالك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمنًا؟ قال: «أو مسلمًا»، قال: «إني لأعطي الرجلَ وغيرُه أحب إليَّ منه خشية أن يُكبَّ في النار على وجهه»[2].

فالإسلام هو: الدخول في السلم، وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم الرجل إذا دخل في السلم، كما يقال: أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء، وأصاف الرجل إذا دخل في الصيف، وأربع إذا دخل في الربيع، فمن الإسلام ما هو طاعة في الحقيقة باللسان والأبدان والجنان، كقوله عزَّ وجلَّ لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١]، ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب، وذلك قوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ظاهرًا وباطنًا سرًّا وعلانية، قال ابن عباس: تخلصوا الإيمان ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ قرأ أبو عمر «يالتكم» بالألف، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾[الطور: ٢١]، والآخرون بغير ألف، وهما لغتان: لا ينقصكم، يقال: ألت يألِت ألتًا ولات يليت ليتًا إذا نقص ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ﴾ أي: لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ ثم بين حقيقة الإيمان، فقال:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ لم يشكوا في دينهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ في إيمانهم.

فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ﴾: (٣/ ٣٤٠)، وفي الإيمان: (١/ ٧٩)، ومسلم في المسافرين، باب تأليف قلب من يُخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع برقم ١٥٠: (١/ ١٣٢).

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ والتعليم هاهنا بمعنى: الإعلام، ولذلك قال: «بدينكم»، وأدخل الباء فيه، يقول: أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ لا يحتاج إلى إخباركم.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ﴾ أي: بإسلامكم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ وفي مصحف عبد الله «إذ هداكم للإيمان» ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ إنكم مؤمنون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ قرأ ابن كثير «يعملون» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

* * *

سورة قٓ

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١

﴿قٓۚ﴾ (قال ابن عباس: هو قسم، وقيل)(٢): هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن.

وقال القرظي(٣): هو مفتاحُ اسمِه «القدير» و«القادر» و«القاهر» و«القريب» و«القابض».

وقال عكرمة والضحاك: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، منه خضرة السماء، والسماء مقبَّبة عليه، وعليه كتفاها(٤)، ويقال: هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من / ورائه بمسيرة سنة(٥). ١٣٧/ب

وقيل: معناه: قُضي الأمر، أو قُضي ما هو كائن، كما قالوا في حمٓ(٦).

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ الشريف الكريم على الله، الكثير الخير.

واختلفوا في جواب القسم، فقال أهل الكوفة: جوابه: «بل عجبوا»، وقيل: جوابه محذوف، مجازه: والقرآن المجيد(٧) لتبعثُنَّ، وقيل: جوابه قوله: «ما يلفظ من قول»، وقيل: «قد علمنا»، وجوابات القسم سبعة: «إنَّ» الشديدة كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾[الفجر: ١٤]، و«ما» النفي كقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ - ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾[الضحى: ١-٣]، و«اللام» المفتوحة كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[الحجر: ٩٢]، و«إنْ» الخفيفة كقوله:

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة «قٓ» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٥٨٧).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) في «أ»: (القرطبي)، والصحيح ما أثبتناه.

(٤) في «أ»: (أكنافها).

(٥) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٢): (وقد رُوي عن بعض السلف أنهم قالوا: «قٓ» جبل محيط بجميع الأرض، يقال له: جبل قاف، وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاف بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم).
وانظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة: ص٣٠٢-٣٠٤.

(٦) انظر فيما سبق: ص٣٣.

(٧) زيادة من «ب».

(٨) انظر: «البيان في غريب إعراب القرآن» لابن الأنباري: (٢/ ٣٨٤).

بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ
رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾

«إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ»[الشعراء: ٩٧]، و«لا» كقوله تعالى: «وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ» [النحل: ٣٨]، و«قد» كقوله تعالى: «وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا» ـ «قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا»[الشمس: ١ ـ ٩]، و«بل» كقوله: «وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ» ـ ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾.

﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ﴾ مخوف ﴿مِّنْهُمْ﴾ يعرفون نسبه وصدقه وأمانته ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ غريب ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نبعث، ترك ذكر البعث؛ لدلالة الكلام عليه ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ﴾ أي: ردٌّ إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ وغير كائن، أي: يبعد أن نُبعث بعد الموت.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم، لا يعزب عن علمه شيء، قال السدي: هو الموت، يقول: قد علمنا مَن يموت منهم ومن يبقى ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ (محفوظ من الشياطين، ومن أن يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ، وقيل: حفيظ)(١)، أي: حافظ لعدتهم وأسمائهم.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾ مختلط، قال سعيد بن جبير ومجاهد: ملتبس، قال قتادة في هذه الآية: مَنْ تركَ الحقَّ مرج عليه أمرُه والتبسَ عليه دينُه، وقال الحسن: ما ترك قومٌ الحقَّ إلَّا مرج أمرُهُم، وذكر الزَّجَّاج معنى اختلاط أمرهم فقال: هو أنهم يقولون للنبي ﷺ: مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة مُعَلَّم، ويقولون للقرآن: مرة سحر، ومرة رَجَز، ومرة مفترًى، فكان أمرهم مختلطًا ملتبسًا عليهم، ثم دلَّهم على قدرته، فقال:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ بغير عمدٍ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ شقوق وفتوق وصدوع، واحدها: فرج.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابت ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ حسن كريم يُبْهَجُ به، أي: يسر.

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿تَبْصِرَةً﴾ (أي: جعلنا ذلك تبصرة)[1] ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ أي: تبصيرًا وتذكيرًا ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ أي: ليبصر ويذكر به.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ كثير الخير، وفيه حياة كل شيء، وهو المطر ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ يعني: البرَّ والشعير وسائر الحبوب التي تحصد، فأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول، وقيل: «وحبَّ الحصيد» أي: وحبَّ النبت الحصيد[1].

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ قال مجاهد وعكرمة وقتادة: طوالًا، يقال: بسقت النخلة[2] بُسوقًا إذا طالت، وقال سعيد بن جبير: مستويات ﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾ ثمر وحمل، سُمي بذلك؛ لأنه يطلع، والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق[3] ﴿نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: جعلناها رزقًا للعباد ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أنبتنا فيها الكلأ ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو تُبَّع الحميري، واسمه أسعد أبو كرب، قال قتادة: ذمَّ اللهُ تعالى قومَ تُبَّع ولم يذمّه، ذكرنا قصته في سورة الدخان[4].

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أي: كلٌّ من هؤلاء المذكورين كذَّب الرسلَ ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ وجب لهم عذابي، ثم أنزل جوابًا لقولهم «ذلك رجع بعيد»:

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في «ب»: (ينشق).
(٤) انظر فيما سبق: ص١١٧ـ١١٩.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ﴾ يعني: أعجزنا حين خلقناهم أولًا فنعيا[1] بالإعادة، وهذا تقرير لهم؛ لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكلِّ مَنْ عجز عن شيء: عيي به ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي: في شكٍّ ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ وهو البعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ﴾ يحدث به قلبه ولا يخفى علينا سرائره وضمائره ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أعلم به ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضًا، ولا يحجب علمَ الله شيءٌ، و«حبل الوريد»: عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في البدن، والحبل هو الوريد، فأُضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذين عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات ﴿قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: قاعد، ولم يقل: قعيدان؛ لأنه أراد: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد: قعودًا، كالرسول فجعل للاثنين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنين: «فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ»[الشعراء: ١٦]، وقيل: أراد بالقعيد: الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم، وقال مجاهد: القعيد: الرصيد.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ ما يتكلم من كلام فيلفظه، أي: يرميه من فيه ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾
١٣٨/أ حاضر أينما كان، قال / الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائطه، وعند جماعه. وقال مجاهد: يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه[2]، وقال عكرمة: لا يكتبان إلَّا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه[3]. وقال الضحاك: مجلسهما تحت الضرس[4] على الحنك، ومثله عن الحسن، وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته.

---

(١) في «أ»: (فعينا).
(٢) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٨/ ١٢٣).
(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٥٩٣) لابن المنذر.
(٤) في «ب»: (الشعر).

وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا الفضل بن العباس بن مهران، حدثنا طالوت، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا جعفر بن الزبير، عن القاسم بن محمد، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر»[(١)].

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعَيان، وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة، ويقال لمن جاءته سكرة الموت: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ تميل، قال الحسن: تهرب، وقال ابن عباس: تكره، وأصل الحَيْد: الميل، يقال: حدتُ عن الشيء أحِيد حَيْدًا ومَحِيدًا: إذا ملتُ عنه.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ يعني: نفخة البعث ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ أي: ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه، قال مقاتل: يعني: الوعيد بالعذاب، أي: يوم وقوع الوعيد.

﴿وَجَآءَتۡ﴾ ذلك اليوم ﴿كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ يسوقها إلى المحشر ﴿وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾﴾ يشهد عليها بما عملت، قال الضحاك: السائق من الملائكة، والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وهي رواية العوفي عن ابن عباس[(٢)]، وقال الآخرون: هما جميعًا من الملائكة، فيقول الله:

﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليوم في الدنيا ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾﴾ نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا، وروي عن مجاهد قال: يعني: نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك.

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٠٨): (رواه الطبراني، وفيه جعفر بن الزبير وهو كذاب).
ورواه عن أبي أمامة أيضًا من طريق أخرى بلفظ آخر: ابن راهويه في «مسنده»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وأبو نعيم في «الحلية»: (٦/ ١٢٤)، وقال الهيثمي: (رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها وثقوا)، وحسنه الألباني في «الصحيحة»: (٣/ ٢١٠)، فهو شاهد حسن للرواية الأولى فهي توافقها وليس في الأولى شيء زائد غير أن الحسنة بعشر أمثالها، وقد دلَّ القرآن والسنة على ذلك ـ كما قال الهيثمي.
وانظر: «الكافي الشاف» لابن حجر: ص١٥٩، «الفتح السماوي» للمناوي: (٣/ ١٠٠٧).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٦٢). وانظر: القرطبي: (١٧/ ١٤)، «الدر المنثور»: (٧/ ٥٩٩).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥
ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦ ۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن
كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ
لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ المَلَك الموكل به ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾ مُعَدّ محضر، وقيل: «ما» بمعنى «من»، قال مجاهد: يقول: هذا الذي وكَّلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله، فيقول الله عزَّ وجلَّ لقرينه: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ هو خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، تقول: ويحك ويلك ارحلاها وازجراها وخذاها وأطلقاها للواحد، قال الفرَّاء[1]: وأصل ذلك: أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم في الشعر للواحد: خليليَّ، وقال الزَّجَّاج: هذا أمر للسائق والشهيد، وقيل: للمتلقيين ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾ عاصٍ معرض عن الحق، قال عكرمة ومجاهد: مجانب للحق معاند لله.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: للزكاة المفروضة، وكلّ حقٍّ وجب في ماله ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم، لا يقر بتوحيد الله ﴿مُّرِيبٍ ۝٢٥﴾ شاكٍّ في التوحيد، ومعناه: داخل في الرَّيب.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦﴾ وهو النار.

﴿۞قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعني: الشيطان الذي قُيِّضَ لهذا الكافر: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ما أضللته وما أغويته ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٢٧﴾ عن الحق، فيتبرأ عنه الشيطان، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل: «قال قرينه»، يعني: المَلَك، قال سعيد بن جبير: يقول الكافر: يا رب إن الملك زاد عليَّ في الكتابة، فيقول الملك: «ربنا ما أطغيتُه»، يعني: ما زدتُ عليه وما كتبتُ إلَّا ما قال وعمل[2]، «ولكن كان في ضلال بعيد» طويل، لا يرجع عنه إلى الحق.

﴿قَالَ﴾ فيقول الله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨﴾ في القرآن، وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاضٍ.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ لا تبديل لقولي، وهو قوله: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [السجدة: ١٣]، وقال قوم: معنى قوله: «ما يبدل القول لدي»، أي: لا يُكَذَّبُ عندي، ولا يغير القول عن وجهه؛ لأني

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٧٨ـ٧٩).
(٢) ذكره القرطبي: (١٧/ ١٧).

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾

أعلم الغيب، وهذا قول الكلبي، واختيار الفرَّاء[(١)]؛ لأنه قال: «ما يبدل القول لديَّ»، ولم يقل ما يبدل قولي.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ فأعاقبهم بغير جرم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ قرأ نافع وأبو بكر «يقول» بالياء، أي: يقول الله، لقوله: «قال لا تختصموا»، وقرأ الآخرون بالنون ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ وذلك لِمَا سبق لها مِنْ وَعْدِهِ إيَّاها أنه يملؤها من الجِنة والناس، وهذا السؤال من الله عزَّ وجلَّ لتصديق خبره وتحقيق وعده ﴿وَتَقُولُ﴾ جهنم ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ قيل: معناه: قد امتلأتُ ولم يبقَ فيَّ موضع لم يمتلىء، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان، وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح، وعلى هذا يكون السؤال بقوله: «هل امتلأتِ» قبل دخول جميع أهلها فيها، ورُوي عن ابن عباس: أن الله تعالى سبقت كلمته «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[السجدة: ١٣]، فلما سيق أعداء الله إليها لا يُلقى فيها فوج إلَّا ذهب فيها ولا يملؤها شيء، فتقول: ألستَ قد / أقسمت لتملأنِّي؟ فيضع قدمه عليها، ثم يقول: هل امتلأتِ؟ فتقول: قطْ قطْ ١٣٨/ب
قد امتلأت فليس فيَّ مزيد[(٢)].

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أخبرنا (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ)[(٣)]، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنَّم تقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزَّةِ فيها قدمه، فتقول: قطْ قطْ وعزَّتك، ويُزوى بعضُها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل حتى يُنشىء الله خلقًا فيسكنه فضول الجنة»[(٤)].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُرِّبت وأُدنيت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ ينظرون إليها قبل أن يدخلوها.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالتاء، يقال لهم: هذا الذي ترونه ما توعدون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجَّاع إلى الطاعة عن المعاصي، قال سعيد بن المسيب: هو الذي يُذنب

---

(١) «معاني القرآن»: (٣/ ٧٩).

(٢) انظر: الطبري: (١٦/ ١٦٩)، ابن كثير: (٤/ ٢٢٨).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله: (١١/ ٥٤٥)، ومسلم في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون برقم ٢٨٤٨: (٤/ ٢١٨٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢٥٥ـ٢٥٦).

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾

ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، وقال الشعبي ومجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها، وقال الضحاك: هو التَّوَّاب، وقال ابن عباس وعطاء: المسبِّح، من قوله: «يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ»[سبأ: ١٠]، وقال قتادة: المصلي ﴿حَفِيظٍ ۝٣٢﴾ قال ابن عباس: الحافظ لأمر الله، وعنه أيضًا: هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها، قال قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه، قال الضحاك: الحافظ على نفسه والمتعهد لها، قال الشعبي: المراقب، قال سهل بن عبد الله: المحافظ على الطاعات والأوامر.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ محل «مَنْ» جر[1] على نعت الأوَّاب، ومعنى الآية: مَنْ خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره، وقال الضحاك والسدي: يعني: في الخلوة حيث لا يراه أحد، قال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ مخلص مقبل إلى طاعة الله.

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ (أي: يُقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها)[2]، أي: ادخلوا الجنة ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ بسلامة من العذاب والهموم، وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم، وقيل: بسلامة من زوال النعم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤﴾.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطَوْنَ ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ يعني: الزيادة لهم في النعيم ما لم يخطر ببالهم، وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من النقب: وهو الطريق، كأنهم سلكوا كل طريق ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦﴾ فلم يجدوا محيصًا من أمر الله، وقيل: «هل من محيص» مفرّ من الموت؟ فلم يجدوا (منه مفرًّا، وهذا إنذار)[3] لأهل مكة، وأنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرًّا عن الموت، يموتون فيصيرون إلى عذاب الله.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما ذكرت من العبر وإهلاك القرى ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة وعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ قال ابن عباس: أي: عقل، قال الفرّاء[4]: هذا جائز في العربية، تقول: ما لكَ قلب، وما قلبك معك، أي:

---

(١) في «أ»: (رفع). (٢) ما بين القوسين زيادة من «ب». (٣) في «أ»: (فيه إنذارًا). (٤) «معاني القرآن»: (٣/ ٨٠).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

ما عقلك معك، وقيل: له قلب حاضر مع الله ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ استمع القرآن، واستمع ما يقال له، لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألقِ إليَّ سمعك، أي: استمعْ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ أي: حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ إعياء وتعب. نزلت في اليهود حيث قالوا: يا محمد، أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم»، قال: صدقتَ إن أتممت، قال: «وما ذاك»؟ قالوا: ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردًّا عليهم[١].

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من كذبهم، فإن الله لهم بالمرصاد، وهذا قبل الأمر بقتالهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ حمدًا لله ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ يعني: صلاة العصر، ورُوي عن ابن عباس قال: «قبل الغروب»: الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني: صلاة المغرب والعشاء، وقال مجاهد: «ومن الليل»، أي: صلاة الليل أيّ وقتٍ صلَّى ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ قرأ أهل الحجاز وحمزة «وإدبار السجود» بكسر الهمزة، مصدر أدبر إدبارًا، وقرأ الآخرون فتحها على جمع الدبر.

قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي والأوزاعي: «أدبار السجود»: الركعتان بعد صلاة المغرب، وأدبار النجوم: الركعتان قبل صلاة الفجر، وهي رواية العوفي عن ابن عباس[٢]، ورُوي مرفوعًا[٣]، هذا قول أكثر المفسرين.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٧٨ ـ ١٧٩)، والواحدي في «أسباب النزول»، وانظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٦٠٩)، ابن كثير: (٤/ ٢٣٠).

(٢) عزاه صاحب «كنز العمال»: (٢/ ٥١٠) للطبراني في «الصغير»، وابن أبي شيبة ومحمد بن نصر في «قيام الليل»: ص٦٤ من «مختصر المقريزي»، وانظر: القرطبي: (١٧/ ٢٥)، «الدر المنثور»: (٧/ ٦١٠ ـ ٦١١).

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية»: (٣/ ٣٧٧) لمسدد عن علي مرفوعًا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو أيوب الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ مُعاهدةً منه على الركعتين أمام الصبح(١).

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا صالح بن عبد الله، حدثنا أبو عَوانة،
١٣٩/أ عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوْفَى، عن سعيد بن / هشام، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها»(٢).

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا بَدل بن المحبرّ، حدثنا عبد الملك بن معدان، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما أُحصي ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل (صلاة الفجر)(٣): بـ «قل يا أيها الكافرون»، و«قلْ هو الله أحد»(٤).

قال مجاهد: «وأدبار السجود»: هو التسبيحُ باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات.

أخبرنا أبو الحسين طاهر بن الحسين الرُّوقي الطوسي بها، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد ابن يوسف، حدثنا محمد بن أيوب، أخبرنا مسدد، حدثنا خالد هو ابن عبد الله، حدثنا سهيل بن أبي عبيد، عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين، وكبَّرَ الله ثلاثًا وثلاثين، وحَمِدَ الله ثلاثًا وثلاثين، فذلك تسعة وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غُفرت خطاياهُ وإنْ كانتْ مثلَ زبد البحر»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في التهجد في الليل، باب تعاهد ركعتي الفجر: (٣/ ٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر برقم٧٢٤: (١/ ٥٠١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٤٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في ركعتي الفجر من الفضل: (٢/ ٤٦٩)، وقال: (حديث عائشة حديث حسن صحيح)، وأخرجه مسلم أيضًا من نفس الطريق في صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر برقم٧٢٥: (١/ ٥٠١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٤٥٣).

(٣) في «ب»: (الصبح).

(٤) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الركعتين بعد المغرب والقراءة فيهما: (٢/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧)، وقال: (حديث ابن مسعود حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من حديث عبد الملك بن معدان عن عاصم). والحديث ضعيف لضعف عبد الملك بن الوليد بن مَعْدان الضُّبَعي. «تقريب». ويشهد له ما أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر . . . برقم٧٢٦: (١/ ٥٠٢)، عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد». وأخرجه المصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٤٥٦).

(٥) أخرجه مسلم في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة برقم٥٩٧: (١/ ٤١٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾
إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ
عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ
وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إسحاق، أخبرنا يزيد، أخبرنا ورقاء، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم، قال: «كيف ذاك»؟ قالوا: صلُّوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم وليستْ لنا أموال، قال: «أفلا أُخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون مَن جاء بعدكم، ولا يأتي أحدٌ بمثل ما جئتم به إلَّا مَن جاء بمثله: تسبحون في دبرِ كلِّ صلاةٍ عشرًا، وتحمدون عشرًا، وتكبرون عشرًا»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ أي: واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي، قال مقاتل: يعني: إسرافيل ينادي بالحشر: يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن اللهَ يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي وسط الأرض، قال الكلبي: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهي الصيحة الأخيرة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ من القبور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ جمع: سريع، أي: يخرجون سراعًا ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا﴾ جمع علينا ﴿يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة في تكذيبك ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ بمسلط، تجبرهم على الإسلام، إنما بعثتَ مُذكِّرًا ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ أي: ما أوعدتُ مَنْ عصاني من العذاب.

قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله، لو خوَّفتنا، فنزلت[2]: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

* * *

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة: (١١/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، وفي الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة: (٢/ ٣٢٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٨٥)، وانظر: القرطبي: (١٧/ ٢٨)، «الدر المنثور»: (٧/ ٦١٣).

سورة الذَّاريات

مكية[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾﴾ يعني: الرياح التي تذرو التراب ذروًا، يقال: ذَرَت الريحُ الترابَ وأذرت.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾﴾ يعني: السحاب تحمل ثقلًا من الماء.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ هي السفن تجري في الماء جريًا سهلًا.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أُمروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

ثم ذكر المقسَمَ عليه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من الثواب والعقاب ﴿لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ (الحساب والجزاء)[2] ﴿لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾ لكائن، ثم ابتدأ قَسَمًا آخر فقال:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾ قال ابن عباس وقتادة وعكرمة: ذات الخلق الحسن المستوي، يقال للنسَّاج: إذا نسج الثوب فأجاد: ما أحسن حبكه! قال سعيد بن جبير: ذات الزينة، قال الحسن: حبكت بالنجوم، قال مجاهد: هي المتقنة البنيان، وقال مقاتل والكلبي والضحاك: ذات الطرائق، كحبك الماء إذا ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها لا ترى لبعدها من الناس، وهي جمع حباك وحبيكة، وجواب القسم قوله:

﴿إِنَّكُمْ﴾ أي: يا أهل مكة ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾ في القرآن وفي محمد ﷺ، تقولون في القرآن: سحر وكهانة وأساطير الأولين، وفي محمد ﷺ: ساحر وشاعر ومجنون، وقيل: «لفي قول مختلف»، أي: مُصدِّق ومُكذِّب.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة الذاريات بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٦١٣).

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني: مَن حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، وقيل: «عن» بمعنى «من أجل»، أي: يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من صرف، وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان، وهذا معنى قول مجاهد.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾ لُعِنَ الكذَّابون: يقال: تخرَّص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا عِقَاب مكة، واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام، وقال مجاهد: هم الكهنة.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ غفلة وعمًى وجهالة ﴿سَاهُونَ ۝١١﴾ لاهُون غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢﴾ يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني: يوم القيامة تكذيبًا واستهزاءً.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ أي: هذا الجزاء في يوم هم ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ أي: يعذَّبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار، وقيل: «على» بمعنى «الباء»، أي: بالنار، وتقول لهم خزنة النار:

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ عذابكم ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾ في الدنيا تكذيبًا به.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ من الخير والكرامة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ
١٣٩/ب ذَٰلِكَ﴾ قبل / دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ ۝١٦﴾ في الدنيا.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ والهجوع: النوم بالليل دون النهار، «وما» صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلًا من الليل، أي: يصلون أكثر الليل.

وقيل: معناه: كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلًا، وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس، يعني: كانوا قلَّ ليلة تمر بهم إلَّا صلوا فيها شيئًا، إمَّا من أولها أو من أوسطها.

قال أنس بن مالك: كانوا يصلون ما بين المغرب إلى العشاء[1]، وقال محمد بن علي: كانوا لا ينامون

---

(١) أخرجه أبو داود: (٢/ ٩٥)، الطبري: (٢٦/ ١٩٦)، محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل»: ص٧١ من «مختصر المقريزي»، والبيهقي في «السنن»: (٣/ ١٩)، وذكره ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٢٣٤).

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾

حتى يصلوا العتمة[١]، قال مطرف ابن عبد الله بن الشخير: قلَّ ليلة أتتْ عليهم هجعوها كلها[٢]، قال مجاهد: كانوا لا ينامون كل الليل[٣].

ووقف بعضهم على قوله: «قليلًا»، أي: كانوا من الناس قليلًا، ثم ابتدأ: «من الليل ما يهجعون»، وجعله جحدًا، أي: لا ينامون بالليل البتة، بل يقومون للصلاة والعبادة، وهو قول الضحاك ومقاتل.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ قال الحسن: لا ينامون من الليل إلّا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا بالأسحار في الاستغفار[٤]، وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل: وبالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المَخلديُّ، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السَّراج، حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن سهل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل، فيقول: أنا المَلِك، أنا المَلِك، مَن الذي يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن الذي يسألني فأعطيَه، مَن الذي يستغفرني فأغفرَ له»[٥].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا سليمان بن أبي مسلم، عن طاووس سمع ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال: «اللهم لك الحمد أنتَ قيّمُ السموات والأرض ومَن فيهنَّ، (ولك الحمد أنتَ نور السموات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد أنتَ ملك السمواتِ والأرض ومن فيهنَّ)[٦]، ولك الحمد أنتَ الحقُّ، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنَّبيُّون حق،

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٩٦)، ومحمد بن نصر في «قيام الليل»: ص٢٥ من «مختصر المقريزي»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦١٥) أيضًا لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «سننه».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١٩٧)، ومحمد بن نصر في «قيام الليل»: ص٢٥ من «مختصر المقريزي»، وابن كثير: (٤/ ٢٣٤).

(٣) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل»: ص٢٤ من «مختصر المقريزي».

(٤) أخرجه الطبري: (٢٦/ ١١٩٨)، ومحمد بن نصر المروزي في «قيام الليل»: ص٨١ من «مختصر المقريزي».

(٥) أخرجه الترمذي من طريق قتيبة، في الصلاة، باب في نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة: (٢/ ٥٢٤)، وقال: حديث صحيح، وقد روي هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبي هريرة . . . وهذه أصح الروايات.
وأخرجه البخاري في التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل: (٣/ ٢٩)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه برقم٧٥٨: (١/ ٥٢١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٦٣ ـ ٦٤).

(٦) ما بين القوسين ساقط من «أ».

وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أَنَبْتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلَّا أنت ولا إله غيرك»، قال سفيان: وزاد عبد الكريم أبو أمية: «ولا حول ولا قوة إلَّا بالله»(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا صدقة، أخبرنا الوليد عن الأوزاعي، حدثني عمير بن هانىء، حدثني جنادة بن أبي أمية، حدثني عبادة، عن النبي ﷺ قال: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استُجيب له، فإن توضأ وصلَّى قُبِلَتْ صلاتُه»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ السائل: الذي يسأل الناس، والمحروم: الذي ليس له في الغنائم سهم، ولا يجري عليه من الفيء شيء، هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، قالا: (المحروم: الذي)(٣) ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي مُنع الخير والعطاء.

وقال قتادة والزهري: «المحروم» المتعفف الذي لا يسأل.

وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته، وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الجائحة(٤)، ثم قرأ: «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ»[الواقعة: ٦٦ـ٦٧].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ عِبَر ﴿لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ إذا سَارُوا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آياتٌ، إذْ كانت نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم عظمًا إلى أن نفخ فيها الروح.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع.

وقال ابن الزبير: يريد: سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (قال مقاتل)(٣): أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

---

(١) أخرجه البخاري في التهجد، باب التهجد بالليل: (٣/٣)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل برقم ٧٦٩: (١/ ٥٣٢ـ ٥٣٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في التهجد، باب فضل من تعارَّ من الليل فصلى: (٣/ ٣٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٧١ـ ٧٢).

(٣) ساقط من «أ».

(٤) في «ب»: (الحاجة).

وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني: المطر الذي هو سبب الأرزاق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ قال عطاء: من الثواب والعقاب، وقال مجاهد: من الخير والشر، وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أي: ما ذكرت من أمر الرزق لحقٌّ ﴿مِّثْلَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «مِثْلُ» برفع اللام بدلًا من «الحق»، وقرأ الآخرون بالنصب أي: كمثل ﴿مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فتقولون: لا إله إلَّا الله، وقيل: شبَّه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمي، كما تقولون: إنه لحق كما أنت هاهنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة، قال بعض الحكماء: يعني: كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ذكرنا عددهم في سورة هود[1] ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (قيل: سماهم مكرمين)[2]؛ لأنهم كانوا ملائكة كرامًا عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليقة، وضيف الكرام مكرمون.

وقال: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم / بتعجيل قِراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه. ١٤٠/أ

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: خدمته إياهم بنفسه.

وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين؛ لأنهم جاؤوا غير مدعوين، وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن كان يُؤمنُ بالله واليوم والآخر فليكرمْ ضيفَه»[3].

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم، وقيل: إنما أنكر أمرهم؛ لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

---

(١) انظر فيما سبق: (٤/ ١٨٧).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان: (١١/ ٣٠٨)، ومسلم في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار برقم ٤٧: (١/ ٦٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣١٢).

فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

﴿فَرَاغَ﴾ فعدل ومال ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ مشوي.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ ليأكلوا، فلم يأكلوا ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ أي: صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالاً من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى: أخذ في شتمي، أي: أخذت تُوَلْوِلُ كما قال: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾[هود: ٧٢] ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال ابن عباس: لطمت وجهها، وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبًا، كعادة النساء إذا أنكرن شيئًا، وأصل الصَّكِّ: ضرب الشيء بالشيء العريض.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ مجازه: أتلدُ عجوز عقيم؟ وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: كما قلنا لك، قال ربك: إنك ستلدين غلامًا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿۞ قَالَ﴾ (يعني: إبراهيم)(١): ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يعني: قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً﴾ معلَّمة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ قال ابن عباس: للمشركين، والشرك: أسرف الذنوب وأعظمها.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي: في قرى قوم لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ وذلك قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[هود: ٨١].

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾ أي: غير أهل بيت ﴿مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ يعني: لوطًا وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعًا؛ لأنه ما من مؤمن إلّا وهو مسلم.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ أي: في مدينة قوم لوط ﴿ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ أي: وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة، وقيل: وهو معطوف على قوله: «وفي الأرض آيات للموقنين»، (وفي موسى)(1) ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ بحجة ظاهرة.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ فأعرض وأدبر عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم، كالركن الذي يقوى به البنيان، نظيره: «قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ»[هود: ٨٠] ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾﴾ قال أبو عبيدة: «أو» بمعنى الواو.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أغرقناهم فيه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ أي: آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسول.

﴿وَفِى عَادٍ﴾ أي: في إهلاك عاد أيضًا آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرًا ولا تحمل مطرًا ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبسَ وديسَ، قال مجاهد: كالتبن اليابس، قال قتادة: كرميم الشجر، قال أبو العالية: كالتراب المدقوق، وقيل: أصله من العظم البالي.

﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ يعني: وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني: العذاب، و«الصاعقة»: كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: «الصعقة» وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يرون ذلك عيانًا.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض، قال قتادة: لم ينهضوا من تلك الصرعة ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ممتنعين منّا، قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

---

(١) زيادة من «ب».

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي «وقومِ» بجر الميم، أي: وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: «فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم»، معناه: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء، وهم عاد وثمود وقوم فرعون ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوة وقدرة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: قادرون، وعنه أيضًا: لموسعون الرزق على خلقنا، وقيل: ذو سعة، قال الضحاك: أغنياء، دليله: قوله عزَّ وجلَّ: «عَلَى الْمُوسِعِ»[البقرة: ٢٣٦]، قال الحسن: مطيقون ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ بسطناها ومهدناها لكم ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الباسطون نحن، قال ابن عباس: نعم ما وطَّأتُ لعبادي.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل الجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والحق والباطل، والحلو والمر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فتعلمون أن خالق الأزواج فرد.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة، قال ابن عباس: فروا منه إليه واعملوا بطاعته، وقال سهل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما كذبك قومُك وقالوا: ساحر أو مجنون، كذلك ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ من قبل
١٤٠/ب كفار مكة ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا/ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي: أوصى أولُهم آخرَهم وبعضُهم بعضًا بالتكذيب، وتواطؤوا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسَّعتُ عليهم على تكذيبك ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ لا لوم عليك، فقد أديتَ الرسالة، وما قصرت فيما أمرت به.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتدَّ ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ فطابت أنفسهم[(١)]. قال مقاتل: معناه: عِظْ بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من سبق[(٢)] في علم الله أن يؤمن منهم، وقال الكلبي: عِظْ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ قال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: «وما خلقت الجنَّ والإنس من المؤمنين إلَّا ليعبدون»، ثم قال في أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[الأعراف: ١٧٩].

وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلَّا لعبادتي، والأشقياء إلَّا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم، قال: هو على ما جُبِلُوا عليه من الشقاوة والسعادة.

وقال علي بن أبي طالب: «إلَّا ليعبدون»، أي: إلَّا لآمُرَهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[التوبة: ٣١].

وقال مجاهد: إلَّا ليعرفوني، وهذا أحسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[الزخرف: ٨٧].

وقيل: معناه إلَّا ليخضعوا إليَّ ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عمَّا خُلق عليه. وقيل: «إلَّا ليعبدوني» إلَّا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[العنكبوت: ٦٥].

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: أن يرزقوا أحدًا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ أي: يطعموا أحدًا من خلقي، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه؛ لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه، كما جاء في الحديث يقول الله تعالى: «استطعمتُك فلم تُطعمني»، أي: لم تطعم عبدي، ثم بيَّن أن الرازق هو لا غيره فقال:

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» عن مجاهد، وسكت عنه البوصيري وقال: (رواه أحمد بن منيع بسند رواته ثقات)، وأخرجه الطبري عن قتادة. انظر: «المطالب العالية»: (٣/ ٣٧٨) مع حاشية المحقق، «تفسير الطبري»: (٢٧/ ١١).

(٢) ساقط من «أ». (٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض برقم ٢٥٦٩: (٤/ ١٩٩٠).

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ يعني: لجميع خلقه ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا من أهل مكة ﴿ذَنُوبًا﴾ نصيبًا من العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل «الذَّنُوب» في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ بالعذاب، يعني: أنهم أُخِّروا إلى يوم القيامة.

يدل عليه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ يعني: يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.

* * *

سورة الطُّور

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾﴾ أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالأرض المقدسة، أقسم الله تعالى به.

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ مكتوب.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ و«الرَّقّ»: ما يُكتب فيه، وهو أديم الصحف، و«المنشور»: المبسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم.

وقيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله، دليله: قوله عزَّ وجلَّ: «وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا»[الإسراء: ١٣].

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾ بكثرة الغاشية والأهل، وهو بيت في السماء حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له: الضُّرَاح، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدًا[٢].

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ يعني: السماء، نظيره: قوله عزَّ وجلَّ: «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا»[الأنبياء: ٣٢].

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ قال محمد بن كعب القرظي والضحاك: يعني: الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور، وهو قول ابن عباس، وذلك ما رُوي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارًا فيزاد بها في نار جهنم، كما قال الله تعالى: «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ»[التكوير: ٦]، وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة الطور بمكة.
انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٦٢٦).

(٢) انظر: الطبري: (٢٧/ ١٦)، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٧/ ١١٤): (رواه الطبراني ـ عن ابن عباس مرفوعًا ـ وفيه بشر أبو حنيفة وهو متروك).

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠﴾

«لا يركبنَّ رجلٌ بحرًا إلَّا غازيًا أو معتمرًا أو حاجًا، فإنَّ تحت البحر نارًا وتحت النار بحرًا»[(١)].

وقال مجاهد والكلبي: «المسجور»: المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته.

وقال الحسن وقتادة وأبو العالية: هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب.

وقال الربيع بن أنس: المختلط العذب بالمالح.

وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال في «البحر المسجور»: هو بحر تحت العرش، غمره[(٢)] كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له: بحر الحيوان، يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحًا فينبتون في قبورهم[(٣)]، هذا قول مقاتل، أقسم الله بهذه الأشياء.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ نازل كائن.

﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ مانع[(٤)]، قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلِّم رسول الله ﷺ في أسارى بدر

١/١٤١ فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه المغرب، وصوته يخرج من المسجد / فسمعته يقرأ «والطور» إلى قوله: «إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع» فكأنما صدع قلبي حين سمعته، ولم يكن أسلم يومئذ، قال: فأسلمت خوفًا من نزول العذاب، وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب[(٥)].

ثم بيَّن أنه متى يقع فقال:

﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ أي: تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة، قال قتادة: تتحرك، قال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض، وقيل: تضطرب، و«المور» يجمع هذه المعاني، فهو في اللغة: الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب.

﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠﴾ فتزول عن أماكنها وتصير هباءً منثورًا.

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في ركوب البحر: (٣/ ٣٥٩) عن بشير بن مسلم عن عبد الله بن عمرو، وقال: (وفي هذا الحديث اضطراب، روي عن بشير هكذا، وروي عنه: أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو، وروي عنه عن رجل عن عبد الله بن عمرو، وقيل غير ذلك، وذكره البخاري في «تاريخه» وذكر له هذا الحديث، وذكر اضطرابه، وقال: لم يصح حديثه، وقال الخطابي: وقد ضعفوا إسناد هذا الحديث). وانظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للألباني: رقم٤٧٨.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٢٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٢٩) لابن أبي حاتم وعبد الرزاق وسعيد بن منصور.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الطور: (٨/ ٦٠٣).

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ
دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾
ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾
كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ
عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن
شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾

﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدة عذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ يخوضون(1) في الباطل يلعبون غافلين لاهين.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ يدفعون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ دفعًا بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون بهم إلى النار دفعًا على وجوههم، وزجًا في أقفيتهم حتى يَرِدُوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها:

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ في الدنيا ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدًا ﷺ إلى السحر، وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر، فوُبِّخوا به، وقيل لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾؟

﴿ٱصْلَوْهَا﴾ قاسوا شدتها ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر والجزع ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ﴾ معجبين بذلك ناعمين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ ويقال لهم:

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ مأمون العاقبة من التخمة والسقم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ موضوعة بعضها إلى جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ قرأ أبو عمرو «وأتبعناهم» بقطع الألف على التعظيم، «ذرياتهم» بالألف وكسر التاء فيهما لقوله: «ألحقنا بهم» «وما ألتناهم»، ليكون الكلام على نسق واحد، وقرأ الآخرون «واتَّبعتهم» بوصل الألف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الأخيرة.

---

(١) في «أ»: (يخرصون).

ثم اختلفوا في «ذريتهم»، قرأ أهل المدينة الأولى[١] بغير ألف وضم التاء، والثانية بالألف وكسر التاء، وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالألف وكسر التاء في الثانية، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء في الأولى ونصبها في الثانية.

واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: معناها: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، يعني: أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعًا لأحد الأبوين ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المؤمنين (في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم)[٢] تكرمةً لآبائهم لتقرَّ بذلك أعينهم، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم.

وقال آخرون: معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم، وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخبر الله عزَّ وجلَّ أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحبُّ في الدنيا أن يجتمعوا إليه، ويدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيهم، من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئًا، فذلك قوله: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ قرأ ابن كثير بكسر اللام، والباقون بفتحها، أي: ما نقصناهم، يعني: الآباء ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثي، حدثنا سعيد بن محمد بن إسحاق الصيرفي، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جبارة ابن المغلس، حدثنا قيس بن الربيع، حدثنا عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقرَّ بهم عينه»، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ إلى آخر الآية[٣].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عثمان بن أبي شيبة،

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) روي من طرق عدة، فأخرجه الطبري: (٢٧/ ٢٤ ـ ٢٥)، والحاكم: (٢/ ٤٦٨)، والبزار: (٣/ ٧٠ ـ «كشف الأستار»)، والطحاوي في «مشكل الآثار»: (٢/ ١٤، ١٥)، وهناد في «الزهد»: (١/ ٢٧٠)، وابن عدي في «الكامل»: (٦/ ٢٠٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٤/ ٣٠٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٤): (رواه البزار وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف)، وقال في «التقريب»: (صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديث فحدثه به).

وأخرجه أيضًا: ابن مردويه وسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في «سننه».

وانظر: «الكافي الشاف»: ص١٦٠، «الفتح السماوي» للمناوي: (٣/ ١٠١٠) مع حاشية المحقق، «الزهد» لهناد: (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) مع حاشية المحقق، «الدر المنثور»: (٧/ ٦٣٢).

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾

حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن عثمان، عن زاذان، عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: سألتُ خديجةُ ـ رضي الله تعالى عنها ـ النبي ﷺ: عن ولدين ماتَا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار»، فلما رأى الكراهة في وجهها، قال: «لو رأيتِ مكانَهما لأبغضتِهما»، قالت: يا رسول الله، فولدي منك؟ قال: «في الجنة»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾»[1].

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ قال مقاتل: كل امرىء كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار، والمؤمن لا يكون مرتهنًا، لقوله عزَّ وجلَّ: «كل نفس بما كسبت رهينة * إلَّا أصحاب اليمين»، ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال:

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ زيادة على ما كان لهم ﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ من أنواع اللحمان.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون ويتناولون ﴿فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ وهو الباطل، ورُوي ذلك عن قتادة، وقال مقاتل ابن حيان: لا فضول فيها، وقال سعيد بن المسيب: لا رفث فيها، وقال ابن زيد: لا سباب ولا تخاصم فيها، وقال القتيبي: لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: لا يكون منهم ما يؤثمهم، قال الزَّجَّاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر / وقيل: لا يأثمون ١٤١/ب
في شربها.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ بالخدمة ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ في الحُسن والبياض والصفاء ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ مخزون مصون لم تمسه الأيدي، قال سعيد بن جبير: يعني: في الصدف.

قال عبد الله بن عمر: وما من أحدٍ من أهل الجنة إلَّا يسعى عليه ألف غلام، وكل غلام على عملٍ ما عليه صاحبه[2].

---

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند»: (١/ ١٣٤، ١٣٥)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (١/ ٩٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ٢١٧) بعد عزوه لعبد الله: (فيه محمد بنّ عثمان، ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح). وأنكره الذهبي في «الميزان»: (٣/ ٦٤٢) في ترجمة محمد بن عثمان وقال: (محمد بن عثمان لا يدرى من هو، فتشت عنه في أماكن وله خبر منكر) ثم ساق الحديث.
ورواه أبو يعلى في «مسنده» من طريق سهل بن زياد: (٦/ ٣١٠) عن عبد الله بن نوفل أو عن عبد الله بن بريدة ـ شك سهل عن خديجة ـ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١٧ ـ ٢١٨): (رواه الطبراني وأبو يعلى، ورجالهما ثقات إلَّا أن عبد الله بن الحارث بن نوفل وابن بريدة لم يدركا خديجة) فهو منقطع. وانظر: «ظلال الجنة في تخريج السنة» للألباني: (١/ ٩٤ ـ ٩٥).

(٢) انظر: القرطبي: (١٧/ ٦٩).

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾

وروي عن الحسن أنه لما تلا هذه الآية قال: قالوا: يا رسول الله، الخادم كاللؤلؤ المكنون، فكيف المخدوم؟[1]

وعن قتادة ـ أيضًا ـ قال: ذكر لنا أن رجلًا قال: يا نبي الله، هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[2].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يسأل بعضهم بعضًا في الجنة، قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ خائفين من العذاب.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ قال الكلبي: عذاب النار، وقال الحسن: «السَّموم» اسم من أسماء جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نخلص له العبادة ﴿إِنَّهُۥ﴾ قرأ أهل المدينة والكسائي[3] «أنه» بفتح الألف، أي: لأنه أو بأنه، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف ﴿هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ قال ابن عباس: اللطيف، وقال الضحاك: الصادق فيما وعد ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد بالقرآن أهل مكة ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ برحمته وعصمته ﴿بِكَاهِنٍ﴾ تبتدع القول، وتخبر بما في غد من غير وحي ﴿وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ نزلت في الذين اقتسموا عِقَابَ مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون، يعني: هؤلاء المقتسمين الخراصين ﴿شَاعِرٌ﴾ أي: هو شاعر ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك مَنْ قبله من الشعراء، ويتفرق أصحابه وإن أباه مات شابًا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، و«المنون» يكون بمعنى الدهر، ويكون بمعنى الموت، سُمِّيَا بذلك؛ لأنهما يقطعان الأجل.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٧/ ٦٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٤٨)، والطبري: (٢٧/ ٢٩)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٣٤) عزوه لابن المنذر.

(٣) ساقط من «ب».

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢
أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۝٣٤ أَمْ خُلِقُوا
مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ
عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ انتظروا بي الموت ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ (من المنتظرين)[1] حتى يأتي أمر الله فيكم، فعُذِّبوا يوم بدر بالسيف.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَا﴾ وذلك أن عظماء قريش كانوا يُوصَفُون بالأحلام والعقول، فأزرَى الله بعقولهم حين لم تتميز لهم معرفة الحق من الباطل ﴿أَمْ هُمْ﴾ بل هم ﴿قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي: يخلق القرآن من تلقاء نفسه، «والتَّقَوُّل»: تكلُّف القول، ولا يستعمل إلَّا في الكذب، ليس الأمر كما زعموا ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾ بالقرآن استكبارًا، ثم ألزمهم الحجة فقال:

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: مثل القرآن ونظمه وحسن بيانه ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۝٣٤﴾ أنَّ محمدًا يقوله من قِبَل نفسه.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس: من غير ربٍّ، ومعناه: أخلقوا من غير شيءٍ خَلَقَهم، فوُجِدُوا بلا خالق؟ وذلك مما لا يجوز أن يكون؛ لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥﴾ لأنفسهم؟ وذلك في البطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟

فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا فليُؤمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي.

وقال الزَّجَّاج: معناه: أَخُلِقُوا باطلًا لا يحاسبون ولا يُؤمرون؟ وقال ابن كيسان: أَخُلِقوا عبثًا وتُركوا سُدًى لا يُؤمرون ولا ينهون، فهو كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي: لغير شيء، أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمرٌ؟

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ قال عكرمة: يعني: النبوة، قال مقاتل: أَبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ قال الكلبي: خزائن المطر والرزق ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ المسلطون الجبارون، قال عطاء: أرباب قاهرون، فلا يكونوا تحت أمرٍ ولا نهي، يفعلون ما شاؤوا، ويجوز بالسين والصاد جميعًا،

---

(١) ساقط من «أ».

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۝٣٩ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۝٤٢ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٣﴾

وقرأ ابن عامر بالسين هاهنا وقوله: «بمسيطر»، وقرأ حمزة بإشمام الزاي فيهما، وقرأ ابن كثير هاهنا بالسين و«بمصيطر» بالصاد، وقرأ الآخرون بالصاد فيهما.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مرقًى ومصعد إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: يستمعون عليه الوحي، كقوله: «وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ»[طه: ٧١]، أي: عليها، معناه: ألهم سُلَّم يرتقون به إلى السماء، فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي، فهم مستمسكون به كذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ إن ادعوا ذلك ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ حجّة بيّنة.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۝٣٩﴾ هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون، كقوله: «فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ»[الصافات: ١٤٩].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ جُعْلًا على ما جئتهم به ودعوتهم إليه من الدين ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠﴾ أثقلهم ذلك المغرم الذي تسألهم، فمنعهم من ذلك عن الإسلام.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: علم ما غاب عنهم، حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل.

وقال قتادة: هذا جواب لقولهم: «نتربص به ريب المنون»، يقول: أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمدًا ﷺ يموت قبلهم؟ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١﴾ أي: يحكمون، والكتاب: الحكم، قال النبي ﷺ للرجلين اللذين تخاصما إليه: «أقضي بينكما بكتاب الله»(١)، أي: بحكم الله.

وقال ابن عباس: معناه: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ مكرًا بك ليهلكوك؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۝٤٢﴾ أي: هم المجزيون بكيدهم، يريد: أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحيق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا ببدر.

١/١٤٢ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يرزقهم وينصرهم؟ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٣﴾ قال الخليل: ما في هذه السورة من ذكر «أم» كلّه استفهام وليس بعطف.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود: (٥/ ٣٠١)، ومسلم في الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا برقم ١٦٩٧ ـ ١٦٩٨: (٣/ ١٣٢٤ ـ ١٣٢٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٠/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا﴾ قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ هذا جواب لقولهم: «فأسقط علينا كِسَفًا من السماء»، يقول: لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ﴿يَقُولُواْ﴾ ـ لمعاندتهم ـ: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ بعضه على بعض يسقينا.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ﴾ يُعاينوا ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: يموتون، حتى يعاينوا الموت، قرأ ابن عامر وعاصم «يُصعقون» بضم الياء، أي: يُهْلكون.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: لا ينفعهم كيدهم يوم الموت، ولا يمنعهم من العذاب مانع.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا[1] ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: عذابًا في الدنيا قبل عذاب الآخرة، قال ابن عباس: يعني: القتل يوم بدر، وقال الضحاك: هو الجوع والقحط سبع سنين، وقال البراء بن عازب: عذاب القبر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أن العذاب نازل بهم.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منَّا، قال ابن عباس: نرى ما يُعْمَلُ بك، وقال الزَّجّاج: إنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ قال سعيد بن جبير وعطاء: أي: قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيرًا ازددت فيه إحسانًا، وإن كان غير ذلك كان كفارة له[2].

أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال، أخبرنا أبو منصور أحمد بن الفضل البُرُوْنْجِرْدِي، أخبرنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي، حدثنا أحمد بن عبد الله القرشي، حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) ذكره القرطبي: (١٧/ ٧٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير»: (٨/ ٦٠).

«من جلس مجلسًا وكثر فيه لَغَطُهُ، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلَّا كان كفارةً لما بينهما»(١).

وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: معناه: صلِّ لله حين تقوم من مقامك(٢).

وقال الضحاك والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك واسمك وتعالى جدُّك ولا إله غيرك»(٣).

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا الحسن بن عرفة ويحيى بن موسى قال: حدثنا أبو معاوية، عن حارثة بن أبي الرجال، عن عمرة، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك»(٤).

وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، حدثنا أبو داود بن سليمان الأشعث، حدثنا محمد بن نافع، حدثنا زيد بن حباب، أخبرني معاوية بن صالح، أخبرنا أزهر بن سعيد الحرازي، عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بأيِّ شيءٍ كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ فقالت: «كان إذا قام كبَّر الله عشرًا، وحمدَ الله عشرًا، وسبح الله عشرًا، وهلَّل عشرًا، واستغفر عشرًا، وقال: اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه: (٩/ ٣٩٢ـ٣٩٤)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، لا نعرفه من حديث سهيل إلَّا من هذا الوجه)، وصححه ابن حبان برقم٢٣٦٦: ص٥٨٨، والحاكم: (١/ ٥٣٦ـ٥٣٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ١٣٤). قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٢٦٤): (وأخرجه الحاكم في «مستدركه»، وقال: إسناده على شرط مسلم إلَّا أن البخاري علله، قلت: علله الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم، ونسبوا فيه الى ابن جريج.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: برقم٦١٩٢، وفي تعليقه على «المشكاة»: برقم٢٤٣٣.

(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٥٣)، «زاد المسير»: (٨/ ٦٠)، وكلها: «حين تقوم من منامك».

(٣) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٣٨). وذكره ابن كثير: (٤/ ٢٤٦)، أبو حيان في «البحر المحيط»: (٨/ ١٥٣)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٣٧) نسبته لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر عن الضحاك.

(٤) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة: (٢/ ٥٠ـ٥١)، وقال أبو عيسى: (هذا حديث لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وحارثة تُكُلِّم فيه من قبل حفظه)، وابن ماجه في الإقامة، باب افتتاح الصلاة برقم٨٠٦: (١/ ٢٦٥)، وأخرجه النسائي في الصلاة، باب الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة: (٢/ ١٣٢)، والإمام أحمد: (٣/ ٦٩) كلاهما عن أبي سعيد.

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب ما يُستفتح به الصلاة من الدعاء: (١/ ٣٧٣)، والنسائي في قيام الليل، باب ذكر ما يستفتح به القيام: (٣/ ٢٠٨ـ٢٠٩)، وابن ماجه في الإقامة، باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل برقم١٣٥٦: (١/ ٤٣١).

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أي: صلِّ له، قال مقاتل: يعني صلاة المغرب والعشاء ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ يعني: الركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم، أي: تغيب بضوء الصبح، هذا قول أكثر المفسرين، وقال الضحاك: هي فريضة الصبح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطُّور[(١)].

* * *

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» كتاب الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء: (١/ ٧٨)، والبخاري في الأذان، باب الجهر في المغرب: (٢/ ٢٤٧)، ومسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح برقم ٤٦٣: (١/ ٢٣٨)، وانظر فيما سبق: ص٢٣٨ مع التعليق رقم (٥).

سورة النَّجْم

مكية[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي: يعني: الثريا إذا سقطت وغابت، وهُوِيُّهُ مَغِيبه، والعرب تسمي الثريا: نجمًا.

وجاء في الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا: «ما طلع النجم قطُّ وفي الأرض من العاهة شيء إلَّا رُفع»[٢]، وأراد بالنجم: الثريا.

وقال مجاهد: هي نجوم السماء كلها حين تغرب، لفظه واحد ومعناه الجمع، سُمِّي الكوكب نجمًا لطلوعه، وكل طالع نجم، يقال: نَجَمَ السِّنُّ والقرنُ والنبتُ: إذا طلع.

وروى عكرمة عن ابن عباس: أنه الرجوم من النجوم، يعني: ما تُرمى به الشياطين عند استراقهم السمع.

وقال أبو حمزة الثمالي: هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة، وقيل: المراد بالنجم القرآن، سُمي نجمًا؛ لأنه نزل نجومًا متفرقة في عشرين سنة، وسُمِّي التفريق: تنجيمًا، والمفرَّق: منجَّمًا، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وهو قول الكلبي.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة النجم بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٦٣٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد: (٢/ ٣٤١، ٣٨٨)، بلفظ: «إذا طلع النجم ذا صباح رفعت العاهة»، ورمز السيوطي لحسنه في «الجامع الصغير»: (٥/ ٤٥٤) مع «فيض القدير»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٠٣): (رواه كله أحمد والطبراني في «الصغير»، ولفظه: «فإذا ارتفع النجم رفعت العاهة عن كل بلد» وبنحوه في «الأوسط»، وفيه عسل بن صفوان: وثقه ابن حبان وقال: يخطىء ويخالف، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح).

وأخرجه الإمام محمد بن الحسن الشيباني بسندٍ رجاله ثقات في كتاب الآثار: ص١٥٩، والطحاوي في «مشكل الآثار»: (٣/ ٩١)، وأخرجه ابن عدي في «الكامل»: (٧/ ٢٤٧٨).

وانظر: «مشكل الآثار»: (٣/ ٩٢)، «شرح مسند أبي حنيفة» لملا علي القاري: ص١٤١، «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للألباني: (١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧﴾

«الهُوِيُّ»: النزول من أعلى إلى أسفل، وقال الأخفش: «النجم» هو النبت الذي لا ساق له، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: «وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ»[الرحمن: ٦]، وهُوِيُّهُ سُقوطُه على الأرض، وقال جعفر الصادق: يعني: محمدًا ﷺ إذ نزل من السماء ليلة المعراج، و«الهوي»: النزول، يقال: هوى يهوي هويًا (إذا نزل)[1]، مثل: مضى يمضي مضيًا.

وجواب القسم: قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ما ضل عن طريق الهدى ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ أي: بالهوى، يريد: لا يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمدًا ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه.

١٤٢/ب ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما نطقه في الدين، وقيل: القرآن ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ أي: وحيٌ من الله يُوحى إليه. /

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ وهو جبريلُ، والقُوى: جمع القوة.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة في خلقه، يعني: جبريل، قال ابن عباس: ذو مرة، يعني: ذو منظر حسن، وقال مقاتل: ذو خلق طويل حسن ﴿فَاسْتَوَىٰ ۝٦﴾ يعني: جبريل.

﴿وَهُوَ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا أن يُظهِروا كناية المعطوف عليه، فيقولون[2]: استوى هو وفلان، وقلما يقولون: استوى وفلان، نظير هذا قوله: «أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ»[النمل: ٦٧] عطف الآباء على المكنى في «كنَّا» من غير إظهار نحن، ومعنى الآية: استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج ﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس، وقيل: «فاستوى» يعني: جبريل، وهو كناية عن جبريل أيضًا، أي: قام في صورته التي خلقه الله، وهو بالأفق الأعلى، وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي النبيين، فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على الصورة التي جُبل عليها فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض ومرة في السماء، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، والمراد بالأعلى: جانب المشرق، وذلك أن محمدًا ﷺ كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسدَّ الأُفق إلى المغرب، فخر رسول الله ﷺ مغشيًا عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، وهو قوله: «ثم دنا فتدلى»، وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلَّا نبيّنا محمد ﷺ[3].

---

(١) زيادة من «ب». (٢) في النسختين: (فيقول). (٣) انظر: القرطبي: (١٧/ ٨٧).

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ اختلفوا في معناه:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن ابن الأشوع، عن الشعبي، عن مسروق قال: قلت لعائشة: فأين قوله: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ»؟ قالت: «ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدَّ الأفق»[(١)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا طلق بن غنام، حدثنا زائدة، عن الشيباني قال: سألت زِرًّا عن قوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ»، قال: أخبرنا عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ أن محمدًا ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[(٢)].

فمعنى الآية: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ فنزل إلى محمد ﷺ ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ بل أدنى، وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة، قيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ثم تدلى فدنا؛ لأنَّ التدلي سبب الدنو[(٣)].

وقال آخرون: ثم دنا الربُّ عزَّ وجلَّ من محمد ﷺ فتدلى، فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ورُوينا في قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن أنس: ودنا الجبار ربُّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى[(٤)]، وهذا رواية ابن سلمة عن ابن عباس، و«التدلي»: هو النزول إلى الشيء حتى يقرب منه.

وقال مجاهد: دنا جبريل من ربِّه[(٥)].

وقال الضحاك: دنا محمد ﷺ من ربِّه فتدلى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى.

ومعنى قوله: «قاب قوسين»، أي: قدر قوسين، و«القاب» و«القيب» و«القاد» و«القيد»: عبارة عن المقدار، و«القوس»: ما يرمى به، في قول الضحاك ومجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس، فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد عليه السلام مقدار قوسين، قال مجاهد: معناه: حيث الوَتَر من القوس، وهذا إشارة إلى تأكيد القرب، وأصله: أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما، يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه.

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب «إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه»: (٦/ ٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النجم، باب ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾: (٨/ ٦١٠)، وفي بدء الخلق: (٦/ ٣١٣).

(٣) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي: (٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨)، «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٤) لمعرفة ما قاله أهل العلم في رواية شريك بن عبد الله وأوهامه في ألفاظ حديث المعراج. انظر: «فتح الباري»، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: (١٣/ ٤٧٨ ـ ٤٨٠)، ابن كثير: (٤/ ٢٥٠)، «الأسماء والصفات» للبيهقي: (٢/ ١٨٧).

(٥) انظر: «الأسماء والصفات»: (٢/ ١٨٨).

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾

وقال عبد الله بن مسعود: «قاب قوسين»، أي: قدر ذراعين، وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة، و«القوس»: الذراع يقاس بها كل شيء، «أو أدنى»: بل أقرب.

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أي: أوحى الله ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي والحسن والربيع وابن زيد: معناه: أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربُّه عزَّ وجلَّ[1].

قال سعيد بن جبير: أوحى إليه: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ»[الضحى: ٦] إلى قوله تعالى: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ»[الشرح: ٤]، وقيل: أوحى إليه: إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أُمَّتك[2].

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ قرأ أبو جعفر «ما كذَّب الفؤاد» بتشديد الذال، أي: ما كذَّب قلبُ محمدٍ ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: ما كَذَبَ فؤاد محمد ﷺ الذي رأى، بل صدقه، يقال: كَذَبَهُ، إذا قال له الكذب، مجازه: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وهو قول ابن مسعود وعائشة.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص هو ابن غياث، عن الشيباني، عن زر، عن عبد الله قال: «مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ»، قال: رأى جبريل له ستمائة جناح[3].

وقال آخرون: هو الله عزَّ وجلَّ، ثم اختلفوا في معنى الرؤية، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده، وهو قول ابن عباس.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن حجاج، حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن زياد بن الحصين، عن أبي العالية، عن ابن عباس: «مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ»، «وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ»، قال: رآه بفؤاده مرتين[4].

---

(١) انظر: الطبري: (٢٧/ ٤٧)، «الأسماء والصفات»: (٢/ ١٨٢).

(٢) ذكر القولين الحافظ ابن كثير: (٤/ ٢٥٠).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهى برقم١٧٤: (١/ ١٥٨)، والبخاري في التفسير، تفسير سورة النجم، باب ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾: (٨/ ٦١٠).

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب معنى قوله الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ برقم١٧٦: (١/ ١٥٨).

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾

١٤٣/أ وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، / وهو قول أنس والحسن وعكرمة، قالوا: رأى محمد ربَّه[1]، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلَّةِ، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدًا ﷺ بالرؤية[2].

وكانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: لم يَرَ رسول الله ﷺ ربَّه، وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق قال: قلت لعائشة: يا أُمَّاه، هلْ رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: مَن حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: «لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ»[الأنعام: ١٠٣]، «۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ»[الشورى: ٥١]، ومَنْ حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: «وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا»[لقمان: ٣٤]، ومَنْ حدثك أنه كتم شيئًا فقد كذب، ثم قرأت: «۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...»[المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين[3].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن يزيد ابن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق[4]، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نورٌ أنّى أراه»[5].

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «أَفَتَمْرُونه» بفتح التاء (وسكون الميم)[6] بلا ألف، أي: أفتجحدونه، تقول العرب: مريتَ الرجلَ حقَّه إذا جحدته، وقرأ الآخرون «أفتمارونه» بالألف وضم التاء، على معنى: أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به، فقالوا: صف لنا بيت المقدس، وأخبِرْنا عن عيرنا في الطريق، وغير ذلك مما جادلوه به، والمعنى: أفتجادلونه جدالًا ترومون به دفعه عمَّا رآه وعلمه.

---

(١) ذكر ذلك ابن كثير: (٤/ ٢٥١)، وقال: (فيه نظر، والله أعلم)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٤٧) لابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النجم: (٨/ ٦٠٦).

(٤) في «أ»: (سفيان) وهو خطأ.

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: «نور أنّى أراه»، وفي قوله: «رأيت نورًا» برقم ١٧٨: (١/ ١٦١).

(٦) زيادة من «ب».

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ يعني: رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلًا من السماء نزلة أخرى، وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ وعلى قول ابن عباس معنى: «نزلة أخرى» هو أنه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألة التخفيف من أعداد الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى ربَّه في بعضها، ورُوينا عنه: «أنه رأى ربَّه بفؤاده مرتين»[(١)]، وعنه: «أنه رأى بعينه»[(٢)]، قوله: «عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ»، رُوينا عن عبد الله بن مسعود قال: لمَّا أُسري برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، قال تعالى: «عندها جنة المأوى إذ يغشى السدة ما يغشى»، قال: فراش من ذهب[(٣)].

وروينا في حديث المعراج: «ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فسلمتُ عليه، ثم رُفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة»[(٤)].

«والسدرة»: شجر النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى؛ لأنه إليها ينتهي علم الخلق، قال هلال بن يساف[(٥)]: سأل ابنُ عباس كعبًا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها غيب لا يعلمه إلَّا الله[(٦)].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبة، حدثنا المسوحي، حدثنا عبيد بن يعيش، حدثنا يونس بن بكير، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعتُ النبي ﷺ يذكر سدرة المنتهى، قال:

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ برقم١٧٦: (١/ ١٥٨).

(٢) ساق الحافظ ابن كثير رواية الإمام أحمد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «رأيت ربي عزَّ وجلَّ»، وقال: (حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام): (٤/ ٢٥٢).
ثم قال في الصفحة التالية:
(وتقدم أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى برقم١٧٣: (١/ ١٥٧).

(٤) قطعة من حديث مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ في المعراج، أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: (٦/ ٣٠٢ـ٣٠٣)، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات برقم١٦٢: (١/ ١٤٥ـ١٤٧).

(٥) في «ب»: (يسار)، والصحيح ما أثبتناه.

(٦) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٥٠) لابن أبي شيبة.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

«يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة عام ويستظل في الفنن منها مائة ألف راكب، فيها فراش من ذهب، كأنَّ ثمرها القلال»[1].

وقال مقاتل: هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان، لو أن ورقة وضعت منها في الأرض لأضاءت لأهل الأرض، وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ قال عطاء عن ابن عباس: جنة يأوي إليها جبريل والملائكة، وقال مقاتل والكلبي: يأوي إليها أرواح الشهداء.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ قال ابن مسعود: فراش من ذهب.

ورُوينا في حديث المعراج عن أنس عن رسول الله ﷺ: «ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشَّى من أمره الله ما غشَّى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، وأوحى إلي ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة»[2].

وقال مقاتل: تغشاها الملائكة أمثال الغربان، وقال السدي: من الطيور، ورُوي عن أبي العالية عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أو غيره قال: غشيها نورُ الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله أمثال الغربان، حين يقعن على الشجرة، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سَلْ[3]، وعن الحسن قال: غشيها نورُ ربِّ العزَّة فاستنارت، ويروى في الحديث: «رأيت على كل ورقة منها ملكًا قائمًا يسبح الله تعالى»[4].

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي: ما مال بصر النبي ﷺ يمينًا ولا شمالًا وما طغى، أي: ما جاوز ما رأى، وقيل: ما جاوز ما أمر به، وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبًا.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ يعني: الآيات العظام، وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده، دليله قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء: ١]، وقيل: معناه: لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى.

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثمار الجنة: (٧/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب)، والطبري: (٢٧/ ٥٤ ـ ٥٥)، والحاكم: (٢/ ٤٦٩)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٥٠) عزوه لابن مردويه.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ . . . برقم ١٦٢: (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٥٦)، وانظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٢٥٣).

(٤) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٥٦).

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن سليمان الشيباني، سمع زر بن حبيش، عن عبد الله قال: لقد رأى من آيات ربّه الكبرى قال: رأى[1] جبريل في صورته له ستمائة جناح[2].

١٤٣/ب وأخبرنا عبد الواحد المليحي، / أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حفص بن عمرو، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، (عن عبد الله)[1]: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى»؟ قال: رأى رفرفًا أخضر سَدَّ أُفُقَ السماء[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ هذه أسماء[1] أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها، اشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا من الله: اللات، ومن العزيز: العزى، وقيل: العزى: تأنيث الأعز، أما «اللات» قال قتادة: كانت بالطائف، وابن زيد: بيت بنخلة كانت قريش تعبده[4].

وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: «اللّاتّ»: بتشديد التاء، وقالوا: كان رجلًا يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه[5].

وقال مجاهد: كان في رأس جبل له غُنيمة يسلأ منها السمن، ويأخذ منها الأقِط، ويجمع رِسْلَها[6] ثم يتخذ منها حيسًا فيطعم منه الحاج، وكان ببطن نخلة، فلما مات عبدوه، وهو اللات.

وقال الكلبي: كان رجلًا من ثقيف يقال له: صرمة بن غنم، وكان يسلأ السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فتلتُّ به أسوقتهم، فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعبدتها، فسدرة الطائف على موضع اللات.

وأمَّا «العزَّى»، قال مجاهد: هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالفأس، ويقول:

يا عزّ كفرانَك لا سبحانَك … إني رأيتُ اللهَ قد أهانَك

---

(١) ساقط من «أ».
(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى برقم ١٧٤: (١/ ١٥٨).
(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النجم، باب ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: (٨/ ٦١١).
(٤) ذكر هذين القولين الطبري: (٢٧/ ٥٨ـ٥٩).
(٥) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النجم، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾: (٨/ ٦١١)، المقطع الأول «كان اللات رجلًا يلت سويق الحاج».
(٦) الرِّسْل: اللبن.
(٧) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٥٣) لسعيد بن منصور والفاكهي.

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠﴾

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها.

ويقال: إن خالدًا رجعَ إلى النبي ﷺ فقال: قد قلعتها، فقال: «ما رأيتَ»؟ قال: ما رأيت شيئًا، فقال النبي ﷺ: «ما قلعت، فعاودها»، فعاد إليها ومعه المعول فقلعها واجتثَّ أصلها فخرجت منها امرأة عريانة، فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبدًا»(١).

وقال الضحاك: هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني، وذلك أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة، ورأى أهل مكة يطوفون بينهما، فعاد إلى بطن نخلة، وقال لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم، ولهم إله يعبدونه وليس لكم، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم كذلك، فأخذ حجرًا من الصفا وحجرًا من المروة ونقلهما إلى نخلة، فوضع الذي أخذ من الصفا، فقال: هذا الصفا، ثم وضع الذي أخذه من المروة، فقال: هذه المروة، ثم أخذ ثلاث أحجار فأسندها إلى شجرة، فقال: هذا ربكم، فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة، حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة، فأمر برفع الحجارة، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها.

وقال ابن زيد: هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف.

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ قرأ ابن كثير بالمد والهمزة، وقرأ العامة بالقصر غير مهموز؛ لأن العرب سَمَّتْ زيد مناة وعبد مناة، ولم يسمع فيها المدّ، قال قتادة: هي لخزاعة كانت بقُدَيْد، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الأنصار: كانوا يهلون لمناة، وكانت حذو قديد، قال ابن زيد: بيت كان بالمشلّل يعبده بنو كعب، قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة، وقال بعضهم: اللات والعزى ومناة: أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها(٢).

واختلف القراء في الوقف على اللات ومناة: فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء، وقال بعضهم: ما كُتب في المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء، وما كتب بالهاء فيوقف عليه بالهاء.

وأما قوله: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠﴾ فالثالثة(٣) نعت لمناة، أي: الثالثة للصنمين في الذكر، وأما الأخرى فإن العرب لا تقول الثالثة الأخرى، إنما الأخرى هاهنا نعت الثالثة، قال الخليل: فالياء لوفاق رؤوس

---

(١) عزاه صاحب «الفتح السماوي»: (٣/ ٩٠٧) لابن مردويه.

(٢) ذكر بعض هذه الأقوال: الطبري: (٢٧/ ٥٩ ـ ٦٠)، «البحر المحيط»: (٨/ ١٦١)، «زاد المسير»: (٨/ ٧٢)، ثم قال صاحب «البحر المحيط» (٨/ ١٦١) بعد أن ذكر ما قيل في مواضع هذه الأصنام: (هذا اضطراب كثير في هذه الأوثان ومواضعها، والذي يظهر أنها كانت ثلاثتها في الكعبة؛ لأن المخاطب بذلك في قوله: ﴿أفرأيتم﴾ هم قريش).

(٣) زيادة من «ب».

أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾

الآي، كقوله: «مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ»[طه: ١٨]، ولم يقل: أُخر، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة.

ومعنى الآية: «أفرأيتم»: أخبرونا يا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله، قال الكلبي: كان المشركون بمكة يقولون: الأصنام والملائكة بنات الله، وكان الرجل منهم إذا بُشِّر بالأنثى كره ذلك، فقال الله تعالى منكرًا عليهم:

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ قال ابن عباس وقتادة: أي: قسمة جائرة، حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم، قال مجاهد ومقاتل: قسمة عوجاء، وقال الحسن: غير معتدلة.

قرأ ابن كثير «ضئزى» بالهمز، وقرأ الآخرون بغير همز.

قال الكسائي: يقال منه ضاز يضيز ضيزًا، وضاز يضوز ضوزًا، وضاز يُضاز ضازًا إذا ظلم ونقص، وتقدير ضيزى من الكلام فُعلى بضم الفاء؛ لأنها صفة، والصفات لا تكون إلَّا على فُعلى بضم الفاء، نحو حُبلى وأُنثى وبُشرى، أو فَعلى بفتح الفاء، نحو غَضبى وسَكرى وعَطشى، وليس في كلام العرب فِعلى بكسر الفاء في النعوت، إنما يكون في الأسماء، مثل: ذكرى وشعرى، وكسر الضاد هاهنا؛ لئلا تنقلب الياء واوًا، وهي من بنات الياءِ كما قالوا في جمع أبيض بيض، والأصل بوض مثل: حمر وصفر، فأما من قال: ضاز يضوز فالاسم منه ضُوزى، مثل: شُورى.

﴿إِنْ هِىَ﴾ ما هذه الأصنام ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾ حجة بما تقولون: إنها آلهة، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في قولهم: إنها آلهة ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾ وما زيّن لهم الشيطان ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة، فإن العبادة لا تصلح إلَّا لله الواحد القهار.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام؟

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ ليس كما ظن الكافر وتمنّى، بل لله الآخرة والأولى، لا يملك أحدٌ فيهما شيئًا إلَّا بإذنه.

۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ
وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ
عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا
وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ
وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ
وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ممن يعبدهم هؤلاء الكفار، ويرجون شفاعتهم عند الله ﴿ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ ﴾ في الشفاعة ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: من أهل التوحيد، قال ابن عباس: يريد: لا تشفع الملائكة إلَّا لمن رضي الله عنه، وجَمَع الكناية في قوله: «شفاعتهم» والمَلَكُ واحد؛ لأن المراد من قوله: «وكم من ملك» / [تفيد] الكثرة، فهو كقوله: «فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ»[الحاقة: ٤٧]. ١٤٤/أ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي: بتسمية الأنثى حين قالوا: إنهم بنات الله.

﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ ﴾ قال مقاتل: معناه(١) ما يستيقنون أنهم (بنات الله)(٢) ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ «والحق» بمعنى العلم، أي: لا يقوم الظن مقام العلم، وقيل: «الحق» بمعنى العذاب، (أي: أظنهم لا ينقذهم من العذاب شيء)(٣).

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ يعني: القرآن، وقيل: الإيمان ﴿ وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ﴾.

ثم صغَّر رأيهم فقال: ﴿ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ ﴾ أي: ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: لم يبلغوا من العلم إلَّا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم، فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: هو عالم بالفريقين فيجازيهم.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾ فاللام في قوله: «ليجزي» متعلق بمعنى الآية الأولى؛ لأنه إذا كان أعلم بها جازى كلًّا بما يستحقه، الذين أساءوا وأشركوا: بما عملوا من الشرك ﴿ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ﴾ وحّدوا ربهم ﴿ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ﴾ بالجنة، وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: «وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ».

---

(١) ساقط من «ب».   (٢) في «ب»: (إناث).   (٣) في «ب»: (إن ظنهم لا ينقذهم من العذاب).

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾

ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللَّمم من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلَّا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة (ومجاهد والحسن)[١]، ورواية عطاء عن ابن عباس[٢].

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللَّمم ما دون الشرك[٣].

وقال السدي: قال أبو صالح: سئلت عن قول الله تعالى: «إلَّا اللَّمم»، فقلت: هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده، فذكرت ذلك لابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم[٤].

ورُوينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله: «إلَّا اللمم»، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمًّا، وأيُّ عبدٍ لك لا ألمَّا»[٥].

وأصل «اللمم والإلمام»: ما يعمله الإنسان الحينَ بعد الحينَ، ولا يكون إعادة، ولا إقامة.

وقال آخرون: هذا استثناء منقطع، مجازه: لكن اللمم، ولم يجعلوا اللَّمم من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضُهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا؟ فأنزل الله هذه الآية، وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم[٦].

وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي، ورواية طاووس عن ابن عباس[٧].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) انظر: ابن كثير: (٤/ ٢٥٧)، القرطبي: (١٧/ ١٠٧)، «زاد المسير»: (٨/ ٧٦).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٦٧)، وذكره القرطبي: (١٧/ ١٠٨).

(٤) أخرجه عبد بن حميد. انظر: ابن كثير: (٤/ ٢٥٧).

(٥) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة النجم: (٩/ ١٧٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلَّا من حديث زكريا بن إسحاق)، والطبري: (٢٧/ ٦٦)، والحاكم: (٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٥٦) أيضًا لسعيد بن منصور، والبيهقي في «الشعب»، والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. والبيت لأمية بن أبي الصلت.

(٦) ذكره الطبري: (٢٧/ ٦٤) عن ابن زيد، وذكر عن زيد بن أسلم: (٢٧/ ٦٥)، قوله: (كبائر الإثم: الشرك، والفواحش: الزنى، تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام، فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام).

وانظر: ابن كثير: (٤/ ٢٥٧)، «البحر المحيط»: (٨/ ١٦٤)، القرطبي: (١٧/ ١٠٨).

(٧) انظر: «زاد المسير»: (٨/ ٧٦).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد ابن إسماعيل، أخبرنا محمود بن غيلان، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيتُ أشبه باللَّمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه»[(١)].

ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وزاد: «العينان زناهما النظر، والأُذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها[(٢)] البطش، والرجل زناها الخطى»[(٣)].

وقال الكلبي: «اللَّمم» على وجهين: كل ذنب لم يذكر الله عليه حدًّا في الدنيا ولا عذابًا في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش[(٤)]، والوجه الآخر هو: الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه[(٥)].

وقال سعيد بن المسيَّب: هو ما لَمَّ على القلب، أي: خطر[(٦)]. وقال الحسين بن الفضل: «اللمم» النظرة من غير تعمدٍ، فهو مغفور، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب[(٧)].

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ قال ابن عباس: لمن فعل ذلك وتاب، تم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين، سُمِّي جنينًا لاجتنانه في البطن ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ قال ابن عباس: لا تمدحوها، قال الحسن: علم الله من كلِّ نفسٍ ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم، لا تبرئوها عن الآثام، ولا تمدحوها بحسن أعمالها[(٨)].

قال الكلبي ومقاتل: كان الناس يعملون أعمالًا حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٩)]: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ أي: بَرّ وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج: (١١/ ٢٦)، ومسلم في القدر، باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره برقم٢٦٥٧: (٤/ ٢٠٤٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه مسلم في القدر، باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره برقم٢٦٥٧: (٤/ ٢٠٤٧).

(٤) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٨/ ١٦٤)، وانظر: الطبري: (٢٧/ ٦٨)، «جزء تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع ومسلم بن خالد الزنجي»: ص٦١.

(٥) ذكره القرطبي: (١٧/ ١٠٨).

(٦) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٠٨)، «زاد المسير»: (٨/ ٧٦).

(٧) انظر: «زاد المسير»: (٨/ ٧٦).

(٨) ذكره القرطبي: (١٧/ ١١٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٥٨) لابن أبي شيبة.

(٩) انظر: «زاد المسير»: (٨/ ٧٧).

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتبع النبي ﷺ على دينه فعيَّره بعض المشركين وقال له: أتركت دين الأشياخ وضلَّلتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن الذي عاتبه إن هو وافقه[1] أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيَّره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ[2]: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣﴾ أدبر عن الإيمان ﴿وَأَعْطَىٰ﴾ صاحبه ﴿قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤﴾ بخل بالباقي.

وقال مقاتل: «أعطى» يعني: الوليد «قليلًا» من الخير بلسانه، ثم «أكدى»: يعني: قطعه وأمسك ولم يقم على العطية.

وقال السدي: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور[3].

١٤٤/ب وقال محمد بن كعب / القرظي: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه قال: والله ما يأمرنا محمدٌ إلَّا بمكارم الأخلاق[3]، فذلك قوله: «وأعطى قليلًا وأكدى»، أي: لم يؤمن به، ومعنى «أكدى» يعني: قطع، وأصله من الكدية، وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر، تقول العرب: أكدى الحافر وأجبل، إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥﴾ ما غاب عنه، ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ لم يخبر ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦﴾ يعني: أسفار التوراة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ في صحف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ تمَّم وأكمل ما أُمر به.

قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة: عمل بما أُمر به، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه[4].

قال مجاهد: وفَّى بما فُرِض عليه[5].

قال الربيع: وفَّى رؤياه وقام بذبح ابنه[6].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) ذكره الطبري: (٢٧/ ٧٠)، الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٦١، القرطبي: (١٧/ ١١١).

(٣) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٨/ ١٦٦)، القرطبي: (١٧/ ١١١-١١٢)، «زاد المسير»: (٨/ ٧٨).

(٤) ذكره الطبري: (٢٧/ ٧٢)، وانظر: ابن كثير: (٤/ ٢٥٨)، «البحر المحيط»: (٨/ ١٦٧)، القرطبي: (١٧/ ١١٣).

(٥) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٧٣)، وانظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٦٦٠)، «زاد المسير»: (٨/ ٨٠).

(٦) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٨/ ١٦٧).

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

وقال عطاء الخراساني: استكمل الطاعة، وقال أبو العالية: وفَّى سهام الإسلام، وهو قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[البقرة: ١٢٤]، والتوفية: الإتمام، وقال الضحاك: وفَّى ميثاق المناسك.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري، حدثنا إسحاق بن منصور، عن إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «إبراهيم الذي وفَّى صلى(١) أربع ركعات أول النهار»(٢).

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا أبو جعفر السمناني، حدثنا أبو مسهر، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء وأبي ذر، عن رسول الله ﷺ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «ابنَ آدم اركعْ لي أربعَ ركعاتٍ من أول النهار أكفِكَ آخره»(٣).

ثم بيَّن ما في صحفهما فقال:

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ أي: لا تحمل نفس حاملة حملَ أُخرى، ومعناه: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها، وفي هذا إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة بأنه يحمل عنه الإثم.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره، كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده، حتى كان إبراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك، وبلَّغهم عن الله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ أي: عمل، كقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[الليل: ٤]، وهذا أيضًا في صحف إبراهيم وموسى.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٧٣)، قال ابن كثير (٤/ ٢٥٩): (رواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٦٠) أيضًا لسعيد بن منصور وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الترمذي في الوتر، باب ما جاء في صلاة الضحى: (٢/ ٥٨٥)، قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب)، وأخرجه أبو داود في التطوع: (٢/ ٨٥) عن نعيم بن همَّار، قال المنذري: (أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء وأبي ذر، وقال: «حسن غريب» هذا آخر كلامه، وفي إسناده إسماعيل بن عياش وفيه مقال، ومن الأئمة من يصحح حديثه عن الشاميين، وهذا الحديث شامي الإسناد وحديث نُعيم بن همَّار: قد اختلف الرواة فيه اختلافًا كثيرًا، وقد جمعت طرقه في جزء مفرد). وعُلم من كلام المنذري هذا أن في نسخة الترمذي التي كانت عنده كان فيها: (هذا حديث حسن غريب). انظر: «تحفة الأحوذي»: (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦).

وأخرجه الإمام أحمد: (٥/ ٢٨٦) عن نعيم بن همار الغطفاني.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾

وقال ابن عباس: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة، بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الطور: ٢١] فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء.

وقال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى، فأما هذه الأمة فلهم ما سَعَوْا وما سعى لهم غيرُهم، لِمَا روي أن امرأة رفعت صبيًا لها فقالت: يا رسول الله، ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر»[(١)].

وقال رجل للنبي ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها، فهل لها أجر إن تصدقتُ عنها؟ قال: «نعم»[(٢)].

وقال الربيع بن أنس: «وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى»، يعني: الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سُعي له[(٣)].

وقيل: ليس للكافر من الخير إلّا ما عمل هو، فيثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير.

ويُروى أن عبد الله بن أبي كان أعطى العباس قميصًا ألبسها إيّاه، فلما مات أرسل رسول الله ﷺ قميصه ليكفنه فيه، فلم يبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها[(٤)].

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ في ميزانه يوم القيامة، مأخوذة[(٥)] من: أريته الشيء.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ الأكمل والأتم، أي: يجزى الإنسان بسعيه، يقال: جزيت فلانًا سَعْيَه وبسعيه، قال الشاعر:

إنْ أجزِ علقمةَ بنَ سعدٍ سعيَهُ ... لم أجزِهِ ببلاءِ يومٍ واحدِ

فجمع بين اللغتين.

---

(١) أخرجه مسلم في الحج، باب صحة حج الصبي وأجر من حج به برقم١٣٣٦: (٢/ ٩٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب موت الفجأة: (٣/ ٢٥٤)، ومسلم في الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه برقم١٠٠٤: (٢/ ٦٩٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ١٩٩).

(٣) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٦٨)، القرطبي: (١٧/ ١١٤).

قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٢٥٩) بعد تفسير هذه الآيات: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: (ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه: أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم -، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذلك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما).

وقارن بـ «شرح العقيدة الطحاوية»: ص٤٥٢ - ٤٥٧.

(٤) واجع فيما سبق: (٢/ ٣١٢ - ٣١٣).

(٥) ساقط من «ب».

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: منتهى الخلق ومصيرهم إليه، وهو مجازيهم بأعمالهم، وقيل: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسن بن محمد الشيباني[1]، أخبرنا محمد بن سليمان بن الفتح الحنبلي، حدثنا علي بن محمد المصري، أخبرنا أبو إسحاق بن منصور الصعدي[2]، أخبرنا العباس بن زفر، عن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: « وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ »، قال: «لا فِكْرَةَ في الربِّ»[3]، وهذا مثل ما رُوي عن أبي هريرة مرفوعًا: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق»[4]، فإنه لا تحيط به الفكرة.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار، وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

قال عطاء بن أبي مسلم: يعني: أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا قيس هو ابن الربيع الأسدي، حدثنا سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنتَ تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم، وكان أصحابه يجلسون ويتناشدون الشعر، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسَّم معهم إذا ضحكوا[5]. يعني: النبي ﷺ.

---

(١) في «ب»: (السفياني أخبرنا محمد بن سيماه بن الفتح).

(٢) في «ب»: (إسحاق بن منصور الصفدي).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٦٢)، والمتقي في «كنز العمال»: (٣/ ٣٩٦) للدارقطني في الأفراد، وذكره القرطبي: (١٧/ ١١٥).

(٤) أخرجه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» عن أبي هريرة، بإسناد ضعيف جدًا، وبنحوه عن ابن عباس أخرجه: أبو الشيخ في «العظمة»، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وأخرجه أيضًا الهروي في «الأربعين»، والأصفهاني في «الترغيب والترهيب»، وطرقه كلها ضعيفة، وحسنه الألباني فقال في «الصحيحة» (٤/ ٣٩٧): (وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي، والله أعلم).
وانظر: «كشف الخفاء»: (١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، «تمييز الطيب من الخبيث»: ص٦٨، «فيض القدير» للمناوي: (٣/ ٣٦٢)، «ضعيف الجامع الصغير»: برقم ٢٤٧٠، «دلائل التوحيد» للشيخ محمد جمال الدين القاسمي: ص٩٠.

(٥) أخرجه الترمذي في الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر: (٨/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والإمام أحمد: (٥/ ٩١).
وأخرجه مسلم في الفضائل، باب تبسمه ﷺ وحسن عشرته برقم ٢٣٢٢: (٤/ ١٨١٠) بلفظ: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كثيرًا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم ﷺ.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩﴾

وقال معمر عن قتادة: سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل[1].

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ أي: أمات في الدنيا وأحيا للبعث، وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء، وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ من كل حيوان.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾ أي: تصبُّ في الرحم، يقال: منى الرجلُ وأمنى، قاله الضحاك وعطاء بن أبي رباح، وقال آخرون: تقدر، يقال: منيتُ الشيء إذا قدرته.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧﴾ أي: الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال وأقنى، أي: أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية.

قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وأقنى بالإبل والبقر والغنم.

١/١٤٥ وقال قتادة والحسن: / «أقنى»: أخدم. وقال ابن عباس: «أغنى وأقنى»: أعطى فأرضى.

قال مجاهد ومقاتل: «أقنى»: أرضى بما أعطى وقنع.

وقال ابن زيد: «أغنى»: أكثر، «وأقنى»: أقل، وقرأ ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾[الإسراء: ٣٠]، وقال الأخفش: «أقنى»: أفقر، وقال ابن كيسان: أولد.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩﴾ وهو كوكب خلف الجوزاء، وهما شِعريان، يقال لإحداهما: العبور، وللأخرى: الغميصاء، سميت بذلك؛ لأنها أخفى من الأخرى، والمجرة بينهما، وأراد هاهنا الشعرى: العبور، وكانت خزاعة تعبدها، وأول مَن سنَّ لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له: أبو كبشة عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضًا والشعرى طولًا فهي مخالفة لها، فعبدتْها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة لخلافه إيَّاهم، كخلاف أبي كبشة في عبادة الشِّعرى[2].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٤٥١).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٦١ بعد أن ساق هذه الرواية: وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ أبو كبشة تشبيهًا له برجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة: (هذا وهم، والمعروف أنهم كانوا يقولون له: ابن أبي كبشة كما في حديث أبي سفيان الطويل في «الصحيحين»، حيث قال: لقد أمِر أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر، يعني: هرقل).

وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال، ويهمز وَاوَه قالون عن نافع، والعرب تفعل ذلك فتقول: قم لانَّ عنًّا، تريد: قم الآن، ويكون الوقف عند «عادًا» والابتداء «أولى» بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة، (ويجوز الابتداء: لولى)[1] بحذف الهمزة المفتوحة.

وقرأ الآخرون: «عادًا الأولى» وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر، فكان لهم عقب، فكانوا عادًا الأخرى.

﴿وَثَمُودَا۟﴾ وهم قوم صالح، أهلكهم الله بالصيحة ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ منهم أحد.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ لطول دعوة نوح إيَّاهم، وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قُرى قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ أسقط، أي: أهواها جبريل بعدما رفعها إلى السماء.

﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ ألبسه الله ﴿مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ يعني: الحجارة المنضود المسومة.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ نِعَمِ ربِّك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة ﴿تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ تشك وتجادل، وقال ابن عباس: تكذب.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ أي: رسول من الرسل أُرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة: يقول: أنذر محمدٌ كما أنذر الرسلُ من قبله.

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ دنت القيامة واقتربت الساعة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي: مظهرة مقيمة كقوله تعالى: «لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ»[الأعراف: ١٨٧]، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير: نفس كاشفة، ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرًا كالخافية والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي: لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره.

وقيل: معناه: ليس لها رادّ، يعني: إذا غشيت الخلقَ أهوالُها وشدائدُها لم يكشفها ولم يردّه عنهم أحد، وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك.

---

(١) في «ب»: (ويجوز ابتداء أولى).

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ﴾ يعني: استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ مما فيه من الوعيد.

﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ لاهون غافلون، و«السمود»: الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عنك سمودك، أي: لهوك، هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس[١]، وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن، وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا[٢]، وقال الضحاك: أَشِرُون بَطِرون، وقال مجاهد: غضاب مبرطمون، فقيل له: ما البرطمة؟ قال: الإعراض[٣].

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾ أي: واعبدوه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ: سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس[٤].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: أول سورة أُنزلت فيها سجدةٌ: النجم، قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد مَنْ خلفه إلَّا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا، وهو أمية بن خلف[٥].

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، أخبرنا آدم بن أبي إياس، أخبرنا ابن أبي ذئب، أخبرنا يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن عطاء ابن يسار، عن زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي ﷺ «والنجم» فلم يسجد فيها[٦].

---

(١) انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٦٦٧).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٨٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٦٧) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٨٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٦٧) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه البخاري في سجود القرآن، باب سجود المسلمين مع المشركين: (٢/ ٥٥٣)، وفي تفسير سورة «النجم»: (٨/ ٦١٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٣٠١).

(٥) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة «والنجم»، باب ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾: (٨/ ٦١٤) واللفظ له، ومسلم في المساجد، باب سجود التلاوة برقم ٥٧٦: (١/ ٤٠٥).

(٦) أخرجه البخاري في سجود التلاوة، باب من قرأ السجدة ولم يسجد: (٢/ ٥٥٤) واللفظ له، ومسلم في المساجد برقم ٥٧٧: (١/ ٤٠٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٣١٠).

قلت[١]: فهذا دليل على أن سجود التلاوة غير واجب، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إن الله لم يكتبها علينا إلَّا أن نشاء، وهو قول الشافعي وأحمد.

وذهب قوم إلى أن وجوب سجود التلاوة على القارىء والمستمع جميعًا، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

* * *

(١) في «ب»: (قال الشيخ الإمام ﷺ).

سورة القَمَر

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ دنت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، أخبرنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما(٢).

وقال شيبان عن قتادة: فأراهم انشقاق القمر مرتين(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة وسفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل / وفرقة دونه، فقال ١٤٥/ب
رسول الله ﷺ: «اشهدوا»(٤).

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة، وقال مقاتل: انشق القمر ثمَّ الْتَأَمَ بعد ذلك.

وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ)(٥)، فقالت

---

(١) أخرج النحاس وابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة «اقتربت الساعة». انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر: (٧/ ١٨٧).

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر برقم ٢٨٠٢: (٤/ ٢١٥٩).

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة القمر، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ﴾: (٨/ ٦١٧)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر برقم ٢٨٠٠: (٤/ ٢١٥٨).

(٥) في «ب»: (لما قال رسول الله ﷺ: اشهدوا).

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥﴾

قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفَّار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: اقتربتِ الساعة وانشقَّ القمر»[1].

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ أي: ذاهب وسوف يذهب ويبطل، من قولهم: مرَّ الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قرَّ واستقر، قال: هذا قول مجاهد وقتادة، وقال أبو العالية والضحاك[2]: «مستمر»، أي: قوي شديد يعلو كل سحر، من قولهم: مرَّ الحبل، إذا صَلُبَ واشتدَّ، وأمررته إذا أحكمت فَتْله، واستمر الشيء إذا قوي واستحكم.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: كذبوا النبيَّ ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عزَّ وجلَّ، واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ قال الكلبي: لكل أمر حقيقة، ما كان منه في الدنيا فسيظهر، وما كان منه في الآخرة فسيعرف، وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير، (والشر مستقر بأهل الشر). وقيل: كل أمر من خير أو شر مستقر قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين؛ حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب، وقال مقاتل: لكل حديث منتهى، وقيل: كل ما قدر كائن واقع لا محالة.

وقرأ أبو جعفر «مستقرٍّ» بكسر الراء، ولا وجه له.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ يعني: أهل مكة ﴿مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ من أخبار الأمم المكذبة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾ متناهي(٢) مصدر بمعنى الازدجار، أي: نهي وعظة، يقال: زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله: مزتجر، قُلبت التاء دالًا.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ يعني: القرآن حكمة تامّة قد بلغت الغاية ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥﴾ يجوز أن تكون «ما» نفيًا، على معنى: فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهامًا، والمعنى: فأي شيءٍ تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم؟ كقوله: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس: ١٠١]، و«النذر»: جمع نذير.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٨٥)، ابن كثير: (٤/ ٢٦٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٧٠) لابن المنذر وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في «الدلائل».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۝٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝١٠﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أعرض عنهم نسختها آية القتال[1]، قيل: هاهنا وقف تام، وقيل: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ أي: إلى يوم الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائمًا على صخرة بيت المقدس ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ۝٦﴾ منكر[1] فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظامًا، قرأ ابن كثير «نُكْر» بسكون الكاف، والآخرون بضمها.

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي «خاشعًا» على الواحد، وقرأ الآخرون «خُشَّعًا» بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: مررتُ برجال حسنٍ أوجههم، وحسنة أوجههم، وحسان أوجههم، قال الشاعر:

ورجـــالٍ حسَـــنٍ أوجُهُهُـــم ... مـن إيـادِ بـنِ نـزارِ بـنِ مَعَـد[2]

وفي قراءة عبد الله «خاشعة أبصارهم»، أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۝٧﴾ مُنبثٌ حيارى، وذَكَّر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: «كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ»[القارعة: ٤]، وأراد أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها، كالجراد لا جهة لها، تكون مختلطة بعضها في بعض.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مقبلين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ إلى صوت إسرافيل ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ يوم صعب شديد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩﴾ أي: زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد، وقالوا: «لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ»[الشعراء: ١١٦]، وقال مجاهد: معنى ازدجر، أي: استطير جنونًا.

﴿فَدَعَا﴾ نوح ﴿رَبَّهُ﴾ وقال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ مقهور ﴿فَانْتَصِرْ ۝١٠﴾ فانتقم لي منهم.

---

(١) يراجع فيما سبق: (٣/ ٣٢) تعليق (١).

(٢) البيت للحارث بن دوس الإيادي، ويروى لأبي داؤد الإيادي، وأوله: وشبابٍ ... انظر: القرطبي: (١٧/ ١٢٩).

فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾ مُنْصَبٌّ انصبابًا شديدًا، لم ينقطع أربعين يومًا، وقال يمان: قد طبق ما بين السماء والأرض.

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾ يعني: ماء السماء وماء الأرض، وإنما قال: «فالتقى الماء» والالتقاء لا يكون من واحد، إنما يكون بين اثنين فصاعدًا؛ لأن الماء يكون جمعًا وواحدًا، وقرأ عاصم الجحدري: فالتقى الماءان ﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي: قضي عليهم في أم الكتاب، وقال مقاتل: قدر الله أن يكون الماآن سواء، فكانا على ما قدر.

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ ﴾ يعني: نوحًا ﴿ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، و«دُسُر» أي: المسامير التي تشد بها الألواح، واحدها دِسَارٌ ودسيرٌ، يقال: دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير، وقال الحسن: الدُّسر صدر السفينة، سميت بذلك؛ لأنها تدسر الماء بجؤجؤها، أي: تدفع، وقال مجاهد: هي عوارض السفينة، وقيل: أضلاعها، وقال الضحاك: الألواح جانباها، والدسر أصلها وطرفاها.

﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: بمرأى منّا، وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودَّع: عين الله عليك، وقال سفيان: بأمرنا ﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ (قال مقاتل بن حيان)[1] يعني: فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابًا لمن كان كُفِر به وجُحِد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: «مَنْ» بمعنى «ما»، أي: جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لِمَا صنع[2] بنوح وأصحابه، وقرأ مجاهد: «جزاء
١٤٦/أ لمن كان كَفَر» بفتح الكاف والفاء، يعني: كان الغرق جزاء / لمن كان كفر بالله وكذب رسوله.

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ﴾ يعني: (الفعلة التي)[3] فعلنا ﴿ ءَايَةً ﴾ يُعْتَبَر بها، وقيل: أراد السفينة، قال قتادة: أبقاها الله (بباقر دي)[4] من أرض الجزيرة، عبرةً وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾، أي: متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٢) في «ب»: (منع الإيمان).
(٣) في «ب»: (الفعل الذي).
(٤) في حاشية المخطوطة: (بالجودي).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلًا سأل الأسود عن قوله: «فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ» أو مذكر؟ قال: سمعت عبد الله يقرؤها «فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ»، وقال: سمعت النبي ﷺ يقرؤها «فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ» دالًا[1].

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ أي: إنذاري، قال الفرّاء: الإنذار والنُّذر مصدران، تقول العرب: أنذرت إنذارًا ونذرًا، كقولهم أنفقت إنفاقًا ونفقة، وأيقنت إيقانًا ويقينًا، أُقيم الاسم مقام المصدر.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ سهّلنا ﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ ليتذكر ويعتبر به، وقال سعيد بن جبير: يسرناه للحفظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرًا إلّا القرآن ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ متعظ بمواعظه.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ شديدة الهبوب ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ شديد دائم الشؤم، استمر عليهم بنحو سنة فلم يُبْقِ منهم أحدًا إلّا أهلكه، قيل: كان ذلك يوم الأربعاء في آخر الشهر.

﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم، ورُوي أنها كانت تنزع الناس من قبورهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ قال ابن عباس: أصولها، وقال الضحاك: أوراك نخل ﴿مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ منقطع[2] من مكانه، ساقط على الأرض، وواحد الأعجاز عَجُز، مثل: عضد وأعضاد، وإنما قال: «أعجاز نخل» وهي أُصولها التي قطعت فروعها؛ لأن الريح كانت تبين رؤوسهم من أجسادهم، فتبقى أجسادهم بلا رؤوس.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ بالإنذار الذي جاءهم به صالح.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة القمر، باب ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: (٨/ ٦١٧).

(٢) في «ب»: (منقلع).

فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا ﴾ آدميًا ﴿ مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ ونحن جماعة كثيرة وهو واحد ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ ﴾ خطأ وذهاب عن الصواب ﴿ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ قال ابن عباس: عذاب، وقال الحسن: شدة عذاب، وقال قتادة: عناء، يقولون: إنا إذًا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته، قال سفيان بن عيينة: هو جمع سعير، وقال الفرّاء: جنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها، وقال وهب: وسُعُر، أي: بعد عن الحق.

﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ ﴾ أأنزل الذكر: الوحي ﴿ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ بطر متكبر، يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة، و«الأشر»: المرح والتجبُّر.

﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة «ستعلمون» بالتاء، على معنى: قال صالح لهم، وقرأ الآخرون بالياء، يقول الله تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا ﴾ حين ينزل بهم العذاب، وقال الكلبي: يعني: يوم القيامة، وذكر «الغد» للتقريب على عادة الناس، يقولون: إن مع اليوم غدًا ﴿ مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ ﴾ أي: باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا، وذلك أنهم تعنتوا على صالح، فسألوه أن يخرج لهم من صخرةٍ ناقةً حمراء عُشَراء، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ محنةً واختبارًا لهم ﴿ فَٱرْتَقِبْهُمْ ﴾ فانتظر ما هم صانعون ﴿ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾ واصبر على ارتقابهم، وقيل: على ما يصيبك من الأذى.

﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ﴾ وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما قال: «نبئهم»؛ لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلَّبت بني آدم على البهائم ﴿ كُلُّ شِرْبٍ ﴾ نصيب من الماء ﴿ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يومها حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، وحضر واحتضر بمعنى واحد، قال مجاهد: يعني: يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن.

﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ ﴾ وهو قدار بن سالف ﴿ فَتَعَاطَىٰ ﴾ فتناول الناقة بسيفه ﴿ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي: فعقرها.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ ﴾ ثم بيَّن عذابهم فقال:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ قال عطاء: يريد: صيحة جبريل عليه السلام ﴿ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۢ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ
أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾

الغنم فهو الهشيم[1]. وقال ابن زيد: هو الشجر البالي الذي تهشم حتى ذرّته الريح[2]، والمعنى: أنهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم، والعرب تسمي كلَّ شيءٍ كان رطبًا فيبس: هشيمًا.

وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة[3]، وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحائط[4].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحًا ترميهم بالحصباء: وهي الحصى، وقال الضحاك: يعني: صغار الحصى، وقيل: «الحصباء» هي الحجر الذي دون ملء الكف، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذابًا يحصبهم، أي: يرميهم بالحجارة، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يعني: لوطًا وابنتيه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم﴾ من العذاب ﴿بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: جعلناه نعمة منًّا عليهم حيث أنجيناهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أنعمنا على آل لوط ﴿نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ قال مقاتل: مَنْ وحَّد الله لم يعذبه مع المشركين.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذنا إيَّاهم بالعقوبة ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ شكُّوا بالإنذار، وكذبوا ولم يصدقوا.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ وذلك أنهم لما قصدُوا دَارَ لوطٍ وعالجوا الباب ليدخلوا قالت الرسل للوط[5]: خلِّ بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار / فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عميًا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب، ١٤٦/ب
فأخرجهم لوط عميًا لا يبصرون، قوله: «فطمسنا أعينهم» أي: صيرناها كسائر الوجه لا يُرى لها شق، هذا قول أكثر المفسرين، وقال الضحاك: طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا؟ فلم يروهم فرجعوا ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ أي: (ما أنذركم)[6] به لوط من العذاب.

---

(١) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٤٢). (٢) انظر: ابن كثير: (٤/ ٢٦٦).
(٣) انظر: الطبري: (٢٧/ ١٠٣)، «البحر المحيط»: (٨/ ١٨١).
(٤) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٠٣)، وقال ابن كثير (٤/ ٢٦٦): (هذا قول غريب)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٨٠) لعبد بن حميد.
(٥) ساقط من «ب». (٦) في «ب»: (ما أنذرهم).

وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ
مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ
مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ جاءهم وقت الصبح ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ دائم، استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذاب حق.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ يعني: موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ وهي الآيات التسع ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ غالب في انتقامه ﴿مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ قادر على إهلاكهم، لا يعجزه ما أراد، ثم خوَّف أهل مكة فقال:

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ أشدُّ وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي: ليسوا بأقوى منهم ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ في الكتب، أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ قال الكلبي: نحن جميع أمرنا منتصر[1] من أعدائنا، المعنى: نحن يَدٌ واحدة على من خالفنا، منتصر ممن عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي.

قال الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ قرأ يعقوب «سنهزم» بالنون، «الجمعَ» نصبٌ، وقرأ الآخرون بالياء وضمها، «الجمعُ» رفعٌ على غير تسمية الفاعل، يعني: كفار مكة ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ يعني: الأدبار، فوحّد لأجل رؤوس الآي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع، أخبر الله أنهم يولون أدبارهم منهزمين، فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ وهو في قبته يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئتَ لم تُعْبَدْ بَعْدَ اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك ـ وهو في الدرع ـ فخرج وهو يقول:

(١) في «أ»: (مستقر).

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾

«سيُهزم الجمعُ ويولون الدُّبُرَ»[١].

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ قال سعيد بن المسيِّب: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: لما نزلت: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» كنت لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم» جميعًا «والساعة أدهى وأمر»[٢]، أعظم داهية وأشدُّ مرارةً من الأسر والقتل يوم بدر.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧﴾ قيل: «في ضلال» بُعْد عن الحق، قال الضحاك: و«سُعُر»، أي: نار تسعر عليهم، وقيل: «ضلال» ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة، و«سُعُر»: نارٌ مسعَّرة، قال الحسين بن الفضل: إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة، وقال قتادة: في عناء وعذاب[٣].

ثم بيَّن عذابهم فقال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يُجرُّون ﴿فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾.

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ أي: ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن: قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له.

أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي، أخبرنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي، أخبرنا أبو معشر[٤] يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب، حدثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب، أخبرنا أحمد بن نصر النيسابوري، أخبرنا عبد الله بن الوليد العدني، أخبرنا الثوريُّ، عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن محمد بن عباد المخزومي، عن أبي هريرة قال: جاءت مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية: «إن المجرمين في ضلال وسُعُر» إلى قوله: «إن كل شيء خلقناه بقدر»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، والقميص في الحرب: (٦/ ٩٩)، وفي المغازي، وفي التفسير، والمصنف في «شرح السنة»: (١٠/ ٤٠٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق: (٢/ ٢٥٩)، والطبري: (٢٧/ ١٠٨)، والإمام أحمد: (١/ ٣٢٩)، ورواه إسحاق بن راهويه عن قتادة، وفيه انقطاع، انظر: «المطالب العالية»: (٣/ ٣٨١)، قال الحافظ ابن حجر (٧/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠): (أخرجه الطبري وابن مردويه عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت . . . قال عمر: . . . ، وأخرجه ابن مردويه أيضًا عن أبي هريرة . . .).

(٣) انظر: الطبري: (٢٧/ ١٠٩).

(٤) في «أ»: (مشعر)، والصحيح ما أثبتناه من «ب».

(٥) أخرجه مسلم في القدر، باب كل شيء بقدر برقم ٢٦٥٦: (٤/ ٢٠٤٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ١٥٠).

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي الخدشاهي أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوربذي أخبرنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو هانىء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي[(١)] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء»[(٢)].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاووس اليماني قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «كل شيء بقدر الله»، قال: وسمعت عبد الله بن عمر[(٣)] ـ رضي الله عنهما ـ يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيءٍ بقَدَرٍ حتى العَجْز والكيسِ، أو الكيسِ والعجزِ»[(٤)].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي ابن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أخبرنا يعلى بن عبيد (وعبيد الله)[(٥)] بن موسى وأبو نعيم، عن سفيان، عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلّا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث / بعد الموت، ويؤمن بالقدر ـ زاد (عبيد الله)[(٥)] خيره وشره»[(٦)]. ١٤٧/أ

ورواه أبو داود، عن شعبة، عن منصور وقال: عن ربعي، عن علي، ولم يقل: عن رجل، وهذا أصح[(٧)].

---

(١) في «أ»: (الجبلي) وهو تصحيف.

(٢) أخرجه مسلم في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم٢٦٥٣: (٤/ ٢٠٤٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ١٢٣).

(٣) في «ب»: (عمرو)، والصحيح ما أثبتناه.

(٤) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر: (٢/ ٨٩٩)، ومسلم في القدر، باب كل شيء بقدر برقم٢٦٥٥: (٤/ ٢٠٤٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ١٣٤).

(٥) في «أ»: (عبد الله)، والصحيح ما أثبتناه.

(٦) أخرجه الترمذي في القدر، باب ما جاء أن الإيمان بالقدر خيره وشره: (٦/ ٣٥٨)، وابن حبان في «موارد الظمآن» برقم٢٣: ص٣٧، والإمام أحمد: (١/ ١٣٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ١٢٢).

(٧) أخرجه أبو داود الطيالسي برقم١٠٦: (١/ ٢٢)، ومن طريقه الترمذي في القدر، باب أن ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره: (٦/ ٣٥٧)، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر برقم٨١: (١/ ٣٢)، وابن أبي عاصم: (١/ ٥٩)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة»: (٣/ ٦٢٠)، وصححه الحاكم: (١/ ٣٢) ووافقه الذهبي، والإمام أحمد: (١/ ٩٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ١٢٢)، وانظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته»: برقم٧٥٨٤.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾
وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ
وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ قوله: «واحدةٌ» يرجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا إلَّا مرة واحدة.

وقيل: معناه: وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلَّا كلمة واحدة: «كن» فيكون، لا مراجعة فيها كلمح بالبصر، قال عطاء عن ابن عباس: يريد: أن قضائي في خلقي أسرع من لمحي البصر، وقال الكلبي عنه: وما أمرنا لمجيء الساعة في السرعة إلَّا كطرف البصر.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾﴾ متعظ، يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ﴾ يعني: فعله الأشياع من خير وشر ﴿فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ في كتاب الحفظة، وقيل: في اللوح المحفوظ.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ﴾ من الخلق وأعمالهم وآجالهم ﴿مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ مكتوب، يقال: سطرت واستطرت، وكتب واكتتبت.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾﴾ أي: أنهار، ووحَّده لأجل رؤوس الآي، وأراد: أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل، وقال الضحاك: يعني: في ضياء وسعة، ومنه النهار، وقرأ الأعرج «ونُهُر» بضمتين جمع نهار، يعني: نهارًا لا ليل لهم.

﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ ملك قادر، لا يعجزه شيء، قال جعفر[1] الصادق: مدح الله المكان بالصدق، فلا يُقْعِد فيه إلَّا أهلَ الصدق.

* * *

(١) ساقط من «ب».

سورة الرَّحْمَن

مكية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾﴾ قيل: نزلت حين قالوا: وما الرحمن[٢]؟ وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: إنَّما يعلِّمه بشر.

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ قال الكلبي: علم القرآن محمدًا، وقيل: «علم القرآن» يسره للذكر.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾﴾ يعني: آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قاله ابن عباس وقتادة ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمائة ألف[٣] لغة، أفضلها العربية.

وقال الآخرون: «الإنسان» اسم جنس، وأراد به: جميع الناس، «علمه البيان» النطق والكتابة والفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له، هذا قول أبي العالية وابن زيد والحسن.

وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به.

وقال ابن كيسان: «خلق الإنسان» يعني: محمدًا ﷺ «علمه البيان» يعني: بيان ما كان وما يكون؛ لأنه كان يبين[٤] عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ قال مجاهد: كحسبان الرحى، وقال غيره: أي: يجريان بحساب ومنازل لا يعدونها، قاله ابن عباس وقتادة، وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني: بهما تحسب الأوقات والآجال، لولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئًا، وقال الضحاك: يجريان بقدر، والحسبان

---

(١) أخرج النحاس عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة الرحمن بمكة، وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: أنزل بمكة سورة الرحمن، وأخرج ابن مردويه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: نزلت سورة الرحمن بمكة.
انظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٦٨٩)، القرطبي: (١٧/ ١٥١).

(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٨٧ ـ ١٨٨).

(٣) ساقط من «أ».

(٤) زيادة من «ب».

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠
فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢﴾

يكون مصدر حسبت حسابًا وحسبانًا، مثل: الغفران والكفران، والرجحان والنقصان، وقد يكون جمع الحساب كالشهبان والركبان.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ النجم: ما ليس له ساق من النبات، والشجر: ما له ساق يبقى في الشتاء، وسجودهما سجود ظلهما، كما قال: «يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا»[النحل: ٤٨]، قال مجاهد: النجم: هو الكوكب وسجوده طلوعه.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ فوق الأرض ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧﴾ قال مجاهد: أراد بالميزان: العدل، المعنى: أنه أمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ أي: لا تجاوزوا العدل، وقال الحسن وقتادة والضحاك: أراد به: الذي يوزن به ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف، وأصل الوزن التقدير، «ألا تطغوا» يعني: لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، قال أبو الدرداء وعطاء: معناه: أقيموا لسان الميزان بالعدل، قال ابن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾ ولا تنقصوا ﴿الْمِيزَانَ ۝٩﴾ ولا تطففوا في الكيل والوزن.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ للخلق الذين بثهم فيها.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ يعني: أنواع الفواكه، قال ابن كيسان: يعني: ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١﴾ الأوعية التي يكون فيها الثمر؛ لأن ثمر النخل يكون في غلافٍ ما لم ينشق، واحدها كِمٌّ، وكل ما ستر شيئًا فهو كم وكمة، ومنه كُمُّ القميص، ويقال للقلنسوة كُمَّةٌ، قال الضحاك: «ذات الأكمام»، أي: ذات الغُلُف، وقال الحسن: أكمامها: لفيفها، (وقال ابن زيد: هو الطلع قبل أن ينشق)[1].

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ أراد بالحَبِّ: جميع الحبوب التي تحرث في الأرض، قال مجاهد: هو ورق الزرع، قال ابن كيسان: «العصف» ورق كل شيء يخرج منه الحب، يبدو أولًا ورقًا وهو العصف ثم يكون سوقًا، ثم يحدث الله فيه أكمامًا، ثم يحدث في الأكمام الحب، وقال ابن عباس في رواية الوالبي: هو التبن، وهو

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

قول الضحاك وقتادة، وقال عطية عنه: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس، نظيره: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[الفيل: ٥].

﴿وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق، وقال الحسن وابن زيد: هو ريحانكم الذي يشم، قال الضحاك: «العصف»: هو التبن، و«الريحان»: ثمرته.

وقراءة العامة و«الحبُّ ذو العصفِ والريحانُ» كلها مرفوعات بالرد على الفاكهة، وقرأ ابن عامر و«الحبَّ ذا العصف والريحانَ» بنصب الباء والنون وذا بالألف، على معنى: خلق الإنسان وخلق هذه الأشياء، وقرأ حمزة والكسائي «والريحانِ» بالجر عطفًا على العصف فذكر قوت الناس والأنعام، ثم خاطب / الجن والإنس ١٤٧/ب فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ أيها الثقلان، يريد: من هذه الأشياء المذكورة، وكرَّر هذه الآية في هذه السورة تقريرًا للنّعمة وتأكيدًا في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدِّد على الخلق آلاءه، ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيرًا فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن عريانًا فكسوتك أفتنكر هذا؟ ألم تك خاملًا؟ فعززتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار شائع في كلام العرب حسنٌ تقريرًا.

وقيل: خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب تخاطب الواحد بلفظ التثنية كقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[ق: ٢٤].

ورُوي عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قرأ علينا رسول الله ﷺ الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «ما لي أراكم سكوتًا لَلْجِنُّ كانوا[(١)] أحسن منكم ردًّا، ما قرأت عليهم هذه الآية مرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلّا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربّنا نكذِّب، فلك الحمد»[(٢)].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة الرحمن: (٩/ ١٧٧) بلفظ: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم . . .»، وقال: (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلّا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير، قال أحمد بن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يُروى عنه بالعراق، كأنه رجل آخر قلبوا اسمه، يعني: لما يروون عنه من المناكير، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقلوبة).

وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمة زهير: (٢/ ٨٤)، وقال: (تفرد به هشام بن عمار عن الوليد).

وأخرجه الحاكم: (٢/ ٤٧٣)، وقال: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

قال المباركفوري: (حديث جابر هذا رواه الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد وهو من أهل الشام، ففي الحديث ضعف، ولكن له شاهد من حديث ابن عمر أخرجه ابن جرير والبزار والدارقطني في الأفراد وغيرهم، وصحح السيوطي إسناده كما في «فتح البيان»). انظر: «تحفة الأحوذي»: (٩/ ١٧٩)، «مجمع الزوائد»: (٧/ ١١٧).

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ وهو أبو الجن، وقال الضحاك: هو إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه، قال مجاهد: وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت، من قولهم: مرج أمر القوم، إذا اختلط.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الصيف ومشرق الشتاء ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ مغرب الصيف ومغرب الشتاء ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح، أرسلهما وخلّاهما ﴿يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه، وقال قتادة: لا يطغيان على الناس بالغرق، وقال الحسن: «مرجَ البحرين» بحر الروم وبحر الهند، وأنتم الحاجز بينهما، وعن قتادة أيضًا: بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ، يعني: الجزائر، قال مجاهد والضحاك: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة «يُخرَج» بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ وإنما يخرج من المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخص أحدهما بفعل، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وكانت الرسل من الإنس دون الجن، وقال بعضهم يخرج من ماء السماء وماء البحر، قال ابن جريج: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة، واللؤلؤة: ما عظم من الدر، والمرجان: صغارها، وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا، وقيل: «المرجان» الخرز الأحمر، وقال عطاء الخراساني: هو اليسر[1] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن الكبار ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ قرأ حمزة وأبو بكر «المنشِئات» بكسر الشين، أي: المنشئات

---

(١) في «أ»: (البسد).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

للسير، (يعني: اللاتي ابتدأن وأنشأن السير)[١]، وقرأ الآخرون بفتح الشين، أي: المرفوعات، وهي التي رُفع خشبها بعضها على بعض، وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن، وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشئات، وقيل: المخلوقات المسخرات ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ كالجبال، جمع عَلَم: وهو الجبل الطويل، شبه السفن في البحر بالجبال في البر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض من حيوان فإنه هالك ﴿فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ ذو العظمة والكبرياء ﴿وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِن ملك وإنس وجن، وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السماء والأرض، قال ابن عباس: فأهل السموات يسألونه المغفرة، وأهل الأرض يسألونه الرحمة (والرزق والتوبة والمغفرة)[١]، وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتسأله الملائكةُ أيضًا لهم الرزق والمغفرة.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا[٢].

قال المفسرون: من شأنه أن يحيي ويميت، ويرزق، ويعز قومًا، ويذل قومًا، ويشفي مريضًا، ويفك عانيًا، ويفرج مكروبًا، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، ويغفر ذنبًا إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي ـ إملاءً ـ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزار، أخبرنا يحيى بن الربيع المكي، أخبرنا سفيان بن عيينة، أخبرنا أبو حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إنَّ ممَّا خلق الله عزَّ وجلَّ لوحًا من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابُه نور، ينظر الله عزَّ وجلَّ فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعزّ ويذل ويفعل الله ما يشاء، فذلك قوله: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ»[٣].

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٩٣)، «زاد المسير»: (٨/ ١١٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق: (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، والطبري: (٢٧/ ١٣٥)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٩٩) عزوه لابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ في «العظمة» وابن مردويه وأبي نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الأسماء والصفات».
وأخرجه الحاكم: (٢/ ٤٧٤)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي. وانظر: ابن كثير: (٤/ ٢٧٤).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾

قال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله يومان، أحدهما: مدة أيام الدنيا، والآخرُ: يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا: الإخبار بالأمر والنهي، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وشأن يوم القيامة: الجزاء والحساب، والثواب والعقاب[١].

وقيل: شأنه جلَّ ذكره أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر: عسكرًا من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وعسكرًا من الأرحام إلى الدنيا، وعسكرًا من الدنيا إلى القبور، ثم يرتحلون جميعًا إلى الله عزَّ وجلَّ.

قال الحسين بن الفضل: هو سَوْق المقادير إلى المواقيت[٢]، وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية: كل يوم له إلى العبيد برٌّ جديد. / ١/١٤٨

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي «سيفرغ» بالياء لقوله: «يسأله مَن في السموات والأرض»، «ويبقى وجه ربك»، «وله الجوار»، فأتبع الخبر.

وقال الآخرون بالنون، وليس المراد منه الفراغ عن شغل؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، ولكنه وعيد من الله تعالى للخلق[٣] بالمحاسبة، كقول القائل: لأتفرغنَّ لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن.

وقال آخرون: معناه: سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم، كقول القائل للذي لا شغل له: قد فرغتَ لي.

وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور، ثم قال: سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم، فنحاسبكم وننجز لكم ما وعدناكم، فيتمَّ ذلك ويفرغ منه، وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل.

﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ أي: الجن والإنس، سميا ثقلين؛ لأنهما ثقل على الأرض أحياء وأمواتًا، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[الزلزلة: ٢]، وقال بعض أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل، قال النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»[٤]، فجعلهما ثقلين؛ إعظامًا لقدرهما.

وقال جعفر بن محمد الصادق: سمي الجن والإنس ثقلين؛ لأنهما مثقلان بالذنوب ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾.

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٩٣)، القرطبي: (١٧/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٢) انظر: «زاد المسير»: (٨/ ١١٤).

(٣) في «أ»: (للمخلوق).

(٤) أخرجه الإمام أحمد: (٣/ ١٤، ١٧)، راجع: «صحيح الجامع»: برقم ٢٤٥٧.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾ أي: تجوزوا وتخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: من جوانبهما وأطرافهما ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ معناه: إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض، فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى[1]: حيثما كنتم أدرككم الموت، كما قال جلَّ ذكره: «أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ»[النساء: ٧٨]، وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتُعجِزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي: بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد: حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني، وروي عن ابن عباس قال: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلَّا بسلطان، أي: ببينة من الله عزَّ وجلَّ[2]، وقيل: قوله: «إلَّا بسلطان»، أي: إلَّا إلى سلطان، كقوله: «وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ»[يوسف: ١٠٠]، أي: إليَّ.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ وفي الخبر: يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار، ثم ينادون: «يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ ...» الآية، فذلك قوله عزَّ وجلَّ:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ قرأ ابن كثير: شِواظ بكسر الشين والآخرون بضمها، وهما لغتان: مثل: صِوار من البقر وصُوار، وهو اللهيب الذي لا دخان فيه، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو «ونحاسٍ» بجر السين عطفًا على النار، وقرأ الباقون برفعها عطفًا على الشواظ.

قال سعيد بن جبير والكلبي: «النحاس»: الدخان، وهو رواية عطاء بن ابن عباس.

ومعنى الرفع: يرسل عليكما شواظ، ويرسل نحاس، أي: يرسل هذا مرة وهذا مرة، ويجوز أن يرسلا معًا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر، ومن كسر بالعطف على النار يكون ضعيفًا؛ لأنه لا يكون شواظ من نحاس، فيجوز أن يكون تقديره: شواظ من نار وشيء من نحاس، على أنه حكي أن الشواظ لا يكون إلَّا من النار والدخان جميعًا.

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٣٧)، وذكره القرطبي: (١٧/ ١٧٠).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾

قال مجاهد وقتادة: النحاس هو الصُّفْر المذاب يصب على رؤوسهم، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وقال عبد الله بن مسعود: النحاس هو المهل.

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥﴾ أي: فلا تمتنعان من الله، ولا يكون لكم ناصر منه ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦﴾.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ﴾ انفرجت[1] ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ فصارت أبوابًا لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ٣٧﴾ أي: كلون الفرس الورد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة، قال قتادة: إنها اليوم خضراء، ويكون لها يومئذ لون آخر إلى الحمرة.

وقيل: إنها تتلون ألوانًا يومئذ كلون الفرس الورد يكون في الربيع أصفر، وفي أول الشتاء أحمر، فإذا اشتد الشتاء كان أغبر، فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه.

«كالدِّهان» جمع دهن، شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع.

وقال عطاء بن أبي رباح: «كالدهان» كعصير الزيت يتلون في الساعة ألوانًا. وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي، وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حرُّ جهنم.

وقال الكلبي: كالدهان، أي: كالأديم الأحمر، وجمعه: أدهنة ودهن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ قال الحسن وقتادة: لا يُسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم؛ لأن الله عزَّ وجلَّ علمها منهم، وكتبت الملائكة عليهم، وهي رواية العوفي عن ابن عباس[2]. وعنه ـ أيضًا ـ: لا تسأل الملائكة المجرمين؛ لأنهم يعرفونهم بسيماهم، دليله: ما بعده، وهذا قول مجاهد[3].

وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: «فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»[الحجر: ٩٢]، قال: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك، ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا؟

وعن عكرمة أنه قال: إنها مواطن، يسأل في بعضها، ولا يسأل في بعضها.

وعن ابن عباس أيضًا: لا يسألون سؤال شفقة ورحمة، وإنما يُسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) انظر: الطبري: (٢٧/ ١٤٢)، القرطبي: (١٧/ ١٧٤).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٤٣)، ابن كثير: (٤/ ٢٧٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧٠٤) لعبد بن حميد وابن جرير وآدم وابن المنذر والبيهقي في «الشعب».

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾

وقال أبو العالية: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم[1] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠﴾.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ وهو سواد الوجوه وزرقة العيون، كما قال جلَّ ذِكْرُه: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ»[آل عمران: ١٠٦] ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾ تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويُلقون في النار ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢﴾.

١٤٨/ب ثم يقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣﴾ المشركون / ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾ قد انتهى حرُّه. قال الزَّجَّاج: أَنَى يأنى فهو آن: إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم، فإذا استغاثوا من حرّ النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي صار كالمهل، وهو قوله: «وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ»[الكهف: ٢٩]، وقال كعب الأحبار: «آن» وادٍ من أودية جهنم، يجتمع فيه صديد أهل النار، فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقًا جديدًا فيلقون في النار[2]، وذلك قوله: «يطوفون بينها وبين حميم آن».

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥﴾ وكل ما ذكر الله تعالى من قوله: «كل مَن عليها فان» إلى هاهنا مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى؛ لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقوله: «فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ»، ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه فقال:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: مقامه بين يدي ربه للحساب، فترك المعصية والشهوة، وقيل: قيام ربه عليه، بيانه قوله: «أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ»[الرعد: ٣٣]، وقال إبراهيم ومجاهد: هو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله[3] ﴿جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ قال مقاتل: جنة عدن وجنة نعيم[4]، قال محمد ابن علي الترمذي: جنة لخوفه ربه، وجنة لتركه شهوته[5].

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٩٥).
(٢) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٧٥ـ١٧٦).
(٣) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٤٦)، وانظر: «الدر المنثور»: (٧/ ٧٠٦)، القرطبي: (١٧/ ١٧٦).
(٤) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٩٦).
(٥) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٧٦).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾

قال الضحاك: هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله، وما عمل من خير أفضى به إلى الله، لا يحب أن يطلع عليه أحد.

وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار(١).

أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي، أخبرنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي، حدثنا أبو بكر محمد ابن إبراهيم بن يونس، أخبرنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني، وأخبرنا محمد بن حميد الهمداني، أخبرنا هاشم بن القاسم، عن أبي عقيل هو الثقفي، عن يزيد بن سنان، سمعت بكير(٢) بن فيروز قال: سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(٣).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة مولى حويطب بن عبد العزّى، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقص على المنبر وهو يقول: «ولمن خاف مقام ربه جنتان»، قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ولمن خاف مقام ربه جنتان»، فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ الثالثة: «ولمن خاف مقام ربه جنتان»، فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء»(٤).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ ثم وصف الجنتين فقال:

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٤٧)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧٠٦) عزوه لعبد بن حميد.

(٢) في «أ»: (بكر)، والصحيح ما أثبتناه من «ب».

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب من خاف أدلج: (٧/ ١٤٦ ـ ١٤٧)، قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلّا من حديث أبي النضر). وصححه الحاكم: (٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) ووافقه الذهبي، وله شاهد عند الحاكم من حديث أُبي بن كعب، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٧١). وانظر: «الجامع الصغير وزيادته»: برقم ٦٢٢٢.

(٤) أخرجه النسائي في كتابه «التفسير»: (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥)، والإمام أحمد: (٢/ ٣٥٧)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (٢/ ٤٧٢)، والطبري: (٢٧/ ١٤٦)، وابن خزيمة في التوحيد: ص٢٢٣، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٨٦)، وعزاه ابن حجر في «المطالب العالية»: (٣/ ٣٨٢) لابن منيع. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٨): (رواه أحمد والطبراني، ولفظه: عن عروة بن الأسود أنه خرج . . . وساق الحديث، ثم قال: ورجال أحمد رجال الصحيح). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧٠٧) لابن منيع والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» والبزار وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن المنذر والطبراني وابن مردويه.
وصححه الألباني في «ظلال الجنة»: (٢/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣).

﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ۝٥٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ۝٥٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾

﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨﴾ أغصان، واحدها فَنَن، وهو الغصن المستقيم طولًا، وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي، وقال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان، قال الحسن: ذواتا ظلال، قال ابن عباس: ألوان، قال سعيد بن جبير والضحاك: ألوان الفاكهة، واحدها فَن من قولهم أفنن فلان في حديثه إذا أخذ في فنون منه وضروب، وجمع عطاء بين القولين فقال: في كل غصن فنون من الفاكهة، وقال قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩﴾.

﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ۝٥٠﴾ قال ابن عباس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة، قال الحسن: تجريان بالماء الزلال، إحداهما: التسنيم، والأخرى: السلسبيل، وقال عطية: إحداهما: من ماء غير آسن، والأخرى: من خمر لذة للشاربين ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١﴾.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ۝٥٢﴾ صنفان ونوعان، قيل: معناه: إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين: رطبًا ويابسًا، قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلَّا وهي في الجنة حتى الحنظل إلَّا أنه حلو[1] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ﴾ جمع فراش ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بطانة، وهي التي تحت الظِّهارة، وقال الزَّجَّاج: وهي مما يلي الأرض ﴿مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطائن، فما ظنكم بالظواهر[2]؟ وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق، فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله عزَّ وجلَّ: «فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ»[السجدة: ١٧] [3]، وعنه أيضًا قال: بطائنها من إستبرق فظواهرها من نورٍ جامد[4]، وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر؛ لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر[5].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧٠٩) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، ابن كثير: (٤/ ٢٧٨).

(٢) لم أجد القول منسوبًا لأبي هريرة، وإنما هو لهبيرة كما ذكر الطبري: (٢٧/ ١٤٩)، أو عن هبيرة بن مريم عن عبد الله بن مسعود كما ذكر ابن كثير: (٤/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٤٩)، وانظر: القرطبي: (١٧/ ١٧٩).

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧١٠) لأبي نعيم في «الحلية».

(٥) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٧٩).

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۢ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾﴾ الجنى: ما يجتنى من الثمار، يريد: ثمرها دانٍ قريب يناله القائم والقاعد والنائم، قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله، إن شاء قائمًا وإن شاء قاعدًا[١]، قال قتادة: لا يردُّ أيديهم عنها بُعْدٌ ولا شوك ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ غاضَّات الأعين، قصرن طرفهن على أزواجهنَّ لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم، قال ابن زيد: تقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك[٢] ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ لم يجامعهن ولم يفترعهن[٣]، وأصله من الطمث: وهو الدم، ومنه قيل للحائض: طامث، كأنه قال: لم تدمهن بالجماع ﴿إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾﴾ قال الزَّجَّاج: فيه
١/١٤٩ دليل على أن الجني يغشى كما يغشى / الإنسي، قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه[٤].

قال مقاتل في قوله: «لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ» لأنهنَّ خلقن في الجنة، فعلى قوله: هؤلاء من حور الجنة.

وقال الشعبي: هنَّ من نساء الدنيا لم يُمْسَسْنَ منذ أنشئن خَلْقًا، وهو قول الكلبي[٥]، يعني: لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان.

وقرأ طلحة بن مصرّف «لم يطمُثهن» بضم الميم فيهما.

وقرأ الكسائي إحداهما بالضم، فإن كسر الأولى ضم الثانية، وإن ضم الأولى كسر الثانية، لما روى أبو إسحاق السبيعي قال: كنت أُصلي خلف أصحاب علي ـ رضي الله عنه ـ فأسمعهم يقرؤون «لم يطمُثهن» بالرفع، وكنت أُصلي خلف أصحاب عبد الله بن مسعود فأسمعهم يقرؤون بكسر الميم، وكان الكسائي يضم إحداهما ويكسر الأخرى لئلا يخرج عن هذين الأثرين[٦].

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٩٧).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٥٠).

(٣) الافتراع: إزالة البكارة.

(٤) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٥١)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧١١) عزوه للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول».

(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧١١) لسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ في «العظمة».

(٦) «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ١١٩).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ قال قتادة: صفاء الياقوت في بياض المرجان.

ورُوينا عن أبي سعيد في صفة أهل الجنة عن رسول الله ﷺ: «لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهن دون لحمهما ودمائهما وجلدهما»[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أنا شعيب، أخبرنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكبٍ إضاءةً، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرىء منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحُسْن، يسبحون الله بُكرة وعشيًا، لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة، ورشحهم المسك»[2].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، أخبرنا هارون بن محمد بن هارون، أخبرنا حازم بن يحيى الحلواني، أخبرنا سهيل بن عثمان العسكري، أخبرنا عبيدة بن حميد، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير، ومخها، إن الله تعالى يقول: كأنهنَّ الياقوت والمرجان، فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه»[3].

وقال عمرو بن ميمون: «إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء»[4].

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة نساء أهل الجنة: (٧/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والإمام أحمد: (٣/ ١٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: (٦/ ٣١٨)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر . . . برقم٢٨٣٤: (٤/ ٢١٧٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢١١).

(٣) أخرجه هناد في «الزهد»: (١/ ٩٦)، والترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة نساء أهل الجنة: (٧/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩)، والطبري: (٢٧/ ١٥٢)، وابن حبان برقم٢٦٣٢: ص٦٥٤.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٨): (رواه الطبراني وسقط من إسناده رجلان).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧١٢) أيضًا لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة» وابن مردويه. وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

(٤) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٥٢) موقوفًا على عمرو بن ميمون، وهناد في «الزهد» مثله: (١/ ٩٧)، وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٤١٤). وانظر تعليق المحقق على كتاب «الزهد» لهناد: (١/ ٩٧ ـ ٩٨).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ أي: ما جزاء من أحسن في الدنيا إلَّا أن يحسن إليه في الآخرة، وقال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلَّا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلَّا الجنة[(١)]؟

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، أخبرنا (ابن شيبة)[(٢)]، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام، أخبرنا الحجاج بن يوسف المكتب، أخبرنا بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ «هل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان»، ثم قال: («هل تدرون ما قال ربُّكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)[(٣)]، قال: «يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلَّا الجنة»[(٤)].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ أي: من دون الجنتين الأُوليين جنتان أُخريان، قال ابن عباس: من دونهما في الدرج، وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل، وقال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين، وقال ابن جريج: هنَّ أربع: جنتان للمقربين السابقين، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّان.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، أخبرنا علي بن عبد الله، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد، عن أبي عمران، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلَّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[(٥)].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧١٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، وانظر: القرطبي: (١٧/ ١٨٢).

(٢) في «أ»: (أبو شيبة)، والصحيح ما أثبتناه من «ب».

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٨٤) في ترجمة ابن فنجويه: (وقد حدث عنه أبو إسحاق الثعلبي في التفسير، وتكلم فيه الحافظ أبو الفضل الفلكي، وقال: ما سمع من عبيد الله بن شيبة فخرج ساخطًا من همذان فتبعه الفلكي واعتذر، ورجع عن مقالته).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧١٤) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، والديلمي في «مسند الفردوس»، وابن النجار في «تاريخه».

وفيه بشر بن الحسين الأصبهاني، قال ابن حبان في «المجروحين والضعفاء» (١/ ١٩٠): (يروي عن الزبير بن عدي بنسخة موضوعة، ما لكثير حديث فيها أصل، يرويها عن الزبير عن أنس شيئًا بمائة وخمسين حديثًا مسانيد كلها، وإنما سمع الزبير من أنس حديثًا واحدًا . . .).

وانظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي: (١/ ٣١٥-٣١٦).

(٥) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الرحمن، باب ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: (٨/ ٦٢٣-٦٢٤)، ومسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى برقم ١٨٠: (١/ ١٦٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢١٦).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾

وقال الكسائي: «ومن دونهما جنتان»، أي: أمامهما وقبلهما، يدل عليه قول الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب وفضة، والأخريان من ياقوت.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما؛ لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد ريًّا ادهيمامًا فهو مدهام.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ فوارتان الماء لا تنقطعان، «والنضخ»: فوران الماء من العين، قال ابن عباس: تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة[١]، وقال ابن مسعود: تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله[٢]، وقال أنس بن مالك: تنضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر[٣].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ قال بعضهم: ليس النخل والرمان من الفاكهة، والعامة على أنها من الفاكهة، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان، وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفصيل[٤]، كما قال تعالى: «مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ»[البقرة: ٩٨].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد ابن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، وورقها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة فيها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزُّبْد ليس له عجم[٥].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ﴾ يعني: في الجنات الأربع ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ روى الحسن عن

---

(١) انظر: الطبري: (٢٧/ ١٥٧)، القرطبي: (١٧/ ١٨٥).

(٢) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٨٥).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٧١٦) لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم. وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ١٩٨)، القرطبي: (١٧/ ١٨٥).

(٤) «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ١١٩).

(٥) ذكره القرطبي: (١٧/ ١٨٦).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾

أبيه عن أم سلمة قالت: قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني عن قوله: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ قال: «خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»(١).

١٤٩/ب ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ﴾ / محبوسات مستورات في الحجال، يقال: امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج، وقال مجاهد: يعني: قصرن طرفهنَّ وأنفسهنَّ على أزواجهنَّ فلا يبغين لهم بدلًا. ورُوينا عن النبي ﷺ قال: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى أهل(٢) الأرض لأضاءت ما بين السماء والأرض، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولَنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(٣).

﴿فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ جمع خيمة، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن المثنى، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد، أخبرنا عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، عرضها ستون ميلًا، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن»(٤).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال سعيد بن جبير: «الرفرف»: رياض الجنة، «خضر»: مخصبة، ويروى ذلك عن ابن عباس، واحدتها رفرفة، وقال: الرفارف جمع الجمع، وقيل: «الرفرف»: البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي، وروى العوفي عن ابن عباس: «الرفرف»: فضول المجالس والبسط، وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرش، وقال ابن كيسان: هي المرافق، وقال ابن عيينة: الزرابي، وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف.

﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾ هي الزرابي والطنافس والثخان، وهي جَمْعٌ، واحدتها عبقرية، وقال قتادة:

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٥٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» أيضًا: (٧/ ٧٢٠) للطبراني وابن مردويه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): (رواه الطبراني، وفيه سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الجهاد، باب الحور العين وصفتهن: (٦/ ١٥).

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الرحمن، باب ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾: (٨/ ٦٢٤)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين برقم ٢٨٣٨: (٤/ ٢١٨٢).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

«العبقري»: عتاق الزرابي، وقال أبو العالية: هي الطنافس المخملة إلى الرقة ما هي، وقال القتيبي: كل ثوب موشّى عند العرب: عبقري.

وقال أبو عبيدة: هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي.

قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب: عبقريٌّ، ومنه قول النبي ﷺ في عمر - رضي الله عنه -: «فلم أر عبقريًا يفري فريه»(١).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ قرأ أهل الشام «ذو الجلال» بالواو، وكذلك هو في مصاحفهم إجراءً على الاسم.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن محمد بن علي بن محمد ابن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم، حدثنا أبو بكر الجوربذي، أخبرنا أحمد بن حرب، أخبرنا أبو معاوية الضرير، عن عاصم، عن عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت:

كان رسول الله ﷺ إذا سلَّم من الصلاة لم يقعد إلَّا مقدار ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»(٢).

* * *

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي - رضي الله عنه -: (٧/ ٤١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه برقم ٢٣٩٣: (٤/ ١٨٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته برقم ٥٩٢: (١/ ٤١٤).

سورة الواقعة

مكية[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ إذا قامت القيامة، وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة.

﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا﴾ لمجيئها ﴿كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ كذب، كقوله: «لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ»[الغاشية: ١١]، أي: لغو، يعني: أنها تقع صدقًا وحقًّا، و«الكاذبة»: اسم كالعافية والنازلة.

﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ تخفض أقوامًا إلى النار وترفع آخرين إلى الجنة، وقال عطاء عن ابن عباس: تخفض أقوامًا كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقوامًا كانوا في الدنيا مستضعفين[٢].

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾﴾ حركت وزلزلت زلزالًا، قال الكلبي: إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقًا، قال المفسرون: تُرَجُّ كما يُرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها، وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها[٣]، وأصل «الرَّج» في اللغة: التحريك، يقال: رججته فارتجَّ.

﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾﴾ (قال عطاء ومقاتل ومجاهد)[٤]: فُتَّتْ فتًّا، فصارت كالدقيق المبسوس: وهو المبلول، قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسرًا، وقال الكلبي: سُيِّرت على وجه الأرض تسييرًا، قال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: «فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا»[طه: ١٠٥]، قال ابن كيسان: جعلت كثيبًا مهيلًا بعد أن كانت شامخة طويلة.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: نزلت سورة الواقعة بمكة.
انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤) لسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ في «العظمة» عن محمد بن كعب، وكذلك عند ابن كثير: (٤/ ٢٨٣)، وعند القرطبي: (١٧/ ١٩٥).

(٣) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٩٦).

(٤) ساقط من «أ».

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ غبارًا متفرقًا كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة، وهو الهباء.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ ثم فسرها فقال:

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله تعالى لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي[(١)]، وقال الضحاك: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان[(٢)]، ثم عجَّب نبيَّه ﷺ، فقال: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨﴾ وهذا كما يقال: زيد ما زيد! يراد: زيد شديد.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾ يعني: أصحاب الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى، ومنه يسمى الشام واليمن؛ لأن اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها، وهم الذين يُؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية، وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي، وقال الضحاك: هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم، وقال الحسن: هم المشائيم على أنفسهم، وكانت أعمارهم في المعاصي[(٣)].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ قال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة، وقال عكرمة: السابقون إلى الإسلام، قال ابن سيرين: هم الذين صلُّوا إلى القبلتين[(٤)]، دليله قوله: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ»[التوبة: ١٠٠].

قال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى، وقال
١/١٥٠ مقاتل: / إلى إجابة الأنبياء بالإيمان[(٥)]، وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: إلى الصلوات الخمس، وقال الضحاك: إلى الجهاد[(٦)]، وقال سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر[(٦)]، قال الله تعالى: «سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ»[الحديد: ٢١]، «۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ»[آل عمران: ١٣٣].

---

(١) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٩٨).
(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٠٤)، القرطبي: (١٧/ ١٩٨).
(٣) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٠٤).
(٤) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٧١)، وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٠٥).
(٥) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٠٥).
(٦) انظر: القرطبي: (١٧/ ١٩٩).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ
سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ
وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾

ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[المؤمنون: ٦١]، قال ابن كيسان: والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه. وروي عن كعب قال: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة، وقيل: هم أولهم رواحًا إلى المسجد، وأولهم خروجًا في سبيل الله[(١)]، وقال القرظي: إلى كل خير.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ من الله ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي: من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ، والثلة: جماعة غير محصورة العدد.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ يعني: من هذه الأمة، قال الزجاج: الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصدقوهم، أكثر مما عاين النبي ﷺ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض، قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر، وقال الضحاك: موضونة مصفوفة.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ غلمان[(٢)] ﴿مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون، وقال الفرَّاء: (تقول العرب لمن كبر ولم يشمط: إنه مخلد)[(٣)].

قال ابن كيسان: يعني: ولدانًا لا يحولون من حالة إلى حالة.

قال سعيد بن جبير: مُقَرَّطون، يقال: «خلَّد جاريته» إذا حلَّاها بالخَلَد، وهو القُرْط[(٤)].

قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها؛ لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدَّام أهل الجنة[(٥)].

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ فالأكواب: جمع كوب، وهي الأقداح المستديرة الأفواه، لا آذان لها ولا عُرَى، والأباريق وهي: ذوات الخراطيم، سميت أباريق؛ لبريق لونها من الصفاء ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ خمر جارية

---

(١) انظر: الطبري: (٢٧/ ١٧١)، ابن كثير: (٤/ ٢٨٤).
(٢) ساقط من «أ».
(٣) «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ١٢٢)، وفيه: «والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يَشْمَط: إنه لمخلد».
(٤) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٠٥)، القرطبي: (١٧/ ٢٠٢).
(٥) انظر: القرطبي: (١٧/ ٢٠٣).

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لا تصدع رؤوسهم من شربها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: لا يسكرون، (هذا إذا قرىء بفتح الزاي، ومن كسر فمعناه: لا ينفد شرابهم)[١].

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يختارون ما يشتهون، يقال: «تخيرت الشيء» إذا أخذت خيره

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ قال ابن عباس: يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلًا بين يديه على ما اشتهى، ويقال: إنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بكسر الراء والنون، أي: وبحورٍ عين، أتبعه قولَه: «بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ»، «وَفَٰكِهَةٍ»، «وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ» في الإعراب، وإن اختلفا في المعنى؛ لأن الحور لا يطاف بهنَّ، كقول الشاعر:

إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يومًا وزجَّجن الحواجِبَ والعُيونا[٢]

والعين لا تزجج وإنما تكحل، ومثله كثير. وقيل: معناه: ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين.

وقرأ الباقون بالرفع، أي: ويطوف عليهم حورٌ عين، وقال الأخفش: رفع على معنى: لهم عين، وجاء في «تفسيره»: «حور عين» بِيض ضِخَام العيون.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي، ويُروى: أنه يسطع نور في الجنة، قالوا: وما هذا؟ قالوا: ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها.

ويُروى أن الحوراء إذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الأسورة من ساعديها، وإن عقد الياقوت ليضحك من نحرها، وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصرَّان بالتسبيح.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا﴾ أي: قولًا: ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ نصبهما اتباعًا لقوله: «قيلًا»، أي: يسمعون قيلًا: سلامًا سلامًا، قال عطاء: يحيّي بعضُهم بعضًا بالسلام، ثم ذكر أصحاب اليمين وعجَّب من شأنهم فقال جل ذكره:

---

(١) إذا قرأت «لا ينزفون» بفتح الزاي فمعناها: لا يسكرون، وهي القراءة التي قرأ بها البغوي، وإلّا فمعناها ـ بالكسر ـ: لا ينفد شرابهم.

(٢) البيت للراعي النميري. انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ١٢٣).

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ لا شوك فيه، كأنه خُضِد شوكه، أي: قُطع ونُزع منه، هذا قول ابن عباس وعكرمة[١]، وقال الحسن: لا يعقر الأيدي، قال ابن كيسان: هو الذي لا أذى فيه، قال: وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه، قال الضحاك ومجاهد: هو الموقر حملًا[٢]، قال سعيد بن جبير: ثمارها أعظم من القلال[٢]، قال أبو العالية والضحاك: نظر المسلمون إلى وَج ـ وهو واد مخصب بالطائف ـ فأعجبهم سدرها، وقالوا: يا ليت لنا مثل هذا، فأنزل الله هذه الآية[٣].

﴿وَطَلْحٍ﴾ أي: موز، واحدتها طلحة، عن أكثر المفسرين، وقال الحسن: ليس هو بالموز، ولكنه شجر له ظل بارد طيب، قال الفرّاء وأبو عبيدة: الطلح عند العرب: شجر عظام لها شوك.

وروى مجالد[٤]، عن الحسن بن سعد قال: قرأ رجل عند علي ـ رضي الله عنه ـ: «وطلح منضود»، فقال: وما شأن الطلح؟ إنما هو: طلع منضود، ثم قرأ: «طلعها هضيم»، قلت: يا أمير المؤمنين، إنها في المصحف بالحاء أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول[٥].

و«المنضود»: المتراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليست له سوق بارزة، قال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمرٌ كلُّه.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ دائم لا تنسخه الشمس، والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع: ممدود.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»[٦].

---

(١) انظر: الطبري: (٢٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، وهو قول عطاء. انظر: «جزء في تفسير عطاء»: ص ١١٠.

(٢) انظر: الطبري: (٢٧/ ١٨٠)، القرطبي: (١٧/ ٢٠٧).

(٣) ذكره القرطبي: (١٧/ ٢٠٧).

(٤) في «ب»: (مجاهد).

(٥) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٨٠ ـ ١٨١)، وابن الأنباري في المصاحف «كنز العمال»: (٢/ ٥١٩)، وعزاه ابن كثير: (٤/ ٢٨٩) لابن أبي حاتم مختصرًا. وهي رواية غير صحيحة كما نبه على ذلك الطيبي: وكيف يقرّ أمير المؤمنين ـ كرم الله وجهه ـ تحريفًا في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس؟ أو كيف يظن بأن نَقَلة القرآن الكريم ورواته وكتّابه من قبل تعمّدوا ذلك أو غفلوا عنه؟ هذا، والله تعالى قد تكفّل بحفظه، سبحانك هذا بهتان عظيم. انظر: «روح المعاني» للآلوسي: (٢٧/ ١٤١).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٤١٧)، والبخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: (٦/ ٣١٩ ـ ٣٢٠)، =

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: «وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ» قال: شجرة في الجنة على ساقٍ يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها، ويشتهي بعضهم لهو الدنيا، فيرسل الله عزَّ وجلَّ عليها ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا»(١).

١٥٠/ب ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ مصبوب يجري دائمًا في غير أخدود لا ينقطع. /

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ قال ابن عباس: لا تنقطع إذا جنيت، ولا تمتنع من أحدٍ أراد أخذها، وقال بعضُهم: لا مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلّا بالثمن، وقال القتيبي: يعني: لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا.

وجاء في الحديث: «ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلّا أبدل الله مكانها ضعفين»(٢).

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ قال علي: «وفرش مرفوعة» على الأسرة، وقال جماعة من المفسرين: بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا ابن حبيش، حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي، حدثنا أبو كريب حدثنا رِشْدِين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: «وفرش مرفوعة» قال: «إن ارتفاعها لَكَمَا بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام»(٣).

وقيل: أراد بالفرش النساء، والعرب تسمي المرأة فراشًا ولباسًا على الاستعارة، «مرفوعة» رفعهنَّ بالجمال والفضل على نساء الدنيا، دليل هذا التأويل قوله في عقبه:

= ومسلم في الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها برقم٢٨٢٦: (٤/ ٢١٧٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢٠٧).

(١) عزاه الحافظ ابن كثير: (٤/ ٢٩٠-٢٩١) لابن أبي حاتم، وقال: (هذا أثر غريب، وإسناده جيد قوي حسن).

(٢) انظر: «مجمع الزوائد»: (١٠/ ٤١٤).

(٣) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة: (٧/ ٢٤٧)، وقال: (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلّا من حديث رشدين بن سعد، وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: معناه: أن الفُرُش في الدرجات، وبين الدرجات كما بين السماء والأرض)، والإمام أحمد في «المسند»: (٣/ ٧٥)، والطبري: (٢٧/ ١٨٥)، وعزاه المنذري في «الترغيب والترهيب»: (٤/ ٥٣٠) لابن أبي الدنيا والترمذي ونقل عن الحافظ قال: (رواه ابن حبان في «صحيحه» والبيهقي وغيرهما من حديث ابن وهب أيضًا عن عمرو بن الحارث عن دراج).

وضعفه الألباني في تعليقه على «المشكاة»: (٣/ ١٥٦٧)، ورشدين ودراج فيهما ضعف.

وانظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٢٩٠).

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ خلقناهنَّ خلقًا جديدًا، قال ابن عباس: يعني: الآدميات العجز الشمط، يقول: خلقناهنَّ بعد الهرم خلقًا آخر.

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ عذارى.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، عن الهيثم ابن كليب الشاشي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا عبد بن حميد، أخبرنا مصعب بن المقدام، أخبرنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: أتت عجوزٌ النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يُدخلني الجنة، فقال: «يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز»، قال: فولَّت تبكي، قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾»[1].

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب، أخبرنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور، أخبرنا أبو بكر بن محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي ببغداد، أخبرنا خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي، حدثنا سفيان الثوري، عن يزيد بن أبان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾، قال: «عجائز، كنَّ في الدنيا عمشًا رمصًا، فجعلهنَّ أبكارًا»[2].

وقال المسيب بن شريك: هنَّ عجائز الدنيا أنشأهنَّ الله تعالى خلقًا جديدًا، كلما أتاهنَّ أزواجهنَّ وجدوهنَّ أبكارًا[3].

وذكر المسيب عن غيره: أنهنَّ فضِّلنَ على الحور العين بصلاتهنَّ في الدنيا[4].

وقال مقاتل وغيره: هنَّ الحور العين أنشأهنَّ الله، لم يقع عليهنَّ ولادة، فجعلناهنَّ أبكارًا عذارى، وليس هناك وجع.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية»: ص١٤١، مع «شرح الباجوري» وهو مرسل، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٥) لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في البعث، وقال الأرناؤوط: (فيه المبارك بن فضالة، وهو مدلس، وقد عنعن).
انظر: «شرح السنة»: (١٣/ ١٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الواقعة: (٩/ ١٨٣)، وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلَّا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى ابن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث)، والطبري: (٢٧/ ١٨٥)، وعزاه ابن كثير: (٤/ ٢٩٢) أيضًا لابن أبي حاتم.

(٣) انظر: القرطبي: (١٧/ ٢١١).

(٤) قطعة من حديث طويل ذكره ابن كثير في «التفسير» عن أم سلمة: (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، وعزاه للطبراني.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٨): (رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» بنحوه، وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف).

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾

﴿عُرُبًا﴾ قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع وأبو بكر «عُرْبًا» ساكنة الراء، الباقون بضمها، وهي جمع «عَروب»، أي: عواشق متحببات إلى أزواجهنَّ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس.

وقال عكرمة عنه: مَلِقَة، وقال عكرمة: غَنِجَة، وقال أسامة بن زيد عن أبيه: «عربًا» حسنات الكلام.

﴿أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ مستويات في السنِّ، على سنّ واحد.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبة، حدثنا الفريابي، عن علي بن أبي شيبة، أخبرنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين، على خَلق آدم طوله ستون ذراعًا في سبعة أذرع»[(١)].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله ابن المبارك، عن رشدين بن سعد، حدثني عمرو بن الحارث، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة (من لؤلؤ وزبرجد وياقوت)[(٢)] كما بين الجابية إلى صنعاء»[(٣)].

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»[(٣)].

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «مَن مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يُرَدُّونَ أبناء ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار»[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: (٢/ ٢٩٥، ٣٤٣، ٤١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: برقم٨٠٧٢، ورواه الترمذي عن معاذ بنحوه في صفة الجنة: (٧/ ٢٥٤)، وقال: (هذا حديث غريب).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة: (٧/ ٢٨٤) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث رشدين بن سعد)، ورشدين بن سعد ودراج كلاهما ضعيف.

والإمام أحمد: (٣/ ٨٦)، وابن حبان في «موارد الظمآن» برقم٢٦٣٨: ص٦٥٦، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢١٩)، وضعفه الألباني في تعليقه على «المشكاة»: برقم٥٦٤٨.

﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب»(١).

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا عبد الله ابن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن محمد بن سليم، عن الحجاج ابن عتاب العبدي، عن عبد الله بن معبد الرماني، عن أبي هريرة قال: أدنى أهل الجنة منزلة ـ وما منهم دنيء ـ لَمَن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم، مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ يريد: أنشأناهنَّ لأصحاب اليمين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩﴾ من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ من مؤمني هذه الأمة، هذا قول عطاء ومقاتل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد العدل، حدثنا عبد الله بن
عبد الرحمن الدقاق، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا/ عيسى بن المساور، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عيسى بن ١٥١/أ
موسى، عن عروة بن رويم قال: لما أنزل الله على رسوله «ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ» بكى عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال: يا نبي الله، آمنا برسول الله ﷺ وصدقناه ومَن ينجو منَّا قليل؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ»، فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال: «قد أنزل الله عزَّ وجلَّ فيما قلت»، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: رضينا عن ربِّنا وتصديق نبينا، فقال رسول الله ﷺ: «من آدم إلينا ثُلَّة، ومني إلى يوم القيامة ثلة، ولا يستتمها إلَّا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلَّا الله»(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا حصين بن نمير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: «عُرضت عليَّ الأمم فجعل يمر النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق فرجوت أن يكونوا أمتي، فقيل: هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون

---

(١) انظر: التعليق السابق.

(٢) أخرجه المصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢١٩)، قال محققه: (محمد بن سُليم هو أبو هلال الراسبي، فيه لين، وشيخه الحجاج بن عتاب لم أقف له على ترجمة).

(٣) حديث مرسل، وغالب أحاديث عروة مراسيل، وانظر: «زاد المسير»: (٨/ ١٤٣).

الجنة بغير حساب»، فتفرق الناس ولم يبين لهم، فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أمَّا نحن فولدنا في الشرك، ولكنَّا آمنَّا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكَّاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ فقال: «نعم»، فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال عليه السلام: «قد سبقك بها عكاشة»[١].

ورواه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «عُرِضتْ عليَّ الأنبياء الليلة بأتباعها حتى أتى عليَّ موسى عليه السلام في كبكبة بني إسرائيل، فلما رأيتهم أعجبوني، فقلت: أي رب هؤلاء؟ قيل: هذا أخوك موسى ومن معه من بني إسرائيل، قلت: رب فأين أمَّتي؟ قيل: انظر عن يمينك، فإذا ظراب مكة قد سُدت بوجوه الرجال، قيل: هؤلاء أمتك، أرضيت؟ قلت: رب رضيت، رب رضيت، قيل: انظر عن يسارك، فإذا الأفق قد سُدَّ بوجوه الرجال، قيل: هؤلاء أمَّتك، أرضيت؟ قلت: رب رضيت، فقيل: إنَّ مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنَّة لا حساب لهم»، فقال نبي الله ﷺ: «إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا، وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب، وإن عجزتم فكونوا من أهل الأفق، فإني قد رأيت ثمَّ أناسًا يتهاوشون كثيرًا»[٢].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في قبة فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة»؟ قلنا: نعم، قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة»؟ قلنا: نعم، قال: «والذي نفس محمدٍ بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلَّا نفس مسلمة، وما أنتم من أهل الشرك إلَّا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر[٣]»[٤].

وذهب جماعة إلى أن الثُّلَّتين جميعًا من هذه الأمة، وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك، قالوا: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من سابقي هذه الأمة، ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ من آخر هذه الأمة في آخر الزمان.

---

(١) أخرجه البخاري في الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره . . . : (١٠/ ١٥٥)، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب برقم ٢٢٠: (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد: (١/ ٤٠١)، والطبري: (٢٧/ ١٩٠)، قال الهيثمي في المجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٦): (رواه أحمد بأسانيد، والبزار أتم منه، والطبراني وأبو يعلى باختصار كثير، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح).

(٣) في «أ»: (الأبيض).

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة برقم ٢٢١: (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد الدينوري، حدثنا أحمد ابن محمد بن إسحاق السني، أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية: «ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ»، قال رسول الله ﷺ: «هما جميعًا من أمَّتي»[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ﴾ ريح حارة ﴿وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ ماء حار ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ دخان شديد السواد، تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود، وقال ابن كيسان: «اليحموم» اسم من أسماء النار.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ قال قتادة: لا بارد المنزل ولا كريم المنظر، وقال سعيد بن المسيب: ولا كريم ولا حسن، نظيره: «مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ»[الشعراء: ٧٠]، وقال مقاتل: طيب.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ منعَّمين.

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ يقيمون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ على الذنب الكبير وهو الشرك، وقال الشعبي: «ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ»: اليمين الغموس، ومعنى هذا: أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون، وكذبوا في ذلك.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي ويعقوب «أئذا» مستفهمًا، «إنَّا» بتركه، وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ قرأ أهل المدينة وعاصم وحمزة «شُرْب» بضم الشين، وقرأ الباقون بفتحها، وهما لغتان: فالفتح على المصدر،

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٩)، ورواه أبو داود الطيالسي موقوفًا، ومسدد موقوفًا ومرفوعًا عن أبي بكرة، ومدار إسناديهما على علي بن زيد ابن جدعان، وهو ضعيف، وله شاهد عند أحمد، ورواه الطبراني بإسنادين، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): (رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو ثقة سيء الحفظ). انظر: «المطالب العالية» لابن حجر: (٣/ ٣٨٣) مع حاشية المحقق.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾

والضم اسم بمعنى المصدر كالضَّعف والضُّعف، و«الهيم» الإبل العطاش، قال عكرمة وقتادة: الهيام: داء يصيب الإبل لا تَرْوَى معه، ولا تزال تشرب حتى تهلك، يقال: جمل أهيم، وناقة هيماء، والإبل هيم، وقال الضحاك وابن عيينة: «الهيم» الأرض السهلة ذات الرمل.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ يعني: ما ذكر من الزقوم والحميم، أي: رزقهم وغذاؤهم وما أعدَّ لهم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾ يوم يجازون بأعمالهم، ثم احتج عليهم في البعث بقوله:

١٥١/ب ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ قال مقاتل: خلقناكم ولم تكونوا شيئًا، وأنتم تعلمون ذلك / ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلَّا ﴿تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾ بالبعث.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ تصبون في الأرحام من النُّطف.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ يعني: أأنتم تخلقون ما تمنون بشرًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الدال، والباقون بتشديدها، وهما لغتان ﴿بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ قال مقاتل: فمنكم مَن يبلغ الهرم، ومنكم مَن يموت صبيًّا وشابًّا، وقال الضحاك: تقديره: إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء، فعلى هذا يكون معنى «قدَّرنا»: قضينا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾ بمغلوبين، عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ يعني: نأتي بخلق مثلكم بدلًا منكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ من الصور، قال مجاهد: في أي خلقٍ شئنا[(١)]، وقال الحسن: أي: نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير، كما فعلنا بمَن كان قبلكم[(٢)]، يعني: إن أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك، وقال سعيد بن المسيب: «فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ»، يعني: في حواصل طير سود، تكون بـ«برهوت» كأنها الخطاطيف، وبرهوت: وادٍ باليمن[(٣)].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الخلقة الأولى، ولم تكونوا شيئًا ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ أني قادر على إعادتكم، كما قدرت على إبدائكم.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٧/ ١٩٧)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٣) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢١١)، القرطبي: (١٧/ ٢١٧).

(٣) انظر: القرطبي: (١٧/ ٢١٧).

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يعني: تثيرون من الأرض، وتلقون فيها من البذر.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ المنبتون.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ قال عطاء: تبنًا لا قمح فيه، وقيل: هشيمًا لا ينتفع به في مطعم وغذاء ﴿فَظَلْتُمْ﴾ وأصلُه: فظللتم، حذفت إحدى اللامين تخفيفًا ﴿تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم، (وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل، وقيل: تندمون على نفقاتكم)[1]، وهو قول يمان، نظيره: «فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا»[الكهف: ٤٢]، وقال الحسن: تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة، وقال عكرمة: تتلاومون، وقال ابن كيسان: تحزنون، قال الكسائي: هو تلهف على ما فات، وهو من الأضداد، تقول العرب: «تفكهت»، أي: تنعمت، و«تفكهت»، أي: حزنت.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم «أئنا» بهمزتين، وقرأ الآخرون على الخبر، ومجاز الآية: فظلتم تفكهون وتقولون: إنا لمغرمون، وقال مجاهد وعكرمة: لمولَع بنا، وقال ابن عباس وقتادة: معذبون، والغرام العذاب، وقال الضحاك وابن كيسان: غرمنا أموالنا، وصار ما أنفقنا غرمًا علينا، والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض، وهو قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ محدودون ممنوعون، أي: حُرمنا ما كنّا نطلبه من الرّيع في الزرع.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب، واحدتها: مُزْنَة ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ قال ابن عباس: شديد الملوحة، قال الحسن: مُرًّا ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ تقدحون وتستخرجون من زَنْدكم.

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي تقدح منها النار[1]، وهي المرخ والعفار ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ (يعني: نار الدنيا)[1]، تذكرة للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل، وقال عطاء: موعظة يتعظ بها المؤمن.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا»[1].

﴿وَمَتَٰعًا﴾ بُلغة ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ المسافرين، و«المقوي»: النازل في الأرض والقِيُّ والقوا هو: القفر الخالية البعيدة من العمران، يقال: أقوت الدار إذا خلت من سكانها، والمعنى: أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم، وذلك أنهم يوقدونها ليلًا لتهرب منهم السباع، ويهتدي بها الضُّلَّال، وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: «للمقوين»، يعني: للمستمتعين بها من الناس أجمعين: المسافرين والحاضرين، يستضيئون بها في الظلمة، ويصطلون من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخبز.

قال الحسن: بُلغة للمسافرين، يتبلغون بها إلى أسفارهم، يحملونها في الخرق والجواليق.

وقال ابن زيد: للجائعين، تقول العرب: أقويت منذ كذا وكذا، أي: ما أكلت شيئًا.

قال قطرب: «المقوي» من الأضداد، يقال للفقير «مقوٍ»؛ لخلوه من المال، ويقال للغني «مقوٍ»؛ لقوّته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حالة القوة، والمعنى: أن فيها متاعًا للأغنياء والفقراء جميعًا، لا غنى لأحدٍ عنها.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ قال أكثر المفسرين: معناه: أقسم، و«لا» صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ «فَلَأُقْسِم» على التحقيق، وقيل: قوله «فلا» رد لما قاله الكفار في القرآن: إنه سحر وشعر وكهانة، معناه: ليس الأمر كما يقولون، ثم استأنف القسم فقال: «أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ»، قرأ حمزة والكسائي «بموقع» على التوحيد، وقرأ الآخرون بمواقع على الجمع، قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن، فإنه كان ينزل على رسول الله ﷺ متفرقًا نجومًا، وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها، وقال عطاء بن أبي رباح: أراد منازلها، وقال الحسن: أراد: انكدارها وانتثارها يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» كتاب جهنم، باب ما جاء في صفة جهنم: (٢/ ٩٩٤)، والبخاري في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة: (٦/ ٣٣٠)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم برقم٢٨٤٣: (٤/ ٢١٨٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢٣٩).

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ﴾ يعني: هذا الكتاب، وهو موضع القسم ﴿لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ عزيز مكرم؛ لأنه كلام الله، قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨﴾ مصون عند الله في اللوح المحفوظ، محفوظ من الشياطين.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ أي: ذلك الكتاب المكنون ﴿إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة، يُروى هذا عن أنس، وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد: أنهم الملائكة، وروى حسان عن الكلبي قال: هم السفرة الكرام البررة.

١٥٢/أ وروى محمد بن الفضل / عنه لا يقرؤه إلّا الموحِّدون، قال عكرمة: وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن.

قال الفرَّاء: لا يجد طعمه ونفعه إلّا من آمن به[1].

وقال قوم: معناه: لا يمسه إلّا المطهرون من الأحداث والجنابات، وظاهر الآية نفيٌ ومعناها نهي، قالوا: لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسُّه، وهو قول عطاء وطاووس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي.

وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسُّه.

والأول قول أكثر الفقهاء.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: أن لا يمس القرآن إلّا طاهر[2].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ١٣٠).

(٢) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في كتاب القرآن، باب الأمر بالوضوء لمن مسَّ القرآن: (١/ ١٩٩)، وقال ابن عبد البر: (لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، وقد روي مسندًا من وجه صالح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد، ورواه أبو داود في «المراسيل»: ص١٣١، من حديث الزهري قال: قرأت صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ذكر أن رسول الله ﷺ كتبها لعمرو بن حزم حين أمّره على نجران، وساق الحديث، وفيه: . . . ولا يمس القرآن إلّا طاهر، ثم قال: روي مسندًا ولا يصح).

ورواه الدارمي في الطلاق، باب لا طلاق قبل نكاح: (٢/ ٨٤).

وقال ابن كثير (٤/ ٢٩٩) بعد أن ساق مرسل أبي داود: (وهذه وجادة جيدة . . . وفي إسناد كل منهما نظر والله أعلم).

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

والمراد بالقرآن: المصحف، سماه قرآنًا على قرب الجوار والاتساع، كما رُوي أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يُسافرَ بالقرآن إلى أرض العدو»(١)، وأراد به: المصحف.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ أي: القرآن منزلٌ من عند رب العالمين، سُمِّي المنزَّل: تنزيلًا، على اتساع اللغة، كما يقال للمقدور: قَدَر، وللمخلوق: خَلْق.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنتُم﴾ يا أهل مكة ﴿مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾ قال ابن عباس: مكذبون، وقال مقاتل بن حيان: كافرون، نظيره: «﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾»[القلم: ٩]، والمدهن والمداهن: الكذَّاب والمنافق، وهو من الإدهان، وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله، ثم قيل للمكذِّب: مدهن، وإن صرح بالتكذيب والكفر.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ حظَّكم ونصيبكم من القرآن ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ قال الحسن في هذه الآية: خسر عبدٌ لا يكون حظه من كتاب الله إلَّا التكذيب به.

وقال جماعة من المفسرين: معناه: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون.

وقال الهيثم بن عدي: إن من لغة أزد شنوءة: ما رَزَق فلان، بمعنى ما شكر، وهذا في الاستسقاء بالأنواء، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا مطروا: مُطِرْنا بنَوْء كذا، ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم، أي: شكركم بما رزقتم، يعني: شكر رزقكم التكذيبَ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجهني قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو: (٦/ ١٣٣)، ومسلم في الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم برقم١٨٦٩ : (٣/ ١٤٩٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٥٢٧).

(٢) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»، كتاب الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم: (١/ ١٩٢)، ومن طريقه أخرجه البخاري في الأذان، باب ما يستقبل الإمام الناس إذا سلم: (٢/ ٣٣٣)، وفي الاستسقاء: (٢/ ٥٢٢)، وفي المغازي: (٧/ ٤٣٩)، ومسلم في الإيمان، باب كفر من قال: مُطرنا بالنوء برقم٧١: (١/ ٨٣ـ ٨٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٤١٩ـ ٤٢٠).

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

ورواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ وزاد: فنزلت هذه الآية: «﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾»، إلى قوله: «﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾»[الواقعة: ٨٢] (١).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن حجاج، حدثني محمد بن سلمة المرادي، حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، أخبرنا أبو يونس حدثه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلاَّ أصبح فريقٌ من الناس بها كافرين، ينزل الله تعالى الغيث فيقولون: مطرنا بكوكب كذا وكذا»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلاَّ ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: بلغت النفس الحلقوم عند الموت.

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ يريد: وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه متى تخرج نفسه، وقيل: معنى قوله: «تنظرون»، أي: إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئًا ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم والقدرة والرؤية، وقيل: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ الذين حضروه.

﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلَّا ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم، فأجاب عن قوله: «﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾»، وعن قوله: «﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾» بجواب واحد، ومثله قوله عزَّ وجلَّ: «﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾»[البقرة: ٣٨]، أجيبا بجواب واحد، معناه: إن كان الأمر كما تقولون ـ أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي ـ فهلَّا تردون نفس مَن يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عزَّ وجلَّ فآمنوا به، ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ وهم السابقون ﴿فَرَوْحٌ﴾ قرأ يعقوب «فرُوحٌ» بضم الراء، والباقون بفتحها، فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الروح: الرحمة، أي: له الرحمة، وقيل: معناه: فحياة وبقاء لهم.

---

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق نفسه برقم٧٣: (١/ ٨٤)، وانظر: «فتح الباري»: (٢/ ٥٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب كفر من قال: مطرنا بالنوء برقم٧٢: (١/ ٨٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٤١٨ ـ ٤١٩).

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾

ومن قرأ بالفتح، معناه: فله رَوْح وهو الراحة، وهو قول مجاهد، وقال سعيد بن جبير: فرح، وقال الضحاك: مغفرة ورحمة.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾ استراحة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: رزق، وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله، أي: رزق الله.

وقال آخرون: هو الريحان الذي يُشَمُّ، قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يُؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه[1].

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ قال أبو بكر الوراق: «الرَّوح» النجاة من النار، و«الريحان» دخول دار القرار.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المتوفى ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ أي: سلامة لك يا محمد منهم، فلا تهتم لهم، فإنهم سلموا من عذاب الله أو أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة.

١٥٢/ب قال مقاتل: / هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم.

وقال الفراء وغيره[2]: مسلّم لك أنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: مسلّم لك إنك من أصحاب اليمين، وألفيت إن[3] كالرجل يقول: إني مسافر عن قليل، فيقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: «فسلام لك»، أي: عليك من أصحاب اليمين.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢﴾ عن الهدى، وهم أصحاب المشأمة ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣﴾ فالذي يُعَدُّ لهم حميم جهنم ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ وإدخال نار عظيمة.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: ما ذكر من قصة المحتضرين ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ أي: الحق اليقين، أضافه إلى نفسه.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ قيل: فصلِّ بذكر ربك وأمْرِه، وقيل: «الباء» زائدة، أي: فسبح اسم ربك العظيم.

---

(١) أورد هذه الأقوال الطبري: (٢٧/ ٢١١ ـ ٢١٢)، ثم قال مرجحًا: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عنى بالرَّوْح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت روحًا: إذا وجد نسيمًا يستروح إليه من كرب الحر، وأما الريحان: فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن ومَن قال في ذلك نحو قولهما؛ لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه).

(٢) «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ١٣١) بتصرف.

(٣) هكذا في «الأصل»، والصواب كما في «معاني القرآن» والطبري: (وأُلقيت أن ونُوي معناها كالرجل . . .).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، أخبرنا ابن أبي شيبة، حدثنا حمزة بن محمد الكاتب، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب الغافقي، عن عمه وهو إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»[1].

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود قال: أخبرنا شعبة، عن الأعمش قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن المُسْتَوْرِد، عن صِلَةَ بن زُفَر، عن حذيفة: «أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، وما أتى على آية رحمة إلّا وقف وسأل، وما أتى على آية عذاب إلّا وقف وتعوذ»[2].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا محمد بن فضيل، أخبرنا عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[3].

أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسن الجُلْفري، حدثني أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي بدمشق، حدثنا علي بن الحسين البزاز وأحمد بن سليمان بن حَذلَم وابن راشد قالوا: أخبرنا بكار بن قتيبة، حدثنا روح ابن عبادة، حدثنا حجاج الصواف، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الإقامة، باب التسبيح في الركوع والسجود برقم٨٨٧: (١/ ٢٨٧)، والدارمي في الصلاة، باب ما يقال في الركوع: (١/ ٢٩٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»: (١/ ٢٣٥)، والبيهقي في «السنن»: (٢/ ٨٦)، وصححه ابن حبان: ص١٣٥ ـ ١٣٦، والحاكم: (١/ ٢٢٥) و(٢/ ٤٧٧) ووافقه الذهبي، والإمام أحمد في «المسند»: (٤/ ١٥٥)، والطيالسي في «مسنده»: ص١٣٥.
وأخرجه بنحوه أبو داود في الصلاة، باب ما يقول في ركوعه وسجوده: (١/ ٤١٨)، وزاد فيه: فكان رسول الله ﷺ إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثًا . . . وقال: (وهذه الزيادة نخاف ألا تكون محفوظة). وانظر: «نصب الراية»: (١/ ٣٧٦)، «تلخيص الحبير»: (٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، «تنقيح التحقيق» لابن الجوزي: (٢/ ٨٨٠)، «إرواء الغليل»: (٢/ ٤٠ ـ ٤١).

(٢) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود: (٢/ ١٢١)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأخرجه مسلم مطولًا في صلاة المسافرين وقصرها برقم٧٧٢: (١/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ١٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم: (١١/ ٥٦٦)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم٢٦٩٤: (٤/ ٢٠٧٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٤٢).

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب فضل سبحان الله: (٩/ ٤٣٣)، وقال: (هذا حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه إلّا من حديث أبي=

أخبرنا عبد الواحد المليحي، قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني السري بن يحيى أن شجاعًا حدثه عن أبي طيبة، عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا»[1]، وكان أبو طيبة لا يدعها أبدًا.

* * *

= الزبير عن جابر)، وصححه ابن حبان في «موارد الظمآن» برقم٢٣٣٥: ص٥٨٠، والحاكم: (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) ووافقه الذهبي، ورواه البزار عن عبد الله بن عمرو بإسناد جيد.
انظر: «مجمع الزوائد»: (١/ ٩٤).

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة، وقال البوصيري: (رواه الحارث عن العباس بن الفضل وهو ضعيف، ورواه أبو يعلى بسند رواته ثقات).
انظر: «المطالب العالية»: (٣/ ٣٨٣) مع حاشية المحقق.
وقال في «الكافي الشاف» ص١٦٣: (ثم اختلفوا في ضبط أبي ظبية فعند الدارقطني بالطاء المهملة بعدها تحتانية، ثم موحدة وأنه عيسى بن سليمان الجرجاني وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة، ويؤيده أن الثعلبي أخرجه من طريق أبي بكر العطاردي عن السري عن شجاع عن أبي ظبية الجرجاني، وعند البيهقي أنه بالمعجمة بعدها موحدة ثم تحتانية، وأنه مجهول، وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع لا أعرفه).

سورة الحَدِيد

مدنية، وآياتها تسع وعشرون[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ يعني: هو «الأول» قبل كلِّ شيءٍ بلا ابتداء، كان هو ولم يكن شيء موجودًا، و«الآخر» بعد فناء كلِّ شيءٍ بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى هو، و«الظاهر» الغالب العالي على كلِّ شيءٍ، و«الباطن» العالم بكل شيءٍ، هذا معنى قول ابن عباس.

وقال يمان: هو «الأول» القديم، و«الآخر» الرحيم، و«الظاهر» الحليم، و«الباطن» العليم.

وقال السدي: هو الأول ببره إذْ عرَّفك توحيده، والآخر بجوده إذْ عرَّفك التوبة على ما جنيت، والظاهر بتوفيقه إذْ وفقك للسجود له، والباطن بستره إذْ عصيته فستر عليك.

وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب.

وسأل عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ كعبًا عن هذه الآية فقال: معناها: إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغفار بن محمد، أخبرنا محمد ابن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة الحديد بالمدينة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٥).

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٥) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٦) ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨)﴾

ثم يقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحبِّ والنَّوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شرِّ كلِّ ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر»، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ[1].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٥) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٦)﴾.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يخاطب كفار مكة ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ مملَّكين فيه، يعني: المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشًا، فكانوا في ذلك المال خلفاء عمن مضوا ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو «أُخِذ» بضم الهمزة وكسر الخاء، «ميثاقُكم» برفع القاف على ما لم يسمَّ فاعله، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والخاء والقاف، أي: أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه، قاله مجاهد.

١/١٥٣ وقيل: أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج / والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨)﴾ يومًا، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن.

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم ٢٧١٣: (٤/ ٢٠٨٤).

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝١٠﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ (يعني: القرآن)[1] ﴿لِّيُخۡرِجَكُم﴾ الله بالقرآن ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور، أي: من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩﴾.

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يقول: أي شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم، ثم بيَّن فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾ يعني: فتح مكة، في قول أكثر المفسرين، وقال الشعبي: هو صلح الحديبية ﴿وَقَٰتَلَۚ﴾ يقول: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ وروى محمد بن فضيل عن الكلبي أن هذه الآية نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فإنه أوَّل من أسلم، وأوَّل من أنفق مالَه في سبيل الله[2]، وقال عبد الله بن مسعود: أوَّل من أظهر إسلامه بسيفه: النبيُّ ﷺ وأبو بكر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله ابن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، حدثنا سفيان بن سعيد، عن آدم بن علي، عن ابن عمر قال: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، وعليه عباءة قد خلَّها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله عليَّ قبل الفتح»، قال: فإن الله عزَّ وجلَّ يقول: اقرأ عليه السلام، وقل له: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، إن الله عزَّ وجلَّ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أراضٍ أنت في فقرك هذا أم ساخط»؟ فقال أبو بكر: أأسخط على ربي؟ إني عن ربي راضٍ، إني عن ربي راضٍ[3].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) انظر: الطبري: (٢٧/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، «البحر المحيط»: (٨/ ٢١٩).

(٣) أورده ابن كثير: (٤/ ٣٠٨) عن البغوي، وقال: (هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه، والله أعلم)، فيه العلاء بن عمرو، قال ابن=

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: كِلا الفريقين وعدهم الله الجنة، قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها، وقرأ ابن عامر «وكلٌّ» بالرفع ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ يعني: على الصراط ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ يعني: عن أيمانهم، قال بعضهم: أراد: جميع جوانبهم، فعبَّر بالبعض عن الكل، وذلك دليلهم إلى الجنة. وقال قتادة: ذُكر لنا أن النبي ﷺ قال: «إن من المؤمنين من يضيء نورُه من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك، حتى أن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه»[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورًا مَنْ نوره أعلى إبهامه فيطفأ مرة ويَقِدُ مرة[(٢)].

وقال الضحاك ومقاتل: «يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم»: كتبهم، يريد: أن كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم[(٣)]، وتقول لهم الملائكة: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ قرأ الأعمش وحمزة «أَنْظِرونا» بفتح الهمزة وكسر الظاء، يعني: أمهلونا، وقيل: انتظرونا، وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمها في الابتداء

= حبان في «كتاب المجروحين والضعفاء» (٢/ ١٨٥): (يروي عن أبي إسحاق الفزاري العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال)، وساق له هذا الحديث. وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ١٠٣): (متروك)، وساق له هذا الحديث من طريق ابن خزيمة، ثم قال: (وهو كذب).

(١) أخرجه عبد الرزاق: (٢/ ٢٧٥)، والطبري: (٢٧/ ٢٢٢)، وعزاه السيوطي في «الدر»: (٨/ ٥٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر. وانظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين»: (٤/ ١٥٤٥).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٢٢٣)، وصححه الحاكم: (٢/ ٤٧٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٢) أيضًا لابن أبي شيبة، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. قال العراقي: (رواه الطبراني والحاكم . . . ، وقال الزبيدي: وكذا أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه). انظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين»: (٤/ ١٥٤٥).

(٣) انظر: الطبري: (٢٧/ ٢٢٣).

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾

وضم الظاء، تقول العرب: انْظُرْني وأَنْظِرْني، يعني: انتظرني ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نورًا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضًا نورًا خديعةً لهم، وهو قوله عزَّ وجلَّ: «وَهُوَ خَادِعُهُمْ»[النساء: ١٤٢]، فبينا هم يمشون إذ بعث الله عليهم ريحًا وظلمة فأطفأت نور المنافقين، فذلك قوله: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا»[التحريم: ٨]، مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين.

وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين، ولا يعطون النور، فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم[١] ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يقول لهم المؤمنون[٢]، وقال قتادة: تقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم من حيث جئتم[٣] ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فاطلبوا هناك لأنفسكم نورًا فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئًا فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين، وهو قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ أي: سور، و«الباء» صلة، يعني: بين المؤمنين والمنافقين، وهو حائط بين الجنة والنار ﴿لَّهُ﴾ أي: لذلك السور ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ أي: خارج ذلك السور ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ أي: من قِبَل ذلك الظاهر ﴿الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ وهو النار.

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ رُوي عن عبد الله بن عمرو قال: إن السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن: «فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ»: هو سور بيت المقدس الشرقي، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب: وادي جهنم[٤].

وقال شريح: كان كعب يقول في الباب الذي يسمى «باب الرحمة» في بيت المقدس: إنه الباب الذي قال الله عزَّ وجلَّ: «فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ...» الآية[٥]، «يُنَادُونَهُمْ»، يعني: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حُجِزَ بينهم بالسور وبقوا في الظلمة:

---

(١) انظر: القرطبي: (١٧/ ٢٤٥-٢٤٦).
(٢) انظر: ابن كثير: (٤/ ٣١٠).
(٣) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٤).
(٤) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٢٢٥)، وصححه الحاكم: (٤/ ٦٠١) ووافقه الذهبي، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٦) أيضًا لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر، وكلهم عن عبد الله بن عمرو.
(٥) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٢٢٥). قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٣١٠): (وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من إسرائيلياته وترهاته، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين..).

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

١٥٣/ب ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا، نصلي ونصوم؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ / أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالإيمان والتوبة، قال مقاتل: وتربصتم بمحمدٍ الموت، وقلتم: يوشك أن يموت فنستريح منه ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في نبوته، وفيما أوعدكم به ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ الأباطيل، وما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يعني: الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ يعني: الشيطان، قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار(١).

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب «تؤخذ» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، «فدية» بدل وعوض بأن تفدوا أنفسكم من العذاب ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: المشركين ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ صاحبكم وأولى بكم؛ لِما أسلفتم من الذنوب ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا: حدثنا عن التوراة، فإن فيها العجائب، فنزلت: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ»[يوسف: ٣]، فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصًا من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك، فنزل: «ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا»[الزمر: ٢٣]، فكفوا عن سؤاله ما شاء الله، ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن التوراة، فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية.

فعلى هذا التأويل، قوله: «۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ»، يعني: في العلانية وباللسان.

وقال الآخرون: نزلت في المؤمنين(٢)، قال عبد الله بن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: «۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ»، إلا أربع سنين(٣).

وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن،

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٢٢٧)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (١٧/ ٥٦) عزوه لعبد بن حميد، وذكره ابن كثير: (٤/ ٣١٠).

(٢) انظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٧٠.

(٣) أخرجه مسلم في التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ برقم ٣٠٢٧: (٤/ ٢٣١٩).

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

فقال: «﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾»[1]، ألم يحِنْ للذين آمنوا أن تخشع: ترِقَّ وتلين وتخضع قلوبُهم لذكر الله ﴿وَمَا نَزَلَ﴾ قرأ نافع وحفص عن عاصم بتخفيف الزاي، وقرأ الآخرون بتشديدها ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وهو القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ الزمان بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله، والمعنى: أن الله عزَّ وجلَّ ينهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر.

رُوي أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قرّاء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال لهم: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم[2].

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ يعني: الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾ قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من «التصديق»، أي: المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما، أي: المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالصدقة والنفقة في سبيل الله عزَّ وجلَّ ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمْ﴾ ذلك القرض ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ ثواب حسن: وهو الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ والصدِّيق: الكثير الصدق، قال مجاهد: كلُّ مَن آمن بالله ورسوله فهو صدِّيق، وتلا هذه الآية. قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة، سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته.

---

(١) ساقه ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٣١١) من رواية ابن المبارك وابن أبي حاتم، وفيه صالح المُرِّيّ، وهو ضعيف. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٨) لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (١/ ٢٥٧)، وعزاه صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٥٩) لابن أبي شيبة.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ اختلفوا في نظم هذه الآية، منهم من قال: هي متصلة بما قبلها، و«الواو» واو النسق، وأراد بالشهداء: المؤمنين المخلصين.

قال الضحاك: هم الذين سميناهم.

قال مجاهد: كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية[1].

وقال قوم: ـ تم الكلام عند قوله: «هم الصديقون»، ثم ابتدأ فقال ـ: والشهداء عند ربهم، و«الواو» واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثم اختلفوا فيهم فقال قوم: هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، يُروى ذلك عن ابن عباس[2]، وهو قول مقاتل بن حيان.

وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله[3].

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ بما عملوا من العمل الصالح ﴿وَنُورُهُمۡۖ﴾ على الصراط ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: أن الحياة الدنيا، و«ما» صلة، أي: إن الحياة في هذه الدار ﴿لَعِبٞ﴾ باطل لا حاصل له ﴿وَلَهۡوٞ﴾ فرح ثم ينقضي ﴿وَزِينَةٞ﴾ منظر تتزينون به ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ﴾ يَفْخر به بعضُكم على بعض ﴿وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ أي: مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلًا فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾ أي: الزراع ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ ما نبت من ذلك الغيث ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ بعد خضرته ونضرته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ قال مقاتل: لأعداء الله ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ لأوليائه وأهل طاعته.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب

١٥٤/أ الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. /

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٧٦). انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٢٣).

(٢) ذكره الطبري: (٢٧/ ٢٣١).

(٣) انظر: القرطبي: (١٧/ ٢٥٣).

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارعوا ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لو وُصل بعضها ببعض ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ فبيَّن أن أحدًا لا يدخل الجنة إلا بفضل الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعني: الأمراض وفقد الأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ من قبل أن نخلق الأرض والأنفس، قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ المصيبة، وقال أبو العالية: يعني: النَّسَمَة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ أي: إثبات ذلك على كثرته هيِّن على الله عزَّ وجلَّ.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ قرأ أبو عمرو بقصر الألف، لقوله: «فاتكم»، فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون «آتاكم» بمد الألف، أي: أعطاكم، قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا والحزن صبرًا[1] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾ متكبر بما أوتي من الدنيا ﴿فَخُورٍ ٢٣﴾ يفخر به على الناس. قال جعفر بن محمد الصادق: يا ابن آدم، مالك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت[2].

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال، وقيل: هو رفع بالابتداء وخبره فيما بعده ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يعرض عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾ قرأ أهل المدينة والشام: «فإن الله الغني» بإسقاط «هو»، وكذلك هو في مصاحفهم.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٧/ ٢٣٥)، وصححه الحاكم: (٢/ ٤٧٩) ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦٢) عزوه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في «الشعب».

(٢) انظر: القرطبي: (١٧/ ٢٥٨).

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ
بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا
وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ
رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا
حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات والحجج ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ يعني: العدل، وقال مقاتل بن سليمان: هو ما يوزن به، أي: ووضعنا الميزان كما قال: «وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ»[الرحمن: ٧] ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ ليتعاملوا بينهم بالعدل.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ روي عن ابن عمر يرفعه: إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد، والنار، والماء، والملح[1]. وقال أهل المعاني: معنى قوله: «وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ»: (أنشأنا وأحدثنا، أي: أخرج لهم الحديد)[2] من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه. وقال قطرب: هذا من النُّزُل، كما يقال: أنزل الأمير على فلان نُزُلًا حسنًا، فمعنى الآية: أنه جعل ذلك نزلًا لهم، ومثله قوله: «وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ»[الزمر: ٦].

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قوة شديدة، يعني: السلاح للحرب، قال مجاهد: فيه جنة وسلاح، يعني: آلة الدفع وآلة الضرب ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها، إذ هو آلة لكل صنعة ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء؛ ليتعامل الناس بالحق والعدل؛ وليعلمَ اللهُ وليرى اللهُ ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أي: دينه ﴿وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة، وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ قوي في أمره، عزيز في ملكه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾

---

(١) ضعيف، أخرجه الديلمي في «الفردوس». انظر: «كنز العمال»: (١٥/٤١٨)، وعزاه ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٦٤ للثعلبي، وقال: (وفي إسناده من لا أعرفه).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(على دينه)[1] ﴿رَأْفَةً﴾ وهي أشد الرقة ﴿وَرَحْمَةً﴾ كانوا متوادين بعضهم لبعض، كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: «رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ»[الفتح: ٢٩] ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ من قِبَل أنفسهم، وليس هذا بعطف على ما قبله، وانتصابُه بفعل مضمر كأنه قال: وابتدعوا رهبانية، أي: جاؤوا بها من قِبَل أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا﴾ أي: ما فرضناها ﴿عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ يعني: ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية، وتلك الرهبانيةُ ما حملوا أنفسهم من المشاقِّ في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها، بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى، فتهودوا وتنصروا، ودخلوا في دين ملوكهم، وتركوا الترهُّب، وأقام منهم أُناس على دين عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى أدركوا محمدًا ﷺ فآمنوا به، وذلك قوله تعالى: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم الذين ثبتوا عليها، وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنبأني عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا الصعق بن حَزْن، عن عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق، عن سويد بن غفلة، عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «يا ابن مسعود، اختلف مَن كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث وهلك سائرهنَّ، فرقة آذت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، فأخذوهم وقتلوهم، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك، ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد وترهبوا، وهم الذين قال الله عزَّ وجلَّ: «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ»، فقال النبي ﷺ: «من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون»[2].

وروي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا ابن أم عبد، هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بالمعاصي، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فَهُزِم أهل الإيمان ثلاث مرات،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»: (١/ ٣٥)، قال الألباني: (إسناده ضعيف جدًا، رجاله ثقات غير عقيل الجعدي فإنه ضعيف جدًا، كما يفيده قول البخاري فيه: منكر الحديث).
والطبري: (٢٧/ ٢٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٠/ ٢٧١)، وصححه الحاكم: (٢/ ٤٨٠، وتعقبه الذهبي فقال: (ليس بصحيح، فإن الصعق وإن كان موثقًا، فإن شيخه منكر الحديث قاله البخاري).
وساقه ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٣١٧) من رواية ابن أبي حاتم وابن جرير وقال: (أسنده أبو يعلى، وسنده: عن شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن به مثل ذلك، فقوي الحديث من هذا الوجه).

فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو له فقالوا: تعالوا نتفرق
١٥٤/ب في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام ـ يعنون: محمدًا ﷺ ـ / فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: «وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا. . .» الآية، «فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ» يعني: من ثبتوا عليها «أَجْرَهُمْ»، ثم قال النبي ﷺ: «يا ابن أم عبد، أتدري ما رهبانية أمتي»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع»(١).

ورُوي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله»(٢).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كانت ملوكٌ بعد عيسى عليه السلام بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله، فقيل لملوكهم: لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه، فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا: نحن نكفيكم أنفسنا، فقالت طائفة: ابنوا لنا أسطوانة، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا، ولا نرد عليكم، وقال طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دورًا في الفيافي نحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نَرِدُ عليكم ولا نمرّ بكم، ففعلوا بهم ذلك، فمضى أولئك على منهاج عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وخلف قوم من بعدهم ممن قد غيّر الكتاب، فجعل الرجل يقول: نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورًا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: «وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا»، أي: ابتدعها هؤلاء الصالحون، «فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا»، يعني: الآخرين الذي جاؤوا من بعدهم، «فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ»، يعني: الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٢٧﴾ هم الذين جاؤوا من بعدهم، قال: فلما بُعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سياح من سياحته وصاحب دير من ديره، وآمنوا به(٣) فقال الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى في «المسند» عن أنس: (٤/ ١٨٤)، وابن أبي شيبة: (٥/ ٢٩٦)، وأخرجه الإمام أحمد: (٣/ ٢٦٦) بلفظ: «لكل نبي رهبانية . . .»، وفيه زيد العمي وهو ضعيف. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٧٨): (رواه أبو يعلى وأحمد إلا أنه قال: «لكل نبي . . .»، وفيه زيد العمي: وثقه أحمد وغيره، وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح).
وللحديث شواهد. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني: رقم٥٥٥، «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين»: (٤/ ١٥٦٦).

(٣) أخرجه النسائي في «آداب القضاة»، باب تأويل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: (٨/ ٢٣١ ـ ٢٣٣)، وفي التفسير: (٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٧) وإسناده حسن.
=

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى، يقول: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد ﴿وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يعني: يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى - عليه الصلاة والسلام - والإنجيل، وبمحمد ﷺ والقرآن.

وقال قوم: انقطع الكلام عند قوله: «ورحمة»، ثم ابتدأ: «ورهبانية ابتدعوها»، وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان، «فما رعوها»، يعني: الطاعة والملة «حقَّ رعايتها» كناية عن غير مذكور، «فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم» وهم أهل الرأفة والرحمة، و«كثير منهم فاسقون»، وهم الذين ابتدعوا الرهبانية، وإليه ذهب مجاهد.

معنى قوله: «إلا ابتغاء رضوان الله» (على هذا التأويل: ما أمرناهم وما كتبنا عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وما أمرناهم بالترهيب)[1].

قوله عزَّ وجلَّ: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟» بموسى وعيسى «ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ» محمد ﷺ «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ».

وروينا عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فأدَّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده»[2].

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني: على الصراط، كما قال: «نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»[التحريم: ٨]، ويروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن النور هو القرآن، وقال مجاهد: هو الهدى والبيان، أي: يجعل لكم سبيلًا واضحًا في الدين تهتدون به ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ وقيل: لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله عزَّ وجلَّ: «أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ»[القصص: ٥٤]، قالوا للمسلمين: أما من آمن منَّا بكتابكم فله أجره مرتين؛ لإيمانه بكتابكم وبكتابنا، وأما مَن لم يؤمن منَّا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا؟ فأنزل الله تعالى: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ

= وساقه ابن كثير في رواية الطبري: (٢٧/ ٢٣٩)، وقال: (هذا السياق فيه غرابة). ابن كثير: (٤/ ٣١٧).

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله: (١/ ١٩٠)، ومسلم في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ برقم١٥٤: (١/ ١٣٤ - ١٣٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ٥٣).

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ»، فجعل لهم الأجرين إذا آمنوا برسوله محمد ﷺ، وزادهم النور والمغفرة[(١)]، ثم قال:

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى[(٢)]: «لئلا يعلم أهل الكتاب».

قال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منّا[(٣)] نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى[(٤)]: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: ليعلم، و«لا» صلة ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث، عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأُمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالًا، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس، ألَا لكم الأجر مرتين، فغضب اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملًا وأقل عطاء؟ قال الله تعالى: «هل ظلمتكم من حقكم شيئًا»؟ قالوا: لا، قال: «فإنه فضلي أعطيه من شئت»[(٥)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن يزيد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن
١٥٥/أ النبي ﷺ / قال:

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦٦ ـ ٦٨) للطبراني في «الأوسط».
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢١): (رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٧٦)، والطبراني: (٢٧/ ٢٤٦)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦٨) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: (٦/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

«مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا، وما عملناه باطل، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملًا، فأبوا وتركوا، واستأجر قومًا آخرين بعدهم، فقال: أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال: أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا، فاستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور»[(١)].

* * *

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب مَن أدرك ركعة من العصر قبل الغروب: (٢/٣٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/٢٢١ت).

سورة المُجَادَلَة

مدنية[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا...﴾ الآية، نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، وكانت حسنة الجسم، وكان به لمم فأرادها فأبت، فقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلّا قد حرمت عليَّ، فقالت: والله ما ذاك طلاق، وأتت رسول الله ﷺ ـ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه ـ فقالت: يا رسول الله، إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل، حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني، وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإيَّاه تنعشني به؟ فقال رسول الله ﷺ: «حرمتِ عليه»، فقالت: يا رسول الله، والذي أنزل عليك الكتاب، ما ذكر طلاقًا وإنه أبو ولدي وأحب الناس إليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «حرمتِ عليه»، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، قد طالت صحبتي ونفضت له بطني، فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلّا قد حرمت عليه، ولم أومر في شأنك بشيء»، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ: «حرمتِ عليه» هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي، وإن لي صِبْيَةً إن ضَممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيِّك، وكان هذا أولَ ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر، فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله، فقالت عائشة: أقصري حديثك ومجادلتك، أما ترين وجه رسول الله ﷺ؟ ـ وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه أخذه مثل السبات ـ فلما

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ في «العظمة» والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المجادلة بالمدينة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله، والله أعلم. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٩).

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾

قضى الوحي قال لها: ادعي زوجك، فدعته فتلا عليه رسول الله ﷺ: «قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ...» الآيات(١).

قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها، ويخفى عليَّ بعضه إذ أنزل الله: «قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ...» الآيات(٢).

ومعنى قوله: ﴿قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها ﴿فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ مراجعتكما الكلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ سميع لما تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه، ثم ذم الظهار فقال:

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرأ عاصم «يظاهرون» فيها بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء، وقرأ عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي بفتح الياء والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها، وقرأ الآخرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾ أي: ما اللواتي يجعلونهنَّ من زوجاتهم كالأمهات بأمهات، وخفض التاء في «أمهاتهم» على خبر «ما» ومحله نصب كقوله: «مَا هَٰذَا بَشَرًا»[يوسف: ٣١]، المعنى: ليس هنَّ بأمهاتهم ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: ما أمهاتهم ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لا يعرف في شرع ﴿وَزُورًاۚ﴾ كذبًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ عفا عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم.

وصورة الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي، وكذلك لو قال: أنت عليَّ كبطن أمي أو كراس أمي أو كيد أمي، أو قال: بطنك أو رأسك أو يدك عليَّ كظهر أمي، أو شبَّه عضوًا منها بعضو آخر من أعضاء أمِّه، فيكون ظهارًا.

وعند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ إن شبهها ببطن الأم أو فرجها أو فخذها يكون ظهارًا، وإن شبهها بعضو آخر لا يكون ظهارًا.

ولو قال: أنت عليَّ كأمي أو كروح أمي، وأراد به: الإعزاز والكرامة فلا يكون ظهارًا حتى يريده،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٧٧)، وصححه الحاكم: (٢/ ٤٨١). وانظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٣١٩).

(٢) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند»: ص٤٣٨، والنسائي: (٦/ ١٨٦)، والحاكم: (٢/ ٤٨١).

وأخرجه الإمام أحمد: (٦/ ٤٦) بلفظ: «الحمد لله الذي...»، والبخاري تعليقًا في كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: (١٣/ ٣٧٢).

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾

ولو شبهها بجدته فقال: أنت عليَّ كظهر جدتي يكون ظهارًا، وكذلك لو شبهها بامرأة مُحرَّمة عليه بالقرابة بأن قال: أنت عليَّ كظهر أختي أو عمتي أو خالتي، أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارًا ـ على الأصح من الأقاويل ـ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ثم حُكْمُ الظهارِ: أنه يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار ما لم يكفِّر، والكفارة تجب بالعَوْدِ بعد الظهار؛ لقوله تعالى: «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ».

واختلف أهل العلم في «العَوْد»، فقال أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبي العالية؛ لقوله تعالى: «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ»، أي: إلى ما قالوا، (أي: أعادوه مرة أخرى)[1]، فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه.

وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب بنفس الظهار، والمراد من «العَوْدِ» هو: العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول مجاهد والثوري.

وقال قوم: المراد من «العود» الوطء، / وهو قول الحسن وقتادة وطاووس والزهري، وقالوا: لا كفارة ١٥٥/ب
عليه ما لم يطأها.

وقال قوم: هو العزم على الوطء، وهو قول مالك وأصحاب الرأي.

وذهب الشافعي إلى أن العود هو إن يمسكها عقيب الظهار زمانًا يمكنه أن يفارقها، فلم يفعل، فإن طلقها عقيب الظهار في الحال أو مات أحدهما في الوقت فلا كفارة عليه؛ لأن العود للقول هو المخالفة.

وفسر ابن عباس «العود» بالندم، فقال: يندمون فيرجعون إلى الألفة، ومعناه هذا.

قال الفرَّاء[2]: يقال: عاد فلان لما قال، أي: فيما قال، وفي نقض ما قال، يعني: رجع عما قال.

وهذا يبين ما قال الشافعي، وذلك أن قصده بالظهار التحريم، فإذا أمسكها على النكاح فقد خالف قولَه ورجع عمَّا قاله فتلزمه الكفارة، حتى قال: لو ظاهر عن امرأته الرجعية ينعقد ظهاره ولا كفارة عليه حتى يراجعها، فإن راجعها صار عائدًا ولزمته الكفارة.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٢) «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ١٣٩) بتصرف في العبارة.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ والمراد بـ «التّماس»: المجامعة، فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفِّر، سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام، وعند مالك: إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله؛ لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس، وقال في الإطعام: «فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا»، ولم يقل: من قبل أن يتماسّا.

وعند الآخرين: الإطلاقُ في الإطعام محمولٌ على المقيَّد في العتق والصيام.

واختلفوا في تحريم ما سوى الوطء من المباشرات قبل التكفير، كالقُبْلة والتلذذ: فذهب أكثرهم إلى أنه لا يحرم سوى الوطء، وهو قول الحسن وسفيان الثوري وأظهر قولي الشافعي كما أن الحيض يحرِّم الوطء دون سائر الاستمتاعات.

وذهب بعضهم إلى أنه يحرم؛ لأن اسم «التماس» يتناول الكل، ولو جامع المظاهر قبل التكفير يعصي الله تعالى، والكفارة في ذمته، ولا يجوز أن يعود ما لم يكفِّر، ولا يجب بالجماع كفارة أخرى.

وقال بعض أهل العلم: إذا واقعها قبل التكفير عليه كفارتان.

وكفارة الظهار مرتبة، يجب عليه عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن أفطر يومًا متعمدًا أو نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين، فإن عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستين مسكينًا.

وقد ذكرنا في سورة المائدة مقدار ما يطعم كل مسكين(١).

﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ تؤمرون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ يعني: الرقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ فإن كانت له رقبة إلَّا أنه محتاج إلى خدمته، أو له ثمن رقبة لكنه محتاج إليه لنفقته ونفقة عياله، فله أن ينتقل إلى الصوم، وقال مالك والأوزاعي: يلزمه الإعتاق إذا كان واجدًا للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجًا إليه، وقال أبو حنيفة: إن كان واجدًا لعين الرقبة يجب عليه إعتاقها وإن كان محتاجًا إليها، فأما إذا كان واجدًا لثمن الرقبة وهو محتاج إليه فله أن يصوم، فلو شرع المظاهر في صوم شهرين ثم جامع في خلال الشهر بالليل يعصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة، ولكن لا يجب عليه استئناف الشهرين، وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين.

---

(١) انظر: فيما سبق: (١/ ٧٠٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ يعني: المظاهر إذا لم يستطع الصوم لمرضٍ أو كِبَرٍ أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكينًا.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله ابن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حُجْر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بن يسار أن خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، فظاهر منها وكان به لمم، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أوسًا ظاهر مني، وذكرت أن به لممًا فقالت: والذي بعثك بالحق ما جئتك إلَّا رحمة له، إنَّ له فيَّ منافع، فأنزل الله القرآن فيهما، فقال رسول الله ﷺ: «مُرِيهِ فليعتِقْ رقبة»، قالت: والذي بعثك بالحق ما عنده رقبة ولا ثمنها، قال: «مريه فليصم شهرين متتابعين»، فقالت: والذي بعثك بالحق، لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع، قال: «مريه فليطعم ستين مسكينًا»، قالت: والذي بعثك بالحق ما يقدر عليه، قال: «مريه فليذهب إلى فلان ابن فلان فقد أخبرني أن عنده شطر تمرٍ صدقةً، فليأخذه صدقة عليه ثم ليتصدق به على ستين مسكينًا»(١).

وروى سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال: كنت امرأ أصيب من النساء ما لم يصب غيري، فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئًا فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان، فبينما هي تحدثني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء فلم ألبث أن وقعت عليها، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «أنتَ بذاك»، فقلت: أنا بذاك ـ قاله ثلاثًا ـ قلت: أنا بذاك وها أنا ذَا فأمضِ فيَّ حكم الله، فإني صابر لذلك، قال: «فأعْتِقْ رقبةً»، فضربتُ صفحةَ عنقي بيدي، فقلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أملك غيرها، قال: «فصم شهرين متتابعين»، فقلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلَّا من الصيام؟ قال: «فأطعم ستين مسكينًا»، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشين(٢)، ما لنا عشاء، قال: «اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقًا ستين مسكينًا، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك»، قال: فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة، أمر لي بصدقتكم فادفعوها إليَّ، قال: فدفعوها إليه(٣).

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن»: (٧/ ٣٨٩)، وله شاهد عند الإمام أحمد: (٦/ ٤١٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٢٤١)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٧١) عزوه لسعيد بن منصور وابن مردويه.

(٢) في «ب»: (وُحْشًا).

(٣) أخرجه أبو داود في الطلاق، باب في الظهار: (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٩)، والترمذي في التفسير: (٩/ ١٨٨ ـ ١٩١)، وقال: (هذا حديث حسن، قال محمد بن إسماعيل: سليمان بن يسار لم يسمع عندي من سلمة بن صخر)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (٦/ ٤٣١)، وابن ماجه في الطلاق، باب الظهار برقم ٢٠٦٢: (١/ ٦٦٥ ـ ٦٦٦)، والدارمي: (٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، والبيهقي في «السنن»: (٧/ ٣٩٠)، والإمام أحمد: (٥/ ٤٣٦)، وصححه الحاكم: (٢/ ٢٠٣) على شرط مسلم ووافقه الذهبي. =

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ
وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا
يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عزَّ وجلَّ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾ يعني: ما وصف من الكفارات في الظهار ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ قال ابن عباس: لمن جحده وكذب به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما ﴿كُبِتُواْ﴾ أذِلوا وأخزوا وأهلكوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ حفظ الله أعمالهم ﴿وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
١/١٥٦ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ﴾ / قرأ أبو جعفر بالتاء؛ لتأنيث النجوى،
وقرأ الآخرون بالياء؛ لأجل الحائل[1] ﴿مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي: من سرار ثلاثة، يعني: من المسارَّة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبيه ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بالعلم، وقيل: معناه: ما يكون من متناجين ثلاثة يسارُّ بعضهم بعضًا إلَّا هو رابعهم بالعلم يعلم نجواهم ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا﴾ قرأ يعقوب «أكثرُ» بالرفع على محل الكلام قبل دخول «مِنْ» ﴿كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم، فيحزنون

= وانظر: «تلخيص الحبير»: (٣/ ٢٢١)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل»: (٧/ ١٧٦ ـ ١٧٩).

(١) أي: الفاصل بين الفعل والفاعل؛ فلذلك لم يؤنث الفعل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩﴾

لذلك ويقولون ما نراهم إلّا وقد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قَتْلٌ أو موت أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله[1]: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ أي: المناجاة ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ أي: يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَتَنَٰجَوۡنَ﴾ قرأ الأعمش وحمزة «وينتجون» على وزن يفتعلون، وقرأ الآخرون «يتناجون»؛ لقوله: «إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ»، وذلك أن النبي ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ﴿وَيَقُولُونَ﴾: السام عليك، و«السام»: الموت، وهم يوهمونه أنهم يقولون: السلام عليك، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول: عليكم، فإذا خرجوا قالوا: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ يريدون: لو كان نبيًا حقًا لعذبنا الله بما نقول، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٨﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أبو أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة: أن اليهود أتوا النبي ﷺ وقالوا: السام عليك، قال: «وعليكم»، فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش»، قالت: أوَ لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أوَ لم تسمعي ما قلتُ؟ رددتُ عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ»[2].

ثم إن الله تعالى نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: كفعل المنافقين واليهود.

وقال مقاتل: أراد بقوله: «ءَامَنُوٓاْ»: المنافقين، أي: آمنوا بلسانهم، قال عطاء: يريد: الذين آمنوا بزعمهم، قال لهم: لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩﴾.

---

(١) انظر: الطبري: (٢٨/ ١٣)، ابن كثير: (٤/ ٣٢٤)، «الدر المنثور»: (٨/ ٨٠)، والواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «يستجاب لنا في اليهود، ولا يستجاب لهم فينا»: (١١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١).

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: من تزيين الشيطان ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين ﴿وَلَيْسَ﴾ التناجي ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾ وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئًا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلّا بإذنه، فإن ذلك يحزنه»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟...﴾ الآية، قال مقاتل ابن حيان: كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناسٌ منهم يومًا وقد سُبِقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وسلموا عليه، فردَّ عليهم، ثم سلموا على القوم فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا لهم، فشقَّ ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله: «قم يا فلان وأنت يا فلان»، فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على مَن أُقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم، فأنزل الله هذه الآية[2].

وقال الكلبي: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقد ذكرنا في سورة الحجرات قصته[3].

وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلًا ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض[4].

وقيل: كان ذلك يوم الجمعة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) أخرجه مسلم في السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه برقم٢١٨٤: (٤/ ١٧١٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٩٠).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٨١) لابن أبي حاتم. وانظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٧٥، «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٣٢٥).

(٣) انظر: فيما سبق: ص٢٠٦.

(٤) أخرجه الطبري: (٢٨/ ١٧).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ أي: توسَّعوا في المجلس، قرأ الحسن وعاصم: في «المجالس»؛ لأن الكل جالس مجلسًا، معناه: ليفسخ كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون «في المجلس» على التوحيد؛ لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ ﴿فَٱفْسَحُواْ﴾ أوْسِعُوا، يقال: فسح يفسح فسحًا: إذا وسع في المجلس ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقيمنَّ أحدُكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا»[(١)].

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد المجيد، عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى: عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «لا يقيمنَّ أحدُكم أخاه يوم الجمعة / ولكن ليقل افسحوا»[(٢)]. ١٥٦/ب

وقال أبو العالية والقرظي والحسن: هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه؛ لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة[(٣)] ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين، وقرأ الآخرون بكسرهما، وهما لغتان، أي: ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى تُوسِّعُوا لإخوانكم، وقال عكرمة والضحاك: كان رجال يتثاقلون عن الصلاة إذا نُودي لها، فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه: إذا نودي للصلاة فانهضوا لها[(٤)].

وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه: إذا قيل لكم: انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كلِّ خيرٍ وحقٍّ فقوموا لها ولا تقصروا[(٤)].

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم، ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ فأخبرنا الله عزَّ وجلَّ أن رسوله ﷺ مصيب فيما أمر، وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا، وأن النفر من أهل بدر مستحقون لِما عُوملوا من الإكرام.

---

(١) أخرجه الشافعي في «المسند»: (٢/١٨٦)، والبخاري في الاستئذان، باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾: (١١/٦٢)، ومسلم في السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه برقم٢١٧٧: (٤/١٧١٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٢/٢٩٧).

(٢) أخرجه الشافعي في «المسند»: (٢/١٨٧)، ومسلم في الموضع السابق برقم٢١٧٨: (٤/١٧١٥).

(٣) انظر: الطبري: (٢٨/١٧).

(٤) انظر: الطبري: (٢٨/١٨).

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها الناس، افهموا هذه الآية، ولنرغبنَّكم في العلم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾، المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات.

(أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان)[(١)]، حدثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الهروي، أخبرنا محمد بن يونس القرشي، أخبرنا عبيد الله بن داود، حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة، حدثني داود بن جميل، عن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء، إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، قال: ما كانت لك حاجة غيره؟ قال: لا، قال: ولا جئتَ لتجارة؟ قال: لا، قال: ولا جئتَ إلَّا رغبة فيه؟ قال: نعم، قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًى لطالب العلم، وإن السموات والأرض والحوت في الماء لتدعو له، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، فمَن أخذه فقد أخذ بحظ وافر»[(٢)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو علي الحسين بن أحمد بن إبراهيم السراج، أخبرنا الحسن بن يعقوب العدل، حدثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء، حدثنا جعفر بن عون، أخبرنا عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الرحمن بن رافع، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، قال: «كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلِّمون الجاهل فهؤلاء أفضل، وإنما بُعثت معلمًا، ثم جلس فيهم»[(٣)].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه أبو داود في العلم، باب الحث على طلب العلم: (٥/ ٢٤٣)، قال المنذري: (وقد اختلف في هذا الحديث اختلافًا كثيرًا . . .)، والترمذي في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة: (٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥٣) لكن من طريق محمود بن خداش البغدادي، وقال: (ولا نعرف هذا الحديث إلَّا من حديث عاصم بن وجاء بن حيوة، وليس إسناده عندي بمتصل هكذا، حدثنا محمود بن خداش هذا الحديث، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، وهذا أصح من حديث محمود بن خداش)، والدارمي: (١/ ٩٨)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم برقم٢٢٣: (١/ ٨١)، والإمام أحمد: (٥/ ١٩٦)، وابن حبان في «موارد الظمآن»: ص٤٨، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦)، وللحديث شواهد يتقوى بها كما قال الحافظ في «الفتح»: (١/ ١٦٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: برقم٦٢٩٧.

(٣) أخرجه الدارمي: (١/ ٩٩ ـ ١٠٠)، وأبو داود الطيالسي: ص٢٩٨، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، والحديث ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ أمام مناجاتكم، قال ابن عباس: وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه ويثبطهم ويردعهم عن ذلك، فأمرهم أن يقدموا صدقةً على المناجاة مع الرسول ﷺ[1].

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته، فأمَّا أهل العسرة فلم يجدوا شيئًا، وأما أهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فنزلت الرخصة[2].

قال مجاهد: نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا، فلم يناجِهِ إلَّا علي ـ رضي الله عنه ـ تصدق بدينار وناجاه، ثم نزلت الرخصة، فكان علي ـ رضي الله عنه ـ يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة[3].

وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله ﷺ فقال: «أما ترى دينارًا»؟ قلت: لا يطيقونه، قال: «فكم»؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: «إنك لزهيد»، فنزلت: «﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾»، قال علي ـ رضي الله تعالى عنه: فبي قد خفف الله عن هذه الأمة[4].

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ يعني: تقديم الصدقة على المناجاة ﴿وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ يعني: الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم.

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ﴾ قال ابن عباس: أبخلتم؟ والمعنى: أخفتم العيلة والفاقة إن قدَّمتم ﴿بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ ما أمرتم به ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ تجاوز عنكم، ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: «الواو» صلة، مجازه: فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم ونسخ الصدقة، (قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٨٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، وانظر: الطبري: (٢٨/ ٢٠ ـ ٢١).

(٢) انظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٧٦.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٨/ ١٩ ـ ٢٠)، وابن كثير: (٤/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة المجادلة: (٩/ ١٩٢ ـ ١٩٤)، وقال: (هذا حديث حسن غريب)، والطبري: (٢٨/ ٢١)، وأبو يعلى: (١/ ٢٢٣)، وابن حبان في «موارد الظمآن» برقم١٧٦٤: ص٤٣٧، وفيه علي بن علقمة، ذكره ابن حبان في «المجروحين»: (٢/ ١٠٩)، وقال: (منكر الحديث، ينفرد عن علي بما لا يشبه حديثه)، وذكره الذهبي في «الميزان»: (٣/ ١٤٦)، وقال: (في حديثه نظر)، وساق له هذا الحديث الذي ذكره العقيلي في «الضعفاء».

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾

ليال ثم نسخ)[1]، وقال الكلبي: ما كانت إلَّا ساعة من نهار ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت في المنافقين تولَّوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم[2]، وأراد بقوله: «غضب الله عليهم» اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ يعني: المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاء، ولا من اليهود والكافرين، كما قال: « مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ »[النساء: ١٤٣].

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ قال السدي ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حُجَره إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين، فقال النبي ﷺ: «علام تشتمني أنت وأصحابك»؟ فحلف بالله ما فعل، وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبُّوه،
١/١٥٧ فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآيات، فقال: « وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » / أنهم كَذَبَة[3].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ الكاذبة ﴿جُنَّةً﴾ يستجنُّون بها من القتل، ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ كاذبين ما كانوا مشركين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من أيمانهم الكاذبة ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ». (٢) انظر: القرطبي: (١٧/ ٣٠٤).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٧٦، قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٦٥: (لم أجده هكذا).

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

﴿اسْتَحْوَذَ﴾ غلب واستولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ الأسفلين، أي: هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ قضى الله قضاءً ثابتًا ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ نظيره[1] قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾[الصافات: ٧١-٧٢]، قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ الآية، أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وأن مَن كان مؤمنًا لا يوالي من كفر، وإن كان من عشيرته.

قيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة، وسيأتي في سورة الممتحنة[2] إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

وروى مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: «وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ»، يعني: أبا عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أُحد، «أَوْ أَبْنَاءَهُمْ»، يعني: أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال: يا رسول الله، دعني أكن في الرحلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: «متِّعْنا بنفسك يا أبا بكر»، «أَوْ إِخْوَانَهُمْ»، يعني: مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أُحد،

(١) ساقط من «أ».
(٢) انظر فيما سيأتي: ص٣٧١-٣٧٣.

﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، يعني: عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعليًا وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أثبت التصديق في قلوبهم، فهي موقنة مخلصة، وقيل: حكم لهم بالإيمان، فذكر القلوب؛ لأنها موضعه ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ قواهم بنصر منه، قال الحسن: سمى نصره إياهم روحًا؛ لأن أمرهم يحيا به، وقال السدي: يعني: بالإيمان، وقال الربيع: يعني: بالقرآن وحجته، كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾[الشورى: ٥٢]، وقيل: برحمة منه، وقيل: أمدهم بجبريل عليه السلام ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

* * *

(١) انظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٤٧٨، القرطبي: (١٧/ ٣٠٧)، ابن كثير: (٤/ ٣٣٠).

سورة الحَشْر

مدنية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾

قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: قل: سورة النضير(٢).

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ قال المفسرون: نزلت هذه السورة في بني النضير(٣)، وذلك أن النبي ﷺ دخل المدينة فصالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه، فقَبِل رسولُ الله ﷺ منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله، إنه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا أُحد وهُزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب بن الأشرف في اربعين راكبًا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشًا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجدَ الحرام، وأخذ بعضهم على بعض الميثاقَ بين الأستار والكعبة، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان، فأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمة ـ ذكرناه في سورة آل عمران(٤).

وكان النبي ﷺ اطلع منهم على خيانة حين أتاهم في دينة المسلمَين اللذين قتلهما عمرو بن أُمية الضمري في مُنْصَرَفِه من بئر معونة، فهمُّوا بطرح حجر عليه من فوق الحصن، فعصمه الله وأخبره بذلك ـ ذكرناه في سورة المائدة(٥).

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الحشر بالمدينة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الحشر: (٨/ ٦٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في الموضع السابق، ومسلم في التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر برقم ٣٠٣١: (٤/ ٢٣٢٢) عن سعيد بن جبير.

(٤) انظر: فيما سبق: (١/ ٤٦٠).

(٥) انظر: فيما سبق: (١/ ٦٤٩).

فلما قُتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يقال لها: «زهرة»، فلما سار إليهم النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد، واعية على أثر واعية على أثر باكية؟ قال: «نعم»، قالوا: ذرنا نبكي شجونًا ثم ائتمِر أمرك، فقال النبي ﷺ: اخرجوا من المدينة، فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك، فتنادوا بالحرب وآذنوا بالقتال، ودس المنافقون ـ عبدُ الله بن أبي وأصحابُه ـ إليهم: أن لا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم، ولئن أخرجتم فلنخرجنَّ معكم، فدرَّبوا على الأزقة وحصَّنوها، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ فأرسلوا إليه: أن اخرجْ في ثلاثين رجلًا من أصحابك، وليخرج منَّا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك، فيستمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبرًا من اليهود، حتى إذا كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلًا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسِلوا إليه: كيف نفهم ونحن ستون رجلًا؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنَّا كلنا بك وصدقناك،
١٥٧/ب فخرج النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود، واشتملوا/ على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعًا حتى أدرك النبي ﷺ، فسارّه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان الغد غَدَا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلَّا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي ﷺ، فقبلوا ذلك، فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلَّت الإبل من أموالهم إلَّا الحلقة وهي السلاح، وعلى أن يخلّوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم(١).

وقال ابن عباس: على أن يحمل كلُّ أهلِ ثلاثة أبياتٍ على بعير ما شاءوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي.

وقال الضحاك: أُعطي كل ثلاثة نفر بعيرًا وسقاة ففعلوا ذلك، وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلَّا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة(٢)، فذلك قوله عزَّ وجلَّ:

---

(١) أخرج بعضه أبو داود في الخراج والإمارة، باب في خبر النضير: (٤/ ٢٣٤ـ٢٣٥).
وأخرجه مطولًا عبد الرزاق في «المصنف»: (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، وعزاه السيوطي في «الدر»: (٨/ ٩٣) أيضًا لعبد بن حميد والبيهقي في «الدلائل»، وانظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٣٣١ـ٣٣٢).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٣١ـ٣٢). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٩١) أيضًا لابن مردويه والبيهقي في «الدلائل».

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: بني النضير ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ التي كانت بيثرب، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي ﷺ من أحد، وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب، وبينهما سنتان ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عزَّ وجلَّ قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا[١].

قال ابن عباس: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية، فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي ﷺ: «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر، ثم يحشر الخلق يوم القيامة، إلى الشام»[٢].

وقال الكلبي: إنما قال: «لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ»؛ لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه.

قال مرة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر.

وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق والمغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا[٣].

﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟﴾ من المدينة؛ لعزمتهم ومنعتهم، وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمْرُ الله وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ وهو أنه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم، وكانوا لا يظنون ذلك ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بقتل سيدهم كعب بن الأشرف.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾ قرأ أبو عمرو بالتشديد، والآخرون بالتخفيف، ومعناهما واحد ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزهري: وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلّت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إبلهم، ويخرب المؤمنون باقيها[٤].

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٨/٢٨).
(٢) انظر: ابن كثير في «التفسير»: (٤/٣٣٣)، القرطبي: (١٨/٢).
(٣) انظر: الطبري: (٢٨/٢٩).
(٤) أخرجه الطبري: (٢٨/٢٩-٣٠).

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

قال ابن زيد: كانوا يقلعون العُمُد، وينقضون السقوف، وينقبون الجدران، ويقلعون الخشب حتى الأوتاد؛ يخربونها يسكنها المؤمنون حسدًا منهم وبغضًا[١].

قال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، ويخربها اليهود من داخلها[٢].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ، فذلك قوله عزَّ وجلَّ:

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟﴾ فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ يا ذوي العقول والبصائر.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ﴾ الذي لحقهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ...﴾ الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد، زعمت أنك تريد الصلاح! أفمِنَ الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فوجد المسلمون في أنفسهم (من قولهم، وخشوا)[٣] أن يكون ذلك فسادًا، واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله هذه الآية بتصديق مَن نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن نافع، عن ابن عمر قال: حرَّق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع البُويرة، فنزلت[٤]:

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٣٠).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٢٩).

(٣) في «أ»: (وحسبوا).

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الحشر، باب ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾: (٨/ ٦٢٩)، ومسلم في الجهاد، باب جواز قطع أشجار الكفار برقم ١٧٤٦: (٣/ ١٣٦٥ ـ ١٣٦٦).

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أخبر الله في هذه الآية أن ما قطعوه وما تركوه فبإذن الله ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

واختلفوا في «اللِّينَة»، فقال قوم: النخل كلها لينة ما خلا العجوة، (وهو قول عكرمة وقتادة[1]، ورواه زاذان عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ يقطع نخلهم إلّا العجوة)[2]، وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمرة: الألوان، واحدها لون ولينة.

وقال الزهري: هي ألوان النخل كلها إلّا العجوة والبرنية.

وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها من غير استثناء، وقال العوفي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي لون من النخيل، وقال سفيان: هي كرام النخيل.

وقال مقاتل: هي ضرب من النخيل / يقال لثمرها: «اللَّون»، وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج ١٥٨/أ
يغيب فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين: إنكم تكرهون الفساد في الأرض وأنتم تفسدون، دعوا هذا النخل (قائمًا هو لمن غلب عليها)[3]، فأخبر الله تعالى أن ذلك بإذنه.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: رده على رسوله، يقال: أفاء يفيء، أي: رجع، وأفاء الله ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من يهود بني النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ أوضعتم ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجيفًا وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير، وأراد بالركاب: الإبل التي تحمل القوم، وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبيَّن الله تعالى في هذه الآية أنها فيء لم يوجف المسلمون عليها خيلًا ولا ركابًا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربًا، ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ

---

(١) عزا السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٩٨) قول عكرمة لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر. وقول قتادة في الموضع نفسه لعبد بن حميد.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) في «أ»: (فإنما هي ثمن لمن غلب عليها).

بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئًا إلّا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني مالك بن أوس بن الحَدَثان النَّصْرِي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ دعاه إذْ جاءه حاجبه يَرْفَأ فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنون؟ قال: نعم، فأدخِلْهم، فلبث يرفأ قليلًا ثم جاء فقال: هل لك في عباس وعلي يستأذنان؟ قال: نعم، فلما دخلا قال عباسٌ: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا ـ وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير ـ فقال الرهط: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرِحْ أحدهما من الآخر، قال: اتئدوا، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، يريد رسول الله ﷺ: نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبل عمر على عليّ وعباس، فقال: أنشدكما بالله، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالا: نعم، قال: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله كان خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، فقال: «وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ»، إلى قوله: «قَدِيرٌ»، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، ما احتازها دونكم، ولا استأثرها عليكم، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل بذلك رسول الله ﷺ حياته، ثم توفي النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضها أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فعمل بها بما عمل به فيها رسول الله ﷺ، وأنتم حينئذ جميع، وأقبل على عليّ وعباس: تذكران أن أبا بكر فعل فيه كما تقولان والله يعلم إنه فيها صادق بار راشد تابع للحق، ثم توفَّى اللهُ أبا بكر، فقلت: أنا ولي رسول الله ﷺ وأبي بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، وأبو بكر والله يعلم إني فيه صادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني كِلَاكُما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبما عملت به فيها منذ وليتها، وإلّا فلا تكلماني فيها، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما؟ أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك؟ فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليّ فإني أكفيكما[2].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٦٦: (ذكره الثعلبي بغير سند).

(٢) أخرجه البخاري في الفرائض، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث، ما تركناه صدقة»: (١٢/ ٦)، وفي المغازي: (٧/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥)، ومسلم في الجهاد، باب حكم الفيء برقم ١٧٥٧: (٣/ ١٣٧٧ ـ ١٣٧٩).

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني: من أموال كفار أهل القرى، قال ابن عباس: هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء، إن مال الفيء كان لرسول الله ﷺ في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله(١).

واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو للأئمة بعده.

وللشافعي فيه قولان: أحدهما: هو للمقاتلة، والثاني: لمصالح المسلمين، ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح.

واختلفوا في تخميس مال الفيء، فذهب بعضُهم إلى أنه يخمَّس، فخمسه لأهل الغنيمة، وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح، وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس، بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق، قرأ عمر بن الخطاب: «مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ...» حتى بلغ: «لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ...» «وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ» ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامة، وقال: ما على وجه الأرض مسلم إلّا له في هذا الفيء حق إلّا ما ملكت أيمانكم(٢).

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ﴾ قرأ العامة بالياء، «دولة» نصب، أي: لكيلا يكون الفيء دولة، وقرأ أبو جعفر «تكون» بالتاء «دولةٌ» بالرفع على اسم كان، أي: كيلا يكون الأمر إلى دولة، وجعل الكينونة بمعنى الوقوع، وحينئذ لا خبر له، «والدُّولة»: اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ يعني: بين الرؤساء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المرباع، ثم يصطفي منها بعد المرباع ما شاء، فجعله الله لرسول ﷺ يقسمه فيما أمر به، ثم قال:

---

(١) انظر: فيما سبق: (٢/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في الإمارة، باب في تدوين العطاء: (٤/ ٢١٤)، وقال المنذري: (وهذا منقطع، الزهري لم يسمع من عمر)، والبيهقي في «السنن»: (٦/ ٣٤٧ـ٣٥٢). وأخرج بعضه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٨٤)، وأبو عبيد في «الأموال»: ص٢٤٣ـ٢٤٤، والطبري: (٢٨/ ٣٧)، وصححه الألباني موقوفًا على عمر. انظر: «إرواء الغليل»: (٥/ ٨٣ـ٨٤).

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَمَا آتَاكُمُ﴾ أعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ (من الفيء والغنيمة)[١] ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ من الغلول
١٥٨/ب وغيره ﴿فَانتَهُوا﴾ وهذا نازل في / أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، عن محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم بن علقمة، عن عبد الله قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه قد بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن مَن لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أمَا قرأتِ: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا» [الحشر: ٧]؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه[٢].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ ثم بيَّن من له الحق في الفيء فقال:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ رزقًا ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: خرجوا إلى دار الهجرة طلبًا لرضا الله عزَّ وجلَّ ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ في إيمانهم، قال قتادة: هؤلاء المهاجرين الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حبًّا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها[٣].

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي، أخبرنا أبو العباس الطحان، أخبرنا أبو أحمد بن محمد بن قريش[٤] بن سليمان، أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي، أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثني عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان عن أبي إسحاق، عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد، عن النبي ﷺ: أنه كان يستفتح بصعاليك

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الحشر، باب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: (٨/ ٦٣٠)، ومسلم في اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة برقم ٢١٢٥: (٣/ ١٦٧٨).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٤٠).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٠٥) أيضًا لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) في «ب»: (قراس).

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

المهاجرين، قال أبو عبيد: هكذا قال عبد الرحمن وهو عندي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد[1].

وروينا عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك مقدار خمسمائة سنة»[2].

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ وهم الأنصار تبوؤا الدار: توطنوا الدار، أي: المدينة، اتخذوها دار الهجرة والإيمان ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أسلموا في ديارهم، وآثروا الإيمان، وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين.

ونظم الآية: والذين تبوؤا الدار من قبلهم، أي: من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا؛ لأن الإيمان ليس بمكان تبوء.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حزازة وغيظًا وحسدًا ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: مما أعطي المهاجرين دونهم من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط منها الأنصار، فطابت أنفس الأنصار بذلك ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا عبد الله بن داود بن فضيل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أن رجلًا أتى النبي ﷺ فاستضافه، فبعث إلى نسائه: «هل عندكنَّ من شيء»؟ فقلن: ما معنا إلَّا الماء، فقال

---

(١) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث»: (١/ ٢٤٨)، والطبراني في «الكبير»: (١/ ٢٦٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٦٤)، وذكره ابن حجر في «الإصابة»: (١/ ٢٤٦) من رواية الطبراني، وقال: (أمية هذا ليست له صحبة ولا رؤية . . .)، وعزاه المنذري للطبراني أيضًا بلفظ: «كان يستفتح بصعاليك المسلمين»، وقال: (رواته رواة الصحيح، وهو مرسل). انظر: «الترغيب والترهيب»: (٤/ ١٤٤)، وذكره في «مشكاة المصابيح»: (٣/ ١٤٤٤)، وعزاه لـ «شرح السنة»، وضعفه الألباني.

(٢) حديث ضعيف، أخرجه أبو داود في العلم، باب في القصص: (٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦)، والإمام أحمد: (٣/ ٦٣، ٩٦)، قال المنذري: (في إسناده المعلى بن زياد أبو الحسن وفيه مقال).
وذكره الألباني في «ضعيف الجامع»: برقم ٤٠.

رسول الله ﷺ: «من يضم أو يضيف هذا»؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلّا قوت الصبيان، فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾»(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلّا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «ألا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فإنه سيصيبكم أثرة بعدي»(٣).

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة»، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

«والشح» في كلام العرب: البخل ومنع الفضل، وفرّق العلماء بين الشح والبخل، رُوي أن رجلًا قال لعبد الله بن مسعود: إني أخلاف أن أكون قد هلكت، فقال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾، وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: (٧/ ١١٩)، ومسلم في الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره برقم ٢٠٥٤: (٣/ ١٦٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في الشروط، باب الشروط في المعاملة: (٥/ ٣٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في المساقاة، باب القطائع: (٥/ ٤٧)، وفي الجزية والموادعة، باب ما أقطع النبي ﷺ في البحرين . . . : (٦/ ٢٦٨).

(٤) انظر: القرطبي: (١٨/ ٢٥).

عبد الله : ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله عزَّ وجلَّ في القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلمًا ولكن ذاك / البخل، وبئس الشيء البخل[١] . ١٥٩/أ

وقال ابن عمر : ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له[٢] .

وقال سعيد بن جبير : «الشح» هو أخذ الحرام ومنع الزكاة[٣]، وقيل : الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم.

قال ابن زيد: مَن لم يأخذ شيئًا نهاه الله عنه، ولم يَدْعُه الشح إلى أن يمنع شيئًا من شيء أمره الله به فقد وقاه الله شح نفسه[٤] .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حزاز القهندري، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق السعدي، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا القعنبي، حدثنا داود بن قيس الفراء، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك مَن كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٥] .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا أبي وشعيب قالا : أخبرنا الليث، عن يزيد بن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القعقاع هو ابن اللجلاج، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبدٍ أبدًا، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا»[٦] .

---

(١) أخرجه الطبري : (٢٨/ ٤٣).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٠٧) أيضًا لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في «الشعب».
وصححه الحاكم : (٢/ ٤٩٠)، وفيه المسعودي: صدوق اختلط قبل موته .

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٠٧) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٠٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري : (٢٨/ ٤٤).

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم ٢٥٧٨ : (٤/ ١٩٩٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٥٧).

(٦) أخرجه النسائي في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه : (٦/ ١٣ ـ ١٤)، والإمام أحمد: (٢/ ٢٥٦، ٣٤٢، ٤٤١)، والحاكم : (٢/ ٧٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٠/ ٣٥٤).
وانظر : «صحيح الجامع»: (٧٦١٦).

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني: التابعين، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة، فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾ غشًا وحسدًا وبغضًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ فكل من كان في قلبه غِلٌّ على أحدٍ من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله تعالى رتَّب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجًا من أقسام المؤمنين.

قال ابن أبي ليلى: الناسُ على ثلاثة منازل: الفقراء المهاجرين، والذين تبوؤا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجًا من هذه المنازل[١].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن سليمان، حدثنا ابن نمير، حدثنا أبي، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، عن مسروق، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها»[٢].

وقال مالك بن مغول: قال عامر بن شراحيل الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة[٣]، سئلت اليهود: مَنْ خير أهل ملتكم؟ فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى: مَنْ خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حواريّ عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة: مَنْ شر أهل ملتكم؟ فقال: أصحاب محمد ﷺ، أمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة[٤].

---

(١) انظر: الطبري: (٢٨/ ٤٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٥/ ١٢٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١): (رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف، ويشهد له ما أخرجه مسلم في التفسير عن عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي! أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبّوهم. ونقله ابن كثير: (٤/ ٣٤٠) عن البغوي.

(٣) في «أ»: (بفضلة).

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: (٨/ ١٤٦١ ـ ١٤٦٢)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة»: (١/ ٢٣ ـ ٢٦) عن ابن شاهين في كتاب «اللطيف من السنة» وخشيش بن أصرم في كتابه، ومن طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه «الأصول»، =

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ
أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ
الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم
بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

قال مالك بن أنس: من يبغض أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: «مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ»، حتى أتى على هذه الآية: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ..» «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ..» «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ»، إلى قوله: «رَءُوفٌ رَّحِيمٌ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أي: أظهروا خلاف ما أضمروا، يعني: عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود من بني قريظة والنضير، جعل المنافقين إخوانهم في الدين؛ لأنهم كفار مثلهم ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾ يسألنا خذلانكم وخلافكم ﴿أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ﴾ يعني: المنافقين ﴿لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وكان الأمر كذلك، فإنهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقُوتلوا فلم ينصروهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ أي: لو قدر وجود نصرهم، قال الزَّجَّاج: معناه: لو قصدوا نصر اليهود لولَّوا الأدبار منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ يعني: بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم.

﴿لَأَنتُمْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الخوف منكم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ عظمة الله.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ أي: لا يبرزون لقتالكم، إنما

= وقال: (فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضًا، وبعضها يزيد على بعض، لكن عبد الرحمن بن مالك ضعيف، وذم الشعبي لهم ـ الرافضة ـ ثابت من طرق أخرى.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران، وهو قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو «جدار» على الواحد، وقرأ الآخرون «جُدُر» بضم الجيم والدال على الجمع ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: بعضهم فظٌّ على بعض، وعداوة بعضهم بعضًا شديدة، وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة مختلفة، قال قتادة: أهل الباطل مختلفةٌ أهواؤهم، مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق، وقال مجاهد: أراد: أن دين المنافقين يخالف دين اليهود ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم ﴿قَرِيبًا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يعني: القتل ببدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم، يعني: بني قينقاع، وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير، وكان بينهما ستان
١٥٩/ب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ ثم ضرب / مثلًا للمنافقين واليهود جميعًا في تخاذلهم[1] فقال:

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾.

وذلك ما روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال: كان راهب في الفترة يقال له: «برصيصا» تعبَّد في صومعة له سبعين سنة، لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال: ألا أجد أحدًا منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض ـ وهو صاحب الأنبياء وهو الذي تصدى للنبي ﷺ، وجاءه في صورة جبرائيل ليوسوس إليه على وجه الوحي فدفعه جبرائيل إلى أقصى أرض الهند ـ فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك أمره، فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلّا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلّا في عشرة أيام مرة.

فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائمًا يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله ندم في نفسه حين لم يجبه، فقال له: إنك ناديتني وكنت مشتغلًا عنك، فما حاجتك؟ قال: حاجتي أني أحببت أن أكون معك، فأتأدب بك وأقتبس من عملك وعلمك، ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك، فقال برصيصا: إني لفي شغل

(١) في «أ»: (تجادلهم).

عنك، فإن كنت مؤمنًا فإن الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبًا إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يومًا بعدها، فلما انفتل رآه قائمًا يصلي، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك، فأذن له فارتفع إليه في صومعته، فأقام معه حولًا يتعبد لا يفطر إلَّا في كل أربعين يومًا ولا ينفتل عن صلاته إلَّا في كل أربعين يومًا مرة، وربما مدَّ إلى الثمانين، فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض.

فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق فإن لي صاحبًا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادًا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد، وكره مفارقته للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهنَّ فهنَّ خير مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون، قال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة؛ لأن لي في نفسي شغلًا وإني أخاف إن علم به الناس شغلوني عن العبادة، فلم يَزل به الأبيض حتى علمه.

ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال: قد والله أهلكت الرجل.

قال: فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه، ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لأهله إن بصاحبكم جنونًا أفأعالجه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلى مَن يدعو الله فيعافيه، انطلقوا إلى برصيصا فإن عنده الاسم الذي إذا دعا به أُجيب، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان، فكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا، فيدعو فيعافون، فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل بين ثلاثة إخوة وكان أبوهم ملكهم، فمات واستخلف أخاه فكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها ثم جاء إليهم في صورة متطبب فقال لهم: أتريدون أن أعالجها؟ قالوا: نعم، قال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة، قالوا: ومَن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنًا من ذلك؟ قالوا: فانطلقوا فابنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، فإن قبلها وإلَّا فضعوها في صومعتها، ثم قولوا له: هي أمانة عندك، فاحتسبْ فيها.

قال: فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض، ووضعوا الجارية في صومعته، وقالوا: هذه أُختنا أمانة فاحتسب فيها ثم انصرفوا، فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال، فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم، ثم أقبل في صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات، ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها، وكانت تكشف عن نفسها،

فجاءه الشيطان وقال: واقعها فستتوب بعد فتدرك ما تريد من الأمر، فلم يزل به حتى واقعها، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتضحت، فهل لك أن تقتلها وتتوب؟ فإن سألوك فقل: ذهب بها شيطانها، فلم أقدر عليه، فدخل فقتلها، ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاء الشيطان، وهو يدفنها ليلًا، فأخذ بطرف إزارها، فبقي طرف خارجًا من التراب، ثم رجع برصيصا إلى صومعته فأقبل على صلاته، إذ جاء إخوتها يتعاهدون أُختهم، وكانوا يجيئون في طرف الأيام يسألون عنها ويوصونه بها، فقالوا: يا برصيصا ما فعلت أُختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه، فصدَّقوه وانصرفوا، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه فقال: ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وإنه دفنها في موضع كذا وكذا، فقال الأخ في نفسه: هذا حلم، وهو من عمل الشيطان، فإن برصيصا خير من ذلك، قال: فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث، فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط مثل ما قاله الأكبر، فلم يخبر أحدًا، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك، فقال أصغرهم
١/١٦٠ لأخويه: والله لقد رأيت كذا وكذا، وقال الأوسط: وأنا والله قد رأيت مثله، / وقال الأكبر: وأنا رأيت مثله، فانطلقوا إلى برصيصا وقالوا: يا برصيصا ما فعلت أُختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بحالها؟ فكأنكم اتهمتموني؟ فقالوا: والله لا نتهمك، واستحيوا منه فانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب، فانطلقوا فرأوا أُختهم على ما رأوا في النوم، فمشوا في مواليهم وغلمانهم، ومعهم الفؤوس والمساحي، فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه، فانطلقوا به إلى الملك فأقر على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تكابر، يجتمع عليك أمران: قتل ومكابرة، اعترِفْ، فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه الأبيض فقال: يا برصيصا أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك، ويحك ما اتقيت الله في أمانتك! خنت أهلها وإنك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل، أما استحييت؟ فلم يزل يعيِّره، ثم قال في آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعتَ حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس؟ فإن مت على هذه الحالةَ لم يفلح أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع قال: تطيعني في خصلة واحدة حتى أُنجيك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم فأخرجك من مكانك! قال: وما هي؟ قال: تسجد لي، (قال: ما أستطيع، قال: افعل)[1]، فسجد له، فقال: يا برصيصا هذا الذي كنت أردت منك، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك، إني بريء منك ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[2].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) ذكرها الطبري باختصار: (٢٨/ ٥٠). وعزاها السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١١٧) لابن أبي حاتم باختصار الطبري. =

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾

يقول الله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ يعني: الشيطان وذلك الإنسان ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾ قال ابن عباس: ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ أمر نبيَّه ﷺ بإجلاء بني النضير عن المدينة فدسَّ المنافقون إليهم، وقالوا: لا تجيبوا محمدًا إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم فإنا معكم، وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأجابوهم فدربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبي ﷺ فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله، فكان عاقبة الفريقين النار.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فكان الرهبان بعد ذلك في بني إسرائيل لا يمشون إلَّا بالتَّقِيَّة والكتمان، وطمع أهل الفسوق والفجور في الأحبار، ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب، فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس، وكانت قصة جريج على ما:

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا جرير بن حازم، حدثنا محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلَّا ثلاثة: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وكان جريج رجلًا عابدًا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أُمُّه وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يا ربِّ، أُمِّي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: أيْ رب، أُمِّي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات.

فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننَّه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغية فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أُصلي، فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام، مَنْ أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا.

= قال الحافظ ابن كثير: (٤/ ٣٤٢) بعد أن ساق رواية مختصرة عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (وكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا، فالله أعلم).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾

وبينا صبي يرضع من أمِّه، فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل عليه ونظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع، قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه، فجعل يمصها.

قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيتِ وسرقتِ، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أُمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها.

فهناك تراجعا الحديث، فقالت: مرَّ رجل حسن الهيئة فقلتُ: اللهم اجعل ابني مثله، فقلتَ: لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت وسرقت، فقلتُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلتَ: اللهم اجعلني مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيتِ، ولم تزنِ، وسرقتِ، ولم تسرقْ، فقلت: اللهم اجعلني مثلها»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ يعني: ليوم القيامة، أي: لينظر أحدُكم أي شيء قدم لنفسه: عملًا صالحًا ينجيه، أم سيئًا يوبقه؟ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ تركوا أمر الله ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ (أي: حظوظ أنفسهم)[2]، حتى لم يقدموا لها خيرًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾.

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾.

١٦٠/ب قوله عزَّ وجلَّ: /﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته، حذرًا من

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها برقم ٢٥٥٠: (٤/ ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨).
وأخرجه البخاري مختصرًا في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾: (٦/ ٤٧٦).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

أن لا يؤدي حقَّ الله عزَّ وجلَّ في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عمَّا فيه من العبر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ «الغيب»: ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه، و«الشهادة»: ما شاهدوه وما علموه ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ الطاهرُ من كلِّ عيب، المنزَّه عمَّا لا يليق به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ الذي سلم من النقائص ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ قال ابن عباس: هو الذي أمن الناس من ظلمه، وأمن من آمن به من عذابه، هو من الأمان الذي هو ضد التخويف، كما قال: «وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ»[قريش: ٤]، وقيل: معناه: المصدِّق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدِّق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن، إذا كان رقيبًا على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيمن، قلبت الهمزة هاء، كقولهم: أرقت وهرقت، ومعناه: المؤمن، وقال الحسن: الأمين، وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ، وقال ابن زيد: المصدق، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي، وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب، والله أعلم بتأويله.

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ قال ابن عباس: «الجبار» هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويُصلح الكسير، وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد، وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمرًا فعله لا يحجزه عنه حاجز.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي تكبر عن كل سوء، وقيل: المتعظم عما لا يليق به، وأصل الكبر والكبرياء: الامتناع، وقيل: ذو الكبرياء، وهو الملك ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدِّر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال: «يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ»[الزمر: ٦] ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ المنشىء للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الممثل للمخلوقات

بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، يقال: هذه صورة الأمر، أي: مثاله، فأولًا يكون خلقًا ثم بَرْءًا ثم تصويرًا ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه حدثنا ابن شيبة حدثنا ابن وهب حدثنا أحمد بن أبي شريح وأحمد بن منصور الرمادي قالا: أخبرنا أبو أحمد الزبيري حدثنا خالد بن طهمان حدثني نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال حين يصبح ـ ثلاث مرات ـ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكَّلَ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزلة»[1].

ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري بهذا الإسناد، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه[2].

* * *

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن: (٨/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، والدارمي في فضائل القرآن: (٢/ ٤٥٨)، والإمام أحمد: (٥/ ٢٦)، وفيه خالد بن طهمان كان قد اختلط قبل موته بعشر سنين. وانظر: «ضعيف الجامع»: رقم٥٧٢٢.

(٢) انظر: الموضع السابق عند الترمذي.

سورة المُمْتَحَنَة

مدنية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ...﴾ الآية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبد الله ابن أبي رافع يقول: سمعت عليًا ـ رضي الله عنه ـ يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا (روضة خاخ) فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»، قال: فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتُخرِجنَّ الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل عليَّ إني كنت امرأ ملصقًا في قريش ـ يقول: كنت حليفًا ولم أكن من أنفسها ـ وكان مَنْ معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت ـ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ـ أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الممتحنة بالمدينة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ١٢٤).

«أما إنه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله اطلع على (أهل بدر)[1] فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله تعالى هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾، إلى قوله: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو ابن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمسلمة جئت»؟ قالت: لا، قال: «أمهاجرة جئت»؟ قالت: لا، قال: «فما جاء بكِ»، قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي، وقد ذهبت مواليَّ وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني
١٦١/أ وتحملوني، فقال لها: «وأين أنت من شبان مكة»؟ وكانت مغنية نائحة، قالت: ما طلب مني شيء / بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزىٰ، فكتب معها إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير، وكساها بُرْدًا، على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حِذْركم.

فخرجت سارة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما فعل، فبعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرسانًا، فقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا (روضة خاخ) فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوا منها وخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها».

قال: فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب، فبحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابًا، فهمُّوا بالرجوع، فقال علي رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ، وسلَّ سيفه فقال: أخرجي الكتاب وإلَّا لأجردنَّك ولأضربن عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها، وكانت قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها، فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب، فأتاه فقال: «هل تعرف الكتاب»؟ قال: نعم، قال: «فما حملك على ما صنعت»؟ فقال: يا رسول الله، والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلَّا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريبًا فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يدًا، وقد علمتُ أن الله ينزل بهم بأسه،

---

(١) في «أ»: (من شهد بدرًا).

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الجاسوس: (٦/ ١٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ـ رضي الله عنهم ـ وقصة حاطب بن أبي بلتعة برقم ٢٤٩٤: (٤/ ١٩٤١ ـ ١٩٤٢).

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾

وأن كتابي لا يغني عنهم شيئًا، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره.

فقام عمر بن الخطاب فقال: دعني يا رسول الله ﷺ أضرب عنق هذا المنافق.

فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟» فأنزل الله عزَّ وجلَّ في شأن حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[1].

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ قيل: أي: المودة، و«الباء» زائدة، كقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال الزَّجَّاج: معناه: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسرَّه بالمودة التي بينكم وبينهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ «الواو» للحال، أي: وحالهم أنهم كفروا ﴿بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ يعني: القرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة ﴿أَن تُؤْمِنُوا﴾ أي: لأن آمنتم، كأنه قال: يفعلون ذلك لإيمانكم ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ ﴿جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ قال مقاتل: بالنصيحة ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ من المودة للكفار ﴿وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ أظهرتم بألسنتكم ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١﴾ أخطأ طريق الهدى.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم ويروكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب والقتل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ بالشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ كما كفروا، يقول: لا تناصحوهم، فإنهم لا يناصحونكم ولا يوادُّونكم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ معناه: لا يَدْعُوَنَّكم ولا يحملنَّكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة إلى خيانة الرسول ﷺ والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذين عصيتم الله لأجلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار، قرأ عاصم ويعقوب «يَفْصِل» بفتح الياء وكسر الصاد مخففًا، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الصاد مشددًا، (وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشددًا)[2]، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الصاد مخففًا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٥٩ ـ ٦٠). وانظر: «أسباب النزول» للواحدي: ص٤٨٥.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من أهل الإيمان ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾ من المشركين: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ جمع بريء ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ جحدنا وأنكرنا دينكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ يأمر حاطبًا والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ يعني: لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره إلّا في استغفاره لأبيه المشرك، فإن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان قد قال لأبيه: لأستغفرنَّ لك، ثم تبرأ منه ـ على ما ذكرناه في سورة التوبة[1] ـ ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ يقول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيتَه وأشركتَ به ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ يقوله إبراهيم ومن معه من المؤمنين ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال الزَّجّاج: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا، وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك[2] ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي: في إبراهيم ومَن معه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ هذا بدل من قوله: «لَكُمْ»، وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعْرِض عن الإيمان ويوالِ الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ إلى أوليائه وأهل طاعته.

قال مقاتل: فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار، عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين، وأظهروا لهم العداوة والبراءة، ويعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك، فأنزل الله[3]:

---

(١) انظر: فيما سبق: (٤/ ١٠١).
(٢) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٦٤)، وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٢٥)، وابن كثير: (٤/ ٣٤٩).
(٣) ذكره ابن كثير: (٤/ ٣٤٩ـ ٣٥٠)، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي: ص٤٨٨.

﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾

﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ أي: من كفار مكة ﴿مَّوَدَّةً﴾ ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وإخوانًا، وخالطوهم وناكحوهم ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا / المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال: ١٦١/ب

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي: لا ينهاكم الله عن برّ الذين لم يقاتلوكم ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ تعدلوا فيهم بالإحسان والبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ قال ابن عباس: نزلت في خزاعة، كانوا قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يعينوا عليه أحدًا، فرخّص الله في برّهم.

وقال عبد الله بن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا، ضِبابًا وأقطًا وسمنًا، فقالت أسماء: لا أقبل منك هديةً ولا تدخلي عليَّ بيتي حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فسألت رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة، حدثنا حاتم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: قدمت عليَّ أُمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ومدتهم مع أبيها فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أُمي قدمت عليَّ وهي راغبة أفأصلها؟ قال: صليها[2].

وروي عن ابن عيينة قال: فأنزل الله فيها: «لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ».

ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال:

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٨/٦٦)، والإمام أحمد: (٤/٤)، والحاكم: (٤٨٥ ـ ٤٨٦) وصححه ووافقه الذهبي.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٢٣): (رواه أحمد والبزار وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٢) أخرجه البخاري في الهبة، باب الهدية للمشركين: (٥/٢٣٣)، ومسلم في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم١٠٠٣: (٢/٦٩٦).

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ وهم مشركو مكة ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ...﴾ الآية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قالا: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ، كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منَّا أحدٌ ـ وإن كان على دينك ـ إلَّا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وأبىٰ سُهيل إلَّا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد النبي ﷺ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحدٌ من الرجال إلَّا رده في تلك المدة وإن كان مسلمًا، وجاءت المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ مهاجرة وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهنَّ: «إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ» إلى «وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ».

قال عروة: فأخبرتني عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهنَّ بهذه الآية: «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات»، إلى قوله: «غفور رحيم».

قال عروة: قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فمن أقرت بهذا الشرط منهنَّ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلامًا يكلمها به، والله ما مست يدُه يد امرأة قط في المبايعة، ما بايعهنَّ إلَّا بقوله[1].

(١) أخرجه البخاري في الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة: (٥/٣١٢)، ومطولًا في باب الشروط في الجهاد: (٥/٣٢٩ـ٣٣٢)، ومسلم في الإمارة، باب كيفية بيعة النساء برقم ١٨٦٦: (٣/١٤٨٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (١١/١٥٧ـ١٥٨).

قال ابن عباس: أقبل رسول الله ﷺ معتمرًا حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن مَن أتاه مِن أهل مكة رده إليهم، ومَن أتى أهل مكة مِن أصحاب رسول الله ﷺ لم يردوه إليه، وكتبوا بذلك كتابًا وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مُسْلِمةً بعد الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم ـ وقال مقاتل هو: صيفي بن الراهب ـ في طلبها، وكان كافرًا، فقال: يا محمد ردّ علي امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منّا، وهذه طية الكتاب لم تجف بعد، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ» من دار الكفر إلى دار الإسلام «فَٱمْتَحِنُوهُنَّ».

قال ابن عباس: امتحانها: أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقًا لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدثٍ أحدثته ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلَّا رغبة في الإسلام وحبًا لله ولرسوله.

قال: فاستحلفها رسول الله ﷺ على ذلك فحلفت فلم يردَّها، وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها، فتزوجها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه(١) ـ، وكان يرد مَن جاءه من الرجال ويحبس مَن جاءه من النساء بعد الامتحان، ويعطي أزواجهنَّ مهورهنَّ.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ (أي: هذا الامتحان لكم، والله أعلم بهنَّ)(٢) ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ما أحل الله مؤمنةً لكافر ﴿وَءَاتُوهُم﴾ يعني: أزواجهنَّ الكفار ﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾ عليهنَّ، يعني: المهر الذي دفعوا إليهنَّ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهنَّ، أباح الله نكاحهنَّ للمسلمين، وإن كان لهنَّ أزواج في دار الكفر؛ لأن الإسلام فرق بينهنَّ وبين أزواجهنَّ الكفار ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ﴾ (قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتشديد، والآخرون بالتخفيف، من الإمساك)(٢) ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ و«العِصَم»: جمع العصمة، وهي ما يعتصم به من العقد والنسب، و«الكوافر»: جمع الكافرة.

نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول: مَن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما.

قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قُرَيْبَة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، والأخرى أم كلثوم بنت / عمرو بن جرول الخزاعية أم ابنه عبد الله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة ١٦٢/أ
بن غانم، وهما على شركهما، وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله،

---

(١) انظر: ابن كثير: (٤/ ٣٥١)، «الدر المنثور»: (٨/ ١٣٧)، القرطبي: (١٨/ ٦٢).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)﴾

فهاجر طلحة وهي بمكة علي دين قومها، ففرق الإسلام بينهما، فتزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية(١).

قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبي ﷺ، وأقام أبو العاص بمكة مشركًا، ثم أتى المدينة فأسلم، فردَّها عليه رسول الله ﷺ(٢).

﴿وَسْـَٔلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي: إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا﴾ يعني: المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿مَآ أَنفَقُوا﴾ من المهر ممن تزوجها منكم ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ قال الزهري: لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردّ الصداق، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد(٣).

فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عزَّ وجلَّ، وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمروا به من أداء نفقات المسلمين (على نسائهم)(٤)، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ فلحقن بهم مرتدات ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ قال المفسرون: معناه: غنمتم، أي: غزوتم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة، وقيل: ظهرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم، قرأ حميد الأعرج «فعقَّبتم» بالتشديد، وقرأ الزهري «فعقَبتم» خفيفة بغير ألف، وقرأ مجاهد «فأعقبتم»، أي: صنعتم بهم كما صنعوا بكم، وكلها لغات بمعنى واحد، يقال: عاقب وعقَّب وعقَب، وأعقب وتعقَّب وتعاقب واعتقب: إذا غنم، وقيل: «التعقيب»: غزوة بعد غزوة ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ إلى الكفار منكم ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار، وقيل: فعاقبتم المرتدة بالقتل.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٧٢)، وانظر: ابن كثير: (٤/ ٣٥٢).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٣٦) لعبد بن حميد. وذكره ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٣٥٢)، وراجع ما كتبه الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد»: (١٢/ ١٩ ـ ٣٥)، وانظر: «إرواء الغليل»: (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤١).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٧٤)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٣٦ ـ ١٣٧) عزوه لعبد بن حميد وأبي داود في «ناسخه» وابن المنذر.

(٤) ساقط من «أ».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين والمهاجرين ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان، وكانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب، فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت، وبروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان، وعزة بن عبد العزيو بن نضلة، وزوجها عمرو بن عبد وِدّ، وهند بنت أبي جهل ابن هشام، كانت تحت هشام بن العاص بن وائل، وأم كلثوم بنت جرول، كانت تحت عمر بن الخطاب، فكلهنَّ رَجَعْنَ عن الإسلام، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهنَّ مهور نسائهم من الغنيمة(١).

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ واختلف القول في أن رد مهر من أسلمت من النساء إلى أزواجهنَّ، كان واجبًا أو مندوبًا؟

وأصله أن الصلح هل كان وقع على ردّ النساء؟ فيه قولان، أحدهما: أنه وقع على رد الرجال والنساء جميعًا، لِما روينا: أنه لا يأتيك منّا أحدٌ وإن كان على دينك إلّا رددته إلينا، ثم صار الحُكْمُ في رد النساء منسوخًا بقوله: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، فعلى هذه كان رد المهر واجبًا.

والقول الآخر: أن الصلح لم يقع على رد النِّساء؛ لأنه روي عن علي: أنه لا يأتيك منّا رجلٌ وإن كان على دينك إلّا رددته إلينا؛ وذلك لأن الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها، وأنه لا يؤمن عليها الردة إذا خوّفت وأكرهت عليها؛ لضعف قلبها وقلة هدايتها إلى المخرج منها بإظهار كلمة الكفر مع التورية وإضمار الإيمان، ولا يخشى ذلك على الرجل؛ لقوّته وهدايته إلى التقية، فعلى هذا كان رد المهر مندوبًا.

واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال إذا شرط في معاقدة الكفار؟

فقال قوم: لا يجب، وزعموا أن الآية منسوخة، وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة.

وقال قوم: هي غير منسوخة ويرد إليهم ما أنفقوا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ...﴾ الآية، وذلك يوم فتح مكة، لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٥٧).

الله ﷺ ويبلغهنَّ عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال رسول الله ﷺ: «أبايعكن عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا»، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: «وَلَا يَسْرِقْنَ»، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات، فلا أدري أيحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك، فقال: «وَلَا يَزْنِينَ»، فقالت هند: أوَ تزني الحرة؟ فقال: «وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ»، فقالت هند: ربيناهم صغارًا وقتلتموهم كبارًا، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر ـ رضي الله عنه ـ حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ، فقال: «وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ» ـ وهي أن تقذف ولدًا على زوجها ليس منه ـ قالت هند: والله، إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلّا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ»، قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء، فأقرَّ النسوة بما أخذ عليهنَّ[1].

١٦٢/ب قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ أراد: وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية. /

قوله: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ ليس المراد منه نهيهنَّ عن الزنا؛ لأن النهي عن الزنا قد تقدم ذكره، بل المراد منه أن تلتقط مولدًا وتقول لزوجها هذا ولدي منك، فهو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهنَّ؛ لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها.

قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أي: في كلِّ أمر وافق طاعة الله، قال بكر بن عبد الله المزني: في كل أمر فيه رشدهنَّ، وقال مجاهد: لا تخلو المرأة بالرجال، وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد: هو النهي عن النَّوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه، ولا تحدِّث المرأة الرجال إلّا ذا محرم، ولا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلّا مع ذي محرم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين، عن أُم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: «أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا»، ونهانا عن النياحة، فقبضتِ امرأةٌ يدها فقالت: أسعدَتْني فلانة أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئًا، فانطلقت ورجعت وبايعها[2].

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥)، ثم قال: (وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم). وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الممتحنة، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾: (٨/ ٦٣٧).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا هُدْبَة بن خالد، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا يحيى بن أبي كثير أن زيدًا حدثه أن أبا سلّام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أُمّتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن حفص، حدثنا أبي، أخبرنا الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «ليس منّا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»(٢).

قوله: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ يعني: إذا بايعنك فبايعهنّ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثني محمود، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: «لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا»، قالت: وما مستْ يَدُ رسول الله ﷺ يَدَ امرأة إلّا امرأة يملكها(٣).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، أخبرنا مكي بن عبدان، حدثنا عبد الرحمن بن بشر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر سمع أميمة بنت رقيقة تقول: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة، فقال لنا: «فيما استطعتن وأطقتن»، فقلت: رسول الله ﷺ أرحم بنا من أنفسنا، قلت: يا رسول الله بايعنا، قال سفيان: يعني: صافِحْنا، فقال: «إني لا أُصافح النساء، إنّما قولي لامرأةٍ كقولي لمائة امرأة»(٤).

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»: (٢/ ٢٣٥)، ومسلم في الجنائز، باب التشديد في النياحة برقم٩٣٤: (٢/ ٦٤٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب: ليس منّا من ضرب الخدود: (٣/ ١٦٦)، ومسلم في الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود برقم١٠٣: (١/ ٩٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٤٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في الأحكام، باب في بيعة النساء: (١٣/ ٢٠٣)، ومسلم في الإمارة، باب كيفية بيعة النساء برقم١٨٦٦: (٣/ ١٤٨٩)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (٦/ ٧).

(٤) أخرجه الترمذي في السِّير، باب ما جاء في بيعة النساء: (٥/ ٢٢٠)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في البيعة، باب بيعة النساء: (٧/ ١٤٩)، وابن ماجه في الجهاد، باب بيعة النساء برقم٢٨٧٤: (٢/ ٩٥٩)، والإمام أحمد: (٦/ ٣٥٧)، والإمام أحمد: (٦/ ٣٥٧)، والإمام مالك في «الموطأ»: (٢/ ٩٨٢)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (٦/ ٧)، وابن حبان برقم١٤: ص٣٤. وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: رقم٥٢٩.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهم اليهود، وذلك أن أناسًا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم، فنهاهم الله عن ذلك[1] ﴿قَدۡ يَئِسُواْ﴾ يعني: هؤلاء اليهود ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بأن يكون لهم فيها ثواب وخير ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾ أي: كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة، قال مجاهد: الكفار حين دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله، قال سعيد بن جبير: يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار الذين ماتوا فعاينوا الآخرة، وقيل: كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم.

* * *

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٥٩).

سورة الصَّف

مدنية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ لعملناه، ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا»، فابتلوا بذلك يوم أُحد فولوا مدبرين، فأنزل الله تعالى: «لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ»[٢]؟

وقال محمد بن كعب: لما أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بثواب شهداء بدر، (قالت الصحابة)[٣]: لئن لقينا بعده قتالًا لنُفْرِغَنَّ فيه وُسْعَنا، ففروا يوم أُحد فعيَّرهم الله بهذه الآية[٤].

وقال قتادة والضحاك: نزلت في شأن[٥] القتال، كان الرجل يقول: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، فنزلت هذه الآية[٦].

قال ابن زيد: نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون[٧].

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٦١).

(٢) أخرج الطبري روايات عدة: (٢٨/ ٨٣ ـ ٨٤)، وانظر: ابن كثير: (٤/ ٣٥٩)، وعزا السيوطي هذه الرواية في «الدر المنثور»: (٨/ ١٤٦) لابن أبي حاتم. وانظر: الواحدي: ص٤٩٢.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) انظر: القرطبي: (١٨/ ٧٨).

(٥) في «أ»: (بيان).

(٦) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٨٤ ـ ٨٥)، وذكره ابن كثير: (٤/ ٣٥٩). وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٦١).

(٧) ذكره الطبري: (٢٨/ ٨٥)، وقال مرجحًا: (وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عنى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصروا في العمل بعد ما عرفوا). وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٦١).

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ
فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى
وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟﴾ في موضع الرفع فهو كقولك: بئس رجلًا أخوك، ومعنى الآية: أي: عَظُمَ ذلك في المَقْت والبغض عند الله، أي: إن الله يبغض بغضًا شديدًا أن تقولوا ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ أن تعِدوا من أنفسكم شيئًا، ثم لم توفوا به.

١/١٦٣ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ أي: يصفُّون أنفسهم عند القتال صفًّا/ ولا يزولون عن أماكنهم ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ قد رُصَّ بعضُه ببعض، (أي: ألزق بعضه ببعض)(١)، وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل، وقيل: كالرصاص.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ من بني إسرائيل: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ وذلك حين رموه بالأدرة ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ والرسول يعظم ويكرم(١) ويحترم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عدلوا عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الحق، يعني: أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ قال الزَّجّاج: يعني: لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ والألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان، أحدهما: أنه مبالغة في الفاعل، أي: الأنبياء كلهم حامدون لله عزَّ وجلَّ، وهو أكثر حمدًا لله من غيره، والثاني: أنه مبالغة في المفعول، أي: الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة، وهو (أكثرهم مبالغة)(٢) وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾.

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٢) في «ب»: (أكثرهم مبالغة مناقب).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ
أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ
قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ
مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت
طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ قرأ ابن عامر «تُنَجِّيكم» بالتشديد، والآخرون بالتخفيف ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ نزل هذا حين قالوا: لو نعلم أيّ الأعمال أحب إلى الله عزَّ وجلَّ لعملناه(1)، وجعل ذلك بمنزلة التجارة؛ لأنهم يربحون بها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار، ثم بيَّن تلك التجارة فقال:

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: ولكم خصلة أُخرى في العاجل مع ثواب الآخرة تحبونها، وتلك الخصلة: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة، وقال عطاء: يريد: فتح فارس والروم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ يا محمد، بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة، ثم حضَّهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «أنصارًا» بالتنوين، «لله» بلام الإضافة، وقرأ الآخرون «أنصار الله» مضافًا؛ لقوله: «نحن أنصار الله».

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ﴾ أي: انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ أي: من ينصرني مع الله؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(1) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ١٤٩).

وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ قال ابن عباس: يعني: في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه الله إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون، واتبع كلَّ فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين، حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة[1]، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ عالين غالبين، وروى مغيرة عن إبراهيم قال: فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه[2].

* * *

(١) انظر: الطبري: (٢٨/ ٩٢)، ابن كثير: (٤/ ٣٦٣).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٥٠) لعبد بن حميد وابن المنذر.

سورة الجُمُعَة

مدنية[(١)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ يعني: العرب كانت أمّة أميّة لا تكتب ولا تقرأ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمدًا ﷺ نسبه نسبهم، (ولسانه لسانهم؛ ليكون أبلغ في إقامة الحجة عليهم)[(٢)] ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ أي: ما كانوا قبل بعثة الرسول إلّا في ضلال مبين يعبدون الأوثان.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ وفي «آخرين» وجهان من الإعراب، أحدهما: الخفض، على الرد إلى الأمّيين، مجازه: وفي آخرين، والثاني: النصب، على الردّ إلى الهاء والميم في قوله: «ويعلمهم»، أي: ويعلم آخرين منهم، أي: من المؤمنين الذين يدينون بدينهم؛ لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، فإن المسلمين كلهم أمّة واحدة.

واختلف العلماء فيهم، فقال قوم: هم العجم، وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير، ورواية ليث عن مجاهد، والدليل عليه ما:

أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسي بها، حدثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أخبرنا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف، حدثنا الحسين بن سفيان وعلي بن طيفور وأبو العباس الثقفي قالوا: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة قال: كنّا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: «وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ»، قال رجلٌ: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: نزلت سورة الجمعة بالمدينة. انظر: «الدر المنثور» (٨/ ١٥١).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»[1].

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن جعفر الجزري، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل»، أو قال: «رجالٌ من أبناء فارس حتى يتناولوه»[2].

وقال عكرمة ومقاتل: هم التابعون، وقال ابن زيد: هم جميع مَن دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ إلى
١٦٣/ب يوم القيامة، وهي / رواية ابن[3] أبي نجيح عن مجاهد.

قوله: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ﴾ أي: لم[4] يدركوهم، ولكنهم يكونون بعدهم، وقيل: «لما يلحقوا بهم»، أي: في الفضل والسابقة؛ لأن التابعين لا يدركون شأو الصحابة ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ يعني: الإسلام والهداية ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي: كُلِّفوا القيام بها، والعمل بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها، ولم يؤدُّوا حقها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾ أي: كُتبًا من العلم، واحدها: سفر، قال الفرَّاء: هي الكتب العظام[5]، يعني: كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها؛ لأنهم خالفوا ما فيها ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء عليهم السلام، يعني: مَن سبق في علمه أنه لا يؤمن لا يهديهم.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الجمعة: (٨/ ٦٤١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل فارس برقم٢٥٤٦: (٤/ ١٩٦٣ـ ١٩٧٢)، والمصنف في شرح السنة: (١٤/ ١٩٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» في كتاب الجامع، باب قبائل العجم: (١١/ ٦٦)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل فارس برقم٢٥٤٦: (٤/ ١٩٧٢)، والمصنف في شرح السنة: (١٤/ ١٩٩ـ ٢٠٠).

(٣) ساقط من «أ».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ١٥٥).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ من دون محمد ﷺ وأصحابه ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ فادعُوا بالموت على أنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ أنكم أبناء الله وأحباؤه، فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ أي: في يوم الجمعة، كقوله: «أروني ماذا خلقوا من الأرض»، (أي: في الأرض)[1]، وأراد بهذا النداء: الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري عن، السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزَّوراء[2].

قرأ الأعمش «من يوم الجمْعة» بسكون الميم، وقرأ العامة بضمها.

واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعةً، منهم من قال: لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام، وقيل: لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء، فاجتمعت فيه المخلوقات، وقيل: لاجتماع الجماعات فيه، وقيل: لاجتماع الناس فيها للصلاة.

وقيل: أول من سماها جمعة كعب بن لؤي، قال أبو سلمة: أول من قال: «أما بعد» كعب بن لؤي، وكان أول من سمى الجمعة جمعة، وكان يقال له: يوم العروبة.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة: (٢/ ٣٩٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٤٤).

وعن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة، وقبل أن ينزل الجمعة، وهم الذين سموها الجمعة، وقالوا: لليهود يومٌ يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى يوم، فهلمَّ فلنجعل يومًا نجتمع فيه، فنذكر الله ونصلي فيه، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكَّرهم فسموه يوم الجمعة، ثم أنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك بعد[1].

وروي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب: أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة، فقلت له: إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة؟ قال: لأنه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له: بقيع الخضمات، قلت له: كم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون[2]، وأما[3] أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه على ما ذكر أهل السِّيَر: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجرًا نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة[3] خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحى، فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس، وأسَّسَ مسجدهم، ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدًا المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم، وقد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجدًا، فجمَّع هناك وخطب[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع، إنما المراد منها العمل والفعل، كما قال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ٢٠٥]، وقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[الليل: ٤].

وكان عمر بن الخطاب يقرأ «فامضوا إلى ذكر الله»، وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود[5]، وقال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلَّا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع[6].

وقال قتادة في هذه الآية: «فاسعوا إلى ذكر الله»، قال: فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المشي إليها[7]، وكان يتأول قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾[الصافات: ١٠٢]، يقول: فلما مشى معه.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (٣/ ١٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الجمعة في القرى: (٢/ ١٠)، والبيهقي: (٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧)، وابن ماجه في الإقامة، باب في فرض الجمعة برقم١٠٨٢: (١/ ٣٤٣ـ٣٤٤)، والحاكم: (١/ ٢٨١).

(٣) زيادة من «ب».

(٤) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٦٧ـ٢٦٨).

(٥) أخرجه الطبري: (٢٨/ ١٠٠)، وذكره ابن كثير: (٤/ ٣٦٦).

(٦) ذكره ابن كثير: (٤/ ٣٦٧).

(٧) أخرجه الطبري: (٢٨/ ٩٩ـ١٠٠).

أخبرنا الإمام أبو علي[1] الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»[2].

قوله: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: إلى الصلاة، وقال سعيد بن المسيب: «فاسعوا إلى ذكر الله» قال: هو موعظة الإمام ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ يعني: البيع والشراء؛ لأن اسم البيع يتناولهما جميعًا، وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال الزهري: عند خروج الإمام، وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المبايعة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ مصالح أنفسكم.

واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان، فتجب على كل من جمع: العقل، والبلوغ، والحرية، والذكورة، والإقامة، إذا لم يكن له عذر، ومن تركها استحق الوعيد.

وأما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما؛ لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فروض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة / على النساء بالاتفاق: ١/١٦٤

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني سلمة بن عبد الله الخطمي، عن محمد بن كعب أنه سمع رجلًا من بني وائل يقول: قال النبي ﷺ: «تجب الجمعة على كل مسلم إلَّا امرأة أو صبيًا أو مملوكًا»[3].

وذهب أكثرهم إلى أنه لا جمعة على العبيد.

وقال الحسن وقتادة والأوزاعي: تجب على العبد المخارج، ولا تجب على المسافر عند الأكثرين.

وقال النخعي والزهري: تجب على المسافر إذا سمع النداء، وكل مَن له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة، وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل.

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (٢/ ٢١١)، وأخرجه البخاري في الجمعة، باب المشي إلى الجمعة: (٢/ ٣٩٠)، ومسلم في المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا برقم٦٠٢: (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٢/ ٣١٦).

(٣) أخرجه الشافعي في «مسنده»: (١/ ١٣٠)، والبيهقي في «السنن»: (٣/ ١٨٣)، وقال: (هذا الحديث وإن كان فيه إرسال فهو مرسل جيد وله شواهد)، ثم ساقها واعترضه ابن التركماني في «الجوهر النقي»: (٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤).
والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٢٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، (حدثنا مسدد، حدثنا إسماعيل)[1]، أخبرني عبد الحميد صاحب الزيادي، حدثنا عبد الله ابن الحارث بن عمر، حدثنا محمد بن سيرين قال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير: إذا قلت: أشهد أن محمدًا رسول الله، فلا تقل: حي على الصلاة، قل: صلُّوا في بيوتكم، فكأن الناس استنكروا، فقال: فَعَلَهُ مَنْ هو خير مني، إن الجمعة عزمة، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشوا في الطين والدحض[2].

وكل مَن لا يجب عليه حضور الجمعة، فإذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة[1] سقط عنه فرض الظهر، ولكن لا يكمل به عدد الجمعة إلَّا صاحب العذر، فإنه إذا حضر يكمل به العدد.

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، أخبرنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي، حدثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، أخبرنا يحيى بن حسان، حدثنا معاوية بن سلام، أخبرني زيد ابن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني الحكم بن مينا أن ابن عمر حدثه وأبا هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ وهو على أعواد المنبر: «لينتهينَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِم الجمعات أو ليختمنَّ الله على قلوبهم ثم ليكونُنَّ من الغافلين»[3].

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا علي بن خشرم، أخبرنا عيسى بن يونس، عن محمد بن عمرو، عن عبيدة بن سفيان، عن أبي الجعد يعني: الضميري، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونًا بها طبع الله على قلبه»[4].

واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة، وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة، وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها:

أما الموضع: فذهب قوم إلى أن كل قريةٍ اجتمع فيها أربعون رجلًا من أهل الكمال، بأن يكونوا أحرارًا

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في الأذان، باب هل يصلي الإمام بمن حضر؟ وهل يخطب يوم الجمعة في المطر؟: (٢/ ١٥٧)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الصلاة في الرحال برقم٦٩٩: (١/ ٤٨٥).

(٣) أخرجه الدارمي في الصلاة، باب فيمن يترك الجمعة من غير عذر: (١/ ٣٠٦ـ ٣٠٧)، ومسلم في الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة برقم٨٦٥: (٢/ ٥٩١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢١٤ـ ٢١٥).

(٤) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر: (٣/ ١٣)، قال أبو عيسى: (حديث أبي الجعد حديث حسن)، وأبو داود في الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة: (٢/ ٥ـ ٦)، والنسائي في الجمعة، باب التشديد في التخلف عن الجمعة: (٣/ ٨٨ـ ٨٩)، وابن ماجه في الإقامة، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر برقم١١٢٥: (١/ ٣٥٧)، والبيهقي: (٣/ ١٧٨)، وصححه ابن حبان برقم٥٥٥: ص١٤٧، والحاكم: (١/ ٢٨٠) ووافقه الذهبي، والإمام أحمد: (٣/ ٤٢٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢١٣).

عاقلين بالغين[١] مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفًا إلّا ظعن حاجة، تجب عليهم إقامة الجمعة فيها، وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلًا على هذه الصفة، وشرط عمر بن عبد العزيز مع عدد الأربعين أن يكون فيهم والٍ، والوالي غير شرط عند الشافعي.

وقال علي: لا جمعة إلّا في مصر جامع، وهو قول أصحاب الرأي.

ثم عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ تنعقد بأربعة، والوالي شرط، وقال الأوزاعي وأبو يوسف: تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم والٍ، وقال الحسن وأبو ثور: تنعقد باثنين كسائر الصلوات، وقال ربيعة: تنعقد باثني عشر رجلًا، والدليل على جواز إقامتها في القرى ما:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثنى، أخبرنا أبو عامر العقدي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي حمزة الضبعي، عن ابن عباس قال: إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجُوَاثَى من البحرين[٢].

وإذا كان الرجل مقيمًا في قرية لا تقام فيها الجمعة، أو كان مقيمًا في برية، فذهب قوم إلى أنه إن كان يبلغهم النداء من موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة، وإن كان لا يبلغهم النداء فلا جمعة عليهم، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت، يؤذّن في وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة، وكل قرية تكون في موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة.

وقال سعيد بن المسيب: تجب على كل من آواه المبيت، وقال الزهري: تجب على مَن كان على ستة أميال، وقال ربيعة: على أربعة أميال، وقال مالك والليث: على ثلاثة أميال، وقال أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ: لا جمعة على أهل السواد قريبة كانت القرية أو بعيدة.

وكل من تلزمه صلاة الجمعة لا يجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة، وجوّز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوار إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت.

أما إذا سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فيجوز، غير أنه يكره إلّا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو، وذهب بعضُهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيمًا فلا يسافر حتى يصلي الجمعة، والدليل على جوازه ما:

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن: (٢/٣٧٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/٢١٨).

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى، حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو معاوية، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، فغدا أصحابه، وقال: أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ ثم ألحقهم، فلما صلى مع النبي ﷺ رآه فقال: «ما منعك أن تغدو مع أصحابك»؟ قال: أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم، فقال: «لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما أدركت فضل غدوتهم»[1].

وروي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سمع رجلًا عليه هيئة السفر يقول: لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت، فقال عمر: اخرجْ فإن الجمعة لا تحبس عن سفر[2].

وقد ورد أخبار في سنن يوم الجمعة وفضله منها:

ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد الفقيه، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم
ابن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، / عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن ١٦٤/ب
إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أنه قال: خرجت إلى الطور[3] فلقيت كعب الأحبار، فجلست معه فحدثني عن التوراة، وحدثته عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدثته أن قلت له: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أُهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلّا وَهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلّا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبدٌ مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلّا أعطاه إيّاه»، قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقلت: بل في كل جمعة، قال: فقرأ كعب التوراة فقال: صدق رسول الله ﷺ، قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار، وما حدثته في يوم الجمعة، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، هي آخر ساعة في يوم الجمعة، قال أبو هريرة: وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة! وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي»، وتلك ساعة لا يصلى فيها؟ فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من جلس مجلسًا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها»؟ قال أبو هريرة: بلى، قال: فهو ذاك[4].

---

(١) حديث ضعيف، أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في السفر يوم الجمعة: (٣/ ٦٥ ـ ٦٦)، قال أبو عيسى: (هذا حديث لا نعرفه إلّا من هذا الوجه)، قال علي بن المديني: (قال يحيى بن سعيد: قال شعبة: لم يسمع الحكم من مقسم إلّا خمسة أحاديث، وعدها شعبة وليس هذا الحديث فيما عدها شعبة، وكأن هذا الحديث لم يسمعه الحكم من مقسم)، وفيه أيضًا الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف.
وأخرجه الإمام أحمد مختصرًا: (١/ ٢٥٦)، والبيهقي: (٣/ ١٨٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه الشافعي في «مسنده»: (١/ ١٥٠)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (٣/ ٢٥٠)، والبيهقي في «السنن»: (٣/ ١٨٧).

(٣) في «ب»: (الطريق).

(٤) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة: (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، وأبو داود في الصلاة، =

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»[(١)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، أخبرني أبي، عن عبد الله بن وديعة، عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدَّهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرِّق بين اثنين، ثم يصلي ما كُتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلَّا غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[(٢)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعن أبي أمامة يعني: سهل بن حنيف حدثاه عن أبي سعيد وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخطَّ رقاب الناس، ثم ركع ما شاء الله أن يركع، وأنصت إذا خرج الإمام كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة التي كانت قبلها»[(٣)]، قال أبو هريرة: وزيادة ثلاثة أيام؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾[الأنعام: ١٦٠].

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، حدثني حسان بن عطية، حدثني أبو الأشعث الصنعاني، حدثني أوس ابن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن غسَّل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع، ولم يلْغُ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها»[(٤)].

= باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة: (٢/ ٣)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة: (٢/ ٦١٨ ـ ٦١٩)، وقال: (هذا حديث صحيح)، والنسائي في الجمعة، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة: (٣/ ١١٣ ـ ١١٤)، والشافعي في «ترتيب المسند»: ص١٢٨ ـ ١٢٩، والإمام أحمد: (٢/ ٤٨٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨).

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في كتاب الجمعة: (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، والبخاري في الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة: (٢/ ٣٥٦)، ومسلم في الجمعة برقم٨٤٤: (٢/ ٥٧٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٢/ ١٦١).

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الدهن للجمعة: (٢/ ٣٧٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة: (١/ ٢١٢)، والإمام أحمد: (٣/ ٨١)، وصححه الحاكم: (١/ ٢٨٣) ووافقه الذهبي، وأخرجه مسلم مختصرًا من حديث أبي صالح عن أبي هريرة: (٢/ ٥٨٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٤) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة: (١/ ٢١٣)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة: (٣/ ٣ ـ ٤)، وقال: (حديث أوس بن أوس حديث حسن، وأبو الأشعث الصنعاني اسمه شراحيل بن آدة)، والنسائي في الجمعة، باب=

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الأول فالأول، فإذا خرج الإمام طويت الصحف واستمعوا الخطبة، والمهجِّر إلى الصلاة كالمهدي بدنةً، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي شاة، ثم الذي يليه كالمهدي كبشًا، حتى ذكر الدجاجة والبيضة»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الرزق، وهذا أمر إباحة، كقوله: «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟»[المائدة: ٢]، قال ابن عباس: إن شئت فاخرج، وإن شئت فاقعد، وإن شئت فصلِّ إلى العصر، وقيل: «فانتشروا في الأرض» ليس لطلب الدنيا، ولكن لعيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله. وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول: «وابتغوا من فضل الله» هو طلب العلم.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ...﴾ الآية، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا خالد بن عبد الله، (أخبرنا حصين)[2]، عن سالم بن أبي الجعد وعن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت عِيرٌ يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ فثار الناس إلَّا اثني عشر رجلًا، فأنزل الله: «وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا»[3].

= فضل المشي إلى الجمعة: (٣/ ٩٧)، وابن ماجه في الإقامة، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة برقم١٠٨٧: (١/ ٣٤٦)، والإمام أحمد: (٤/ ١٠٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٣٦).

(١) أخرجه الشافعي: (١/ ١٣١)، والبخاري في الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة يوم الجمعة: (٢/ ٤٠٧)، ومسلم في الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة برقم٨٥٠: (٢/ ٥٨٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٣٢).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الجمعة، باب ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾: (٨/ ٦٤٣)، ومسلم في الجمعة، باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ برقم٨٦٣: (٢/ ٥٩٠).

ويحتج بهذا الحديث من يرى إقامة[1] الجمعة باثني عشر رجلًا، وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة، لاشتراط هذا العدد، وقال ابن عباس في رواية الكلبي: لم يبق في المسجد إلَّا ثمانية رهط.

وقال الحسن وأبو مالك: أصاب أهلَ المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه، فلم يبق مع النبي ﷺ إلَّا رهط منهم أبو بكر وعمر، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارًا»[2].

وقال مقاتل: بينا / رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة، ١٦٥/أ
وكان إذا قدم لم تبق بالمدينة عاتق إلَّا أتته، وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبُرّ وغيره، فينزل عند أحجار الزيت، وهو مكان في سوق المدينة، ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليبتاعوا منه، فقدم ذات جمعة، وكان ذلك قبل أن يسلم، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس فلم يبق في المسجد إلَّا اثنا عشر رجلًا وامرأة، فقال النبي ﷺ: «كم بقي في المسجد»؟ فقالوا: اثنا عشر رجلًا وامرأة، فقال النبي ﷺ: «لولا هؤلاء لسوِّمت لهم الحجارة من السماء»، فأنزل الله هذه الآية[3]، وأراد باللهو: الطبل.

وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق.

وقوله: «انفضوا إليها»، ردّ الكناية إلى التجارة؛ لأنها أهم، وقال علقمة: سئل عبد الله بن عمر: أكان النبي ﷺ يخطب قائمًا أو قاعدًا؟ قال: أما تقرأ «وتركوك قائمًا».

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائمًا يفصل بينهم بجلوس[4].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا أبو الأحوص، عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكّر الناس[5].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٧١، وقال: (هكذا ذكره الواحدي عن المفسرين، وذكره الثعلبي ثم البغوي عن الحسن بغير إسناد).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١١٦)، وعزاه للبيهقي في «شعب الإيمان».

(٤) أخرجه الشافعي: (١/ ١٤٤)، والبيهقي في «السنن»: (٣/ ١٨١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٤٧).

(٥) أخرجه مسلم في الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة برقم ٨٦٢: (٢/ ٥٨٩).

وبهذا الإسناد عن جابر بن سمرة قال: كنت أُصلي مع النبي ﷺ، فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا[١].

والخطبةُ فريضةٌ في صلاة الجمعة، ويجب أن يخطب قائمًا خطبتين، وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة: أن يحمد الله، ويصلي على النبي ﷺ، ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعًا، ويجب أن يقرأ في الأُولى آية من القرآن، ويدعو للمؤمنين في الثانية، فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه.

وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا عبد الله بن يوسف بن محمد بن ماموية، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري، حدثنا الحسن بن الصباح الزعفراني، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عبيد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف أبا هريرة على المدينة، فصلَّى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة في الركعة الأُولى وفي الثانية: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، فقال عبيد الله: فلما انصرفنا مشيت إلى جنبه فقلت له: لقد قرأتَ بسورتين سمعتُ علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الصلاة؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقرأ بهما[٢].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن ضمرة بن سعيد المازني، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن الضحاك بن قيس سأل النعمان ابن بشير ماذا كان يقرأ به رسول الله ﷺ يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة؟ فقال: كان يقرأ بـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[٣].

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى، حدثنا قتيبة، حدثنا أبو عوانة، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان ابن بشير قال: كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾، وربما اجتمع في يوم واحد فيقرأ بهما[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم٨٦٦: (٢/ ٥٩١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة برقم٨٧٧: (٢/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٧٠).

(٣) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في كتاب الجمعة، باب القراءة في صلاة الجمعة والاحتباء، ومن تركها من غير عذر: (١/ ١١١)، ومسلم في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة برقم٨٧٨: (٢/ ٥٩٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٧١).

(٤) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين: (٣/ ٧٦)، وقال: (حديث النعمان بن بشير حديث حسن صحيح)، ومسلم في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة برقم٨٧٨: (٢/ ٥٩٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٧١).

ولجواز الجمعة خمس شرائط: الوقت، وهو: وقت الظهر، ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر، والعدد، والإمام، والخطبة، ودار الإقامة، فإذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلوها ظهرًا.

ولا يجوز للإمام أن يبتدىء الخطبة قبل اجتماع العدد، وهو عدد الأربعين عند الشافعي، فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة، بل يصلي الظهر، ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضُّوا، فأصح أقوال الشافعي: أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة، (كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة)[1]، فلو انتقص واحد منهم قبل أن يسلِّم الإمام يجب على الباقين أن يصلُّوها أربعًا، وفيه قول آخر: إن بقي معه اثنان أتمها جمعة، وقيل: إن بقي وحده فإن كان في الركعة الأولى يتمها أربعًا، وإن انتقص من العدد واحد، وبه قال أبو حنيفة في العدد الذي شرطه كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام ركعة من الجمعة فإذا سلم الإمام أتمها جمعة، وإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعًا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ أي: ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ لأنه موجد الأرزاق، فإيَّاه اسألوا، ومنه فاطلبوا.

* * *

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

سورة المُنافقون

مدنية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يعني: عبدَ الله بن أبي بن سلول وأصحابه ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ سترة ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمدٍ ﷺ.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ أقرُّوا باللسان إذا رأوا المؤمنين ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ إذا خلوا إلى المشركين ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ / الإيمان. ١٦٥/ب

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أن لهم أجسامًا ومناظر ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ فتحسب أنه صدق، قال عبد الله بن عباس: كان عبد الله بن أبي جسيمًا فصيحًا ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام.

قرأ أبو عمرو والكسائي «خُشْب» بسكون الشين، وقرأ الباقون بضمها.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: نزلت سورة المنافقين بالمدينة.
وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ١٧٠).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ ممالة إلى جدار، من قولهم: «أسندت الشيء» إذا أملته، والتثقيل للتكثير، وأراد: أنها ليست بأشجار تثمر، ولكنها خشب مسندة إلى حائط ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يسمعون صوتًا في العسكر بأن نادى منادٍ أو انفلتت دابة وأنشدت ضالة، إلَّا ظنوا ـ من جبنهم وسوء ظنهم ـ أنهم يُرادون بذلك، وظنوا أنهم قد أُتوا، لما في قلوبهم من الرعب. وقيل: ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل اللهُ فيهم أمرًا يهتك أستارهم ويبيح دماءهم، ثم قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ وهذا ابتداء وخبره: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ ولا تأمنهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ لعنهم الله ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ يصرفون عن الحق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: عطفوا وأعرضوا بوجوههم رغبةً عن الاستغفار. قرأ نافع ويعقوب «لَوَوا» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد؛ لأنهم فعلوه مرة بعد مرة.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يُعرضون عمَّا دُعوا إليه ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ ذكر محمد بن إسحاق وغيره عن جماعة من أصحاب السير أن رسول الله ﷺ بَلَغَهُ أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرة[١] زوج النبي ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: «المُرَيْسيع» من ناحية قُدَيْد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم[٢]، فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبرة الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على ذلك[٣] الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار! وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين! وأعان جهجاهًا الغفاريَّ رجلٌ من المهاجرين يقال له: «جُعال»، وكان فقيرًا، فغضب

---

(١) في المخطوطتين: (جويرة)، وفي غيرهما: (جويرية).
(٢) في «ب»: (عليه).
(٣) زيادة من «ب».

عبد الله بن أُبَيّ بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن، فقال ابن أُبَيّ: أفعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مَثَلُنا ومثلُهم إلّا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلْك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، يعني بالأعز: نفسه، وبالأذل: رسول الله ﷺ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولتحولوا إلى غير بلادكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضُّوا من حول محمد، فقال زيد بن أرقم: أنتَ ـ واللهِ ـ الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد ﷺ في عزٍّ من الرحمن ومودة من المسلمين، فقال عبد الله بن أُبَيّ: اسكت، فإنما كنتُ ألعب، قال: فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ، وذلك(1) بعد فراغه من العدو، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: كيف يا عمر، إذًا تحدَّث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟ ولكن أذّن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس.

وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبَيّ فأتاه فقال: أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني؟ فقال عبد الله: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلتُ شيئًا من ذلك، وإن زيدًا لكاذبٌ، وكان عبد الله في قومه شريفًا عظيمًا، فقال من حضر من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله، فَعَذَرَه النبيُّ ﷺ وفَشَتِ الملامةُ في الأنصار لزيدٍ وكذَّبوه، وقال له عمه (وكان زيد معه)(1): ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ، والناسُ مَقَتُوك، وكان زيد يساير النبي ﷺ فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي ﷺ.

فلما استقلَّ رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا رسول الله، لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها.

فقال له رسول الله ﷺ: «أوَما بلغك ما قال صاحبكم عبد الله بن أُبَيّ»؟ قال: وما قال؟ قال: زعم إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلَّ، فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، ارفق به فوالله لقد جاء اللهُ بك، وإن قومَه ينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكًا.

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ ما كان من أمر أبيه فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبَيّ، لِمَا بلغك عنه، فإن كنت فاعلًا فَمُرْني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمتِ الخزرج ما كان بها رجلٌ أبرّ بوالديه مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَيّ يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار.

---

(1) زيادة من «ب».

فقال رسول الله ﷺ: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا.

قالوا: وسار رسول الله ﷺ يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم حتى آذتهم الشمس، (ثم نزل بالناس)[1] فلم يكن إلّا أن وجدوا مسَّ الأرض وقعوا نيامًا، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أُبـيّ.

١/١٦٦ ثم راح بالناس حتى نزل (على ماء بـ)[1] الحجاز فُوَيْقَ النَّقِيع، يقال له: «نقعًا» فهاجت ريح شديدة / آذتهم وتخوَّفوها، وضلَّت ناقة النبي ﷺ وذلك ليلًا، فقال رسول الله ﷺ: «لا تخافوا، فإنما هبَّتْ لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة»، قيل: من هو؟ قال: «رفاعة بن زيد بن التابوت»، فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم أنه يعلم الغيب، ولا يعلم مكان ناقته؟ ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي! فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة، وأخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه، وقال: «ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه، ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي، هي في الشِّعب قد تعلق زمامها بشجرة»، فخرجوا يسعَوْن قِبَل الشعب فإذا هي كما قال، فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق.

فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم، وكان من عظماء اليهود وكهفًا للمنافقين، فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة، قال زيد بن أرقم: جلست في البيت لِمَا بي من الهمِّ والحياء، فأنزل الله تعالى تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال: «يا زيد، إن الله صدقك، وأوفى بأذنك».

وكان عبد الله بن أُبيّ بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة، فلما جاء عبد الله بن أُبيّ قال: (وراءك، قال)[1]: مالك ويلك؟ قال: لا والله لا تدخلها أبدًا إلّا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمنَّ اليوم مَن الأعز مِن الأذل، فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه، فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خلِّ عنه حتى يدخل، فقال: أما إذا جاءك أمر رسول الله ﷺ فنعم، فدخل فلم يلبث إلّا أيامًا قلائل حتى اشتكى ومات.

قالوا: فلما نزلت الآية، وبان كذب عبد الله بن أُبيّ، قيل له: يا أبا حباب، إنه قد نزل فيك آيٌ شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلّا أن أسجد لمحمد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ...﴾[2] الآية، ونزل:

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) ذكره ابن هشام في «السيرة»: (٣/ ٣٠٢ـ٣٠٥) طبعة دار القلم، والطبري: (٢٨/ ١١٥ـ١١٧)، وابن كثير: (٤/ ٣٧٠ـ٣٧١).

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ﴾ يتفرقوا ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فلا يعطي أحدٌ أحدًا شيئًا إلَّا بإذنه، ولا يمنعه إلَّا بمشيئته ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ أن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فعزة الله: قهره من دونه، وعزة رسوله: إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين: نصر الله إيَّاهم على أعدائهم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ ذلك، ولو علموا ما قالوا هذه المقالة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ ﴾ لا تشغلكم ﴿ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ قال المفسرون: يعني: الصلوات الخمس، نظيره قوله: «لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ»[النور: ٣٧] ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: مَن شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ قال ابن عباس: يريد: زكاة الأموال ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ فيسأل الرجعة ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ ﴾ هلا أخرتني أمهلتني، وقيل: «لا» صلة، فيكون الكلام بمعنى التمني، أي: لو أخرتني ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ فأتصدق وأزكي مالي ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ أي: من المؤمنين، نظيره قوله تعالى: «وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ»[الرعد: ٢٣، غافر: ٨]، هذا قول مقاتل وجماعة، وقالوا: نزلت الآية في المنافقين.

وقيل: نزلت[١] الآية في المؤمنين.

---

(١) زيادة من «ب».

وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾

والمراد بالصلاح هنا: الحج، وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤدّ زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلّا سأل الرجعة عند الموت، وقرأ هذه الآية[1].

وقال: «وأكن من الصالحين» قرأ عمرو «وأكونَ» بالواو ونصب النون على جواب التمني وعلى لفظ «فأصدق»، وقال: إنما حذفت الواو من المصحف اختصارًا.

وقرأ الآخرون: «وأكنْ» بالجزم عطفًا على قوله: «فأصدّق» لو لم يكن فيه الفاء؛ لأنه لو لم يكن فيه فاء كان جزمًا، يعني: إن أخرتني أصدق وأكن؛ ولأنه مكتوب في المصحف بحذف الواو.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ قرأ أبو بكر «يعملون» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

* * *

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة المنافقين: (٩/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، والطبري: (٢٨/ ١١٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٧٩) أيضًا لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

سورة التَّغابُن

مدنية[١].

قال عطاء هي مكية إلَّا ثلاث آيات[٢]، من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ . . .﴾ إلى آخرهنَّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ قال ابن عباس: إن[٣] الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافرًا، ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنًا وكافرًا[٤].

وروينا عن ابن عباس عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافرًا»[٥].

وقال جلَّ ذِكْرُه: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس، (عن أنس)[٣]،

(١) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة التغابن بالمدينة.
وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال: نزلت سورة التغابن بالمدينة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ١٨١).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٨/ ١٢٥). وانظر: «الدر المنثور»: (٨/ ١٨١).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) أخرجه الطبري: (١٢/ ٣٨٢) بتحقيق: محمود شاكر، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: (٣/ ٥٤٧)، والآجري في «الشريعة»: ص٢١١).

(٥) أخرجه مسلم مرفوعًا في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين برقم٢٦٦١: (٤/ ٢٠٥٠).

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾

عن النبي ﷺ قال: «وكَّل الله بالرحم مَلَكًا فيقول: أيْ ربِّ نطفة، أيْ ربِّ علقة، أيْ ربِّ مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: يا رب أذكَرٌ أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»[(١)].

وقال جماعة: معنى الآية: إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا؛ لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم، فقال: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى﴾ [النور: ٤٥]، والله خلقهم والمشيُ فِعْلُهم، ثم اختلفوا في تأويلها:

روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «فمنكم كافر» في حياته مؤمن في العاقبة، «ومنكم مؤمن» في حياته كافر في العاقبة.

وقال عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب[(٢)].

١٦٥/ب وقيل: / فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه، وهو مذهب الدهرية، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه[(٢)].

وجملة القول فيه: أن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار، وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إيَّاه يختار الإيمان؛ لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدَّره عليه وعلمه منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إيَّاه يختار الكفر؛ لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدَّره عليه وعلمه منه، وهذا طريق أهل السنة والجماعة مَنْ سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يخاطب كفار مكة ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني: الأمم الخالية ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يعني: ما لحقهم من العذاب في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾ في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري في أول القدر: (١١/ ٤٧٧)، وفي الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة، ومسلم في القدر برقم ٢٦٤٦: (٤/ ٢٠٣٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٢) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ
غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ
لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾ ولم يقل: يهدينا؛ لأن «البشر» وإن كان لفظه واحدًا فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه، وواحده إنسان، ومعناها: ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا! ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ عن إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٞ ﴿٦﴾﴾ في أفعاله، ثم أخبر عن إنكارهم البعث فقال جلَّ ذِكْرُه:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ﴾ يا محمد ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ وهو القرآن ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾﴾.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ يعني: يوم القيامة، يجمع فيه أهل السموات والأرض ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ وهو تفاعل من الغبن، وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غُبِنَ في أهله ومنازله في الجنة، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ قرأ أهل المدينة والشام «نكفر» «وندخله»، وفي سورة الطلاق «ندخله» بالنون فيهنَّ، وقرأ الآخرون بالياء ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ (بإرادته وقضائه)(١) ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ فيصدِّق أنه لا يصيبه مصيبة إلَّا بإذن الله ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلِّم لقضائه(٢) ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) في «ب»: (لقضاء الله).

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ قال ابن عباس: هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا، وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة، فمنعهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا: صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم، فأطاعوهم وتركوا الهجرة[1]، (فقال تعالى: ﴿ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة)[2].

﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر، فإذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين هَمَّ أن يعاقبَ زوجه وولده الذين ثبطوا عن الهجرة، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير، فأمر الله تعالى بالعفو عنهم والصفح.

وقال عطاء بن يسار: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي: كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه، وقالوا: إلى مَنْ تَدَعُنا؟ فيرقّ لهم ويقيم[3]، فأنزل الله ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ بحملهم إيّاكم على ترك الطاعة، فاحذروهم أن تقبلوا منهم، ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا ﴾ فلا تعاقبوهم على خلافهم إيّاكم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ بلاء واختبار وشغل عن الآخرة، يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ قال بعضهم: لما ذكر الله العداوة أدخل فيه «من» للتبعيض، فقال: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾؛ لأن كلهم ليسوا بأعداء[4]، ولم يذكر «مِنْ» في قوله: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾؛ لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب.

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة التغابن: (٩/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والطبري: (٢٨/ ١٢٤)، والحاكم: (٢/ ٤٩٠)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٨٤) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ». (٣) أخرجه الطبري: (٢٨/ ١٢٥). (٤) في «ب»: (بأعدائكم).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

وكان عبد الله بن مسعود يقول: لا يقولنَّ أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد إلَّا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل: اللهم إني أعوذ بك من مضلَّات الفتن(١).

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق الفقيه، حدثنا أحمد بن بكر بن يوسف، حدثنا علي بن الحسين، أخبرنا الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين، وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»(٢).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أطقتم، هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[آل عمران: ١٠٢] ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ الله ورسوله ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ﴾ أنفقوا من أموالكم خيرًا لأنفسكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حتى يعطي حق الله من ماله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ / لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ١٦٦/ب
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

* * *

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٨٥) لابن المنذر والطبراني.
قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢٠): (رواه الطبراني وإسناده منقطع، وفيه المسعودي وقد اختلط).

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث: (٢/ ٢٠)، والترمذي في المناقب: (١٠/ ٢٧٨ـ٢٧٩)، وقال: (هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد)، والنسائي في الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة: (٣/ ١٠٨)، وابن ماجه في اللباس، باب لبس الأحمر للرجال برقم ٣٦٠٠: (٢/ ١١٩٠)، وابن حبان برقم ٢٢٣٠: ص ٥٥٢)، والحاكم: (١/ ٢٨٧)، والإمام أحمد: (٥/ ٣٥٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: برقم ٣٧٥٧.

سورة الطَّلاق

مدنية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ نادى النبيَّ ﷺ، ثم خاطب أُمَّته؛ لأنه السيد المقدَّم، فخاطب الجميع معه.

وقيل: مجازه: يا أيها النبي قل لأمَّتك «﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾»: إذا أردتم تطليقهنَّ، كقوله عزَّ وجلَّ: «﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾»[النحل: ٩٨]، أي: إذا أردت القراءة.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لطهرهنَّ بالذي يحصينه من عدتهنَّ، وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن: «فطلقوهنَّ في قُبُلِ عدتهنَّ»، نزلت هذه الآية في عبد الله (بن عمر)(٢) كان قد طلق امرأته في حال الحيض(٣).

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد الفقيه، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، (عن نافع)(٤)، عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمرُ بن الخطاب رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال: «مُرْهُ فَلْيراجِعْها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض (ثم تطهر)(٢)، ثم إن شاء أمسك بَعْدُ، وإن شاء طلَّق قبل أن يمسَّ، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء»(٥).

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الطلاق بالمدينة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ١٨٨)

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الطلاق: (٨/ ٦٥٣).

(٤) ساقط من «ب».

(٥) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في الطلاق، باب ما جاء في الأقراء وعدة الطلاق وطلاق الحائض: (٢/ ٥٧٦)، والبخاري في الطلاق، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: (٩/ ٣٤٥-٣٤٦)، ومسلم في الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها برقم ١٤٧١: (٢/ ١٠٩٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٢٠٢).

ورواه سالم عن ابن عمر قال: «مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملًا»(١).

ورواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر، ولم يقولا: ثم تحيض ثم تطهر(١).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا مسلم وسعيد بن سالم، عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل عبد الله بن عمر ـ وأبو الزبير يسمع ـ فقال: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضًا؟ قال ابن عمر: طلق عبد الله بن عمر امرأته حائضًا، فقال النبي ﷺ: «مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو ليمسك»، قال ابن عمر: وقال الله عزَّ وجلَّ: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهنَّ في قُبُل عدتهن أو لقبل عدتهن»، الشافعي يشك.

ورواه حجاج بن محمد، عن ابن جريج، وقال: قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: يا أيها النبي ﷺ إذا طلقتم النساء فطلقوهنَّ في قبل عدتهن(٢).

اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة، وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه، لقول النبي ﷺ: «وإن شاء طلق قبل أن يمسّ».

والطلاق السني: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، وهذا في حق امرأة تلزمها العدة بالأقراء.

فأما إذا طلَّق غيرَ المدخولِ بها في حال الحيض، أو طلق الصغيرة التي لم تحض قط، أو الآيسة بعد ما جامعها، أو طلق الحامل بعد ما جامعها، أو في حال رؤية الدم، لا يكون بدعيًا، ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء؛ لأن النبي ﷺ قال: «ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملًا».

والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه(٣) لا يكون بدعيًا؛ لأن النبي ﷺ أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير أن يُعرفَ حالها، ولولا جوازه في جميع الأحوال لأشبه أن يتعرف الحال.

ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصدًا يعصي الله تعالى، ولكن يقع الطلاق؛ لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بالمراجعة، فلولا وقع الطلاق لكان لا يأمر بالمراجعة، وإذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس، كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر.

وما رواه نافع عن ابن عمر: «ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر» فاستحبابٌ، استحب تأخير الطهر الثاني؛ حتى لا يكون مراجعته إيَّاها للطلاق، كما يكره النكاح للطلاق.

---

(١) أخرجه مسلم في الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها برقم ١٤٧١: (٢/ ١٠٩٥).

(٢) أخرجه الشافعي: (٢/ ٣٣ ـ ترتيب المسند)، ومسلم في الطلاق برقم ١٤٧١: (٢/ ١٠٩٨).

(٣) ساقط من «أ».

ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث، عند بعض أهل العلم، حتى لو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثًا لا يكون بدعيًا، وهو قول الشافعي وأحمد، وذهب بعضهم إلى أنه بدعة، وهو قول مالك وأصحاب الرأي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: عدد أقرائها، احفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثًا، وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة، ومراعاة أمر النفقة والسكنى.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ أراد به: إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز له أن يخرجها منه ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض عدتها، فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثِمَتْ، فإن وقعت ضرورة ـ وإن خافت هدمًا أو غرقًا ـ لها أن تخرج إلى منزل آخر، وكذلك إن كان لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهارًا ولا يجوز ليلًا، فإنَّ رجالًا استُشْهِدوا بأحد فقالت نساؤهم: نستوحش في بيوتنا، فأذن لهنَّ النبي ﷺ أن يتحدثن عند إحداهنَّ، فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها[(١)]، وأذن النبي ﷺ لخالة جابر طلقها زوجها أن تخرج لجذاذ نخلها[(٢)].

وإذا لزمتها العِدَّة في السفر تعتد ذاهبة وجائية، والبدوية تتبوَّأ[(٣)] حيث يتبوأ أهلها في العدة؛ لأن الانتقال في حقهم كالإقامة في حق المقيم.

قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ قال ابن عباس: «الفاحشة المبينة»: أن تبذو على أهل زوجها، فيحلّ إخراجها[(٤)].

وقال جماعة: أراد بالفاحشة: أن تزني، فتخرج لإقامة الحد عليها، ثم ترد إلى منزلها، يروى ذلك عن ابن مسعود[(٥)].

وقال قتادة: معناه: إلَّا أن يطلقها على نشوزها، فلها أن تتحول من بيت زوجها[(٦)]، والفاحشة: النشوز.

وقال ابن عمر والسدي: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة[(٧)].

---

(١) أخرجه الشافعي في «الأم»: (٥/ ٢١٧)، والبيهقي في «السنن»: (٧/ ٤٣٦) عن مجاهد مرسلًا، ورجال إسناده ثقات، وعبد الرزاق في «المصنف»: (٧/ ٣٦). وانظر: «تلخيص الحبير»: (٣/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في الطلاق، باب جواز خروج المعتدة البائن والمتوفى عنها زوجها في النهار لحاجتها برقم١٤٨٣: (٣/ ١١٢١).

(٣) في «أ»: (تنتوي).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (٦/ ٣٢٣)، والطبري: (٢٨/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٩٣) لسعيد بن منصور وابن راهويه وعبد بن حميد وابن مردويه، ورواه الشافعي والبيهقي. انظر: «تلخيص الحبير»: (٣/ ٢٤١).

(٥) انظر: الطبري: (٢٨/ ١٣٤)، ابن كثير: (٤/ ٣٧٩).

(٦) انظر: «المصنف» لعبد الرزاق: (٦/ ٣٢٣)، والطبري: (٢٨/ ١٣٤).

(٧) أخرجه الطبري: (٢٨/ ١٣٤)، وانظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٨٢).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾

١/١٦٧ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١)﴾ يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين، وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة، حتى إذا ندم أمكنه المراجعة.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قربن من انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: راجعوهنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: اتركوهنَّ حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على الرجعة والفراق، أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أيها الشهود ﴿لِلَّهِ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)﴾ قال عكرمة والشعبي والضحاك: ومَن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجًا إلى الرجعة(١).

وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر المشركون ابنًا له يسمى مالكًا فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أسر العدو ابني، وشكا أيضًا إليه الفاقة، فقال له النبي ﷺ: «اتَّقِ الله واصبرْ، وأكثِرْ من قول: لا حول ولا قوة إلَّا بالله»، ففعل الرجل ذلك(٢) فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلًا وجاء بها إلى أبيه(٣).

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت: «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا»(٤) في ابنه ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ما ساق من الغنم.

وقال مقاتل: أصاب غنمًا ومتاعًا ثم رجع إلى أبيه، فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، وسأله: أيحلُّ له أن يأكل ما أتى به ابنه؟ فقال له النبي ﷺ: «نعم»، وأنزل الله هذه الآية.

---

(١) انظر: الطبري: (٢٨/ ١٣٨).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٠٢-٥٠٣، ابن كثير: (٤/ ٣٨١).

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٩٧) لابن مردويه. وانظر: الطبري: (٢٨/ ١٣٨)، ابن كثير: (٤/ ٣٨١).

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾

قال ابن مسعود: «وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا»: هو أن يعلم أنه مِنْ قِبَلِ الله، وأن الله رازقه.

وقال الربيع بن خثيم: «يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا» من كل شيء ضاق على الناس[1].

وقال أبو العالية: «مَخۡرَجٗا» من كل شدة.

وقال الحسن: «مَخۡرَجٗا» عما نهاه عنه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه.

وروينا أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ قرأ طلحة بن مصرِّف وحفص عن عاصم «بالغُ أمرِه» بالإضافة، وقرأ الآخرون «بالغٌ» بالتنوين[3] «أمرَه» نصب، أي: منفذ أمره، مُمْضٍ في خلقه قضاءه ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ أي: جعل لكل شيءٍ من الشدة والرخاء أجلًا ينتهي إليه.

قال مسروق: في هذه الآية: «إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ»، توكل عليه أو لم يتوكل، غير أن المتوكل عليه يكفِّر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ فلا ترجون أن يحضن ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: شككتم فلم تدروا ما عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾.

قال مقاتل: لما نزلت: «وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ»[البقرة: ٢٢٨]، قال خلاد بن النعمان ابن قيس الأنصاري: يا رسول الله، فما عدة من لا تحيض، والتي لم تحض، وعدة الحبلى؟ فأنزل الله: «وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ»[4]، يعني: القواعد اللائي قعدن عن المحيض «إن ارتبتم» شككتم في حكمها «فعدتهن ثلاثة أشهر».

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ يعني: الصغار اللائي لم يحضن فعدتهنَّ أيضًا ثلاثة أشهر، أما الشابة التي كانت

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٨/ ١٣٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ١٩٨) أيضًا لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا: (٧/ ٨)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه)، وابن ماجه في الزهد، باب التوكل واليقين برقم٤١٦٤: (٢/ ١٣٩٤)، والإمام أحمد: (١/ ٣٠)، والطيالسي في «مسنده»: ص١١، وصححه الحاكم: (٤/ ٣١٨) ووافقه الذهبي، وابن حبان: ص٦٣٣ من «موارد الظمآن»، وابن أبي الدنيا في «كتاب التوكل»: برقم١، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٠١). وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (رقم٣١٠).

(٣) ساقط من «أ».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي: ص٥٠٣، وراجع: «أحكام القرآن» للشافعي: (١/ ٣٢٤).

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سن الآيسات: فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم، فتعتد بثلاثة أقراء، أو تبلغ سن الآيسات فتعتد ثلاثة أشهر، وهو قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود، وبه قال عطاء، وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي.

وحُكي عن عمر: أنها تتربص تسعة أشهر، فإن لم تحض تعتد بثلاثة أشهر (وهو قول مالك.

وقال الحسن: تتربص سنة، فإن لم تحض تعتد بثلاثة أشهر)[1]، وهذا كله في عدة الطلاق.

أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض.

أما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها، لقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن عبيد الله (بن عبد الله)[2]، عن أبيه: أن سُبَيْعَةَ بنت الحارث وضعتْ بعد وفاة زوجها بليالٍ فمرَّ بها أبو السَّنابِل بن بَعْكَكٍ فقال[1]: قد تَصَنَّعْتِ للأزواج، إنها أربعة أشهر وعشر، فذكرتْ ذلك سبيعةُ لرسول الله ﷺ فقال: «كذب أبو السنابل ـ أوْ: ليس كما قال أبو السنابل ـ قد حَلَلْتِ فتزوَّجي»[3].

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ يعني: مطلقات نسائكم ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ «مِنْ» صلة، أي: أسكنوهنَّ حيث سكنتم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ يعني: سعتكم وطاقتكم، يعني: إن كان موسرًا يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الشافعي: (٢/ ٥١ ـ ٥٢ ـ ترتيب المسند)، والبخاري في الطلاق، باب ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: (٩/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠)، ومسلم في الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل برقم ١٤٨٤: (٢/ ١١٢٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٣٠٤).

فقيرًا فعلى قدر الطاقة ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ لا تؤذوهنّ ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾ مساكنهنّ فيخرجن ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾ فيخرجن من عدتهن.

اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة، ونعني بالسكنى: مؤنة السكنى، فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكًا للزوج يجب على الزوج أن يخرج ويترك الدار لها مدة عدتها، وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة، وإن كانت عارية فرجع المعير، فعليه أن يكتري / لها دارًا تسكنها. ١٦٧/ب

فأما المعتدة البائنة بالخلع أو الطلقات الثلاث (أو باللعان، فلها السكنى، حاملًا كانت أو حائلًا، عند أكثر أهل العلم)[١].

روي عن ابن عباس أنه قال: لا سكنى لها إلّا أن تكون حاملًا، وهو قول الحسن وعطاء والشعبي.

واختلفوا في نفقتها: فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلّا أن تكون حاملًا، رُوي ذلك عن ابن عباس، وهو قول الحسن وعطاء والشعبي، وبه قال الشافعي وأحمد[٢]. ومنهم من أوجبها بكل حال، رُوي ذلك عن ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي.

وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق إلّا أن تكون حاملًا؛ لأن الله تعالى قال: «وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن».

والدليل عليه من جهة السنة ما:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلَّقها الْبَتَّةَ، وهو غائب بالشام، فأرسل إليها وكيلَه بشعير فَسَخِطَتْهُ، فقال: والله، مالك علينا من شيءٍ، فجاءت رسولَ الله ﷺ فذكرتْ ذلك له، فقال لها: «ليس لك عليه نفقة»، وأمرها أن تعتدَّ في بيت أم شَرِيكٍ، ثم قال: «تلك امرأةٌ يغشاها أصحابي فاعتدِّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك، فإذا حللتِ فآذِنِيني»، قالت: فلما حَلَلْتُ ذكرتُ له أنَّ معاويةَ بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصُعْلُوكٌ لا مال له، انكحي أسامة بن زيد»، قالت: فكَرِهْتُه، ثم قال: «انكحي أسامة»، فنكحتُه، فجعلَ الله فيه خيرًا واغتبطتُ به[٣].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) انظر: «المصنف» لعبد الرزاق: (٦/ ٥٠٧، ٥٠٨).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» في الطلاق، باب ما جاء في نفقة المطلقة: (٢/ ٥٨٠)، ومسلم في الطلاق، باب المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها برقم ١٤٨٠: (٢/ ١١١٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

واحتج مَن لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس: أن النبي ﷺ أمرها أن تعتد في بيت عبد الله ابن أم مكتوم.

ولا حجة فيه، لما روي عن عائشة أنها قالت: كانت فاطمة في مكانٍ وَحْشٍ، فخيف على ناحيتها[١].

وقال سعيد بن المسيب: إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها، وكانت للسانها ذرابة[٢].

أما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملًا.

(والمعتدة عن وفاة الزوج لا نفقة لها حاملًا)[٣] كانت أو حائلًا، عند أكثر أهل العلم، وروي عن علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن لها النفقة، إن كانت حاملًا، من التركة حتى تضع، وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري[٤].

واختلفوا في سكناها، وللشافعي ـ رضي الله عنه ـ فيه قولان، أحدهما: لا سكنى لها، بل تعتد حيث تشاء، وهو قول علي وابن عباس وعائشة، وبه قال عطاء والحسن، وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه.

والثاني: لها السكنى، وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر، وبه قال مالك وسفيان الثوري وأحمد وإسحاق[٥].

واحتج مَن أوجب لها السكنى بما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب: أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أُخت أبي سعيد الخدري أخبرتها: أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة، فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا، حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي، فإن زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة؟ فقالت: قال رسول الله ﷺ: «نعم»، فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني أو أمر بي رسول الله ﷺ فدعيت له، فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت»؟ قالت: فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي، فقال: «امكثي (في بيتك)[٦] حتى يبلغ الكتاب أجله»، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا، قالت: فلما

---

(١) أخرجه أبو داود في الطلاق، باب مَن أنكر ذلك على فاطمة: (٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، وابن ماجه: (١/ ٦٥٥)، وأخرجه البخاري تعليقًا: (٩/ ٤٧٩)، قال ابن حجر: (وله شاهد من رواية أبي أسامة عن هشام عن عروة . . .).

(٢) أخرجه أبو داود في الطلاق، باب مَن أنكر ذلك على فاطمة: (٣/ ١٩٦) وسكت عنه المنذري.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) انظر: «المصنف» لعبد الرزاق: (٧/ ٣٩).

(٥) انظر: «المصنف» لعبد الرزاق: (٧/ ٤١)، «الأم» للشافعي: (٥/ ٢٠٨).

(٦) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾

كان عثمان أرسل إليَّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به(١).

فمن قال بهذا القول قال: إذنُهُ لفريعة أولًا بالرجوع إلى أهلها صار منسوخًا بقوله آخرًا(٢): «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله». ومَن لم يوجب السكنى قال: أمرها بالمكث في بيتها آخرًا استحبابًا لا وجوبًا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: أرضعن أولادكم ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على إرضاعهن ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ (ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف)(٢)، قال الكسائي: شاوروا، قال مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى، والخطاب للزوجين جميعًا، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا الضرار ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ في الرضاع والأجرة، فأبى الزوج أن يعطي المرأة رضاها، وأبت الأم أن ترضعه، فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعًا غير أمه، وذلك قوله: ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ على قدر غناه ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ في النفقة ﴿إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أعطاها من المال ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ بعد ضيق وشدة غنًى وسعة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ عصت وطغت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: وأمر رسله ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالمناقشة والاستقصاء، قال مقاتل: حاسبها بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب، وهو قوله: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ منكرًا فظيعًا، وهو عذاب النار، لفظهما ماضٍ ومعناهما الاستقبال.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا، وحاسبناها في الآخرة حسابًا شديدًا.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» في الطلاق، باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل: (٢/ ٥٩١)، وأبو داود في الطلاق، باب في المتوفى عنها تنتقل: (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، والترمذي في الطلاق، باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها: (٤/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، والنسائي في الطلاق، باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل: (٦/ ١٩٩)، وابن ماجه برقم٢٠٣١: (١/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥)، والدارمي: (٢/ ١٦٨) بتحقيق: عبد الله هاشم اليماني، والإمام أحمد: (٦/ ٣٧٠)، وصححه ابن حبان برقم١٣٣٢: ص٣٢٣ ـ ٣٢٤، وكذلك الحاكم: (٢/ ٢٠٨) ووافقه الذهبي، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٣٠٠ـ٣٠١).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي
ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ
جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ
ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ جزاء أمرها، وقيل: ثقل عاقبة كفرها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ خسرانًا في الدنيا والآخرة.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ يعني: القرآن.

﴿رَّسُولًا﴾ بدل من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآنًا وأرسل رسولًا، وقيل: مع الرسول، وقيل: «الذكر»
١٦٨/أ هو الرسول، وقيل: «ذكرًا»، أي: شرفًا، ثم بيَّن ما هو فقال: ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ/ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (في العدد)[1] ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى.

قال أهل المعاني: هو ما يدبر فيهنَّ من عجيب تدبيره، فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاتها، وينقلها من حال إلى حال.

وقال قتادة: في كلِّ أرضٍ من أرضه وسماءٍ من سمائه خلقٌ مِنْ خلقه وأمرٌ من أمره وقضاء من قضائه.

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ فلا يخفى عليه شيء.

* * *

(١) ساقط من «ب».

سورة التَّحْرِيم

مدنية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾﴾ وسبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبيد الله بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء ويحب[٢] العسل، وكان إذا صلى العصر جاز على نسائه فيدنو منهنَّ، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألتُ عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله ﷺ منها شربة، فقلت: أما والله لنحتالنَّ له، فذكرتُ ذلك لسودة، وقلتُ: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله، أكلتَ مغافير؟ فإنه سيقول: «لا»، فقولي له: ما هذه الريح، وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح، فإنه سيقول: «سقتني حفصة شربة عسل»، فقولي له: جرست نحلُه العرفط، وسأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة، تقول سودة: والله الذي لا إله إلّا هو لقد كدت أن أُباديه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب، فرقًا منك، فلما دنا رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: «لا»، قلت: فما بال هذه الريح! قال: سقتني حفصة شربة عسل»، قالت: جرست نحله العرفط، فلما دخل عليَّ قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه، قال: «لا حاجة لي به»، قالت: تقول سودة: سبحان الله لقد حرمناه، قالت: قلت لها: اسكتي[٣].

---

(١) أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة التحريم بالمدينة. وأخرج ابن مردويه عن عبد الله ابن الزبير قال: أنزلت بالمدينة سورة النساء و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٢١٣).

(٢) زيادة من «أ».

(٣) أخرجه البخاري في الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾: (٩/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥)، ومسلم في الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق برقم ١٤٧٤؛ (٢/ ١١٠١ ـ ١١٠٢).

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا الحسن بن محمد الصباح، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلًا، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبيُّ ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، قال: «لا بأس، شربت عسلًا عند زينب بنت جحش ولن أعود له»، فنزلت: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ» إلى قوله: «إن تتوبا إلى الله» لعائشة وحفصة، «وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا» لقوله: «بل شربت عسلًا»[1].

وبهذا الإسناد قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء بإسناده وقال: قال: «لا، ولكن كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا»، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه[2].

وقال المفسرون: وكان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقًا، فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقًا، وحفصة تبكي فقال: «ما يبكيك»؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أَمَتَكَ بيتي، ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حرمة وحقًّا؟ ما كنت تصنع هذا بامرأةٍ منهنَّ، فقال رسول الله ﷺ: «أليست هي جاريتي أحلَّها الله لي؟ اسكتي فهي حرام عليَّ ألتمس بذاك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأة منهنَّ»، فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار التي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمته مارية، وإن الله قد أراحنا منها، وأخبرت عائشة بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ، فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها، فأنزل الله عزَّ وجلَّ[3]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ يعني: العسل ومارية ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ وأمره أن يكفِّر يمينه ويراجع أمته، فقال: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة التحريم، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾: (٨/ ٦٥٦)، ومسلم في الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق برقم ١٤٧٤: (٢/ ١١٠٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾: (٩/ ٣٧٤).

(٣) انظر: الطبري: (٢٨/ ١٥٧)، ابن كثير: (٤/ ٣٨٧)، «الدر المنثور»: (٨/ ٢١٦ـ٢١٧).

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

أي: بيَّن وأوجب أن تكفروها إذا حنثتم، وهي ما ذكر في سورة المائدة ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ وليكم وناصركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

واختلف أهل العلم في لفظ التحريم، فقال قوم: ليس هو بيمين، فإن قال لزوجته: أنت عليَّ حرام، أو حرمتك، فإن نوى به طلاقًا فهو طلاق، وإن نوى به ظهارًا فظهار، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ، وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقًا عتقت، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين، وإن قال لطعام: حرَّمْتُه على نفسي فلا شيء عليه، وهذا قول ابن مسعود، وإليه ذهب الشافعي.

١٦٨/ب وذهب جماعة إلى أنه يمين، فإن قال ذلك لزوجته / أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها، كما لو حلف أن لا يطأها، وإن حرَّم طعامًا فهو كما لو حلف أن لا يأكله، فلا كفارة عليه ما لم يأكل، يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا معاذ بن فضالة، حدثنا هشام، عن يحيى، عن ابن حكيم وهو يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال في الحرام: يكفِّر، وقال ابن عباس: «﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾» [الأحزاب: ٢١] (١).

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ وهو تحريم فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: «لا تخبري بذلك أحدًا».

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أسرَّ أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة(٢)، قال الكلبي: أسرَّ إليها أنَّ أباكِ وأبا عائشة يكونان خليفتين على أُمَّتي من بعدي، وقال ميمون بن مهران: أسرَّ أن أبا بكر خليفتي من بعدي(٣).

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أخبرت به حفصة عائشة ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلع الله تعالى نبيَّه على أنها أنبأت به ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي «عَرَفَ» بتخفيف الراء، أي: عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره، أي: غضب من ذلك عليها، وجازاها به، من قول القائل لمن أساء إليه:

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة التحريم، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ...﴾: (٨/ ٦٥٦)، ومسلم في الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق برقم ١٤٧٣: (٢/ ١١٠٠).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢١٩) لابن مردويه.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢١٨) لابن عساكر، وما انفرد به فهو ضعيف.

إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

لأعرفنَّ لك ما فعلتَ، أي: لأجازينَّك عليه، وجازاها به عليه بأن طلقها، فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في ال الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ، فجاءه جبريل وأمره بمراجعتها، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرًا وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير[١].

وقال مقاتل بن حيان: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة، وإنما همَّ بطلاقها فأتاه جبريل عليه السلام، وقال: لا تطلقها، فإنها صوامة قوامة، وإنها من نسائك في الجنة، فلم يطلقها.

وقرأ الآخرون «عرَّف» بالتشديد، أي: عرَّف حفصة بعد ذلك الحديث، أي: أخبرها ببعض القول الذي كان منها.

﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٍۖ﴾ يعني: لم يعرفها إياه، ولم يخبرها به، قال الحسن: ما استقصى كريم قط[٢]، قال الله تعالى: «عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٍۖ»، وذلك أن النبي ﷺ لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يتراضاها فأسرَّ إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر ـ رضي الله عنهما ـ، فأخبرت به حفصة عائشة، وأطلع الله تعالى نبيَّه عليه، عرف بعضه[٣] حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة، وهو تحريم الأمة، وأعرض عن بعض، يعني: ذكر الخلافة، كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أي: أخبر حفصة بما أظهره الله عليه ﴿قَالَتۡ﴾ حفصة: ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ أي: مَن أخبرك بأني أفشيت السرَّ؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء، يخاطب عائشة وحفصة ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ أي: زاغت ومالت عن الحق، واستوجبتما التوبة، قال ابن زيد: مالت قلوبهما بأن سرهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن عبد الله بن عباس قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى لهما: «إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ»، حتى حج وحججت معه، وعدل وعدلت معه

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٧٥: (لم أره هكذا، وهو عند الحاكم وغيره بغير ذكر سببه).
(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢١٩) لابن مردويه عن علي رضي الله عنه.
(٣) ساقط من «أ».

بإداوة، فتبرَّز ثم جاء، فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس، هما عائشة وحفصة.

ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إني كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أُمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنَّا نتناوب النزول على النبي ﷺ، فينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك.

وكنَّا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصخبت على امرأتي فراجعتني فأنكرتُ أن تراجعني، فقالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهنَّ لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني وقلت: خاب من فعل ذلك منهنَّ.

ثم جمعت عليَّ ثيابي فنزلت[1] فدخلت على حفصة، فقلت لها: أيْ حفصة أتُغَاضِبُ إحداكُنَّ النبيَّ ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: خبتِ وخسرتِ، أفتأمنين أن يغضب الله تعالى لغضب رسوله فتهلكي، لا تستكثري للنبي ﷺ، ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنَّك أن كانت جارتك[2] أوضأ[3] منك، وأحب إلى النبي ﷺ ـ يريد عائشة ـ.

قال عمر: وكنَّا تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء فضرب بابي ضربًا شديدًا، وقال: أثَمَّ هو؟

ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم؟ فقلت: ما هو؟ أجاء غسان! قال: لا، بل أعظم منه وأهول، طلَّق النبي ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت، كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون.

فجمعت عليَّ ثيابي وصليت صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ مشربة فاعتزل فيها، فدخلتُ على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيكِ ألَمْ أكن حذرتك؟ أطلقكن النبيُّ ﷺ؟

قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في المشربة، فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلًا / ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذِنْ لعمر، ١/١٦٩
فدخل فكلم النبي ﷺ ثم رجع فقال: كلمت النبي ﷺ فذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) في «ب»: (جارتك).
(٣) في «ا»: (أرضى).

الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت إلى الغلام فقلت: استأذن، فاستأذن ثم رجع إليَّ فقال: قد ذكرتك له فصمت، (فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فاستأذن ثم رجع إليَّ فقال: قد ذكرتك له فصمت)[1].

فلما وليت منصرفًا قال: إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثَّر الرمال بجنبه، متكئًا على وسادة من أدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله، أطلقتَ نساءك؟ فرفع إليَّ بصره فقال: «لا»، فقلت: الله أكبر، ثم قلت: وأنا قائم أستأنس: يا رسول الله، لو رأيتني، وكنَّا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله، لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنَّك أن كانت جارتك أوضأ[1] منك، وأحب إلى النبي ﷺ - يريد: عائشة - فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته يبتسم، فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله، ادع الله فليوسِّع على أُمَّتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأُعطوا من الدنيا وهم لا يعبدون الله.

فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا فقال: «أَوَفِيءٍ هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عُجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا».

فقلت: يا رسول الله، استغفر لي.

فاعتزل النبيُّ ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعًا وعشرين ليلة، وكان قال: «ما أنا بداخل عليهنَّ شهرًا» من شدة موجدته عليهنَّ حين عاتبه الله عزَّ وجلَّ.

فلما مضت تسع وعشرون ليلة، دخل على عائشة - رضي الله عنها - فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله، إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدّها عدًّا! فقال: «الشهر تسع وعشرون»، وكان ذلك الشهر تسعًا وعشرين ليلة.

قالت عائشة: ثم أنزل الله التخيير، فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خير نساءه كلهنَّ فقلن مثل ما قالت عائشة[2].

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في المظالم، باب الغرفة والعُلِّية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها: (٥/ ١١٤ - ١١٦)، واللفظ له، ومسلم في الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهنَّ، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ برقم١٤٧٩: (٢/ ١١١١ - ١١١٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءه حين أمره الله أن يخير أزواجه فبدأ بي رسول الله ﷺ، فقال: «إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك (أن لا تعجلي)[1] حتى تستأمري أبويك»، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ . . . ﴾» إلى تمام الآيتين، فقلت: أَوَفِي هذا، أستأمر أبويَّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة[2].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، عن سماك (بن زميل)[3]، حدثنا عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه. . . وذكر الحديث، وقال: دخلت عليه فقلت: يا رسول الله، ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهنَّ، فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت ـ وأحمد الله تعالى ـ بكلام إلَّا رجوت أن الله يصدِّق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾، ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[4].

قوله: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ ﴾ أي: تتظاهرا وتتعاونا على أذى النبي ﷺ، قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء، والآخرون بتشديدها.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ ﴾ أي: وليه وناصره ﴿ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب «وصالح المؤمنين» أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما[5] ـ، قال الكلبي: هم المخلصون الذي ليسوا بمنافقين ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ قال مقاتل: بعد الله وجبريل «وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير»، أي: أعوان للنبي ﷺ، وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع، كقوله: «وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا»[النساء: ٦٩].

---

(١) في «أ»: (أن تستعجلي).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الأحزاب، باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾: (٨/ ٥١٩).

(٣) هكذا في «أ»، وفي «ب»: (ابن أبي زميل) وكلاهما خطأ، والصحيح: (أبي زميل) كما في «التهذيب» وعند مسلم.

(٤) قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم في الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهنَّ . . . برقم ١٤٧٩: (٢/ ١١٠٥ ـ ١١٠٨).

(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٢٣) لابن عساكر، وقد أشار في مقدمة «الجامع» إلى أن العزو لابن عساكر مؤذن بالضعف.

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: واجبٌ من الله إن طلقكنَّ رسولُه ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ خاضعات لله بالطاعة ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مصدقات بتوحيد الله ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ طائعات، وقيل: داعيات، وقيل: مصليات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات، وقال زيد بن أسلم: مهاجرات، وقيل: يسحن معه حيثما ساح ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون؛ لأنه قال: «إن طلقكن» وقد علم أنه لا يطلقهنَّ، وهذا كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[محمد: ٣٨]، وهذا في الإخبار عن القدرة؛ لأنه ليس في الوجود أمة خير من أمة محمد ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: أي: بالانتهاء عما نهاكم
١٦٩/ب الله تعالى عنه، / والعمل بطاعته ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يعني: مروهم بالخير، وانهوهم عن الشر، وعلِّموهم وأدِّبوهم، تقوهُم بذلك نارًا ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ يعني: خزنة النار ﴿غِلَاظٌ﴾ فظاظ على أهل النار ﴿شِدَادٌ﴾ أقوياء، يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفًا في النار، وهم الزبانية، لم يخلق الله فيهم الرحمة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قرأ الحسن وأبو بكر عن عاصم «نُصوحًا» بضم النون، وقرأ العامة بفتحها، أي: توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه.

واختلفوا في معناها، قال عمر وأُبيٌّ ومعاذ: «التوبة النصوح» أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع[١].

(١) قال ابن حجر في «المطالب العالية» (٣/ ٣٩٠): (أخرجه أحمد بن منيع في «مسنده»، وإسناده صحيح موقوف)، ورواه الطبري: (٢٨/ ١٦٧).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ
ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

قال الحسن: هي أن يكون العبد نادمًا على ما مضى، مجمعًا على ألا يعود فيه[١].

قال الكلبي: أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن.

قال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم.

قال القرظي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيىء الإخوان.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: لا يعذبهم الله بدخول النار ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ على الصراط ﴿يَقُولُونَ﴾ إذا طفىء نور المنافقين: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾.

ثم ضرب الله مثلًا للصالحين والصالحات من النساء فقال جلَّ ذِكْرُه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ واسمها: واعلة ﴿وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ واسمها: واهلة، وقال مقاتل: والعة ووالهة.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ وهما نوح ولوط عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهما: أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وإذا آمن به أحدٌ أخبرت به الجبابرة، وأما امرأة لوط (فإنها كانت)[٢] تدل قومه على أضيافه، إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف.

وقال الكلبي: أسرَّتا النفاق، وأظهرتا الإيمان.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ لم يدفعا عنهما مع نبوتهما عذاب الله ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ قطع الله بهذه الآية طمع كل مَن يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٢٧) لعبد بن حميد.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

غيره لا تضره إذا كان مطيعًا فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي: آسية بنت مزاحم.

قال المفسرون: لما غلب موسى السحرةَ آمنت امرأة فرعون، ولما تبين لفرعون إسلامها أوْتَدَ يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس.

قال سلمان: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة(١).

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته.

وفي القصة: أن فرعون أمر بصخرة عظيمة عليها، فلما أتوها بالصخرة قالت: ربِّ ابن لي عندك بيتًا في الجنة، فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء، وانتزع روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، ولم تجد ألمًا.

وقال الحسن وابن كيسان: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب.

﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ قال مقاتل: «وعمله»، يعني: الشرك، وقال أبو صالح عن ابن عباس: «وعمله»، قال: جماعه ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ الكافرين.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ أي: في جيب درعها، ولذلك ذكر الكناية ﴿مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ يعني: الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرأ أهل البصرة وحفص «وكتبه» على الجمع، وقرأ الآخرون «وكتابه» على التوحيد، والمراد منه الكثرة أيضًا، وأراد بكتبه التي أُنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ أي: من القوم القانتين المطيعين لربها، ولذلك لم يقل من القانتات.

وقال عطاء: «من القانتين»، أي: من المصلين، ويجوز أن يريد بالقانتين: رهطها وعشيرتها، فإنهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٨/ ١٧١)، وأبو يعلى: (٦/ ٥٣)، قال ابن حجر في «المطالب العالية» (٣/ ٣٩٠): (صحيح موقوف).

وروينا عن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»[١].

* * *

(١) صحيح، أخرجه الترمذي في المناقب، فضل خديجة رضي الله عنها: (١٠/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، وقال: (هذا حديث صحيح)، وصححه الحاكم: (٣/ ١٥٧)، وعبد الرزاق: (١١/ ٤٣٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار»: (١/ ٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٢/ ٣٤٤)، والإمام أحمد: (٣/ ١٣٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٩/ ١٥٧).

سورة المُلْك

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد: الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة.

وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا، جعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء[٢].

قيل: إنما قدم الموت؛ لأنه إلى القهر أقرب، وقيل: قدمه؛ لأنه أقدم؛ لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت، كالنطفة والتراب ونحوهما، ثم اعترضت عليها الحياة.

وقال ابن عباس: خلق الموت على صورة كبش أملح، لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيءٌ إلَّا مات، وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء أنثى[٣]، وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها، لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيءٌ إلَّا حيي، وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فألقى على العجل فحيي.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ فيما بين (الحياة إلى الموت)[٤] ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ رُوي عن ابن عمر مرفوعًا: «أحسن عملًا»: أحسن عقلًا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله. / ١/١٧٠

وقال فضيل بن عياض: «أحسن عملًا»: أخلصه وأصوبه، وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، الخالص: إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنة.

وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها.

---

(١) أخرج ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت بمكة تبارك الملك. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٢٣٤).

(٣) ساقط من «أ».

(٤) في «ب»: (الموت والحياة).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

وقال الفرّاء: لم يوقع البلوى على «أيّ» إلا[1] وبينهما إضمار، كما تقول: بلوتكم؛ لأنظر أيكم أطوع[2]، ومثله: «سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ»[القلم: ٤٠]، أي: سلهم وانظر أيهم، فـ «أي»: رفع على الابتداء، و«أحسن»: خبره ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ لمن تاب إليه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ طبقًا على طبق، بعضُها فوق بعض ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ قرأ حمزة والكسائي «من تَفَوُّتٍ» بتشديد الواو بلا ألف، وقرأ الآخرون بتخفيف الواو وألف قبلها، وهما لغتان، كالتَّحمُّل والتحامل، والتَّطَهُّر والتطاهر، ومعناه: ما ترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي مستقيمة مستوية، وأصله من «الفوت»[3]، وهو أن يفوت بعضُها بعضًا؛ لقلة استوائها ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ كرر النظر، معناه: انظر ثم ارجع ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ شقوق وصدوع.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ قال ابن عباس: مرة بعد مرة ﴿يَنقَلِبْ﴾ ينصرف ويرجع ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ صاغرًا ذليلًا مبعدًا لم يرَ ما يهوى ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ كليل منقطع، لم يدرك ما طلب، ورُوي عن كعب أنه قال: السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة حديد، والرابعة صفراء[4]، وقال: نحاس، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء، بين السماء[5] السابعة إلى الحجب السبعة صحارى من نور[6].

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أراد: الأدنى من الأرض، وهي التي يراها الناس ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ (أي: الكواكب، واحدها: مصباح، وهو السراج، سُمِّي الكوكب مصباحًا)[1]؛ لإضاءته ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ مرامي ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ النار الموقدة.

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) «معاني القرآن» للفرّاء: (٣/ ١٦٩).

(٣) في «أ»: (القرب) وهو تصحيف.

(٤) في «ب»: (صُفر).

(٥) ساقط من «ب».

(٦) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٢٩٨)، وقد عقب على الرواية فقال: (... والسابعة من زمردة بيضاء، يحتاج إلى نقل صحيح، وقد كان بعض من ينتمي إلى الصلاح ـ وكان أعمى لا يبصر موضع قدميه ـ يخبر أنه يشاهد السموات على بعض أوصاف مما ذكرنا).

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ
تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ
قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا
نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ
إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ وهو أول نهيق الحمار، وذلك أقبح الأصوات ﴿وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ تغلي بهم كغلي المِرْجل، وقال مجاهد: تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ تنقطع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ من تغيظها عليهم، قال ابن قتيبة: تكاد تنشق غيظًا على الكفار ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ سؤال توبيخ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ رسول ينذركم.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا﴾ للرسل[1] ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ من الرسل ما جاءونا به ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ منهم، وقال ابن عباس: لو كنّا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ قال الزَّجّاج: لو كنا نسمع سمع مَن يعي ويتفكر، أو نعقل عقل مَن يميز وينظر، ما كنّا في أهل النار.

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا﴾ بُعدًا ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ قرأ أبو جعفر والكسائي «فسُحُقًا» بضم الحاء، وقرأ الباقون بسكونها، وهما لغتان، مثل: الرُّعُب والرُّعْب، والسُّحُت والسُّحْت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا، فقال بعضُهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد[2].

فقال الله جلَّ ذِكرُه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ألا يعلم ما في الصدور مَنْ خلقها ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ لطيفٌ علمه في القلوب، الخبير بما فيها من الخير والشر والوسوسة، وقيل: «مَنْ» يرجع إلى المخلوق، أي: ألا يعلم الله مخلوقه؟

---

(١) في «أ»: (للرسول).

(٢) انظر: «زاد المسير»: (٨/ ٣٢١).

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سهلًا، لا يمتنع المشي فيها بالحزونة ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ قال ابن عباس وقتادة: في جبالها، وقال الضحاك: في آكامها، وقال مجاهد: في طرقها وفجاجها، قال الحسن: في سبلها، وقال الكلبي: في أطرافها، وقال مقاتل: في نواحيها، قال الفرَّاء: في جوانبها[1]، والأصل في الكلمة: الجانب، ومنه منكب الرجل والريح النكباء وتَنكَّب فلان (أي: جانب)[2] ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ مما خلقه رزقًا لكم في الأرض ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ أي: وإليه تبعثون من قبوركم، ثم خوَّف الكفار فقال:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال ابن عباس: أي: عذاب مَنْ في السماء إن عصيتموه ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ قال الحسن: تتحرك بأهلها، وقيل: تهوي بهم، والمعنى: أن الله تعالى يحرِّك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقيَهم إلى أسفل، تعلو عليهم وتمر فوقهم، يقال: مَارَ يَمُورُ، أي: جاء وذهب.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحًا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في الآخرة، وعند الموت ﴿كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ أي: إنذاري إذا عاينتم العذاب.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم الماضية ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ أي: إنكاري عليهم بالعذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ تصف أجنحتها في الهواء ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتها بعد البسط ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في حال القبض والبسط[2] أن يسقطن ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ استفهام إنكار، قال ابن عباس: أي: منعة لكم ﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يمنعكم من عذابه، ويدفع عنكم ما أراد بكم ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي: في غرور من الشيطان، يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم.

---

(١) «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ١٧١).
(٢) ساقط من «أ».

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ أي: من الذي يرزقكم المطر إن أمسك الله عنكم(١) ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾ تمادٍ في الضلال ﴿وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ تباعد من الحق، وقال مجاهد: كفور، ثم ضرب مثلًا فقال:

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ راكبًا رأسه في الضلالة والجهالة، أعمى القلب والعين، لا يبصر يمينًا ولا شمالًا، وهو الكافر، قال قتادة: أكبَّ على / المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة ﴿أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ معتدلًا، يبصر الطريق، وهو ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ وهو المؤمن، قال قتادة: يمشي يوم القيامة سويًّا. ١٧٠/ب

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ قال مقاتل: يعني: أنهم لا يشكرون رب هذه النعم.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني: العذاب في الآخرة ـ على قول أكثر المفسرين ـ وقال مجاهد: يعني: العذاب ببدر ﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريبًا، وهو (اسم يوصف به المصدر يستوي فيه)(٢) المذكور والمؤنث والاثنان والجميع(٣) ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ اسودت وعليها كآبة، والمعنى: قبحت وجوههم بالسواد، يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيىء إذا قبح، وسيىء يساء إذا قبح ﴿وَقِيلَ﴾ لها، أي: قال الخزنة: ﴿هَٰذَا﴾ أي: هذا العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ تفتعلون من الدعاء تدعون وتتمنون أنه يعجّل لكم.

وقرأ يعقوب «تدعون» بالتخفيف، وهي قراءة قتادة، ومعناهما واحد، مثل: تذَّكَّرون وتَذْكُرون.

---

(١) في «ب»: (عليكم).

(٢) في «ب»: (اسم مصدر يوصف به).

(٣) في «ب»: (والجمع).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك[1] ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فأبقانا وأخّر آجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ فإنه واقع بهم لا محالة، وقيل: معناه: أرأيتم إن أهلكني الله فعذبني ومَن معي أو رحمنا فغفر لنا، فنحن ـ مع أيماننا ـ خائفون أن يهلكنا بذنوبنا؛ لأن حكمه نافذ فينا، فمن يجيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون؟ وهذا معنى قول ابن عباس.

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذي نعبده ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ قرأ الكسائي بالياء، وقرأ الباقون بالتاء ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ أي: ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال منَّا، نحن أم أنتم؟

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض، لا تناله الأيدي والدلاء، قال الكلبي ومقاتل: يعني: ماء زمزم ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ ظاهر، تراه العيون، وتناله الأيدي[2] والدلاء، وقال عطاء عن ابن عباس: معين، أي: جار.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني أبو الحسن الفارسي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد، حدثنا أبو يحيى البزاز، حدثنا (محمد بن يحيى)[3]، حدثنا أبو داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عباس الجشمي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة من كتاب الله ما هي إلّا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك»[4].

* * *

---

(١) في «أ»: (هلاكهم)، والصحيح ما أثبت من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة، أبواب قراءة القرآن، باب في عدد الآي: (٢/ ١١٦)، والترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك: (٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، وقال: (هذا حديث حسن)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٤٥٤)، وابن ماجه في الأدب، باب ثواب القرآن برقم٣٧٨٦: (٢/ ١٢٤٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب»: ص٤٢١، وروى له الطبراني شاهدًا في «الصغير» و«الأوسط» عن أنس ورجاله رجال الصحيح. انظر: «مجمع الزوائد»: (٧/ ١٢٧).

قال المنذري: (وقد ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» من رواية عباس الجشمي عن أبي هريرة كما أخرجه أبو داود ومن ذكره معه، وقال: لم يذكر سماعًا من أبي هريرة، يريد: أن عباسًا الجشمي روى هذا الحديث عن أبي هريرة ولم يذكر فيه أنه سمعه من أبي هريرة).

سورة القَلَم

مكية[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾

﴿نٓۚ﴾ اختلفوا فيه، فقال ابن عباس: هو الحوت الذي على ظهره الأرض، وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي[2].

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره، فتحرك النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، وإن الجبال لتفخر على الأرض، ثم قرأ ابن عباس: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾﴾[3].

واختلفوا في اسمه، فقال الكلبي ومقاتل: اسمه[4]: يهموت، وقال الواقدي: ليوثا، وقال كعب: لوِيثا، وعن علي: اسمه بلهوث.

وقال الرواة: لما خلق الله الأرض وفتقها بعث من تحت العرش ملكًا فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه، إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب، باسطتين قابضتين على

---

(١) في «ب»: (مدنية).
أخرج ابن الضريس عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما شاء، وكان أول ما نزل من القرآن ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ثم ﴿المزمل﴾ ثم ﴿المدثر﴾.
وأخرج النحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة ﴿نون والقلم﴾ بمكة.
انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٢٤٠).

(٢) لعله لا يصح شيء من ذلك في تفسير نون بالحوت الذي عليه الأرضون السبع، أو أنه الدواة، أو أنه لوح من نور، أو أنه آخر حرف من حروف الرحمن، أو أنه نهر من أنهار الجنة. انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٣٠٧)، «روح المعاني» للآلوسي: (٢٩/ ٢٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٠٧)، والطبري: (٢٩/ ١٤)، والحاكم: (٢/ ٤٩٨)، وصححه وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، عزوه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي الشيخ في «العظمة» والبيهقي في «الأسماء والصفات» والخطيب في «تاريخه» والضياء في «المختارة» وهو موقوف على ابن عباس.

(٤) ساقط من «ب».

الأرضين السبع، حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار، فأهبط الله عزَّ وجلَّ من الفردوس ثورًا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه، فلم تستقر قدماه، فأخذ ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أُذنه فاستقرت عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض، ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسًا فإذا تنفس مدَّ البحر وإذا رد[1] نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق[2] الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه: «﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾[لقمان: ١٦]»، ولم يكن للصخرة مستقر، فخلق الله نونًا وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة، يقال: فكل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار جلَّ جلاله)[3]: كوني فكانت[4].

قال كعب الأحبار: إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه، فقال له: أتدري ما على ظهرك يا لوِيثا من الأُمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتم ألقيتهم عن ظهرك، فهمَّ لوِيثا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت في منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله منها فأذن لها الله فخرجت، قال كعب: فوالذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن همَّ بشيء من ذلك عادت كما كانت.

وقال بعضهم: نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس.

وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون الدواة.

وقيل: هو قسم أقسم الله به، وقيل: فاتحة السورة، وقال عطاء: افتتاح اسمه نور وناصر، وقال محمد بن كعب: أقسم الله بنصرته للمؤمنين[5].

﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ هو[6] الذي كتب الله به الذكر، وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض، ويقال: أول ما خلق الله القلم ونظر إليه فانشق بنصفين، ثم قال: اجرِ بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ يكتبون، أي: ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم.

---

(١) في «أ»: (مد).

(٢) في «ب»: (فجعل).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) هذا وأمثاله ـ مما سيأتي ـ من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسل كما قال الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة في كتابه «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»: ص٣٠٥. وانظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٤٠١ـ٤٠٢).

(٥) أخرج هذه الروايات الطبري: (٢٩/ ١٥ـ١٦).

(٦) ساقط من «أ».

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ هو[(١)] جواب لقولهم: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦]، فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ بنبوة ربك ﴿بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ ١٧١/أ أي: إنك لا تكون مجنونًا وقد أنعم / الله عليك بالنبوّة والحكمة، وقيل: بعصمة ربك، وقيل: هو كما يقال: ما أنت بمجنون (والحمد لله)[(٢)]، وقيل: معناه: ما أنت بمجنون والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك، أي: والحمد لله.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ أي: منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم لا دين أحب إليَّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام، وقال الحسن: هو آداب القرآن.

سُئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خُلقُهُ القرآن[(٣)].

وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله، والمعنى: إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن.

وقيل: سمى الله خلقه عظيمًا؛ لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ . . .﴾ الآية[الأعراف: ١٩٩].

وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق، وتمام محاسن الأفعال»[(٤)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، (حدثنا محمد ابن إسماعيل)[(٥)]، حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إبراهيم بن يوسف،

---

(١) في «ب»: (هذا).

(٢) في «أ»: (بحمد الله).

(٣) أخرج مسلم في باب جامع صلاة الليل من كتاب صلاة المسافرين وقصرها مطولًا برقم٧٤٦: (١/ ٥١٣) عن حكيم بن أفلح قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن. وباللفظ الذي ساقه المصنف أخرجه: أحمد: (٦/ ٩١)، والبيهقي: (٦/ ٤٩٩)، والطبري: (٢٩/ ١٣).

(٤) أخرجه المصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٢٠٢) عن جابر ـ رضي الله عنه ـ وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر، وهو ضعيف.
قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٨): (رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عمر بن إبراهيم القرشي، وهو ضعيف).
وللحديث شواهد بألفاظ متعددة عند الإمام أحمد: (٢/ ٣٨١)، والإمام مالك في «الموطأ»: (٢/ ٩٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد»: ص٨٤، وابن سعد في «الطبقات»: (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٦١٣).
وانظر: «شرح السنة» مع تعليق الأرناؤوط: (١٣/ ٢٠٢)، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم٤٥: (١/ ٧٥)، «مشكاة المصابيح» برقم٥٧٧٠، «كشف الخفاء» للعجلوني: (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي وابن السبكي والزبيدي برقم١٥٩٥، «مجمع الزوائد»: (٨/ ١٨٨).

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

عن أبيه، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خَلْقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير[(١)].

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ قطُّ، وما[(٢)] قال لشيء صنعتُه: لِمَ صنعتَه؟ ولا لشيءٍ تركتُه: لِمَ تركتَه؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، ولا مسست خزًّا قط[(٢)] ولا حريرًا ولا شيئًا كان[(٢)] ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عَرَقِ رسول الله ﷺ[(٣)].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البَرْني، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله ﷺ لم يكن فحاشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «خياركم أحسنكم أخلاقًا»[(٤)].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو العباس الأصم، حدثنا محمد بن هشام بن ملَّاس، حدثنا مروان الفزاري، حدثنا حميد الطويل، عن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال: «يا أم فلان، اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس إليك»، قال: ففعلت فقعد إليها رسول الله ﷺ، حتى قضى[(٥)] حاجتها[(٦)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا[(٧)] محمد بن عيسى، حدثنا هشيم، أخبرنا حميد الطويل، حدثنا أنس بن مالك قال:

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (٦/ ٥٦٤)، ومسلم في الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه برقم٢٤٤٧: (٤/ ١٨٢٤-١٨٢٥).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الترمذي في البر، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ: (٦/ ١٥٦-١٥٧)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، ومسلم في الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا برقم٢٣٠٩: (٤/ ١٨٠٤).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل النبي ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود: (٧/ ١٠٢)، وفي الأنبياء، وفي الأدب، ومسلم في الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ برقم٢٣٢١: (٤/ ١٨١٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ١٥٠).

(٥) في «ب»: (قضت).

(٦) أخرجه مسلم في الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به برقم٢٣٢٦: (٤/ ١٨١٢، ١٨١٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٢٤٠).

(٧) في «ب»: (قال).

إنْ كانت الأَمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[(١)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا عمران بن زيد التغلبي، عن زيد (ابن العَمِّي)[(٢)]، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده (حتى يكون هو الذي ينزع يده)[(٣)]، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه (عن وجهه)[(٣)]، ولم يُرَ مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له[(٤)].

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى، حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا عبيدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط إلّا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة[(٥)].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني مالك، عن إسحاق، عن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثّرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء[(٦)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب الكبر: (١٠/ ٤٨٩).

(٢) في «ب»: (الأعمى).

(٣) ساقط من «أ».

(٤) أخرجه ابن ماجه في الأدب، باب إكرام الرجل جليسه برقم٣٧١٦، وقال في «الزوائد»: (مدار الحديث على زيد العَمِّيّ وهو ضعيف)، وابن سعد في «الطبقات»: (١/ ٣٧٨). قال الألباني: (ضعيف إلّا جملة المصافحة فهي ثابتة). انظر: «صحيح ابن ماجه»: (٢/ ٣٠٤).

(٥) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية»، باب في خلق رسول الله ﷺ: ص٢٠١ مع شرح الباجوري، ومسلم في الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته برقم٢٣٢٨: (٤/ ١٨١٤) ما عدا ما ساقه المصنف في آخر روايته: (ولا ضرب خادمًا ولا امرأة).

(٦) أخرجه البخاري في اللباس، باب البرود والحبر والشَّملة: (١٠/ ٢٧٥)، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة برقم١٠٥٧: (٢/ ٧٣٠-٧٣١).

(٧) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق: (٦/ ١٤٠-١٤١)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأبو داود=

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو نعيم، حدثنا داود بن يزيد الأودي[1] سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أكثر ما يُدخل الناس الأجوفان: الفرج والفم»، «أتدرون ما أكثر ما يُدخل الناس الجنة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أكثر ما يُدخل الناس الجنة: تقوى الله وحسن الخُلق»[2].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا محمد بن عبد الله (بن عبد)[3] الحكم، أخبرنا أبي وشعيب قالا: حدثنا الليث، عن ابن[4] الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»[5].

١٧١/ب قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ فسترى يا محمد ويرون - يعني: أهل / مكة - إذا نزل بهم العذاب ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ قيل: معناه: بأيكم المجنون، و«المفتون» مفعول بمعنى المصدر، كما يقال: ما بفلان مجلود ومعقول، أي: جلادة وعقل، وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس.

وقيل: الباء بمعنى «في»، مجازه: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون، في فريقك أم في فريقهم؟

وقيل: الباء بمعنى «مع»، و«المفتون» هو الشيطان، (والمعنى: مع أيكم الشيطان)[6] مع المؤمنين أم مع الكافرين؟ وهذا معنى قول مجاهد[7].

وقال الآخرون: زائدة، معناه: أيكم المفتون؟ أي المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة.

= مختصرًا في الأدب، باب في حسن الخلق: (٧/ ١٧٢)، والإمام أحمد: (٦/ ٤٤٢)، وصححه ابن حبان في «موارد الظمآن» برقم١٩٢٠: ص٤٧٤، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٧٨-٧٩)، وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته».

(١) في «أ»: (الأزدي)، والصحيح ما أثبتناه كما في «تهذيب التهذيب».

(٢) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق: (٦/ ١٤٢) بلفظ: (سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة . . . الحديث)، وقال: (هذا حديث صحيح غريب)، وابن حبان برقم١٩٢٣: ص٤٧٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٧٩).

(٣) ساقط من «أ».

(٤) في «أ»: (أبي)، والصحيح ما أثبت.

(٥) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في حسن الخلق: (٧/ ١٧٢)، وابن حبان برقم١٩٢٧: ص٤٧٥، والحاكم: (١/ ٦٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٨١).

(٦) ما بين القوسين من «ب».

(٧) في «ب»: (قتادة).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨
وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ
لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ يعني: مشركي مكة، فإنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه، فنهاه أن يطيعهم.

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ قال الضحاك: لو تكفر فيكفرون، قال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون لك، قال الحسن: لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم، قال زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون، وقال ابن قتيبة: أرادوا أن تعبد آلهتهم مدة، ويعبدون الله مدة.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل، قال (مقاتل: يعني)[1] الوليد بن المغيرة، وقيل: الأسود ابن عبد يغوث، وقال عطاء: الأخنس بن شريق ﴿مَّهِينٍ ۝١٠﴾ ضعيف حقير، قيل: هو فعيل من المهانة: وهي قلة الرأي والتمييز، وقال ابن عباس: كذاب، وهو قريب من الأول؛ لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

﴿هَمَّازٍ﴾ مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة، قال الحسن: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، كقوله: «همزة» ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ قتّات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل بالمال، قال ابن عباس: «منّاع للخير»، أي: للإسلام، يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام، يقول: لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدًا ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظلوم يتعدى الحق ﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ فاجر.

﴿عُتُلٍّۭ﴾ العتل: الغليظ الجافي، وقال الحسن: هو الفاحش الخَلْق السيئ الخُلُق، قال الفرَّاء: هو الشديد الخصومة في الباطل[2]، وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عُتُلٌّ، وأصله من العتل: وهو الدفع بالعنف، قال عبيد بن عمير: «العُتُلّ» الأكول الشروب القوي الشديد (في كفره)[3] لا يزن في الميزان شعيرة، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفًا في النار دفعة واحدة[4] ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مع

---

(١) في «أ»: (قيل).
(٢) «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ١٧٣).
(٣) ساقط من «ب».
(٤) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٢٤).

أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

ذلك، يريد: ما وصفناه به ﴿زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ وهو الدَّعِي الملصق[1] بالقوم، وليس منهم، قال عطاء عن ابن عباس: يريد مع هذا[2] هو دَعِيٌّ في قريش وليس منهم، قال مرة الهمداني: إنما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، وقيل: «الزنيم» الذي له زنمة كزنمة الشاة.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: نُعِت فلم يُعرف حتى قيل زنيم فعرف، وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها[3].

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها[4].

قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله وصف أحدًا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارًا لا يفارقه في الدنيا والآخرة[5].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان الواعظ، حدثني أبو محمد بن زنجويه بن محمد، حدثنا علي بن الحسين الهلالي، حدثنا عبد الله بن الوليد العدني، عن سفيان، حدثني معبد ابن خالد القيسي، عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كلُّ ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جوّاظ مستكبر[6]»[7].

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب: «ءأنْ» بالاستفهام، ثم حمزة وأبو بكر يخففان الهمزتين بلا مد، ويمد الهمزة الأولى أبو جعفر وابن عامر ويعقوب، ويلينون الثانية، وقرأ الآخرون بلا استفهام على الخبر، فمن قرأ بالاستفهام فمعناه: ألِأنْ كان ذا مالٍ وبنين؟

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي: جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا، وقيل: معناه ألِأنْ كان ذا مال وبنين تطيعه[8].

---

(١) في «أ»: (الملحق).

(٢) في «ب»: (ما).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٢٦).

(٤) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٢٥).

(٥) انظر: «القرطين» لابن مطرف الكناني: (٢/ ١٧٦).

(٦) في «أ»: (متكبر)، وما أثبت هو الصحيح كما في البخاري و«شرح السنة».

(٧) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة القلم، باب ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾: (٨/ ٦٦٢)، وفي الأدب، باب الكبر، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم ٢٨٥٣: (٤/ ٢١٩٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ١٦٩).

(٨) في «ب»: (تطغيه).

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾

ومن قرأ على الخبر فمعناه: لا تطع كل حلافٍ مهين؛ (لأن كان ذا مال وبنين)[1]، أي: لا تطعه لماله وبنيه، «إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ».

ثم أوعده فقال: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ و«الخرطوم»: الأنف، قال أبو العالية ومجاهد: أي: نسود وجهه، فنجعل له علمًا في الآخرة يُعرف به، وهو سواد الوجه.

قال الفرّاء: خص الخرطوم بالسمة فإنه في مذهب الوجه؛ لأن بعض الشيء يعبر به عن كله[2].

وقال ابن عباس: سنخطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر[3]، وقال قتادة: سنلحق به شيئًا لا يفارقه.

قال القتيبي: تقول العرب للرجل سب الرجل سبة قبيحة: قد وسّمه ميسم سوء، يريد: ألصق به عارًا لا يفارقه، كما أن السمة لا ينمحي ولا يعفو أثرها، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عارًا لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم. وقال الضحاك والكسائي: سنكويه على وجهه.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يعني: اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَآ﴾ ابتلينا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ روى محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: في قوله عزَّ وجلَّ: «إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ» قال: كان بستان باليمن يقال له: الضّروان، دون صنعاء بفرسخين، يطؤه أهل الطريق، كان غرسه قوم من أهل الصلاة، وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له، وكان يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجزه، وإذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط على البساط فهو أيضًا للمساكين، وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين، وإذا داسوه كان لهم كل شيء ينتثر أيضًا، فلما مات الأب وورثه هؤلاء الإخوة (عن أبيهم)[4]، فقالوا: والله، إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان هذا الأمر يُفعل إذ كان المال كثيرًا والعيال قليلًا، فأما إذا قلَّ المال وكثر العيال فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا، فتحالفوا بينهم يومًا لَيغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمُنَّ نخلهم ولم يستثنوا، يقول: لم يقولوا إن شاء الله، فغدا القوم بسدفة من الليل إلى جنتهم ليصرموها قبل أن يخرج المساكين، فرأوها مسودة، وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها، فأصبحت كالصريم[5]، فذلك قوله عزَّ وجلَّ:

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ١٧٤).

(٣) ذكره الطبري: (٢٩/ ٢٨).

(٤) ساقط من «ب».

(٥) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٣١١)، القرطبي: (١٨/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، «زاد المسير»: (٨/ ٣٣٥).

وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾

١/١٧٢ ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾ حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا/ مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ ليجُذُّنها وليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا يقولون: إن شاء الله.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾ عذاب ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ ليلًا، ولا يكون الطائف إلّا بالليل، وكان ذلك الطائف نارًا نزلت من السماء فأحرقتها ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كالليل المظلم الأسود، قال الحسن: أي: صرم منها الخير، فليس فيها شيء.

وقال الأخفش: كالصبح الصريم من الليل، وأصل «الصريم»: المصروم، مثل: قتيل ومقتول، وكل شيء قطع فهو صريم (فالليل صريم)[1] والصبح صريم؛ لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه.

وقال ابن عباس: كالرماد الأسود، بلغة خزيمة.

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ نادى بعضهم بعضًا لما أصبحوا:

﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ يعني: الثمار والزروع والأعناب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ قاطعين للنخل.

﴿فَٱنطَلَقُوا۟﴾ مشوا إليها ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يتسارون، يقول بعضهم لبعض سرًّا: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ «الحرد» في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، قال الحسن وقتادة وأبو العالية: على جد وجهد.

وقال القرظي ومجاهد وعكرمة: على أمر مجتمع عليه قد أسسوه بينهم، وهذا معنى القصد؛ لأن القاصد (إلى الشيء)[2] جاد مجمع على الأمر.

وقال أبو عبيدة والقتيبي: غدوا ونيتهم على منع المساكين، يقال: حارَدتِ السَّنة إذا لم يكن لها مطر، وحارَدتِ الناقة إذا لم يكن لها لبن.

وقال الشعبي والقتيبي: على حنق وغضب من المساكين.

وعن ابن عباس قال: على قدرة ﴿قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ عند أنفسهم على جنتهم وثمارها، لا يحول بينها وبينهم أحد.

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) في «ب»: (للشيء).

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾
قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا
طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ
لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: لما رأوا الجنة محترقة قالوا: إنا لمخطئون الطريق، أضللنا مكان جنتنا، ليست هذه بجنتنا، فقال بعضهم:

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء.

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ هلا تستثنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم: «ليصرمُنَّها مصبحين»، وسمي الاستثناء تسبيحًا؛ لأنه تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلَّا بمشيئته.

وقال أبو صالح: كان استثناؤهم سبحان الله، وقيل: هلَّا تسبحون الله وتقولون: سبحان الله، وتشكرونه على ما أعطاكم، وقيل: هلَّا تستغفرونه من فعلكم.

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ نزَّهوه عن أن يكون ظالمًا فيما فعل، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ بمنعنا المساكين.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يلوم بعضُهم بعضًا في منع المساكين حقوقهم، ونادوا على أنفسهم بالويل:

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾ في منعنا حق الفقراء، وقال ابن كيسان: طغينا نِعَمَ الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل.

ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ قال عبد الله بن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا، وعرف الله منهم الصدق، فأبدلهم بها جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منه عنقودًا واحدًا[1].

قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ أي: كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال:

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٣١٣).

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾
أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟
صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ فقال المشركون: إنا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطون، فقال الله تكذيبًا لهم: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ نزل من عند الله ﴿فِيهِ﴾ في هذا الكتاب ﴿تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ تقرؤون.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾ في ذلك الكتاب ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ تختارون وتشتهون.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ عهود ومواثيق ﴿عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ مؤكدة، عاهدناكم عليها، فاستوثقتم بها منًّا، فلا ينقطع عهدكم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ﴾ في ذلك العهد ﴿لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله، وكسر «إنَّ» في الآيتين لدخول اللام في خبرهما، ثم قال لنبيه ﷺ:

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ كفيل لهم: بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين؟

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ أي: عندهم شركاء الله أرباب تفعل هذا، وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قيل: «يوم» ظرف؛ لقوله: «فليأتوا بشركائهم»، أي: فليأتوا بها في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم، «يوم يكشف عن ساق» قيل: عن أمر فظيع شديد، قال ابن عباس: هو أشد ساعة في القيامة.

قال سعيد بن جبير: «يوم يكشف عن ساق» عن شدة الأمر.

وقال ابن قتيبة: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة: شمَّر عن ساقه(١)، ويقال: إذا اشتد الأمر في الحرب: كشفت الحرب عن ساق.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان(٢)، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني سويد بن سعيد، حدثني جعفر، حدثني

---

(١) انظر: «القُرطين» لابن مطرف الكناني: (٢/ ١٧٧).

(٢) في «أ»: (سليمان)، والصحيح ما أثبتناه من «ب» كما ورد في «سير أعلام النبلاء».

حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن أناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم، هل تُضَارُّون في رؤيةِ الشمس بالظهيرة صَحْوًا ليس معها سحاب؟ وهل تُضَارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلة البدر صَحْوًا ليس فيها سحاب»؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «ما تُضَارُّون في رؤيةِ الله يوم القيامةِ إلَّا كما تُضَارُّون في رؤية أحدِهما، إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذّنٌ لِتَتْبَعْ كلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبدُ، فلا يبقى أحد كان يعبدُ اللهَ من برٍّ وفاجرٍ وغُبَّرِ أهلِ الكتابِ، فتُدعى اليهودُ فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنَّا نعبد عزيرَ ابنَ الله، فيقال: كذبتم، ما اتَّخذَ اللهُ من صاحبةٍ ولا ولدٍ، فماذا تَبْغونَ؟ فقالوا: عطشنا يا ربَّنا فاسقِنا، فيُشارُ إليهم: ألَا تَرِدُون؟ فيُحشرون إلى النار كأنها سرابٌ يَحْطِمُ بعضُها بعضًا، فيتساقطون في النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنَّا نعبد المسيحَ ابنَ الله، فيقال لهم: ما اتَّخذَ اللهُ من صاحبةٍ ولا ولدٍ، فيقال لهم: ماذا تَبْغونَ؟ فيقولون: عطشنا يا ربَّنا فاسقِنا، فيُشارُ إليهم: ألَا تَرِدُون؟ فيُحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يَحْطِمُ بعضُها بعضًا، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلَّا مَن كان يعبدُ الله من برٍّ وفاجرٍ، أتاهم ربُّ العالمين في أدنى صورة من التي رأوْه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ لِتَتْبَعْ كلُّ / أمَّةٍ ما كانت تعبدُ، قالوا: ١٧٢/ب
يا ربَّنا فارَقْنا الناسَ في الدنيا أفقرَ ما كنَّا إليهم ولم نصاحبْهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نُشْرِكُ بالله شيئًا، مرتين أو ثلاثًا، حتى إن بعضَهم لَيكادُ أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونه بها، فيقولون: نعم، فيكشفُ عن ساقٍ، فلا يبقى مَنْ كان يسجد لله من تلقاء نفسِه إلَّا أذِنَ اللهُ له بالسجود، فلا يبقى مَنْ كان يسجد نِفاقًا ورياءً إلَّا جعل اللهُ ظَهْرَهُ طبقةً واحدةً كلَّما أرادَ أن يسجدَ خرَّ على قفاه ثم يرفعون رؤوسَهم وقد تحوَّل في الصورة التي رأوه فيها أولَ مرة فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يُضْرَبُ الجسرُ على جهنم وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سلِّم سلِّم»، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحضٌ مَزِلَّةٌ فيه خطاطيفُ وكلاليبُ وحسكةٌ يكون بنجد فيها شويكةٌ يقال لها السَّعْدان، فيمر المؤمنون كطَرْفِ العين وكالبرقِ وكالريحِ وكالطيرِ وكأجاويدِ الخيل والركابِ، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومخدوشٌ مُرْسَل، ومكردسٌ في نارِ جهنم، حتى إذا خَلَصَ المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مناشدة لله في استيفاءِ الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربَّنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرِجُوا من عرفتم، فتُحرَّمُ صورُهم على النار فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذتِ النارُ إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربَّنا ما بقي فيها أحد مِمَّنْ أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من خيرٍ فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا لم نذر فيها أحدًا مِمَّنْ أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينارٍ من خيرٍ فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا لم نذرْ فيها مِمَّنْ أمرتنا به أحدًا، ثم يقول: فارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا لم نذر فيها أحدًا فيه خير ممن أمرتنا به»، وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾»[النساء: ٤٠]، «فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلّا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحِبّة في حَمِيْل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟ قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم، يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله من النار الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضلُ من هذا، فيقولون: يا ربنا، أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١).

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث عن يحيى بن بكير، عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد ابن أبي هلال، عن زيد بن أسلم بهذا المعنى أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا، محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد بن زيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا»(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصي البقر، فلا يستطيعون السجود.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ وذلك أن المؤمنين يرفعون رءوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضًا من الثلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ﴾ يغشاهم ذل الندامة والحسرة ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ قال إبراهيم التيمي: يعني: إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة، وقال سعيد بن جبير: كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أصحاء فلا يأتونه.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم١٨٣: (١/ ١٦٧ ـ ١٧١)، وأخرج بعضه البخاري في التفسير، تفسير سورة النساء، باب ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾: (٨/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة القلم، باب ﴿يوم يكشف عن ساق﴾: (٨/ ٦٦٣ ـ ٦٦٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٤١).

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي
مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ
بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ
بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلَّا في الذين يتخلفون عن الجماعات.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: فدعني والمكذبين بالقرآن، وخلِّ بيني وبينهم، قال الزَّجَّاج: معناه: لا تشغل قلبك بهم كِلْهُمْ[١] إليَّ فإني أكفيكهم[٢]، (قال: ومثله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[المدثر: ١١]، معناه في اللغة: لا تشغل قلبك به وكله إليَّ فإني أجازيه، ومثله قول الرجل: ذرني وإياه، ليس أنه منعه منه ولكن تأويله كِلْهُ فإني أكفيك أمره)[٣].

قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سنأخذهم بالعذاب ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فعذبوا يوم بدر.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ اصبر على أذاهم لقضاء ربك ﴿وَلَا تَكُن﴾ في الضجر والعجلة ﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ وهو يونس بن متى ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ربه في[٤] بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ مملوء غمًّا.

﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ﴾ أدركته ﴿نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ حين رحمه وتاب عليه ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ لطرح بالفضاء من بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ يذم ويلام بالذنب يذنبه[٥].

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ اصطفاه ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه.

وقيل: كانت العين في بني أسد حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية، خذي المكتل والدرهم فأتينا بشيء من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت، فتنحر[٦].

---

(١) في «ب»: (وكِلْه).

(٢) في «ب»: (أكفيك أمره).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) في «ب»: (من).

(٥) زياد من «ب».

(٦) انظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٠٩.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٥٢﴾

وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثًا، ثم يرفع جانب خبائه فتمر بها الإبل فيقول: لم أرَ كاليوم إبلًا ولا غنمًا أحسن من هذه، فما تذهب إلّا قليلًا حتى تسقط منها طائفة وعدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله نبيه وأنزل: «وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ
١/١٧٣ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ»[1]، أي: ويكاد، ودخلت اللام في «ليزلقونك» لمكان / «إن»، وقرأ أهل المدينة: «ليَزْلقونك» بفتح الياء، والآخرون بضمها، وهما لغتان، يقال: زلقَه يَزلُقه زلقًا وأزْلَقه يُزلِقه إزلاقًا.

قال ابن عباس: معناه: ينفذونك، ويقال: زلق السهم: إذا أنفذ.

قال السدي: يصيبونك بعيونهم، قال النضر بن شميل: يعينونك، وقيل: يزيلونك.

وقال الكلبي: يصرعونك، وقيل: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة.

قال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرًا شديدًا بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك[2].

وقال الزَّجّاج: يعني: من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في (كلام العرب)[3]، يقول القائل: نظر إليَّ نظرًا يكاد يصرعني، ونظرًا يكاد يأكلني، يدل على صحة هذا المعنى: أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ﴾ وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون إليه النظر بالبغضاء ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾ أي: ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ قال ابن عباس: موعظة للمؤمنين، قال الحسن: دواءُ إصابةِ العين أن يقرأ الإنسانُ هذه الآية[4].

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام ابن منبه قال: حدثنا أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعت عن رسول الله ﷺ يقول: «العين حق»، ونهى عن الوشم[5].

---

(١) انظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥١٠.
(٢) انظر: «القُرطين»: (٢/ ١٧٨).
(٣) في «ب»: (الكلام).
(٤) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٨/ ٣١٨).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ١٨)، والبخاري في الطب، باب العين حق: (١٠/ ٢٠٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٢/ ١٠٣)، وأخرج الجملة الأولى منه مسلم برقم٢١٨٧: (٤/ ١٧١٩).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أخبرنا أبو نصر بن محمد بن حمدويه بن سهل المروزي، حدثنا محمود (بن آدم المروزي)[١]، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين»[٢].

* * *

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الترمذي في الطب، باب ما جاء في الرقية من العين: (٦/ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في الطب، باب من استرقى من العين: (٢/ ١١٦٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار»: (٤/ ٧٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٢/ ١٦١ ـ ١٦٢).
وفي الباب عن ابن عباس عند مسلم برقم ٢١٨٨ مرفوعًا: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».

سورة الحَاقَّة

مكية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾﴾ يعني: القيامة، سميت حاقة؛ لأنها حقت فلا كاذبة لها، وقيل: لأن فيها حواق الأُمور وحقائقها؛ ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي: يجب، يقال: حق عليه الشيء إذا وجب يحق حقوقا[٢] قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الزمر: ٧١]، قال الكسائي: «الحاقة» يوم الحق.

﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾﴾ هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها، كما يقال: زيدٌ ما زيدٌ، على التعظيم لشأنه.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ أي: أنك لا تعلمها؛ إذ لم تعاينها، ولم ترَ ما فيها من الأهوال.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ قال ابن عباس وقتادة: بالقيامة سميت قارعة؛ لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة، وقيل: كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ أي: بطغيانهم وكفرهم، قيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي: بفعلهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد، كما قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾[الشمس: ١١]، وقال قتادة: بالصيحة الطاغية، وهي التي جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم، وقيل: طغَت على الخُزَّان (فلم يكن لهم عليها سبيل، ولم يعرفوا كم خرج منها)[٣] كما طغى الماء على قوم نوح.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ عتت على خُزَّانها فلم تطعهم، ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الحاقة بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٢٦٣).

(٢) في «ب»: (حقًّا).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أرسلها عليهم، وقال مقاتل: سلطها عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ قال وهب: هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز، ذات برد ورياح شديدة، قيل: سميت عجوزًا؛ لأنها في عجز الشتاء، وقيل: سميت بذلك؛ لأن عجوزًا من قوم عاد دخلت سربًا فتبعتها الريح، فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب ﴿حُسُومًا﴾ قال مجاهد وقتادة: متتابعة ليس لها فترة، فعلى هذا فهو مِنْ حسم الكيّ، وهو أن يتابع على موضع الداء بالمكواة حتى يبرأ، ثم قيل: لكل شيء توبع: حاسم، وجمعه حسوم، مثل: شاهد وشهود، وقال الكلبي ومقاتل: حسومًا دائمة، وقال النضر بن شميل: حسمتهم: قطعتهم وأهلكتهم، والحسم: القطع والمنع ومنه حسم الداء، قال: الزَّجَّاج: (الذي توجبه الآية فعلى معنى)[1] تحسمهم حسومًا تفنيهم وتذهبهم، وقال عطية: حسومًا كأنها حسمت الخير عن أهلها ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ أي: في تلك الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ هلكى جمع صريع ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ ساقطة، وقيل: خالية الأجواف.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ أي: من نفس باقية، يعني: لم يبق منهم أحد.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قرأ أهل البصرة والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، أي: ومن معه من جنوده وأتباعه، وقرأ الآخرون بفتح القاف وسكون الباء، أي: ومن قبله من الأمم الكافرة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي: قرى قوم لوط، يريد: أهل المؤتفكات، وقيل: يريد الأمم الذين ائتفكوا بخطيئتهم، أي: أهلكوا بذنوبهم ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ أي: بالخطيئة والمعصية، وهي الشرك.

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: لوطًا وموسى ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ نامية، قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: شديدة، وقيل: زائدة على عذاب الأمم.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: عتا وجاوز حدّه حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه، يعني: زمن نوح عليه السلام ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ أي: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ في السفينة التي تجري في الماء.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا، مِنْ إغراق قوم نوح، ونجاة من حملنا معه ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرةٌ وموعظةٌ ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ قرأ القواس عن ابن كثير، وسليم عن حمزة باختلاس العين، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: تحفظها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ أي: حافظة لما جاء من عند الله، قال قتادة: أذن[1] سمعت وعقلت ما سمعت، قال الفرَّاء: لتحفظها كل أُذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد[2].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ وهي النفخة الأولى ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ رفعت من أماكنها ﴿فَدُكَّتَا﴾ كسرتا ﴿دَكَّةً﴾ كسرة ﴿وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ فصارتا هباءً منثورًا[3].

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ قامت القيامة.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ ضعيفة، قال الفرَّاء: وَهْيُهَا: تشقُّقُها[2].

١٧٣/ب ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ نواحيها وأقطارها ما لم / ينشق منها، واحدها: «رجا» مقصورًا، وتثنيته: رَجَوَان، قال الضحاك: تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون، فيحيطون بالأرض ومن عليها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: فوق رؤوسهم، يعني: الحملة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: ثمانية أملاك.

جاء في الحديث: «إنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أُخرى، فكانوا ثمانية على صورة الأوعال، ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء»[4].

وجاء في الحديث: «لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر»[5].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ١٨١).

(٣) في «ب»: (منبثًا).

(٤) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٥٩)، وليس فيه «على صورة الأوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء»، وهو خبر منقطع. قال صاحب «البحر المحيط» (٨/ ٣٢٤): (وذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالًا متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحًا).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣١٤) عن عبد الله بن وهب عن أبيه، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٧٠) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن وهب أيضًا.

وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية»: (٣/ ٣٩١)، وعزاه لإسحاق وقال: (موقوف ضعيف الإسناد)، وقال البوصيري: (ضعيف لجهالة بعض رواته).

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾

أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي، أخبرنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي، أخبرنا محمد بن يحيى الخالدي، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي[1]، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا يحيى بن العلاء، عن عمه شعيب ابن خالد، حدثنا سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن العباس بن عبد المطلب قال: كنَّا جلوسًا عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا»؟ قلنا: السحاب، قال: «والمزن»، قلنا: والمزن، قال: «والعنان»، فسكتنا، فقال: «هل تدرون كم بين السماء والأرض»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكذلك غلظ كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، (ثم بين ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهنَّ وركبهنَّ كما بين السماء والأرض)[2]، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء»[3].

ويُروى هذا عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «فوقهم يومئذ ثمانية»، أي: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلَّا الله[4].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ قرأ حمزة والكسائي «لا يخفى» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ أي: فِعْلة خافية، قال الكلبي: لا يخفى على الله منكم شيء، قال أبو موسى: يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله[5]، وذلك قوله عزَّ وجلَّ:

---

(١) في «أ»: (الخطابي)، والصحيح ما أثبت كما في «تهذيب التهذيب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) حديث ضعيف رواه أبو داود في السنة، باب في الجهمية: (٧/ ٩١ ـ ٩٣)، وقال المنذري: (في إسناده الوليد بن أبي ثور، ولا يحتج بحديثه، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الحاقة: (٩/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦)، وقال: (هذا حديث حسن غريب)، روى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ورفعه، وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث ووقفه ولم يرفعه، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة: (١/ ٦٩)، والإمام أحمد في «المسند»: (١/ ٢٠٦)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (١/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وابن خزيمة في التوحيد: ص٦٨، والآجري في «الشريعة»: ص٢٩٢، والدارمي في «الرد على الجهمية»: ص١٩، والذهبي في «العلو» للعلي الغفار: ص٣٣، وصححه الحاكم: (٢/ ٢٨٨، ٤١٢)، وتعقبه الذهبي فقال: (يحيى بن العلاء واهٍ، وعبد الله بن عميرة فيه جهالة، قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس، ويحيى بن العلاء متهم بالوضع). انظر: «ظلال الجنة في تخريج السنة» للألباني: (١/ ٢٥٤)، «النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد»: ص٢٨٣.

(٤) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٥٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٦٩) أيضًا لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٥٩)، والإمام أحمد: (٤/ ٤١٤) عن أبي موسى الأشعري، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣١٤)، وابن ماجه في=

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾
فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ
أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾
وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ تعالوا اقرؤوا كتابيه، الهاء في «كتابيه» هاء الوقوف.

﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ علمت وأيقنت ﴿أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ أي: أني[1] أحاسب في الآخرة.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ﴾ حالة من العيش ﴿رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ مرضية كقوله: «مَّآءٍ دَافِقٍ»[الطارق: ٦]، يريد: يرضاها، بأن لقي الثواب وأمن العقاب.

﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ رفيعة.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ثمارها قريبة لمن يتناولها، (في كل أحواله ينالها)[2]: قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، يقطعون كيف شاؤوا، ويقال لهم:

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ الماضية، يريد: أيام الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ قال ابن السائب: تُلْوَى يده اليسرى (من صدره)[2] خلف ظهره ثم يعطى كتابه، وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ يتمنَّى أنه لم يؤت كتابه؛ لما يرى فيه من قبائح أعماله.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية الفارغة من كل ما بعدها، والقاطعة للحياة، فلم أحيَ بعدها، و«القاضية»: موت لا حياة بعده، يتمنى أنه لم يبعث للحساب، قال قتادة: يتمنى الموت، ولم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت.

= الزهد، باب ذكر البعث: (٢/ ١٤٣٠)، قال في «الزوائد»: (رجال الإسناد ثقات، إلَّا أنه منقطع، والحسن لم يسمع من أبي موسى، قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة)، ورواه الترمذي في القيامة: (٧/ ١١١ ـ ١١٢) عن أبي هريرة، وقال: (لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة)، وأشار إلى حديث أبي موسى فقال: (وقد رواه بعضهم عن علي بن علي وهو الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ).

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٠٣): (أخرجه البيهقي في «البعث» بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفًا).

(١) ساقط من «ب».

(٢) زيادة من «ب».

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٤)﴾

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨)﴾ لم يدفع عني من عذاب الله شيئًا ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩)﴾ ضلت عني حجتي، عن أكثر المفسرين، وقال ابن زيد: زال عني ملكي وقوتي، قال مقاتل: يعني: حين شهدت عليه الجوارح بالشرك، يقول الله لخزنة جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠)﴾ اجمعوا يده إلى عنقه ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١)﴾ أي: أدخِلوه الجحيم ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٢)﴾ فأدخلوه فيها، قال ابن عباس: سبعون ذراعًا بذراع المَلَك، فتدخل في دبره وتخرج من منخره[1]، وقيل: تدخل في فيه وتخرج من دبره، وقال نوف البكالي: سبعون ذراعًا، كل ذراع سبعون باعًا، كل باع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة[2]، وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعًا، قال الحسن: الله أعلم أي ذراع هو.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رضاضة[3] مثل هذه - وأشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أُرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»[4].

وعن كعب قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٤)﴾ لا يطعم المسكين في الدنيا، ولا يأمر أهله بذلك.

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٦٣ - ٦٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٧٤) لابن أبي حاتم والبيهقي في «البعث والنشور».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٦٣)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣١٥)، وعزاه السيوطي في «الدر»: (٨/ ٢٧٣ - ٢٧٤) لابن المبارك وهناد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) في «المخطوطتين»: (رضاضة)، وعند ابن كثير كذلك، وفي «شرح السنة»: (رضراضة)، وأما عند الترمذي والإمام أحمد والطبري فـ (رصاصة)، وقد شرحها المباركفوري بأنها قطعة من الرصاص.

(٤) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار: (٧/ ٣١٣ - ٣١٤)، وقال: (هذا حديث إسناده حسن صحيح)، والإمام أحمد: (٢/ ١٩٧)، والطبري: (٢/ ٢٩/ ٦٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢٤٨ - ٢٤٩).

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ قريب، ينفعه ويشفع له.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ وهو صديد أهل النار، مأخوذ من الغسل، كأنه غُسالة جروحهم وقروحهم، قال الضحاك والربيع: هو شجر يأكله أهل النار.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: الكافرون.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» ردٌّ لكلام المشركين، كأنه قال: ليس كما يقول المشركون أقسم ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: بما ترون، وبما لا ترون، قال قتادة: أقسم بالأشياء كلها، فيدخل فيه جميع المخلوقات[1] والموجودات، وقال: أقسم بالدنيا والآخرة، وقيل: «ما تبصرون»: ما على وجه الأرض، و«ما لا تبصرون»: ما في بطنها، وقيل: «ما تبصرون»: من الأجسام، و«ما لا تبصرون»: من الأرواح، وقيل: «ما تبصرون»: الإنس، و«ما لا تبصرون»: الملائكة والجن، وقيل: النعم الظاهرة والباطنة، وقيل: «ما تبصرون»: ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم، «وما لا تبصرون»: ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدًا.

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ أي: تلاوة رسول كريم، يعني: محمدًا ﷺ.

١/١٧٤ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ/ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب «يؤمنون» و«يذكرون» بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء، وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلًا، كقولك لمن لا يزورك: قلما تأتينا، وأنت تريد: لا تأتينا أصلًا.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ تخرَّص واختلق ﴿عَلَيْنَا﴾ محمد ﴿بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ وأتى بشيء من عند نفسه.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ قيل: «مِنْ» صلة، مجازه: لأخذناه وانتقمنا منه باليمين، أي: بالحق، كقوله: «كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ»[الصافات: ٢٨]، من قبل الحق، وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة، قال الشماخ في عرابة ملك اليمن:

---

(١) في «ب»: (المكنونات).

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تلقَّاها عُرَابَةُ بِاليَمِينِ[1]

أي: بالقوة، عبر عن القوة باليمين؛ لأن قوة كل شيء في ميامنه.

وقيل: معناه: لأخذناه بيده اليمنى، وهو مثلٌ معناه: لأذللناه وأهنَّاه، كالسلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من يريد، يقول لبعض أعوانه: خذ بيده فأقمه.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قال ابن عباس: أي: نياط القلب، وهو قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: الحبل الذي في الظهر، وقيل: هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ مانعين، يحجزوننا عن عقوبته، والمعنى: أن محمدًا لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه بأنه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر أحدٌ على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: «حاجزين» بالجمع وهو فعْلُ واحدٍ ردًّا على معناه، كقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥].

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: لعظة لمن اتقى عقاب الله.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ يوم القيامة، يندمون على ترك الإيمان به.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ أضافه إلى نفسه اختلاف اللفظين.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.

* * *

(١) البيت للشّماخ، وعرابة هو: ابن أوس الحارثي الأنصاري، من سادات المدينة، أسلم صغيرًا وتوفي بالمدينة نحو سنة ستين.

سورة المَعارج

مكية[(١)].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ قرأ أهل المدينة والشام «سال» بغير همز، وقرأ الآخرون بالهمز، فمن همز فهو من السؤال، ومن قرأ بغير همز قيل: هو لغة في السؤال، يقال: سال يسال، مثل: خاف يخاف، يعني[(٢)] سال يسال خفف الهمزة وجعلها ألفًا، وقيل: هو من السيل، والسايل واد من أودية جهنم، يروى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والأول أصح.

واختلفوا في الباء في قوله: ﴿بِعَذَابٖ﴾ قيل: هو بمعنى «عن»، كقوله: «فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا»[الفرقان: ٥٩]، (أي: عنه خبيرًا)[(٣)].

ومعنى الآية: سأل سائل عن عذاب ﴿وَاقِعٖ ﴿١﴾﴾ نازل كائن على مَن ينزل؟ ولمن ذلك العذاب؟ فقال الله مبيِّنًا مجيبًا لذلك السائل:

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبيُّ ﷺ بالعذاب، قال بعضهم لبعض: مَنْ أهل هذا العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمدًا، فسألوه فأنزل الله: «سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * لِّلۡكَٰفِرِينَ»، أي: هو للكافرين، هذا قول الحسن وقتادة، وقيل: الباء صلة، ومعنى الآية: دعا داع وسأل سائل عذابًا واقعًا للكافرين، أي: على الكافرين، اللام بمعنى «على»، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب، فقال: «ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ»[الأنفال: ٣٢]، فنزل به ما سأل يوم بدر، فقتل صبرًا، وهذا قول ابن عباس ومجاهد: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ﴾ أي: للعذاب ﴿دَافِعٞ ﴿٢﴾﴾ مانع.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة سأل بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٢٧٧).

(٢) في «أ»: (بمعنى).

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ قال ابن عباس: أي: ذي السموات، سماها معارج؛ لأن الملائكة تعرج فيها، وقال سعيد بن جبير: ذي الدرجات، وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، (ومعارج: الملائكة)(١).

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرأ الكسائي «يعرج» بالياء، وهي قراءة ابن مسعود، وقرأ الآخرون «تعرج» بالتاء ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله عزَّ وجلَّ ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ من سني الدنيا لو صعد غير المَلك، وذلك أنها تصعد منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة.

روى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسون ألف سنة(٢).

وقال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش لساروا خمسين ألف سنة من سني الدنيا. وقال عكرمة وقتادة والحسن: هو يوم القيامة.

وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا، يعني به: مقدار طوله هذا دون غيره؛ لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر؛ لأنه يوم ممدود، ولو كان له آخر لكان منقطعًا.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة(٣).

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، حدثنا عبد الله بن سعيد، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ «﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾»، فما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»(٤).

وقيل: معناه: لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه خمسين ألف سنة. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل، قال عطاء: ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا.

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٧١).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٧١). وعزاه ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٤٢٠) لابن أبي حاتم، وساق أربعة أقوال في معنى ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فلتنظر. وعزاه صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٢٧٩) لابن المنذر والبيهقي في «البعث والنشور».

(٤) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٧٢)، والإمام أحمد: (٣/ ٧٥)، وابن حبان في «موارد الظمآن»: ص٦٣٨، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٢٩)، وذكره ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٤٢٠)، وقال: (إن دراجًا وشيخه ضعيفان).

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣﴾

وروى محمد بن الفضل عن الكلبي قال: يقول لو ولّيتُ حساب ذلك اليوم الملائكة والجنَّ والإنسَ وطوقتُهم محاسبتهم لم يفرغوا منه إلَّا بعد خمسين ألف سنة، وأنا أفرغ منها في ساعة واحدة)[1] من النهار.

وقال يمان: هو يوم القيامة، فيه خمسون موطنًا، كل موطن ألف سنة، وفيه تقديم وتأخير، كأنه قال: ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه.

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾ يا محمد على تكذيبهم، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦﴾ يعني: العذاب ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ لأن ما هو آت قريب.

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ كعكر الزيت، وقال الحسن: كالفضة إذا أذيبت.

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾ كالصوف المصبوغ، ولا يقال: «عهن» إلَّا للمصبوغ، وقال مقاتل: كالصوف المنفوش، وقال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف، / وأول ما تتغير الجبال تصير ١٧٤/ب رملًا مهيلًا، ثم عهنًا منفوشًا، ثم تصير هباءً منثورًا.

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠﴾ قرأ البزي عن ابن كثير «لا يُسأل» بضم الياء، أي: لا يسئل حميم عن حميم، أي: لا يقال له: أين حميمك؟ وقرأ الآخرون بفتح الياء، أي: لا يسأل قريب قريبًا لشغله بشأن نفسه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ يرونهم، وليس في القيامة مخلوق إلَّا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس، فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسأله، ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه.

قال ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده.

وقيل: «يبصرونهم»: يُعرَّفونهم، أي: يُعرَّفُ الحميم حميمه حتى يعرفه، ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه.

وقال السدي: يعرفونهم، أمَّا المؤمن فببياض وجهه، وأما الكافر فبسواد وجهه ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ يتمنى المشرك ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١﴾.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته التي فصل منهم، وقال مجاهد: قبيلته، وقال غيره: أقرباؤه الأقربون ﴿ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣﴾ أي: التي تضمه ويأوي إليها.

---

(١) ساقط من «ب».

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾ ذلك الفداء من عذاب ربك(١).

﴿كَلَّآ﴾ لا ينجيه من عذاب الله شيء، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥﴾ وهي اسم من أسماء جهنم، قيل: هي الدركة الثانية، سميت بذلك؛ لأنها تتلظى، أي: تتلهب.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ قرأ حفص عن عاصم «نزاعةً» نصب على الحال والقطع، وقرأ الآخرون بالرفع، أي: هي نزاعة للشوى، وهي الأطراف(٢): اليدان والرجلان، وسائر(٢) الأطراف، قال مجاهد: لجلود الرأس، وروى إبراهيم بن مهاجر عنه: تنزع(٢) اللحم دون العظام، وقال مقاتل: تنزل النارُ الأطراف، فلا تترك لحمًا ولا جلدًا، وقال الضحاك: تنزع الجلد واللحم عن العظم، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: العصب والعقب، وقال الكلبي: لأمِّ الرأس، تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان، ثم تعود لأكله فذلك دأبها، وقال قتادة: لمكارم خلقه وأطرافه، قال أبو العالية: لمحاسن وجهه، وقال ابن جرير(٣): «الشوى»: جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلًا، يقال: رمى فأشوى إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل(٤).

﴿تَدْعُوا۟﴾ أي: النار إلى نفسها ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ ۝١٧﴾ عن الحق، فتقول: إليَّ يا مشرك، إليَّ يا منافق، إليَّ إليَّ، قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب، حُكي عن الخليل أنه قال: «تدعو»، أي: تعذب، وقال: قال أعرابي لآخر: دعاك الله، أي: عذبك الله.

﴿وَجَمَعَ﴾ أي: جمع المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ أمسكه(٥) في الوعاء، ولم يُؤدِ حق الله منه.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال(٢): «الهلوع»: الحريص على ما لا يحل له، وقال سعيد بن جبير: شحيحًا، وقال عكرمة: ضجورًا، وقال الضحاك والحسن: بخيلًا، وقال قتادة: جزوعًا، وقال مقاتل: ضيّق القلب، والهلع: شدة الحرص، وقلة الصبر، وقال عطية عن ابن عباس: تفسيره ما بعده، وهو قوله:

---

(١) في «ب»: (الله).
(٢) ساقط من «ب».
(٣) في «ب»: (جبير)، والصحيح ما أثبت من «أ».
(٤) ذكره الطبري: (٢٩/٧٦).
(٥) ساقط من «أ».

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ أي: إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصاب المال لم ينفق، قال ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره، ثم تعبَّده بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ استثنى الجمع من الوحدان؛ لأن الإنسان في معنى الجمع، (كقوله: «إن الإنسان لفي خسر إلَّا الذين آمنوا»)[1] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يقيمونها في أوقاتها، يعني: الفرائض.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله ابن المبارك، عن ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب: أن أبا الخير أخبره قال: سألنا عقبة بن عامر عن قول الله تعالى: «ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ»، أهم الذين يصلون أبدًا؟ قال: لا، ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا من خلفه[2].

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قرأ حفص عن عاصم ويعقوب «بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ» على الجمع، وقرأ الآخرون «بشهادتهم»[3] (على التوحيد)[1] «قَآئِمُونَ»، أي: يقومون فيها بالحق، أو لا يكتمونها ولا يغيرونها.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٨٠)، وابن المبارك حدث عن ابن لهيعة قبل الاختلاط، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٨٤) لابن المنذر.

(٣) ساقط من «أ».

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: فما بال الذي كفروا، كقوله: «فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ»[المدثر: ٤٩] ﴿قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ مسرعين مقبلين إليك مادّي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك.

نزلت في جماعة من الكفار، كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه، فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون(١).

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ حلقًا وفرقًا، و«العِزين»: جماعات في تفرقة، واحدتها عِزَة.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ قال ابن عباس: معناه: أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذَّب نبيي؟

﴿كَلَّآ﴾ لا يدخلونها، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، نبَّه الناس على أنهم خُلقوا من أصل واحد، وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد بن علي، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا جرير بن عثمان الرحبي، عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن جبير بن نفير، عن بسر بن جحاش القرشي(٢) قال: قال النبي ﷺ وبصق يومًا في كفه ووضع عليها إصبعه فقال: يقول الله عزَّ وجلَّ:
١٧٥/أ ابن آدم أنَّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا / سوَّيتُك وعدلتُك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق، وأنَّى أوان الصدقة»(٣).

وقيل: معناه: إنا خلقناكم (من أجل ما يعملون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب.

وقيل: «ما» بمعنى «من»، مجازه: إنا)(٤) خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم.

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٣٣٥).

(٢) زيادة من «أ».

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٨٦) للبيهقي في «الشعب» عن بشير، والصحيح: (بسر).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ يعني: مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله ورسوله[(١)] ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾ نسختها آية القتال.

﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ من القبور ﴿سِرَاعٗا﴾ إلى إجابة الداعي ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ قرأ ابن عامر (وابن عباس)[(٢)] وحفص «نُصُبٍ» بضم النون والصاد وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد، يعنون: إلى شيء منصوب، يقال: فلان نُصْبَ عيني، وقال الكلبي: إلى عَلَمٍ وراية، ومن قرأ بالضم، قال مقاتل والكسائي: يعني: إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله (كقوله: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ»[المائدة: ٣])[(٢)]، قال الحسن: يسرعون إليها أيهم يتسلمها أولًا ﴿يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ يسرعون.

﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلة خاضعة ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ يغشاهم هوان ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾ يعني: يوم القيامة.

* * *

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) زيادة من «أ».

سورة نُوح

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي
لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي
لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ
أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ أي: بأن أنذر قومك ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ المعنى: إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢﴾ أنذركم، وأبيّن لكم (رسالة الله بلغة تعرفونها)(٢).

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ «من» صلة، أي: يغفر لكم ذنوبكم، وقيل: يعني: ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان، وذلك بعض ذنوبهم ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ أي: يعافيكم إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ يقول: آمنوا قبل الموت، تسلموا (من العذاب)(٢)، فإن أجل الموت إذا جاء لا يؤخر ولا يمكنكم الإيمان.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾ نفارًا وإدبارًا عن الإيمان والحق(٣).

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ﴾ إلى الإيمان بك ﴿لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ لئلا يسمعوا دعوتي ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ غطوا بها وجوههم؛ لئلا يروني ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ على كفرهم ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان بك ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧﴾.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة نوح بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٢٨٨).
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب». (٣) زيادة من «ب».

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ
جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ معلنًا بالدعاء، قال ابن عباس: بأعلى صوتي.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ كررت الدعاء مُعلنًا ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ قال ابن عباس: يريد: الرجل بعد الرجل، أكلمه سرًا بيني وبينه، أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانًا طويلًا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أموالهم ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي: استدعوا المغفرة بالتوحيدة، يرسل السماء عليكم مدرارًا.

روى مطرف عن الشعبي أن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ خرج يستسقي بالناس، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقيل له: ما سمعناك استسقيت؟ فقال: طلبت الغيث بمجاديح[1] السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا»[2].

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ قال عطاء: يكثر أموالكم وأولادكم ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد: لا ترون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، وقال الكلبي: لا تخافون الله حق عظمته.

و«الرجاء» بمعنى: الخوف، و«الوقار»: العظمة، اسم من التوقير وهو التعظيم.

قال الحسن: لا تعرفون لله حقًا، ولا تشكرون له نعمة.

قال ابن كيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيرًا.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ تارات، حالًا بعد حال، نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق.

---

(١) واحدها مِجْدَح، والياء زائدة للإشباع، والقياس أن يكون واحدها مِجْداح، فأما مجدح فجمعه مجادح.
والمِجْدح: نجم من النجوم، قيل: هو الدَّبَران، وقيل: هو ثلاثة كواكب كالأثافي، تشبيهًا بالمجْدح الذي له ثلاث شُعَب، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار مُشبهًا بالأنواء، مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولًا بالأنواء، وجاء بلفظ الجمع؛ لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أن من شأنها المطر.
انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير: (١/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٩٣ ـ ٩٤)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٤٢٦)، قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٧٧: (رجاله ثقات إلَّا أنه منقطع).

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ قال الحسن: يعني: في السماء الدنيا، كما يقال: أتيت بني تميم، وإنما أتى بعضهم، وفلانٌ متوارٍ في دور بني فلان، وإنما هو في دار واحدة، وقال عبد الله بن عمرو: إن الشمس والقمر وجوههما إلى السموات، وضوء الشمس ونور القمر فيهنَّ وأقفيتهما إلى الأرض(١)، ويروى هذا عن ابن عباس(٢).

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ مصباحًا مضيئًا.

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أراد: مبدأ خلق آدم، خلقه من الأرض، والناس ولده، وقوله: «نباتًا» اسم جعل في موضع المصدر، أي: إنباتًا، قال الخليل: مجازه: أنبتكم فنبتُّم نباتًا.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بعد الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ منها يوم البعث أحياء ﴿إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ فرشها وبسطها لكم ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ طرقًا واسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ لم يجيبوا دعوتي ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ يعني: اتبع السفلةُ والفقراءُ القادةَ والرؤساءَ الذين لم يزدهم كثرة المال والولد إلّا ضلالًا في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: كبيرًا عظيمًا، يقال: كبير وكُبَار بالتخفيف، كُبَّار بالتشديد، كلها بمعنى واحد، كما يقال: أمر عجيب وعجَاب، وعجَّاب بالتشديد وهو أشد في المبالغة.

واختلفوا في معنى مكرهم، قال ابن عباس: قالوا قولًا عظيمًا، وقال الضحاك: افتروا على الله وكذبوا رسله، وقيل: منع الرؤساءُ أتباعَهم عن الإيمان بنوح وحرضوهم(٣) على قتله.

﴿وَقَالُوا﴾ لهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: لا تتركوا عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ قرأ أهل المدينة بضم الواو، والباقون بفتحها ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ هذه أسماء آلهتهم.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣١٩).

(٢) ذكره الحافظ في «الكافي الشاف»: ص١٧٧، وقال: (موقوف).

(٣) في «ب»: (وحرشوهم).

قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة، فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ففعلوا، ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك[1].

١٧٥/ب وسميت تلك الصور بهذه الأسماء؛ لأنهم صوروها على صور أُولئك / القوم من المسلمين.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء: عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح تعبد[2] في العرب بعده[3]، أمّا «وَدّ» فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما «سُواع» فكانت لهذيل، وأما «يَغُوث» فكانت لمراد ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما «يَعُوق» فكانت لهمدان، وأمّا «نَسْر» فكانت لحمير لآل ذي الكلاع[4]، ذكره في «تفسيره».

وروى سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس قوله تعالى: «ولا تذرن ودًّا ولا سُواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا»، قال: كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبِدَتْ[5].

ورُوي عن ابن عباس: أن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطمها التراب، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكانت للعرب أصنام أُخر، فـ «اللات» كانت لثقيف، و«العُزى» لسليم وغطفان وجشم، و«مَنَاة» لقُديد، و«إساف» و«نائلة» و«هُبَل» لأهل مكة.

---

(١) عزاه صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٢٩٤) لعبد بن حميد.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) زيادة من «ب».

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة نوح، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾: (٨/ ٦٦٧).

(٥) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة نوح، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾: (٨/ ٦٦٧).
قال الحافظ ابن حجر (٨/ ٦٦٩):
(ثم قال هذا الشارح ـ يعني: الصدفي ـ: والصواب وهي . . . قلت: ووقع في رواية محمد بن ثور بعد قوله: «وأما نسر فكانت لآل ذي الكلاع»، قال: «ويقال: هذه أسماء قوم صالحين»، وهذا أوجه الكلام وصوابه، وقال بعض الشراح: محصل ما قيل في هذه الأصنام قولان، أحدهما: أنها كانت في قوم نوح، والثاني: أنها كانت أسماء رجال صالحين إلى آخر القصة، قلت: بل مرجع ذلك إلى قول واحد، وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك).

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ أي: ضل بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله عزَّ وجلَّ: «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ»[إبراهيم: ٣٦]، وقال مقاتل: أضل كبراؤهم كثيرًا من الناس ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ هذا دعاء عليهم بعدما أعلم الله نوحًا أنهم لا يؤمنون، وهو قوله: «أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ»[هود: ٣٦].

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ أي: من خطيئاتهم، و«ما» صلة، وقرأ أبو عمرو «خطاياهم»، وكلاهما جمع خطيئة ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ قال الضحاك: هي في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فأدخلوا نارًا في الآخرة ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ لم يجدوا أحدًا يمنعهم من عذاب الله.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ أحدًا يدور في الأرض فيذهب ويجيء، أصله من الدوران، وقال (ابن قتيبة)[(١)]: إن أصله من الدار، أي: نازل دار[(٢)].

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرنيه، فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم: إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة، (وقيل: سبعين سنة)[(٣)]، وأخبر الله نوحًا أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنًا فحينئذ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب؛ لأن الله تعالى قال: «وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ»[الفرقان: ٣٧]، ولم يوجد التكذيب من الأطفال[(٤)].

---

(١) في «ب»: (القتيبي).

(٢) انظر: «القرطبين»: (٢/ ١٨٢).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٨/ ٣٤٣).
ثم قال: (وهذا لا يظهر؛ لأنه قال: «إنك إن تذرهم يضلوا عبادك» الآية، فقوله: «ولا يلدوا إلَّا فاجرًا كفارًا» يدل على أنه لم يعقم أرحام نسائهم، وقاله محمد بن كعب والربيع وابن زيد، ولا يظهر كما قلنا).

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ واسم أبيه: لمك بم متوشلخ، واسم أُمه: سمحاء بنت أنوش، وكانا مؤمنين، (وقيل: اسمها هيجَل بنت لاموش بن متوشلخ فكانت بنت عمه)(1) ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ داري ﴿مُؤْمِنًا﴾ وقال الضحاك والكلبي: مسجدي، وقيل: سفينتي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا عام في كل من آمن بالله وصدَّق الرسل ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ هلاكًا ودمارًا، فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم.

* * *

---

(1) ما بين القوسين ساقط من «ب».

سورة الجن

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وكانوا تسعة من جن نصيبين، وقيل: سبعة، استمعوا قراءة النبي ﷺ، ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف ﴿فَقَالُوا﴾ لما رجعوا إلى قومهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ قال ابن عباس: بليغًا، أي: قرآنًا ذا عجب يُعجَبُ منه لبلاغته.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قرأ أهل الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم «وأنه تعالى» بفتح الهمزة، وكذلك ما بعده إلى قوله: «وأنَّا منَّا المسلمون»، وقرأ الآخرون بكسرهنَّ، وفتح أبو جعفر منها «وأنه» وهو ما كان مردودًا إلى[٢] الوحي، وكسر ما كان حكاية عن الجن.

والاختيار كسر الكل؛ لأنه من قول الجنِّ لقومهم فهو معطوف على قوله: «فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا»، وقالوا: «وأنَّه تعالى».

ومن فتح ردَّه على قوله: «فآمنا به» وآمنا بكل ذلك؛ ففتح «أنَّ» لوقوع الإيمان عليه.

﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ جلال[٣] ربنا وعظمته، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة، يقال: جَدّ الرجلُ، أي: عَظُمَ، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، أي: عظم قدره.

وقال السدي: «جد ربِّنا»، أي: أمر ربِّنا، وقال الحسن: غنى ربنا، ومنه قيل للجد: حظ، ورجل مجدود.

وقال ابن عباس: قدرة ربِّنا، قال الضحاك: فعله. وقال القرظي: آلاؤه ونعماؤه على خلقه.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الجن بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٢٩٦).

(٢) في «ب»: (على). (٣) في «أ»: (جد).

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾

وقال الأخفش: علا ملك ربّنا ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ قيل: تعالى جل جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبةً (أو ولدًا)(١).

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا، قال مجاهد وقتادة: هو إبليس ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ كذبًا وعدوانًا، وهو وصفه بالشريك والولد ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ حسبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ قرأ يعقوب «تقوَّل» بفتح الواو وتشديدها ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ أي: كنّا نظنهم صادقين في قولهم: إن لله صاحبةً وولدًا حتى سمعنا القرآن.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في أرض قفر، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح(٢).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا أبو القاسم (عبد الرحمن)(٣) بن محمد بن إسحاق المروزي، حدثنا موسى بن
١٧٦/أ سعيد بن النعمان بطرسوس، حدثنا فروة بن أبي / المغراء الكندي، حدثنا القاسم بن مالك، عن عبد الرحمن ابن إسحاق، عن أبيه، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذُكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف النهار جاء ذئب فأخذ حملًا من الغنم، فوثب الراعي فقال(٤): يا عامر الوادي جارك، فنادى منادٍ لا نراه، يقول: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة(٥)، فأنزل الله عزَّ وجلَّ على رسوله ﷺ بمكة ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ يعني: زاد الإنسُ الجنَ باستعاذتهم بقادتهم رهقًا.

---

(١) في «ب»: (ولا ولدًا).
(٢) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣٠١).
(٣) في «ب»: (عبد الله)، والصحيح ما أثبت.
(٤) في «ب»: (فنادى).
(٥) ذكره ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٤٣٠)، ثم قال معقبًا: (وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيًا حتى يرهب الإنسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرج عن دينه، والله أعلم).
وعزاه في «الدر المنثور»: (٨/ ٢٩٨-٢٩٩) لابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي في «الضعفاء» والطبراني وأبي الشيخ في «العظمة» وابن عساكر.
قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٢٩): (رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف).

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا
رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا
الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١)﴾

قال ابن عباس: إثمًا، قال مجاهد: طغيانًا، قال مقاتل: غيًّا، قال الحسن: شرًّا، قال إبراهيم: عظمة، وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانًا، يقولون: سدنا الجن والإنس، و«الرَّهق» في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ يقول الله تعالى: إن الجن ظنوا ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا معشر الكفار من الإنس ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧)﴾ بعد موته.

﴿وَأَنَّا﴾ تقول الجن: ﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ قال الكلبي: السماء الدنيا ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة ﴿وَشُهُبًا (٨)﴾ من النجوم.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: كنّا نستمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩)﴾ أرصد له ليرمى به.

قال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ، ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون السمع في بعض الأحوال، فلما بعث (النبي ﷺ)(١) منعوا من ذلك أصلًا(٢)، ثم قالوا:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ برمي الشهب ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دون الصالحين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١)﴾ أي: جماعات متفرقين وأصنافًا مختلفة، والقِدَّةُ: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قددًا إذا اختلفت حالاتهم، وأصلها من القَدّ وهو القطع، قال مجاهد: يعنون: مسلمين وكافرين.

وقيل: ذوو(٣) أهواء مختلفة، وقال الحسن والسدي: الجن أمثالكم، فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة.

وقال ابن كيسان: شيعًا وفرقًا، لكل فرقة هوى كأهواء الناس.

وقال سعيد بن جبير: ألوانًا شتى، وقال أبو عبيدة: أصنافًا.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) انظر: «القرطين»: (٢/ ١٨٤).

(٣) ساقط من «ب».

وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا
بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ
فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ
يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ ﴾ علمنا وأيقنا ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: لن نفوته إن أراد بنا أمرًا ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾ إن طلبنا ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (القرآن وما أتى به محمد)[1] ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا ﴾ نقصانًا من عمله وثوابه ﴿ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾ وقيل: مكروهًا يغشاه.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾ وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ الجائرون العادلون عن الحق، قال ابن عباس: هم الذين جعلوا لله ندًّا، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط، وقسط إذا جار فهو قاسط ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ أي: قصدوا طريق الحق وتوخَّوه.

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ الذين كفروا ﴿ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ كانوا وقود النار يوم القيامة.

ثم رجع إلى كفار مكة فقال: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين ﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ كثيرًا، قال مقاتل: وذلك بعدما رُفع عنهم المطر سبع سنين، وقالوا: معناه: لو آمنوا لَوسَّعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالًا كثيرًا، وعيشًا رغدًا، وضرب الماء الغدق مثلًا؛ لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ»[المائدة: ٦٦]، وقال: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ»[الأعراف: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾ أي: لنختبرهم كيف شكرهم فيما خُوِّلوا، وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن. وقال آخرون: معناها: وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالًا كثيرًا، ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه، عقوبةً لهم واستدراجًا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم، وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان، كما قال الله: «فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ...» الآية[الأنعام: ٤٤].

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب «يسلكه» بالياء، وقرأ الآخرون بالنون، أي: ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾ قال ابن عباس: شاقًّا، والمعنى: ذا صعد، أي: ذا مشقة، قال قتادة: لا راحة فيه، وقال مقاتل: لا فرح فيه، قال الحسن: لا يزداد إلّا شدة، والأصل فيه أن الصعود يشق على الناس(١).

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني: المواضع التي بنيت للصلاة وذِكْرِ الله ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد، وأراد بها المساجد كلها(٢).

وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها؛ لأن الأرض جعلت كلها مسجدًا للنبي ﷺ.

وقال سعيد بن جبير: قالت الجنُّ للنبيِّ ﷺ: كيف لنا أن (نأتي المسجد، وأن)(٣) نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون؟ فنزلت: «وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ»(٤).

وروي عن سعيد بن جبير أيضًا: أن المراد بالمساجد: الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان، وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان؟ يقول: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره(٥).

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، حدثنا علي بن الحسن الهلالي والسري بن خزيمة قالا: حدثنا يعلى بن أسد، حدثنا وُهيب، عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعضاء: الجبهة ـ وأشار بيده إليها ـ واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين، ولا أكف الثوب ولا الشعر»(٦).

فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة، فواحدها: «مسجِد» بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها: «مسجَد» بفتح الجيم.

---

(١) في «ب»: (الإنسان).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٢٣).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) أخرجه الطبري: (٢٩/ ١١٧)، وابن كثير: (٤/ ٤٣٢). وانظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣٠٦).

(٥) ذكره ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣).

(٦) أخرجه البخاري في الأذان، باب السجود على الأنف: (٢/ ٢٩٧)، ومسلم في الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة برقم ٢٣٠: (١/ ٣٥٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ١٣٦).

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾
قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

١٧٦/ب ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، / «لمَّا قامَ عبدُ الله»، يعني: النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعني: يعبده ويقرأ القرآن، ذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن ﴿كَادُوا۟﴾ يعني: الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ أي: يركب بعضُهم بعضًا، ويزدحمون حرصًا على استماع القرآن، هذا قول الضحاك، ورواية عطية عن ابن عباس.

وقال سعيد بن جبير عنه: هذا مِن قول النَّفرِ الذين رجعوا إلى قومهم من الجن، أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة[١].

وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني: لمَّا قام عبد الله بالدعوة تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به، ويطفئوا نور الله، فأبى الله إلَّا أن يتم نوره، ويتم هذا الأمر، وينصره على من ناوأه[٢].

وقرأ هشام عن ابن عامر «لُبدًا» بضم اللام، وأصل «اللبد»: الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سُمي «اللبد» الذي يفرش لتراكمه، وتلبد الشعر: إذا تراكم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة «قل» على الأمر، وقرأ الآخرون «قال»، يعني: رسول الله ﷺ: «إنَّما أدعو ربي»، قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: لقد جئت بأمر عظيم، فارجع عنه فنحن نجيرك، فقال لهم: إنما أدعو ربي ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ لا أقدر أن أدفع عنكم ضرًا ﴿وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ أي: لا أسوق إليكم رشدًا، أي: خيرًا، يعني: أن الله يملكه.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ لن يمنعني من أحد إن عصيته ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ ملجأ أميل إليه، ومعنى «الملتحد»، أي: المائل.

قال السدي: حرزًا، وقال الكلبي: مدخلًا في الأرض مثل السَّرب.

---

(١) ذكره الطبري: (٢٩/١١٨).
(٢) أخرجه الطبري: (٢٩/١١٨).

﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن.

قال مقاتل: ذلك الذي يجيرني من عذاب الله، يعني: التبليغ.

وقال قتادة: إلَّا بلاغًا من الله، فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه.

وقيل: لا أملك لكم ضرًّا ولا رشدًا، لكن أبلغ بلاغًا من الله، فإنما أنا مرسل لا أملك إلَّا ما ملكت ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ولم يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني: العذاب يوم القيامة ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ عند نزول العذاب ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾﴾ أهم أم المؤمنون.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ (أي: ما أدري)[1] ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ يعني: العذاب، وقيل: القيامة ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ أجلًا وغاية تطول مدتها، يعني: أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلَّا الله.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ رفع على نعت قوله: «ربي»، وقيل: هو عالم الغيب ﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾ لا يُطْلع ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ إلَّا من يصطفيه لرسالته، فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة بأن يخبر عن الغيب ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها، «رصدًا»، أي: يجعل بين يديه وخلفه حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة.

قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولًا أتاه إبليس في صورة مَلَك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدًا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره، وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك[2].

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) انظر: الطبري: (٢٩/ ١٢٢).

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿لِّيَعْلَمَ﴾ قرأ يعقوب «ليُعْلم» بضم الياء، أي: ليعلم الناس ﴿أَن﴾ الرسل ﴿قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ وقرأ الآخرون بفتح الياء، أي: «ليَعلم» الرسولُ أن الملائكة قد أبلغوا ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: علم الله ما عند الرسل فلم يخفَ عليه شيء ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ قال ابن عباس: أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفُتْهُ علمُ شيءٍ حتى مثاقيل الذر والخردل، ونصب «عددًا» على الحال، وإن شئت على المصدر، أي: عدَّ عدًّا[1].

* * *

(١) في «ب»: (عددًا).

سورة المُزَّمِّل

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾ أي: المتلفف بثوبه، وأصله: المتزمل، أُدغمت التاء في الزاي، ومثله: المدثر، أي: المتدثر، أُدغمت التاء في الدال، يقال: تزمل وتدثر بثوبه، إذا تغطى به.

وقال السدي: أراد: يا أيها النائم، قم فصلِّ.

قال العلماء[٢]: كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول.

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ أي: للصلاة ﴿ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ وكان قيام الليل فريضة في الابتداء، وبيَّن قَدْرَه فقال: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾ إلى الثلث.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ على النصف إلى الثلثين، خيَّره بين هذه المنازل، وكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى نصف الليل ومتى الثلثان، فكان الرجل[٣] يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدرَ الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم ونسخها بقوله: «فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم الله أن سيكون منكم مرضى...» الآية، فكان بين أول السورة وآخرها سنة[٤].

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني،

---

(١) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣١١).

(٢) في «أ»: (الحكماء).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ورد معنى هذا القول في عدد من الأحاديث ذكرها الطبري: (٢٩/ ١٢٦)، وصاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٣١٢).

أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا يحيى بن بشير، حدثنا سعيد ـ يعني: ابن أبي عروبة ـ، حدثنا قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن سعيد بن هشام قال: انطلقت إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: ألستَ[1] تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن، قلت: فقيام رسول الله ﷺ يا أم المؤمنين؟ قالت: ألستَ تقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولًا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعًا بعد الفريضة[2].

قال مقاتل وابن كيسان: كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس.

١/١٧٧ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ قال / ابن عباس: بيّنْهُ بيانًا، وقال الحسن: اقرأهُ قراءة بيّنة، وقال مجاهد: تَرَسَّلْ فيه ترسلًا، وقال قتادة: تثبت فيه تثبتًا، وعن ابن عباس أيضًا: اقرأه على هيئتك ثلاث آيات أو أربعًا أو خمسًا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام، عن قتادة قال: سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال: كانت مدًّا مدًّا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة قال: سمعت أبا وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود، قال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذًّا كهذِّ الشعر؟ لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين [من آل حاميم] في [كل] ركعة[4].

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أحمد بن مثويه، أخبرنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن الحسين الحراني فيما كتبه إليَّ، (أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري)[5]، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن حميد الواسطي، حدثنا زيد بن أخزم، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا سعيد بن زيد، عن أبي حمزة، عن

(١) في «أ»: (أتقرأ).

(٢) تقدم تخريجه في سورة القلم: ص٤٤٣، تعليق (٣).

(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب مد القراءة: (٩/ ٩١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٤٨١).

(٤) أخرجه البخاري في الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة: (٢/ ٢٥٥)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة برقم ٧٢٢: (١/ ٥٦٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٣).

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾

إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ قال: لا تنثروه نثرَ الدقل، ولا تهذوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدِكم آخر السورة(١).

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن مثويه، أخبرنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن الحسين الحراني فيما كتب إليَّ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، حدثنا ابن المبارك ح، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن عبيدة وهو أخوه، عن سهل بن سعد الساعدي قال: بينا نحن نقرأ إذ خرج رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله، كتاب الله واحد، وفيكم الأخيار وفيكم الأحمر والأسود، اقرؤوا القرآن(٢) قبل أن يأتي أقوام يقرؤونه، يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون آخره ولا يتأجلونه»(٣).

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا أبو بكر محمد بن نافع، البصري حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن إسماعيل بن مسلم العبدي، عن أبي المتوكل الناجي، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة(٤).

ورواه أبو ذر قال: قام النبي ﷺ ليلة حتى أصبح بآية (من القرآن)(٥)، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨](٦).

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: شديدًا، قال الحسن: إن الرجل ليهذّ السورة، ولكن العمل بها ثقيل.

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل»: ص١١٦ «مختصر المقريزي»، وأخرجه أيضًا العسكري في «المواعظ» موقوفًا عن علي رضي الله عنه. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣١٤). وذكره ابن كثير عن البغوي.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب ما تجزىء الأمي والأعجمي من القراءة: (١/ ٣٩٥)، والإمام أحمد: (٥/ ٣٣٨).

(٤) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القراءة بالليل: (٢/ ٥٢٩) قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٥)، قال الأرناؤوط: (إسناده صحيح، ويشهد له الحديث الثاني: عن أبي ذر أن النبي ﷺ ردد هذه الآية حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، يعني: في الصلاة).

(٥) زيادة من «أ».

(٦) أخرجه النسائي في «سننه»: (٢/ ١٧٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل برقم١٣٥٠: (١/ ٤٢٩)، وصححه الحاكم: (١/ ٢٤١) ووافقه الذهبي، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٦).

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

وقال قتادة: ثقيل والله فرائضه وحدوده، وقال مقاتل: ثقيل؛ لما فيه من الأمر والنهي والحدود.

وقال أبو العالية: ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام.

وقال محمد بن كعب: ثقيل على المنافقين.

وقال الحسين بن الفضل: قولًا خفيفًا على اللسان ثقيلًا في الميزان.

قال الفرَّاء: ثقيل ليس بخفيف السفساف؛ لأنه كلام ربّنا[١].

وقال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك، كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة[٢].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه[٣]، عن عائشة زوج النبي ﷺ (أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ)[٤] فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني في[٥] مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشاتي الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: ساعاته كلها، وكل ساعة منه ناشئة، سميت بذلك؛ لأنها تنشأ، أي: تبدو، ومنه: نشأتِ السحابةُ إذا بدت، فكل ما حدث بالليل وبدا فقد نشأ فهو ناشيء، والجمع ناشئة.

وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس وابن الزبير عنها، فقالا: الليل كله ناشئة[٧].

وقال سعيد بن جبير وابن زيد: أي: ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش (القيام، يقال): نشأ فلان[٤]، أي: قام[٧].

---

(١) «معاني القرآن»: (٣/١٩٧).

(٢) ذكر أكثر هذه الأقوال الطبري: (٢٩/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، ثم قال: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٥) زيادة من «أ».

(٦) أخرجه البخاري في بدء الوحي: (١/ ١٨)، ومسلم في الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي برقم ٢٣٣٣: (٤/ ١٨١٦ ـ ١٨١٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٣٢١ ـ ٣٢٢).

(٧) أخرجه الطبري: (٢٩/ ١٢٨).

وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم، وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل، وقال عكرمة: هي القيامُ من أول الليل.

روي عن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء، ويقول: هذه ناشئة الليل، وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل.

وقال الأزهري: «ناشئة الليل»: قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ قرأ ابن عامر (وأبو عمر)[1] «وِطاء» بكسر الواو ممدودًا بمعنى المواطأة والموافقة، يقال: واطأت مواطأة ووطئًا، إذا وافقته، وذلك أن مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار.

وقرأ الآخرون «وَطْئًا»[2] بفتح الواو وسكون الطاء، أي: أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار؛ لأن الليل للنوم والراحة، ومنه قوله ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضر»[3].

وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ، يقول: هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ[4].

وقال قتادة: أثبت في الخير وأحفظ للقراءة[5].

وقال الفراء: أثبت قيامًا[6]، أي: أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار؛ لأن النهار خلق لتصرف العباد، والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل، وقيل: أشد نشاطًا.

وقال ابن زيد: أفرغ له قلبًا من النهار؛ لأنه لا تعرض له حوائج[5].

وقال الحسن: أشد وطأ للخير، وأمنع من الشيطان.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ وأصوب قراءة، وأصح قولًا؛ لهدأة الناس وسكون الأصوات.

وقال الكلبي: أبين قولًا / بالقرآن. ١٧٧/ب

وفي الجملة: عبادةُ الليل أشدُّ نشاطًا، وأتم إخلاصًا، وأكثر بركة، وأبلغ في الثواب (من عبادة النهار)[7].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) زيادة من «أ».

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة: (١١/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة برقم ٦٧٥: (١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧)، وساقه المصنف في «شرح السنة»: (٥/ ١٥٢).

(٤) أخرجه الطبري: (٢٩/ ١٣٠).

(٥) أخرجه الطبري: (٢٩/ ١٢٩).

(٦) «معاني القرآن» للفرّاء: (٣/ ١٩٧).

(٧) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣﴾

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧﴾ أي: تصرفًا وتقلبًا وإقبالًا وإدبارًا في حوائجك وأشغالك، وأصل «السبح»: سرعة الذهاب، ومنه السباحة في الماء، وقيل: «سبحًا طويلًا»، أي: فراغًا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك، فصلٌ من الليل. وقرأ يحيى بن يعمر «سبخًا» بالخاء المعجمة، أي: استراحة وتخفيفًا للبدن، ومنه قول النبي ﷺ لعائشة، وقد دعت على سارق: «لا تُسَبِّخي عنه بدعائك عليه»[1]، (أي: لا تخففي)[2].

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد والتعظيم ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ قال ابن عباس وغيره: أخلص إليه إخلاصًا، وقال الحسن: اجتهد، وقال ابن زيد: تفرغ لعبادته، قال سفيان: توكل عليه توكُّلًا، وقيل: انقطع إليه في العبادة انقطاعًا، وهو الأصل في الباب، يقال: تبتلت الشيء، أي: قطعته، وصدقةٌ بتةٌ، أي: مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها، والتبتل: التقطيع[2] تفعيل، منه يقال: بتلته فتبتل، والمعنى: بتّل نفسك إليه، ولذلك قال: تبتيلًا، قال زيد بن أسلم: التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص «ربُّ» برفع الباء على الابتداء، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قوله: «واذكر اسم ربك» ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ قيِّمًا بأمورك ففوضها إليه.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ نسختها آية القتال[3].

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾ نزلت في صناديد قريش المستهزئين، وقال مقاتل بن حيان: نزلت في المطعمين ببدر ولم يكن إلَّا يسير حتى قتلوا ببدر[4].

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ﴾ عندنا في الآخرة ﴿أَنكَالٗا﴾ قيودًا عظامًا لا تنفك أبدًا، واحدها: نكل، قال الكلبي: أغلالًا من حديد ﴿وَجَحِيمٗا ١٢﴾.

﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ غير سائغة، تأخذ بالحلق لا ينزل ولا يخرج، وهو الزقوم والضريع ﴿وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء: (٢/ ١٤٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ١٥٤)، قال الأرناؤوط: (وحبيب بن أبي ثابت كثير التدليس، وقد عنعن وبقية رجاله ثقات).

(٢) زيادة من «أ».

(٣) راجع فيما سبق: (٣/ ٣٢)، تعليق (١).

(٤) تقدم بيان ذلك في سورة الأنفال.

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن
ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ
أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: تتزلزل وتتحرك ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ رملًا سائلًا، قال الكلبي: هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلًا، إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ شديدًا ثقيلًا، يعني: عاقبناه عقوبة غليظة يخوف كفار مكة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا؟ يعني: لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة، وقيل: معناه: كيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأي شيء تتحصنون منه إذا كفرتم؟ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ شمطًا من هوله وشدته، ذلك حين يقال لآدم: قم فابعث بعث النار من ذريتك.

ثم وصف هول ذلك اليوم فقال: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ متشقق لنزول الملائكة به، أي: بذلك المكان، وقيل: الهاء ترجع إلى الرب، أي: بأمره وهيبته ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾ كائنًا.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ تذكير وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ بالإيمان والطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أقل ﴿مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ قرأ أهل مكة والكوفة «نصفَهُ وثلثَهُ»

بنصب الفاء والثاء وإشباع الهاءين ضمًّا، أي: وتقوم نصفه وثلثه، وقرأ الآخرون بجر الفاء والثاء وإشباع الهاءين كسرًا، عطفًا على ثلث ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: المؤمنين، وكانوا يقومون معه ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ قال عطاء: يريد: لا يفوته علم ما تفعلون، أي: أنه يعلم مقادير الليل والنهار، فيعلم القدر الذي تقومون من الليل ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: «علم أن لن تحصوه» لن تطيقوا معرفة ذلك، وقال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله، مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام، فقال: علم أن لن تحصوه لن تطيقوا معرفة ذلك ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ فعاد عليكم بالعفو والتخفيف ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ يعني: في الصلاة، قال الحسن: يعني: في صلاة المغرب والعشاء.

قال قيس بن أبي حازم: صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة، (ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة)[1]، ثم ركع، فلما انصرف أقبل علينا فقال: إن الله عزَّ وجلَّ يقول: فاقرؤوا ما تيسر منه[2].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عثمان بن أبي صالح، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حميد بن مخراق، عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومَن قرأ خمسمائة آية كُتب له قنطار من الأجر»[3].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني القاسم بن زكريا، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن يحيى (بن كثير)[4]، عن محمد (عبد الله)[5] بن عبد الرحمن مولى بني زهرة، عن أبي سلمة، عن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر»، قال: قلت: إني أجد قوة، قال: «فاقرأه في كل[4] عشرين ليلة»، قال: قلت: إني أجد قوة، قال: «فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك»[6].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) في «ب»: (من القرآن)، عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٢٣) للدارقطني والبيهقي في «السنن» وقد حسناه.

(٣) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» بروايات وألفاظ متقاربة برقم٦٩٨ ـ ٧٠٠: ص٣٢٦ـ٣٢٧، وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف، قال الحافظ ابن حجر: سنده ضعيف، روي لنا بعضه من وجه آخر بسند صحيح ثم أخرجه من حديث تميم الداري.
انظر: «الفتوحات الربانية»: (٣/ ٢٧٥ـ٢٧٦)، «الترغيب والترهيب»: (٢/ ٤٤٧)، «مجمع الزوائد»: (٢/ ٢٦٧).

(٤) زيادة من «أ».

(٥) ساقط من «ب».

(٦) أخرجه مسلم في الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به برقم١١٥٩: (٢/ ٨١٢)، والبخاري في فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن: (٩/ ٩٥)، إلّا قوله: «قال: فاقرأه في كل عشرين ليلة، قلت: إني لأجد قوة».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا يطيقون قيام الليل.

روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أيما رجل جلب شيئًا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرًا محتسبًا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبد الله: «وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله» (يعني: المسافرين للتجارة يطلبون رزق الله)[1]، «وآخرون / يقاتلون في سبيل الله»[2]. ١/١٧٨

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: (ما تيسر عليكم)[3] من القرآن، (قال أهل التفسير)[3]: كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال ابن عباس: يريد: ما سوى الزكاة من صلة الرحم، وقرى الضيف ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من الذي أخرتم ولم تقدموه، ونصب «خيرًا وأعظم» على المفعول الثاني، فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين، وهو فصل في قول البصريين، وعماد في قول الكوفيين، لا محل له في الإعراب.

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني، أخبرنا أبو نصر أحمد بن علي البخاري بالكوفة، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد الفقيه بالموصل، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه»؟ قالوا: يا رسول الله، ما منَّا من أحدٍ إلَّا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: «اعلموا ما تقولون»، قالوا: ما نعلم إلَّا ذلك يا رسول الله، قال: («ما منكم رجل إلَّا مال وارثه أحب إليه من ماله»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال)[4]: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر»[5].

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

* * *

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) عزاه ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٧٩ للثعلبي من رواية فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفًا، وفرقد ضعيف. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٢٣) لابن مردويه.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له: (١١/ ٢٦٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٥٩ـ ٢٦٠).

سورة المُدَّثِّر

مكية[(١)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١﴾

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١﴾)[(٢)] أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن[(٣)] عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن؟ قال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾»، قلت: يقولون: «﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[العلق: ١]»؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، فقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلّا بما حدثنا به رسول الله ﷺ، قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت أمامي فلم أر شيئًا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليَّ ماء باردًا»، قال[(٤)]: «فدثروني وصبوا عليَّ ماء باردًا»، قال: «فنزلت: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾»[(٥)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، عن عقيل قال ابن شهاب: سمعت أبا سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله: أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي: «فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري قِبَل السماء فإذا الملك الذي جاءني بِحِرَاء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فخشيت حتى هويت على الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني فزملوني[(٤)]، فأنزل الله تعالى:

---

(١) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المدثر بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣٢٤).
(٢) ساقط من «ب».
(٣) ساقط من «أ».
(٤) زيادة من «ب».
(٥) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة المدثر: (٨/ ٦٧٦ ـ ٦٧٧)، ومسلم في الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم ١٦١: (١/ ١٤٤).

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾

«يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ» إلى قوله: «فَاهْجُرْ»، قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان، ثم حمي الوحي وتتابع[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ أي: أنذر كفار مكة.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ عظِّمه عمَّا يقوله عبدة الأوثان.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر (عن الذنب)[2]، فكنى عن النفس بالثوب، وهو قول إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري، وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله: «وثيابك فطهر»، فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر   لبست ولا من غدرة أتقنع[3]

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء: إنه طاهر الثياب، وتقول لمن غدر: إنه لدنس الثياب، وقال أُبيُّ بن كعب: لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا إثم، البسها وأنت بر جواد[4] طاهر.

وروى أبو روق عن الضحاك: معناه: وعملك فأصلح.

قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحًا: إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجرًا: إنه لخبيث الثياب.

وقال سعيد بن جبير: وقلبك ونيتك فطهر، وقال الحسن والقرظي: وخلقك فحسِّنْ.

وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها، وذلك أن المشركين كانوا[5] لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم[6].

وقال طاووس: وثيابك فقصر؛ لأن تقصير الثياب طهرة لها.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ قرأ أبو جعفر وحفص (عن عاصم)[7] ويعقوب «الرُّجْز» بضم الراء، وقرأ الآخرون بكسرها، ولهما لغتان ومعناهما واحد، قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد وأبو سلمة: المراد بالرجز: الأوثان، قال: فاهجرها ولا تقربها.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة المدثر، باب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: (٨/ ٦٧٨ ـ ٦٧٩)، ومسلم في الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم ١٦١: (١/ ١٤٣).

(٢) في «ب»: (من الذنوب).

(٣) أخرجه الطبري: (٢٩/ ١٤٥)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٢٦) عزوه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في «الوقف والابتداء» وابن مردويه.

(٤) زيادة من «أ».

(٥) زيادة من «ب».

(٦) قال ابن جرير: (٢٩/ ١٤٧) بعد أن ذكر هذا القول وأقوالًا أخر: (وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه).

(٧) ساقط من «أ».

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

وقيل: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي؛ لقرب مخرجهما، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[الحج: ٣٠].

وروي عن ابن عباس أن معناه: اترك المآثم.

وقال أبو العالية والربيع: «الرُّجز» بضم الراء: الصنم، وبالكسر: النجاسة والمعصية.

وقال الضحاك: يعني الشرك، وقال الكلبي: يعني العذاب.

ومجاز الآية: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ أي: لا تعطِ مالكَ مصانعةً لتُعطى أكثر منه، هذا قول أكثر المفسرين، قال الضحاك ومجاهد: كان هذا للنبي ﷺ خاصة، قال الضحاك: هما رباءان حلال وحرام، فأمَّا الحلال فالهدايا، وأما الحرام فالربا، قال قتادة: لا تعطِ شيئًا طمعًا لمجازاة الدنيا، يعني: أعطِ لربك وأرِدْ به اللهَ، وقال الحسن: معناه: لا تمنن على الله بعملك فتستكثره، قال الربيع: لا تكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل، وروى خَصيف عن مجاهد: ولا تضعفْ أن تستكثر من الخير، من قولهم: حبل متين إذا كان ضعيفًا، دليله: قراءة ابن مسعود «ولا تمنن أن تستكثر»، قال ابن(١) زيد: معناه: لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجرًا أو عرضًا من الدنيا(٢).

١٧٨/ب (﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ قيل: فاصبر على / طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله، قال مجاهد: فاصبر لله على ما أُوذيت، وقال ابن زيد)(٣): معناه: حملت أمرًا عظيمًا محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عزَّ وجلَّ، وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ أي: نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، يعني: النفخة الثانية.

﴿فَذَٰلِكَ﴾ يعني: النفخ في الصور ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ شديد.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعسر فيه الأمر عليهم ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ غير هين.

---

(١) أخرج أكثر هذه الأقوال الطبري: (٢٩/١٤٨ ـ ١٥٠)، ثم قال مرجحًا: (وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب؛ لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله نبيه ﷺ بالجد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «أ».

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ أي: خلقته في بطن أُمه وحيدًا فريدًا، لا مال له ولا ولد، نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يسمى الوحيد في قومه[(١)].

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ أي: كثيرًا، قيل: هو ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة، واختلفوا في مبلغه، قال مجاهد وسعيد بن جبير: ألف دينار، وقال قتادة: أربعة آلاف دينار، وقال سفيان الثوري: ألف ألف دينار[(٢)]، وقال ابن عباس: تسعة آلاف مثقال فضة، وقال مقاتل: كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاءً ولا صيفًا، وقال عطاء عن ابن عباس: كان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونَعَم وغنم[(٢)]، وكان له عير كثيرة وعبيد وجوارٍ، وقيل: مالًا ممدودًا: غلة شهر بشهر.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ حضورًا بمكة، لا يغيبون عنه، وكانوا عشرة، قاله مجاهد وقتادة، وقال مقاتل: كانوا سبعة: وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة[(٣)]: خالد وهشام وعمارة[(٤)].

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ أي: بسطت له في العيش وطول العمر بسطًا، وقال الكلبي: يعني: المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ يرجو ﴿أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ أي: أن أزيده مالًا وولدًا وتمهيدًا.

﴿كَلَّا﴾ لا أفعل ولا أزيده، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ معاندًا.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها. وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر[(٣)] سبعين خريفًا، ثم يهوي»[(٥)].

---

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥١٣ ـ ٥١٤. وانظر: «تفسير عبد الرزاق»: (٢/ ٣٢٨)، و«المستدرك» للحاكم: (٢/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

(٢) زيادة من «أ».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) في «ب»: (الوليد).

(٥) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم: (٧/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، وقال: (هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلّا من حديث ابن لهيعة)، والإمام أحمد: (٣/ ٧٥)، والطبري: (٢٩/ ١٥٥)، والحاكم: (٢/ ٥٠٧)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

=

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا عمر بن الخطاب، حدثنا عبد الله بن الفضل، أخبرنا منجاب بن الحارث، أخبرنا شريك، عن عمار الدهني، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله: «سأرهقه صعودًا»، قال: «هو جبل في النار من نار، يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، (فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت)[(١)]»[(٢)].

وقال الكلبي: «الصعود»: صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها، لا يترك أن يتنفس في صعوده، ويجذب من أمامه بسلاسل من حديد، ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عامًا، فإذا بلغ ذروتها أُحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أن يصعدها ويجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدًا أبدًا[(٣)].

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ الآيات، وذلك أن الله تعالى لما أنزل على النبي ﷺ «حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ» إلى قوله: «إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ»[غافر: ١-٣]، قام النبي ﷺ في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته القرآن[(١)] أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم، فقال: والله[(٤)] لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر[(٥)]، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يُعلى، ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش: (سحره محمد)[(١)]، (صبأ والله الوليد، والله لتصبون قريش كلهم، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش)[(١)]، فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه، فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزينًا، فقال له الوليد: ما لي أراك حزينًا يابن أخي؟ قال: وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك النفقة يعينونك على كبر سنّك، ويزعمون أنك زيّنت كلام محمد وتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة، لتنال

= قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٧٩: (الترمذي من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا انتهى. وقد رواه الحاكم والطبري والبيهقي في «الشعب» من رواية عمرو بن الحارث عن دراج، ورواه ابن مردويه من رواية رشدين عن دراج أيضًا).

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢٣١)، وعزاه الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٧٩ للبزار والطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الشعب» والطبري وابن أبي حاتم، كلهم من طريق شريك بن عمار الدُّهني عن عطية عن أبي سعيد مرفوعًا، قال البزار: لا نعلمه رفعه إلّا شريك، وبه جزم الطبراني، ورواه البزار والبيهقي من رواية ابن عيينة عن عمارة مرفوعًا.
قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٣١): (ـ قلت: ورواه أبو داود بغير سياقه ـ رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عطية وهو ضعيف).

(٣) زيادة من «ب».

(٤) زيادة من «أ».

(٥) في «أ»: (لمؤثر).

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨﴾

من فضل طعامهم فغضب الوليد، فقال: ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالًا وولدًا، وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل من الطعام؟! ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم: تزعمون أن محمدًا مجنون، فهل رأيتموه يخنق قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن، فهل رأيتموه قط تكهن؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئًا من الكذب؟ قالوا: لا ـ وكان رسول الله ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة، من صِدقه ـ فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر ثم عبس، فقال: ما هو إلَّا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه وولده؟ فهو ساحر، وما يقوله سحر يؤثر[1]، فذلك قوله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ في محمد والقرآن ﴿وَقَدَّرَ ١٨﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن.

﴿فَقُتِلَ﴾ لُعن، وقال الزهري: عُذِّب ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ١٩﴾ على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ كرره للتأكيد، وقيل: معناه: لُعن على أي حال قدر من الكلام، كما يقال: لأضربنَّه كيف صنع، أي: على أي حالٍ صنع.

﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ في طلب ما يدفع به القرآن ويرده.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾ كلح وقطب وجهه، ونظر بكراهية شديدة كالمهتم المتفكر في شيء.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَٱسْتَكْبَرَ ٢٣﴾ تكبر حين دعي إليه.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ ما هذا الذي يقرؤه محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤﴾ يروى ويحكى عن السحرة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ٢٥﴾ يعني: يسارًا وجبرًا، فهو يأثره عنهما، وقيل: يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة.

قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ﴾ سأدخله ﴿سَقَرَ ٢٦﴾ وسقر: اسم من أسماء جهنم.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨﴾ أي: لا تبقي ولا تذر فيها شيئًا إلَّا أكلته وأهلكته، وقال مجاهد: لا تميت ولا تحيي، يعني: لا تبقي مَن فيها حيًّا، ولا تذر من فيها ميتًا، كلما احترقوا جُدِّدوا، وقال السدي: لا تبقي لهم لحمًا، ولا تذر لهم عظمًا، وقال الضحاك: إذا / أخذت فيهم لم تبق منهم ١٧٩/أ
شيئًا، وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم، ولكل شيء ملالة وفترة إلَّا لجهنم.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥١٤. وانظر: «تفسير عبد الرزاق»: (٢/ ٣٢٨ـ٣٢٩)، «سيرة ابن هشام»: (١/ ٢٨٨ـ٢٨٩).

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ مغيِّرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحه السقم والحزن إذا غيرّه، وقال مجاهد: تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادًا من الليل، وقال ابن عباس وزيد بن أسلم: محرقة للجلد، وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانًا، نظيره قوله: «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»[الشعراء: ٩١]، و«لواحة» رفع على نعت «سقر» في قوله: «وما أدراك ما سقر»، و«البَشَر» جمع بشرة، وجمع البشر: أبشار.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ (أي: على)(١) النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها: مالك ومعه ثمانية عشر، وجاء في الأثر: أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألف فيرميهم حيث أراد من جهنم(٢).

قال عمرو بن دينار: إن واحدًا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

قال ابن عباس وقتادة والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أُمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدُّهم، أي: الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم(٣)؟ قال أبو الأشد(٤) أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين.

وروي أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار، ونمضي فندخل الجنة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ لا رجالًا آدميين، فمَن ذا يغلب الملائكة؟ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ أي: عددهم في القلَّة ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ضلالة لهم، حتى قالوا ما قالوا ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ يعني: مَن آمن من أهل الكتاب

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) عزاه صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٣٣٣-٣٣٤) لابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري: (٢٩/ ١٥٩). وانظر: «سيرة ابن هشام»: (١/ ٣٣٥)، «الدر المنثور»: (٨/ ٣٣٣).

(٤) في «أ»: (الأسود)، والصحيح ما أثبت كما هو في القرطبي والبحر وروح المعاني.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾

يزدادون تصديقًا بمحمد ﷺ إذا وجدوا ما قاله موافقًا لما في كتبهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ ولا يشك ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ في عددهم ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ (مشركو مكة)(1) ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي شيء أراد بهذا الحديث؟ وأراد بالمثل الحديث نفسه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدق، كذلك ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلَّا تسعة عشر؟ قال عطاء: «وما يعلم جنود ربك إلَّا هو» يعني: من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلَّا الله، والمعنى: إن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم إلَّا الله عزَّ وجلَّ، ثم رجع إلى ذكر سقر فقال: ﴿وَمَا هِيَ﴾ يعني: سقر(2) ﴿إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ إلَّا تذكرة وموعظة للناس.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ هذا قسم، يقول: حقًّا.

﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ قرأ نافع وحمزة وحفص ويعقوب «إذ» بغير ألف، «أدبر» بالألف، وقرأ الآخرون «إذا» بالألف، «دبر» بلا ألف؛ لأنه أشد موافقة لما يليه، وهو قوله: «وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ»؛ ولأنه ليس في القرآن قسم بجانبه «إذ»، وإنما بجانب الإقسام «إذا»، (ودبر وأدبر)(1) كلاهما لغة، يقال: دبر الليل وأدبر، إذا ولَّى ذاهبًا، قال أبو عمرو: دبر لغة قريش، وقال قطرب: دبر، أي: أقبل، تقول العرب: دبرني فلان، أي: جاء خلفي، فالليل يأتي خلف النهار.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أضاء وتبين.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ يعني: أن سقر لإحدى الأمور العظام، وواحد الكُبَرَ: كبرى، قال مقاتل والكلبي: أراد بالكُبَرَ: دركات جهنم، وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية.

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ يعني: النار نذيرًا للبشر، قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها، وهو نصب على القطع من قوله: «لإحدى الكبر»؛ لأنها معرَّفة، و«نذيرًا» نكرة، قال الخليل النذير مصدر كالنكير، ولذلك وصف به المؤنث، وقيل: هو من صفة الله سبحانه وتعالى، مجازه: وما جعلنا أصحاب النار إلَّا ملائكة نذيرًا للبشر، أي إنذارًا لهم، قال أبو رزين: يقول: أنا لكم منها نذير، فاتقوها، وقيل: هو صفة محمد ﷺ، معناه: يا أيها المدثر قم نذيرًا للبشر فأنذر(3)، وهذا معنى قول ابن زيد.

---

(1) ساقط من «ب».
(2) في «ب»: (النار).
(3) زيادة من «أ».

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾
فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾
وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾
حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدل من قوله: «للبشر» ﴿مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ في الخير والطاعة ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ عنها في الشر والمعصية، والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل واحدٍ ممن آمن أو كفر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مرتهنة في النار بكسبها، مأخوذة بعملها.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم في النار، ولكن يغفرها الله لهم، قال قتادة: علق الناس كلهم إلَّا أصحاب اليمين، واختلفوا فيهم: روي عن علي - رضي الله عنه - أنهم أطفال المسلمين.

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس: هم الملائكة.

وقال مقاتل: هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق، حين قال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وعنه أيضًا: هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم، وعنه أيضًا: هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم.

وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون، وقال القاسم[1]: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلَّا من اعتمد على الفضل، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به، ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به.

﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ المشركين.

﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أدخلكم ﴿فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ فأجابوا.

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ لله[2].

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ وهو الموت.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ قال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلَّا أربعة، ثم تلا: «قالوا لم نكُ من المصلين» إلى قوله: «بيوم الدين»[3]، قال عمران بن الحصين: الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون.

---

(١) في «أ»: (أبو القاسم).
(٢) زيادة من «أ».
(٣) أخرجه الطبري: (٢٩/ ١٦٧).

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾

١٧٩/ب أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، / أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا محمد بن حماد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يصف أهل النار فيعذبون» قال: «فيمر فيهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم: يا فلان، قال فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلًا سقاك شربة يوم كذا وكذا؟ قال فيقول: وإنك لأنت هو؟ فيقول: نعم، فيشفع له فيُشفَّع فيه»، قال: «ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول: يا فلان، فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلًا وهب لك وضوءًا يوم كذا وكذا؟ فيقول: إنك أنت هو؟ فيقول: نعم، فيشفع له فيُشفَّع فيه»[(١)].

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مواعظ القرآن، «معرضين» نصب على الحال، وقيل: صاروا معرضين.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ جمع: حمار ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها، فمن قرأ بالفتح فمعناها: منفرة مذعورة، ومن قرأ بالكسر فمعناها: نافرة، يقال: نفر واستنفر بمعنى واحد، كما يقال: عجب واستعجب.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك: «القسورة»: الرماة، لا واحد لها من لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس، وقال سعيد بن جبير: هم القناص، وهي رواية عطية عن ابن عباس.

وقال زيد بن أسلم: هم[(٢)] رجال أقوياء، وكل ضخم شديد عند العرب: قسور وقسورة، وعن أبي المتوكل قال: هي لغط القوم وأصواتهم، وروى عكرمة عن ابن عباس: هي حبال الصيادين.

وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول عطاء والكلبي، وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه.

قال عكرمة: هي ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل: قسوة.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ: ليصبح عند رأس كل رجل منّا كتاب منشور من الله أنك لرسوله، نؤمر فيه باتباعك[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الأدب، باب فضل صدقة الماء برقم٣٦٨٥: (٢/ ١٢١٥)، قال في «الزوائد»: فيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف. وعزاه المنذري في «الترغيب والترهيب»: (٢/ ٧٠) أيضًا للأصبهاني. وانظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للألباني: برقم٩٣.

(٢) في «ب»: (من).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٤٠) لعبد بن حميد وابن المنذر. وانظر: الطبري: (٢٩/ ١٧١).

﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

قال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد، بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبًا عند رأسه ذنبه وكفارته، فأْتِنا بمثل ذلك، و«الصحف»: الكتب، وهي جمع الصحيفة، و«منشَّرة»: منشورة.

فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ لا يؤتون الصحف، وقيل: حقًّا، وكلُّ ما ورد عليك منه فهذا وجهه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: لا يخافون عذاب الآخرة، والمعنى: أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة.

﴿كَلَّآ﴾ حقًّا ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ موعظة.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ اتعظ به.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ قرأ نافع ويعقوب تذكرون(١) بالتاء، والآخرون بالياء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال مقاتل: إلَّا أن يشاء الله لهم الهدى ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ أي: أهل أن تتقى محارمه، وأهل أن يغفر لمن اتقاه.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عمر بن الخطاب، حدثنا عبد الله بن الفضل، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا سهيل بن أبي حزم، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: «﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾»، قال: «قال ربكم عزَّ وجلَّ: أنا أهل أن أتقي ولا يشرك بي غيري، وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بي أن أغفر له»(٢)، وسهيل: هو ابن عبد الرحمن القطعي، أخو حزم القطعي(٣).

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة المدثر: (٩/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، وقال: (هذا حديث حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٤٧٥)، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم٤٢٩٩: (٢/ ١٤٣٧)، والدارمي في الرقائق، باب في تقوى الله: (٢/ ٣٠٢)، وأبو يعلى في «المسند»: (٣/ ٣٤٠)، والإمام أحمد: (٣/ ١٤٢)، وصححه الحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٥٠٨)، ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد»: (٥/ ٥٢)، وفيه سهيل القُطَعي، قال الحافظ في «التقريب»: (ضعيف من السابعة).

(٣) وفي نسخة «ب»: (القطيعي)، وفي «أ»: (القطعي) وهو الصحيح.
واسمه سهيل بن مهران أخو حزم القُطَعي، ويقال: عبد الله القُطَعي أبو بكر البصري روى عن ثابت وعنه هدبة بن خالد. انظر: «تهذيب التهذيب»: (٤/ ٢٦١)، «ميزان الاعتدال»: (٢/ ٢٤٤)، «الضعفاء والمتروكين» للنسائي، «المجروحين»: (١/ ٣٥٣)، «الجرح والتعديل»: (٤/ ٢٤٧).

سورة القيامة

مكية[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ قرأ القواس عن ابن كثير «لأقسم» الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة.

«وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ» بالألف، وكذلك قرأ عبد الرحمن الأعرج، على معنى أنه أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة[٢]، والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا، و«لا» صلة فيهما، أي: أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد للقسم كقولك: لا والله، وقال الفرَّاء: «لا» ردٌّ لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتدأ فقال: أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة[٣]، وقال المغيرة بن شعبة: يقولون: القيامة، وقيامة أحدهم موته، وشهد علقمة جنازة، فلما دفنت قال: أما هذا فقد قامت قيامته.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر، ولا تصبر على السراء والضراء.

وقال قتادة: اللوَّامة: الفاجرة، وقال مجاهد: تندم على ما فات، وتقول: لو فعلت، ولو لم أفعل.

قال الفرَّاء: ليس من نفس برَّة ولا فاجرة إلَّا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرًا قالت: هلا ازددت، وإن عملت شرًّا قالت: يا ليتني لم أفعل.

قال الحسن: هي النفس المؤمنة، قال: إن المؤمن ـ والله ـ ما تراه إلَّا يلوم نفسه، ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلتي؟ وإن الفاجر يمضي قدمًا لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها.

وقال مقاتل: هي النفس الكافرة، تلوم نفسها في الآخرة على ما فرَّطت في أمر الله في الدنيا.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة القيامة، وفي لفظ: نزلت «لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ» بمكة. وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت سورة «لا أقسم» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣٤٢).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) راجع: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٢٠٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ٢٠٨).

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ نزلت في عدي بن ربيعة، حليف بني زهرة، ختن الأخنس بن شريق الثقفي، وكان النبي ﷺ يقول: «اللهم اكفني جارَي السوء»، يعني: عديًا والأخنس، وذلك أن عدي بن ربيعة أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، حدثني عن القيامة متى تكون، وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك[1] أَوَيَجْمَعُ الله العظام؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ»[2]، يعني: الكافر «أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ» بعد التفرق والبلى فنحييه، قيل: ذكر العظام وأراد نفسه؛ لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلَّا باستوائها، وقيل: هو خارج على قول المنكر: أويجمع الله العظام؟ كقوله: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ» [يس: ٧٨].

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ أي: نقدر، استقبالٌ صُرِفَ إلى الحال، قال الفرَّاء: «قادرين» نصب على الخروج من «نجمع»، كما تقول في الكلام: أتحسب أن لا نقوى عليك؟ بلى قادرين على أقوى منك، يريد: بل قادرين على أكثر من ذا[3].

مجاز الآية: بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو ﴿عَلَىٰٓ[4] أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ أنامله،

١٨٠/أ فنجعل / أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كخف البعير وحافر الحمار، فلا يرتفق بها بالقبض[5] والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الزَّجَّاج وابن قتيبة: معناه: ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه، بل نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها، فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر[6].

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ يقول: لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه، أي: يمضي قدمًا على[7] معاصي الله ما عاش راكبًا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي.

---

(١) في «أ»: (به).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥١٥، قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٨٠: (ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/٢٠٨).

(٤) لم ترد في النسختين وهي من الآية.

(٥) في «ب»: (في القبض).

(٦) انظر: «القرطين»: (٢/١٩٣).

(٧) في «ب»: (في).

يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾

وقال سعيد بن جبير: «ليفجر أمامه»: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، فيقول: سوف أتوب، سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله[١].

وقال الضحاك: هو الأمل، يقول: أعيش فأُصيب من الدنيا كذا وكذا، (ولا يذكر الموت)[٢].

وقال ابن عباس وابن زيد: يكذِّب بما أمامه من البعث والحساب، وأصل «الفجور»: الميل، وسمي الفاسق والكافر: فاجرًا؛ لميله عن الحق.

﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ أي: متى يكون ذلك[٣]، تكذيبًا به.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾ قرأ أهل المدينة «بَرَقَ» بفتح الراء، وقرأ الآخرون بكسرها، وهما لغتان.

قال قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطوف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا، قيل: ذلك عند الموت.

وقال الكلبي: عند رؤية جهنم برق أبصار الكفار.

وقال الفرَّاء والخليل: «برِق» ـ بالكسر ـ، أي: فزع وتحير لما يرى من العجائب[٤]، و«بَرَق» ـ بالفتح ـ أي: شق عينه وفتحها، من البريق، وهو التلألؤ[٥].

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ أظلم وذهب نوره وضوءه.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران، وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء، وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر المكذب ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ أي: المهرب، وهو موضع الفرار، (وقيل: هو مصدر، أي: أين الفرار)[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٢٠٨).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) زيادة من «ب».

(٤) راجع: «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ٢٠٩).

(٥) قال ابن جرير (٢٩/ ١٧٩): (وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء «فإذا بَرِق» بمعنى: فزع فشُقَّ وفتح من هول القيامة وفزع الموت، وبذلك جاءت أشعار العرب، أنشدني بعض الرواة عن أبي عبيدة الكلابي:

لمَّا أتاني ابنُ صبيح راغبًا … أعطيته عَيْساء منها فَبَرِقْ).

(٦) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾ لا حصن ولا حرز ولا ملجأ، وقال السدي: لا جبل، وكانوا إذا فزعوا لجئوا إلى الجبل فتحصنوا به، (فقال الله تعالى)(١): لا جبل يومئذ يمنعهم.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ أي: مستقر الخلق.

وقال عبد الله بن مسعود: المصير والمرجع، نظيره: قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾[العلق: ٨]، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢، فاطر: ١٨]. وقال السدي: المنتهى، نظيره: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[النجم: ٤٢].

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ (قال ابن مسعود وابن عباس: «بما قدم»)(٢) قبل موته من عمل صالح وسيىء، «وما أخر» بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها.

وقال عطية عن ابن عباس: «بما قدم» من المعصية، «وأخر» من الطاعة.

وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله، وأخَّر من حق الله فضيَّعه.

وقال مجاهد: بأول عمله وآخره.

وقال عطاء: بما قدم في أول عمره، وما أخر في آخر عمره.

وقال زيد بن أسلم: بما قدم من أمواله لنفسه، وما أخر خلفه للورثة(٣).

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾ قال عكرمة ومقاتل والكلبي: معناه: بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله، وهو سمعه وبصره وجوارحه(٤)، ودخل الهاء في البصيرة؛ لأن المراد بالإنسان هاهنا جوارحه، ويحتمل أن يكون معناه: «بل الإنسان على نفسه بصيرة» يعني: لجوارحه، فحذف حرف الجر، كقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾[البقرة: ٢٣٣]، أي: أولادكم، ويجوز أن يكون نعتًا لاسم مؤنث، أي: بل الإنسان على نفسه عين بصيرة.

وقال أبو العالية وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، والهاء في «بصيرة» للمبالغة، دليل هذا التأويل: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء: ١٤].

---

(١) في «ب»: (فقال: قل).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) قال ابن جرير (٢٩/ ١٨٤): (والصواب من القول في ذلك عندنا: أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكل ما قدَّم أمامه مما عمل من خير أو شر في حياته وأخَّر بعده من سنة أو سيئة مما قدم وأخر، كذلك ما قدَّم من عمل عمله من خير أو شر، وأخر بعده من عمل كان عليه فضيَّعه، فلم يعمله مما قدم وأخر، ولم يخصص الله في ذلك بعضًا دون بعض، فكل ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ٢١١).

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١﴾

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ يعني: يشهد عليه الشاهد، ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾[غافر: ٥٢]، وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء، قال الفراء: ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره، ومعنى الإلقاء: القول، كما قال: ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[النحل: ٨٦]، وقال الضحاك والسدي: «ولو ألقى معاذيره»، يعني: ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب، وأهل اليمن يسمون الستر: معذارًا، وجمعه: معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن أسبل الستر ليخفي ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾، قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه[١] جبريل بالوحي كان ربما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[٢].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ قال: علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ فإذا أنزلناه فاستمع.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عزَّ وجلَّ، ورواه محمد بن إسماعيل، عن عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة بهذا الإسناد، وقال: كان يحرك شفتيه إذا نزل عليه، يخشى أن ينفلت منه، فقيل له: «لا تحرك به لسانك»، «إن علينا جمعه» أن نجمعه في صدرك[٣]، و«قرآنه» أن تقرأه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة «تحبون وتذرون» بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء، أي: يختارون الدنيا على العقبى، ويعملون لها، يعني: كفار مكة، ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير: قل لهم يا محمد: بل تحبون وتذرون[١].

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة القيامة، باب ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾: (٨/ ٦٨٢)، ومسلم في الصلاة، باب الاستماع للقراءة برقم٤٤٨: (١/ ٣٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة القيامة، باب ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾: (٨/ ٦٨١).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ قال ابن عباس: حسنة، وقال مجاهد: مسرورة، وقال
١/١٨٠ ابن زيد: ناعمة، وقال مقاتل: / بيض يعلوها النور، وقال السدي: مضيئة، وقال يمان: مسفرة، وقال الفراء: مشرقة بالنعيم[١]، يقال: نضر الله وجهه ينضر نضرًا، ونضَّره الله وأنْضَره ونضُر وجهُه ينضُر نُضْرةً ونَضَارة، قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[المطففين: ٢٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربها عيانًا بلا حجاب، قال الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر[٢] وهي تنظر إلى الخالق.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أخبرنا عبد الله بن أحمد الحموي، أخبرنا إبراهيم بن خزيم الشاشي، أخبرنا عبد بن حميد، حدثنا شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَنْ ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله مَن ينظر إلى وجهه غدوة وعشية»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤﴾ عابسة كالحة مغبرة مسودة.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر، قال سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر، قال ابن زيد: هي دخول النار، وقال الكلبي: هي أن تحجب عن رؤية الرب عزَّ وجلَّ.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ﴾ يعني: النفس، كناية عن غير مذكور ﴿التَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾ فحشرج بها عند الموت، و«التراقي»: جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغر النحر والعاتق، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت.

---

(١) «معاني القرآن» للفرّاء: (٣/ ٢١٢).

(٢) في النسختين كتبت بالظاء، والصواب ما أثبتناه؛ لأنها من النضارة لا من النظر.

(٣) أخرجه الترمذي في التسير، تفسير سورة القيامة: (٩/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، وقال: (هذا حديث غريب، وقد روى غير واحد عن إسرائيل مثل هذا مرفوعًا)، والإمام أحمد: (٢/ ٦٤)، وأبو يعلى في «المسند»: (٥/ ٢٧٦)، وصححه الحاكم: (٢/ ٥٠٩، ٥١٠)، فتعقبه الذهبي بقوله عن ثوير: (بل هو واهي الحديث)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٥/ ٨٧)، والطبري: (٢٩/ ١٩٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ٢٣٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١٠/ ٤٠١): (رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة وهو مجمع على ضعفه). وأشار المنذري إلى تضعيفه في «الترغيب والترهيب»: (٤/ ٥٠٨)، وزاد نسبته للبيهقي. وانظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» برقم ١٩٨٥: (٤/ ١٤٥٠).

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَقِيلَ﴾ أي: قال من حضره الموت[1]: هل ﴿مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾﴾ هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دوائه، وقال قتادة: التمسوا له الأطباء، فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئًا، وقال سليمان التَّيمي ومقاتل ابن سليمان: هذا من قول الملائكة، يقول بعضُهم لبعض: من يرقى بروحه؟ فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

﴿وَظَنَّ﴾ أيقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ من الدنيا.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ قال قتادة: الشدة بالشدة، وقال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة، وقال سعيد بن جبير: تتابعت عليه الشدائد، وقال السدي: لا يخرج من كرب إلَّا جاءه أشد منه.

قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة، فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة.

وقال مجاهد: اجتمع فيه الحياة والموت.

وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه.

وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفَّتا في الكفن، وقال الشعبي: هما ساقاه عند الموت[2].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ أي: مرجع العباد يومئذ[1] إلى الله يساقون إليه.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ يعني: أبا جهل، لم يصدِّق بالقرآن ولا صلى لله.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ عن الإيمان.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ رجع إليهم ﴿يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ يتبختر ويختال في مشيته، وقيل: أصله: «يتمطط»، أي: يتمدد، والمَطُّ هو المَدّ.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ هذا وعيد على وعيد من الله عزَّ وجلَّ لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) قال ابن جرير مرجحًا (٢٩/ ١٩٨): وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، والذي يدل على أن ذلك تأويله قوله: «إلى ربك يومئذ المساق»، والعرب تقول لكل أمر اشتدَّ: قد شمَّر عن ساقه، وكشف عن ساقه، ومنه قول الشاعر:

إذا شمرت لك عن ساقها ... فرنِّها رَبيعُ ولا تَسأم

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

وقال بعض العلماء: معناه: أنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به، يقال للرجل يصيبه مكروه يستوجبه. وقيل: هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه، وأصلها (من الولاء)[1] من المولى: وهو القرب، قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[التوبة: ١٢٣].

وقال قتادة: ذُكر لنا أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾، فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا، وإني لأعزّ مَن مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر صرعه الله شرَّ مصرع، وقتله أسوأ قتلة، وكان النبي ﷺ يقول: «إن لكل أمة فرعونًا، وإن[1] فرعون هذه الأمة أبو جهل»[2].

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ هملًا، لا يُؤمر ولا يُنهى، وقال السدي: معناه: المهمل، وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ تُصَبُّ في الرحم، قرأ حفص عن عاصم «يمنى» بالياء، وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون بالتاء؛ لأجل النطفة.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ فجعل فيه الروح فسوى خلقه.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ خلق من مائه أولادًا ذكورًا وإناثًا.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل هذا ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو عمرو القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن أشعث، حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، حدثني إسماعيل بن أمية قال: سمعت أعرابيًا يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[التين: ٨]، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فليقل: بلى، ومن قرأ: والمرسلات، فبلغ إلى فبأي حديث بعده يؤمنون، فليقل: آمنّا بالله»[3].

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) ذكره عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٣٥) بلاغًا، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٦٣) أيضًا لعبد بن حميد وابن المنذر.
(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود: (١/ ٤٢٣)، والإمام أحمد: (٢/ ٢٤٩)، وصححه الحاكم: (٢/ ٥١٠) ووافقه الذهبي، والبيهقي في «سننه»: (٢/ ٣١٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥)، وأخرجه الترمذي مختصرًا في التفسير: =

أخبرنا عمر بن عبد العزيز، أخبرنا القاسم بن جعفر، أخبرنا أبو علي اللؤلؤي، أخبرنا أبو داود، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ: «أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ»، قال: سبحانك بلى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ(١).

* * *

= (٩/ ٢٧٦ـ٢٧٧)، وقال: (هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يُسمى).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٦٤) أيضًا لابن المنذر وابن مردويه، وقال الألباني في تعليقه على «المشكاة» (١/ ٢٧٢): (وإسناده ضعيف، فيه ابن الأعرابي لم يُسَمَّ).

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء في الصلاة: (١/ ٤٢٢) وهو مرسل، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ١٠٥)، وراجع: «عون المعبود»: (٣/ ١٣٩ـ ١٤٠).

سورة الإنسان

قال عطاء: هي مكية[(١)]، وقال مجاهد وقتادة: مدنية[(٢)]، وقال الحسن وعكرمة: هي مدنية إلا آية وهي قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[(٣)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾ يعني: آدم عليه السلام ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ أربعون سنة ملقى من طين بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ لا يذكر ولا يعرف / ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به، ١٨١/أ
يريد: كان شيئًا ولم يكن مذكورًا، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن [ينفخ] فيه الروح.

رُوي أن عمر سمع رجلًا يقرأ هذه الآية: «لم يكن شيئًا مذكورًا»، فقال عمر: ليتها تمت، يريد: ليته بقي على ما كان[(٤)]، قال ابن عباس: ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ يعني: ولد آدم ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني: مَنْي الرجل ومني المرأة ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط، واحدها: مَشْجٌ ومَشِيجٌ، مثل: خدن وخدين.

---

(١) أخرج النحاس عن ابن عباس قال: نزلت سورة الإنسان بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال: أنزلت بمكة سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣٦٥).

(٢) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الإنسان بالمدينة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣٦٥).

(٣) قال صاحب «زاد المسير» (٨/ ٤٢٧): (وفيها ثلاثة أقوال ـ سورة الإنسان:
أحدها: أنها مدنية كلها، قاله الجمهور، منهم: مجاهد وقتادة.
والثاني: مكية، قاله ابن يسار ومقاتل وحكي عن ابن عباس.
والثالث: أن فيها مكيًا ومدنيًا، ثم في ذلك قولان:
أحدهما: أن المكي منها آية، وهو قوله تعالى: «ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا» وباقيها جميعه مدني، قاله الحسن وعكرمة.
والثاني: أن أولها مدني إلى قوله تعالى: «إن نحن نزلنا عليك القرآن» ومن هذه الآية إلى آخرها مكي، حكاه الماوردي.

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٦٦) لابن المبارك وأبي عبيد في «فضائله» وعبد بن حميد وابن المنذر.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع: يعني: ماء الرجل (وماء المرأة)[1] يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبه كان الشبه له، وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة[2].

وقال الضحاك: أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة، فنطفة الرجل بيضاء وحمراء وصفراء، ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء[3]، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، وكذلك قال الكلبي، قال: الأمشاج البياض في الحمرة والصفرة، وقال يمان: كل لونين اختلطا فهو أمشاج، وقال ابن مسعود: هي العروق التي تكون في النطفة.

وقال الحسن: نطفة مشجت بدم، وهو دم الحيضة، فإذا حبلت ارتفع الحيض. وقال قتادة: هي أطوار الخلق نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم [عظمًا]، ثم يكسوه لحمًا، ثم ينشئه خلقًا آخر[4].

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالأمر والنهي ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ قال بعض أهل العربية: فيه تقديم وتأخير، مجازه: فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه[5]؛ لأن الابتلاء لا يقع إلّا بعد تمام الخلقة.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيَّنَّا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرَّفناه طريق الخير والشر ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ إما مؤمنًا سعيدًا وإما كافرًا شقيًا، وقيل: معنى الكلام الجزاء، يعني: بيَّنَّا له الطريق إن شكر أو كفر[5].

ثم بيَّنَ ما للفريقين فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ يعني: في جهنم، قرأ أهل المدينة والكسائي وأبو بكر عن عاصم «سلاسلًا» و«قواريرًا» فقوارير بالألف في الوقف، وبالتنوين في الوصل فيهنَّ جميعًا، وقرأ حمزة ويعقوب بلا ألف في الوقف، ولا تنوين في الوصل فيهنَّ، وقرأ ابن كثير «قوارير» الأولى بالألف في الوقف وبالتنوين في الوصل، و«سلاسل» و«قوارير» الثانية بلا ألف ولا تنوين، وقرأ أبو عمرو

---

(١) في «أ»: (والمرأة).

(٢) راجع: «التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم: ص٣٣٤ـ٣٣٨، «خلق الإنسان» للدكتور محمد علي البار: ص٣٩٠، وما بعدها.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) قال ابن جرير مرجحًا بعد أن ساق الأقوال المذكورة (٢٩/ ٢٠٣ـ٢٠٥): (وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك: «من نطفة أمشاج» نطفة الرجل ونطفة المرأة؛ لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجًا وهي علقة؟ وأما الذين قالوا: إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لونًا واحدًا لم تكون ألوانًا مختلفة، وأحسب أن الذين قالوا: هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفرّاء: (٣/ ٢١٤).

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

وابن عامر وحفص «سلاسلًا» و«قواريرًا» الأولى بالألف (في الوقف)[(١)] على الخط وبغير تنوين في الوصل، و«قوارير» الثانية بغير ألف ولا تنوين، قوله: ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ يعني: في أيديهم، تغل إلى أعناقهم ﴿وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ وقودًا شديدًا.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ يعني: المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، واحدهم[(٢)]: بار، مثل: شاهد وأشهاد، وناصر وأنصار، و«بَرّ» أيضًا مثل: نهر وأنهار ﴿يَشْرَبُونَ﴾ في الآخرة ﴿مِن كَأْسٍ﴾ فيها[(٣)] شراب ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك، قال عكرمة: «مزاجها»: طعمها، وقال أهل المعاني: أراد: كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده؛ لأن الكافور لا يشرب، وهو كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾[الكهف: ٩٦]، أي: كنارٍ، وهذا معنى قول قتادة[(٤)] ومجاهد: يمازجه ريح الكافور، وقال ابن كيسان: طيبت بالكافور والمسك والزنجبيل، وقال عطاء والكلبي: الكافور اسم لعين ماء في الجنة.

﴿عَيْنًا﴾ نصب تبعًا للكافور، وقيل: هو[(٥)] نصب على المدح، وقيل: أعني عينًا، وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى من عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ (قيل: يشربها)[(٦)]، والباء صلة، وقيل: «بها»، أي: منها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: أولياء الله ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ أي: يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، كمن يكون له نهر يفجره هاهنا وهاهنا إلى حيث يريد.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ هذا من صفاتهم في الدنيا، أي: كانوا في الدنيا كذلك.

قال قتادة: أراد: يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة، وغيرها من الواجبات[(٧)]، ومعنى النذر: الإيجاب.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «أ»: (واحدها).

(٣) في «ب»: (فيه).

(٤) في «ب»: (مقاتل)، والصحيح ما أثبتناه من «أ» كما هو عند الطبري: (٢٩/ ٢٠٧).

(٥) ساقط من «ب».

(٦) ساقط من «أ».

(٧) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٢٠٨)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٣٦).

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾

وقال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفوا به.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نذر أن يطيع الله فليطعه، ومَنْ نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[(١)] ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ فاشيًا ممتدًا، يقال: استطار الصبح، إذا امتد وانتشر.

قال مقاتل: كان شره فاشيًا في السموات فانشقت، وتناثرت الكواكب، وكورت الشمس والقمر، وفزعت الملائكة، وفي الأرض: فنسفت الجبال، وغارت المياه، وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه، وقيل: على حب الله عزَّ وجلَّ ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا لا مال له ﴿وَيَتِيمًا﴾ صغيرًا لا أب له ﴿وَأَسِيرًا ۝٨﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء: هو المسجون من أهل القبلة، وقال قتادة: أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك، وقيل: الأسير المملوك، وقيل: المرأة؛ لِقول النبي ﷺ: «اتَّقوا الله في النِّساء فإنَّهنَّ عندكم عوان»[(٢)]، أي: أسراء.

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار أطعم في يوم واحد مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا[(٣)].

وروى مجاهد وعطاء عن ابن عباس: أنها نزلت في علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وذلك أنه عمل ليهودي بشيء من شعير، (فقبض الشعير)[(٤)] فطحن ثلثه فجعلوا منه شيئًا ليأكلوه، فلما تم إنضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، وهذا قول

---

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»: (٢/ ٤٧٦) في النذر والأيمان، باب ما لا يجوز من النذور في معصية الله. وهو قطعة من حديث أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة: (١١/ ٥٨١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٠/ ٢٠ ـ ٢١).

(٢) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار»: (٣/ ٢١٢)، والترمذي في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها: (٤/ ٣٢٦)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح). وأخرجه ابن ماجه بنحوه في النكاح برقم١٨٥١: (١/ ٥٩٤)، وروى الإمام مسلم معناه في حديث جابر في حجة الوداع. وله شاهد من حديث عم أبي حرة الرقاشي عند الإمام أحمد: (٥/ ٧٢ ـ ٧٣). انظر: «إرواء الغليل»: (٧/ ٥٣ ـ ٥٤، ٩٦ ـ ٩٧).

(٣) ذكره صاحب «زاد المسير»: (٨/ ٤٣٢).

(٤) ساقط من «ب».

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠
فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾

الحسن وقتادة: أن الأسير كان من أهل الشرك، وفيه دليل على أن إطعام الأسارى، وإن كانوا من أهل الشرك، حَسَنٌ يُرْجَى ثوابه[1].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ/ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ والشُّكور مصدر كالقُعود والدُّخول والخروج، ١٨١/ب قال مجاهد وسعيد بن جبير: إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم، فأثنى عليهم.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، نسب العبوس إلى اليوم، كما يقال: يوم صائم وليل قائم، وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة ﴿قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ قال قتادة ومجاهد ومقاتل: «القمطرير»: الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس، قال الكلبي: «العبوس» الذي لا انبساط فيه، و«القمطرير»: الشديد، قال الأخفش: «القمطرير»: أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء، يقال: يوم قمطرير وقماطر، إذا كان شديدًا كريهًا، واقْمَطَرَّ اليوم فهو مُقْمَطِر.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ الذي يخافون ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ حُسْنًا في وجوههم ﴿وَسُرُورًا ۝١١﴾ في قلوبهم.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على طاعة الله واجتناب معصيته، وقال الضحاك: على الفقر، وقال عطاء: على الجوع ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ قال الحسن: أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الحال ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السُّرُر في الحِجال، ولا تكون أريكة إلَّا إذا اجتمعا ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ أي: صيفًا[2] ولا شتاء، قال مقاتل: يعني: شمسًا يؤذيهم حرها، ولا زمهريرًا يؤذيهم برده؛ لأنهما يؤذيان في الدنيا، والزمهرير: البرد الشديد.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٨٠: (رواه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . . . وقال الحكيم الترمذي: (ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث رووه عن ابن عباس، فذكره . . .)، ثم قال: (هذا حديث مزوّق مفتعل لا يروج إلَّا على أحمق جاهل)، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال: (هذا لا شك في وضعه).
وانظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥١٦.
وراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة»: (٧/ ١٧٤ ـ ١٨٧) في ردِّه على ابن المطهّر في الاحتجاج بأمثال هذا، فقد بيَّن بطلانه من ثلاثة عشر وجهًا.
وانظر: «تفسير القرطبي»: (١٩/ ١٣٠ ـ ١٣٥).

(٢) في «ب»: (قيضًا).

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾
قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ
سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ أي: قريبة منهم ظلال أشجارها، ونصب «دانيةً» بالعطف على قوله: «متكئين»، وقيل: على موضع قوله: «لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا» ويرون «دانيةً»، وقيل: على المدح ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ سُخِّرت وقُرِّبت ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها ﴿تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ يأكلون من ثمارها قيامًا وقعودًا ومضطجعين، ويتناولونها كيف شاؤوا على أي حال كانوا.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير، فهي من فضة في صفاء الزجاج، يرى ما في داخلها من خارجها.

قال الكلبي: إن الله جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم، وإن أرض الجنة من فضة، فجعل منها قوارير يشربون فيها ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ قدروا الكأس على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص، أي: قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ يشوّق ويطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيبه جدًّا، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة، قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا، قال ابن عباس: كل ما ذكر الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل، وقيل: هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل، قال قتادة: يشربها المقربون صرفًا، ويمزج لسائر أهل الجنة[١].

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ قال قتادة: سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا[٢]، وقال مجاهد: حديدةٌ شديدة[٣] الجِرْيَة[٤]، وقال (أبو العالية)[٥] ومقاتل بن حيان: سميت سلسبيلًا؛ لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان، وشراب الجنة على برد الكافور

(١) أخرجه الطبري: (٢٩/ ٢١٨).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٣٨)، والطبري: (٢٩/ ٢١٨)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٧٦) عزوه لعبد بن حميد.
(٣) ما بين القوسين استدركناه من رواية هَنَّاد في «الزهد».
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٣٨)، والطبري: (٢٩/ ٢١٨)، وهناد في «الزهد»: (١/ ١٧٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٧٥) لسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي.
وأخرجه البخاري تعليقًا: (٦/ ٣١٩)، وقال الحافظ في «الفتح»: (وصله سعيد بن منصور وعبد بن حميد من طريق مجاهد، وانظر تعليق المحقق على «الزهد» لهناد.
(٥) ساقط من «ب».

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

وطعم الزنجبيل وريح المسك، قال الزَّجَّاج: سميت سلسبيلًا؛ لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق، ومعنى قوله: «تسمى»، أي: توصف؛ لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلًا صفة لا اسم.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ قال عطاء: يريد: في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط، كان أحسن منه منظومًا، وقال أهل المعاني: إنما شُبِّهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة، فلو كانوا صفًّا لشبهوا بالمنظوم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: إذا رأيت[1] ببصرك ونظرت به ثَمَّ، يعني: في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وقال مقاتل والكلبي: هو أن رسول ربِّ العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلَّا بإذنه، وقيل: مُلكًا لا زوال له.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ قرأ أهل المدينة وحمزة «عاليْهِم» ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون في موضع رفع بالابتداء، وخبره: ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على (الصفة، أي: فوقهم، وهو نصب على الظرف)[2] ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قرأ نافع وحفص «خضرٌ وإستبرقٌ» مرفوعًا[3] عطفًا على الثياب، وقرأهما حمزة والكسائي مجرورين، وقرأ ابن كثير وأبو بكر «خضرٍ» بالجر و«إستبرقٌ» بالرفع، وقرأ أبو جعفر وأهل البصرة والشام على ضده (فالرفع على)[4] نعت الثياب والجر[5] على نعت السندس («وإستبرق» بالرفع على أنه معطوف على «وثيابُ إستبرقٍ» فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كقوله: «واسألِ القريةَ»، أي: أهل القرية، ومثله قوله: خز، أي: ثوب خز، وأما جر إستبرق فعلى أنه معطوف على سندس وهو جر بإضافة الثياب إليه، وهما جنسان أضيفت الثياب إليهما كما تقول: ثوب خز وكتاب فتضيفه إلى الجنسين)[6].

---

(١) في «ب»: (رميت).

(٢) في «أ»: (الحال)، و«عاليهم» أي: فوقهم، ويجوز انتصابه على الظرف.

(٣) في «أ»: (مرفوعتين).

(٤) في «أ»: (فقوله: أخضر بالرفع على).

(٥) في «أ»: (وخضر بالجر).

(٦) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤﴾

﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١﴾ قيل: طاهرًا من الأقذار والأقذاء، لم تدنسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا.

وقال أبو قلابة وإبراهيم: إنه لا يصير بولًا نجسًا، ولكنه يصير رشحًا في أبدانهم، (ريحه كريح المسك)(١)، وذلك أنهم يؤتون بالطعام، فإذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فيطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحًا يخرج من جلودهم ريحًا(٢) أطيب من المسك الإذفر، وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم.

وقال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾ أي: ما وصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء بأعمالكم، «وكان سعيكم» عملكم في الدنيا بطاعة الله «مشكورًا»، قال عطاء: شكرتم عليه فأثيبكم(٣) أفضل الثواب.

١/١٨٢ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣﴾ قال ابن عباس: / متفرقًا آية بعد آية، ولم ينزل جملة واحدة.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ يعني: من مشركي مكة ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤﴾ يعني: وكفورًا، والألف صلة.

قال قتادة: أراد بالآثم الكفور: أبا جهل، وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي ﷺ نهاه أبو جهل عنها، وقال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن عنقه(٤).

وقال مقاتل: أراد بـ «الآثم»: عتبة بن ربيعة، وبـ «الكفور» الوليد بن المغيرة، قالا للنبي ﷺ: إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر، قال عتبة: فأنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك بغير مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى، فارجع عن هذا الأمر، فأنزل الله هذه الآية(٥).

---

(١) في «ب»: (كرشح المسك).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (فآتيتكم).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٣٩)، والطبري: (٢٩/ ٢٢٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٣٧٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) قال الآلوسي (٢٩/ ١٦٥ ـ ١٦٦): (والمراد بالآثم والكفور: جنسه، وتعليق النهي بذلك مشعر بعلِّية الوصفين له، فلابد أن يكون النهي عن الإطاعة في الإثم والكفر، لا فيما ليس بإثم ولا كفر، والمراد: ولا تطع مرتكب الإثم الداعي لك إليه، أو مرتكب الكفر الداعي إليه، أي: لا تتبع أحدًا من الآثم إذا دعاك إلى الإثم، ومن الكفور إذا دعاك إلى الكفر، فإنه إذا قيل: لا تطع الظالم، فُهم منه: لا تتبعه في الظلم إذا دعاك إليه، ومنع هذا الفهم مكابرة . . .

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ
أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ
فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ (يعني: صلاة المغرب والعشاء)[1] ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ يعني: التطوع بعد المكتوبة.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدار العاجلة، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ يعني: أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ شديدًا، وهو يوم القيامة، أي: يتركونه فلا يؤمنون به، ولا يعملون له.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ﴾ (قوّينا وأحكمنا)[1] ﴿أَسْرَهُمْ﴾ قال مجاهد وقتادة ومقاتل[2]: «أسرهم»، أي: خلقهم، يقال: رجل حسن الأسر، أي: الخلق.

وقال الحسن: يعني: أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب.

ورُوي عن مجاهد في تفسير «الأسر» قال: الشرج، يعني: موضع مَصْرَفَي البول والغائط، إذا خرج الأذى تقبَّضا ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلًا منهم.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: هذه السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ تذكير وعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ وسيلة بالطاعة.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: «يشاؤون» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: لستم تشاؤون إلّا بمشيئة الله عزَّ وجلَّ؛ لأن الأمر إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

* * *

= وقيل: الآثم: عتبة، والكفور: الوليد، والأولى ما تقدم).
وقال: (وفي النهي مع العصمة إرشاد لغير المعصوم إلى التضرع إلى الله تعالى والرغبة إليه سبحانه في الحفظ عن الوقوع فيما لا ينبغي).

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٢) ساقط من «أ».

سورة المُرْسَلات

مكية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ يعني: الرياح، أرسلت متابعة كعرف الفرس، وقيل: عرفًا، أي: كثيرًا، تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا، هذا معنى[٢] قول مجاهد وقتادة، وقال مقاتل: يعني: الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾ يعني: الرياح الشديدة الهبوب.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾﴾ يعني: الرياح اللينة، وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشرًا بين يدي رحمته، وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر، وقال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب[٣].

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، وقال قتادة[٤] والحسن: هي آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام، وروي مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدده[٥].

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة المرسلات بمكة.
وأخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة المرسلات عرفًا، فإنه يتلوها وإني لألقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت عليه حية، فقال النبي ﷺ: «اقتلوها»، فابتدرناها فذهبت، فقال ﷺ: «وقيت شركم كما وقيتم شرها». انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣٨٠).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساق ابن جرير هذه الأقوال: (٢٩/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، ثم قال مرجحًا: (وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُه أقسم بالناشرات نشرًا، ولم يخصص شيئًا من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشرًا).

(٤) في «أ»: (مقاتل).

(٥) قال ابن جرير مرجحًا: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا جل ثناؤه بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصص بذلك منهن بعضًا دون بعض، فذلك قسم بكل فارقة بين الحق والباطل، مَلَكًا كان أو قرآنًا أو غير ذلك).

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ يعني: الملائكة، تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها: «رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ» [غافر: ١٥].

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ أي: للإعذار والإنذار، وقرأ الحسن «عُذُرًا» بضم الذال، واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم، وقراءة العامة بسكونها، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص «(عذرًا أو)[1] نذرًا» ساكنة الذال فيهما، وقرأ الباقون بضمها، ومن سكَّن قال: لأنهما في موضع مصدرين بمعنى الإنذار والإعذار، وليسا بجمعٍ فينقلا، (وقال ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب برواية رويس بن حسان «عذْرًا» سكون الذال و«نُذُرًا» بضم الذال، وقرأ روح بالضم في العذر والنذر جميعًا، وهي قراءة الحسن، والوجه فيهما أن العذر والنذر بضمتين كالأُذُن والعُنُق هو الأصل، ويجوز التخفيف فيهما كما يجوز التخفيف في العنق والأذن، يقال: عذْر ونذْر، وعذُر ونذُر، كما يقال: عُنْق وعُنُق، وأُذْن وأُذُن، والعذر والنذر مصدران بمعنى الإعذار والإنذار، كالنكير والعذير والنذير، ويجوز أن يكونا جمعين لعذير ونذير، ويجوز أن يكون العذر جمع عاذر، كشارف وشُرُف، والمعنى في التحريك والتسكين واحد على ما بيَّنَّا إلى هاهنا أقسام)[1] ذكرها على قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من أمر الساعة والبعث ﴿لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ لكائن[2] ثم ذكر متى يقع.

فقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ محي نورها.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ شقت.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ قلعت من أماكنها.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ قرأ أهل البصرة «وقتت» بالواو، وقرأ أبو جعفر بالواو وتخفيف القاف، وقرأ الآخرون بالألف وتشديد القاف، وهما لغتان، والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم: وكَّدت وأكدت، وورَّخت وأرخت، ومعناهما: جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة، ليشهدوا على الأمم.

﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾ أي: أُخِّرت، وضرب الأجل لجمعهم فعجَّب العباد من ذلك اليوم، ثم بيَّن فقال: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يوم يفصل الرحمن عزَّ وجلَّ بين الخلائق.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) زيادة من «ب».

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ يعني: الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم.

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب، يعني: كفار مكة بتكذيبهم محمدًا ﷺ.

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾﴾ يعني: النطفة.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ يعني: الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾﴾ وهو وقت الولادة.

﴿فَقَدَرۡنَا﴾ قرأ أهل المدينة والكسائي «فقدَّرنا» بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون بالتخفيف من القدرة، لقوله: «فنعم القادرون»، وقيل: معناهما واحد، وقوله: ﴿ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: المقدِّرون.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ وعاءً، ومعنى الكَفْت: الضم والجمع، يقال:
كفت الشيء: إذا ضمه وجمعه، / وقال الفرَّاء: يريد: تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم، ١٨٢/ب
وتكفتهم أمواتًا في بطنها، أي: تحوزهم[1].

وهو قوله: ﴿أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ﴿شَٰمِخَٰتٖ﴾ عاليات ﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾﴾ عذبًا.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ قال مقاتل: وهذا كله أعجب من البعث، ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة:
﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ في الدنيا.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾﴾ يعني: دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق، وقيل: يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب، أما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤوس المنافقين، واللهب الصافي يقف على رؤوس الكافرين.

---

(١) «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ٢٢٤).

﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

ثم وصف ذلك الظل فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ لا يظل من الحر ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ قال الكلبي: لا يرد لهب جهنم عنكم، والمعنى: أنهم إذا[1] استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب.

﴿إِنَّهَا﴾ يعني: جهنم ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ وهو ما تطاير من النار، واحدها: شررة ﴿كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني: الحصون.

وقال عبد الرحمن بن عياش سألت ابن عباس عن قوله تعالى: «إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ»، قال: هي الخشب العظام المقطعة، وكنَّا نعمد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه، ندخرها للشتاء، فكنَّا نسميها: القصر.

وقال سعيد بن جبير والضحاك: هي أُصول النخل والشجر العظام، واحدتها: قصرة، مثل: تمرة وتمر، وجمرة وجمر.

وقرأ علي وابن عباس «كالقَصَر» بفتح الصاد، أي: أعناق النخل، والقصرة: العنق، وجمعها: قصر وقصرات.

﴿كَأَنَّهُ﴾ رد الكناية إلى اللفظ ﴿جِمَالَتٌ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص «جمالة على جمع الجمل، مثل: حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف، أراد: الأشياء العظام المجموعة، وقرأ الآخرون: «جمالات» بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وسعيد بن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، حتى تكون كأوساط الرجال ﴿صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ جمع الأصفر، يعني: لون النار، وقيل: «الصفر» معناه: السود؛ لأنه جاء في الحديث أن شرر نار جهنم أسود كالقير، والعرب تسمي سود الإبل صفرًا؛ لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الظباء: أدم؛ لأن بياضها يعلوه كدرة.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ وفي القيامة مواقف، ففي بعضها: يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها: يختم على أفواههم فلا ينطقون.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ رفع عطف على قوله: «يؤذن»، قال الجنيد: أي: لا عذر لمن أعرض عن مُنْعِمِه، وكفر بأياديه ونِعَمِه.

---

(١) ساقط من «أ».

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩
وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥ كُلُواْ
وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨
وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ بين أهل الجنة والنار ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ يعني: مكذبي هذه الأمة والأولين الذين كذبوا بأنبيائهم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾ قال مقاتل: إن كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ﴾ جمع ظل، أي: في ظلال الشجر ﴿وَعُيُونٖ ٤١﴾ الماء.

﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾.

ويقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ في الدنيا بطاعتي.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥﴾.

ثم قال لكفار مكة ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦﴾ مشركون بالله عزَّ وجلَّ مستحقون للعذاب.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ﴾ صلُّوا ﴿لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨﴾ لا يصلُّون، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾ إذا لم يؤمنوا به.

* * *

سورة النَّبأ

مكية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾

﴿عَمَّ﴾ أصلُه: «عن ما» فأدغمت النون في الميم وحذفت ألف «ما»، كقوله[٢]: «فيم»، و«بِمَ» ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾﴾ أي: عن أي شيء يتساءلون، هؤلاء المشركون؟ وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد، وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد؟ قال الزَّجَّاج: اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم، كما يقول: أي شيء زيد؟ إذا عظمت أمره[٣] وشأنه.

ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ قال مجاهد والأكثرون: هو القرآن، دليله: قوله: «قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ»[ص: ٦٧]، وقال قتادة: هو البعث.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾ فمصدِّق ومكذِّب ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ «كلا» نفيٌ لقولهم، «سيعلمون» عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ وعيد لهم على أثر وعيد، وقال الضحاك: «كلا سيعلمون» يعني: الكافرين، «ثم كلا سيعلمون» يعني: المؤمنين، ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده، فقال:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾ فراشًا.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ للأرض، حتى لا تميد.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾ أصنافًا: ذكورًا، وإناثًا.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس وابن مردويه عن ابن الزبير قال: نزلت سورة «عم يتساءلون» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٣٨٩).

(٢) في «ب»: (كقولهم).

(٣) ساقط من «ب».

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ أي: راحة لأبدانكم، قال الزَّجَّاج: «السبات»: أن ينقطع عن الحركة والروحُ فيه، وقيل: معناه: جعلنا نومكم قطعًا لأعمالكم؛ لأن أصل السبت: القطع.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ المعاش: العيش، وكل ما يعاش فيه فهو معاش، أي: جعلنا النهار سببًا للمعاش والتصرف في المصالح، قال (ابن عباس)[1] يريد: تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ يريد: سبع سموات.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ (يعني: الشمس)[2] ﴿وَهَّاجًا ۝١٣﴾ مضيئًا منيرًا، قال الزَّجَّاج: الوهاج: الوقاد، قال مقاتل: جعل فيه نورًا وحرارة، والوهج يجمع النور والحرارة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي: يعني: الرياح التي تعصر السحاب، وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

١/١٨٣ قال الأزهري: هي الرياح ذوات / الأعاصير، فعلى هذا التأويل تكون «مِن» بمعنى «الباء»، أي: بالمعصرات، وذلك أن الريح تستدر المطر.

وقال أبو العالية والربيع والضحاك: المعصرات هي السحاب، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس.

قال الفرَّاء: (المعصرات السحائب)[3] التي[4] تتحلب بالمطر ولا تمطر، كالمرأة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض[5].

وقال ابن كيسان: هي المغيثات من قوله: «(فيه يُغاث الناس)[2] وفيه يعصرون».

وقال الحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان: «من المعصرات»، أي: من السموات.

﴿مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ أي: صبَّابًا، وقال مجاهد: مدرارًا، وقال قتادة: متتابعًا يتلو بعضه بعضًا، وقال ابن زيد: كثيرًا.

---

(١) في «ب»: (ابن مسعود).
(٢) ساقط من «ب».
(٣) في «ب»: (المعصر السحابة).
(٤) زيادة من «ب».
(٥) انظر: «القرطين» لابن مطرف: (٢/ ٢٠٠).

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى
ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠
إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ أي: بذلك الماء ﴿حَبًّا﴾ وهو ما يأكله الناس ﴿وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ ما تنبته الأرض مما تأكله الأنعام.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ ملتفة بالشجر، واحدها: لَفٌّ ولفيف، وقيل: هو جمع الجمع، يقال: جنة لفَّا وجمعها لُفٌّ، بضم اللام، وجمع الجمع ألفاف.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القضاء بين الخلق ﴿كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧﴾ لما وعد الله تعالى من الثواب والعقاب.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ زمرًا زمرًا[1] من كل مكان للحساب.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ قرأ أهل الكوفة «فُتِحَتِ» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي: شُقَّت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩﴾ أي: ذات الأبواب، وقيل: تنحلُّ وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن وجه الأرض ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ أي: هباءً منبثًّا، لعين الناظر كالسراب.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١﴾ طريقًا وممرًا، فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار.

وقيل: «كانت مرصادًا» أي: معدة لهم، يقال: أرصدت له الشيء[1] إذا أعددته له.

وقيل: هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، و«المرصاد»: المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو، وقوله: «إن جهنم كانت مرصادًا»، أي: ترصد الكفار.

وروى مقسم عن ابن عباس: أن على جسر جهنم سبعة محابس، يسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلّا الله فإن أجابها[2] تامة جاز إلى الثاني، فيسأل عن الصلاة فإن أجابها[2] تامة جاز إلى الثالث، فيسأل عن الزكاة فإن أجابها[2] تامة جاز إلى الرابع، فيسأل عن الصوم فإن جاء به تامًّا جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحج فإن جاء به تامًّا جاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة فإن أجابها[2] تامة جاز إلى السابع، فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلّا يقال: انظروا فإن كان له تطوع أكمل بها أعماله، فإذا فرغ منه انطلق به إلى الجنة.

﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ للكافرين ﴿مَـَٔابًا ۝٢٢﴾ مرجعًا يرجعون إليه.

﴿لَّٰبِثِينَ﴾ قرأ حمزة ويعقوب «لَبِثِينَ» بغير ألف، وقرأ العامة «لابثين» بالألف[1]، وهما لغتان ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ جمع حُقب، والحُقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا،

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (جاء بها).

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾

كل يوم ألف سنة[١]، روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال مجاهد: «الأحقاب» ثلاثة وأربعون حقبًا، كل حقب سبعون خريفًا، كل خريف سبعمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم ألف سنة.

قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: «لابثين فيها أحقابًا»، فوالله ما هو إلَّا إذا[٢] مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلَّا الخلود[٣].

روى السدي عن مُرَّة عن عبد الله قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا.

وقال مقاتل بن حيان: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة، قال: وهذه الآية منسوخة، نسختها «فلن نزيدكم إلَّا عذابًا»، يعني: أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل[٤].

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ رُوي عن ابن عباس: أن البرد النوم، ومثله قال الكسائي، وقال[٢] أبو عبيدة: تقول العرب: منع البردُ البردَ، أي: أذهب البرد النوم، وقال الحسن وعطاء: «لا يذوقون فيها بردًا»، أي: روحًا وراحة، وقال مقاتل: «لا يذوقون فيها بردًا» ينفعهم من حر، «ولا شرابًا» ينفعهم من عطش.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ قال ابن عباس: «الغساق»: الزمهرير يحرقهم ببرده، وقيل: صديد أهل النار، وقد ذكرناه في سورة «ص»[٥].

﴿جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾، أي: جزيناهم جزاء وافق أعمالهم، قال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون.

---

(١) انظر: الطبري: (٣٠/١١).
(٢) ساقط من «أ».
(٣) انظر: الطبري: (٣٠/١١-١٢).
(٤) قال الطبري (٣٠/١٢): (ولا معنى لهذا القول؛ لأن قوله: «لابثين فيها أحقابًا» خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي).
(٥) (٧/٩٩).

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ
لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بما جاءت به الأنبياء ﴿كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ تكذيبًا، قال الفرّاء: هي لغة يمانية فصيحة، يقولون في مصدر التفعيل فِعَّال، وقال: قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحلق أحب إليك أم القِصَّار[1]؟

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾ أي: وكل شيء من الأعمال بيَّنَّاه في اللوح المحفوظ، كقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[يس: ١٢].

﴿فَذُوقُوا﴾ أي: يقال لهم: فذوقوا ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ فوزًا ونجاةً من النار، وقال الضحاك: متنزهًا.

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ يريد: أشجار الجنة وثمارها.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جواري نواهد قد تكعبت ثُدِيُّهُنَّ، واحدتها: كاعب ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ مستويات في السن.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد: مترعة مملوءة، وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة، قال عكرمة: صافية.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ باطلًا من الكلام ﴿وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ تكذيبًا، لا يكذب بعضهم بعضًا، وقرأ الكسائي «كِذَابًا» بالتخفيف مصدر كاذب[2] كالمكاذبة، وقيل: هو الكذب، وقيل: هو بمعنى التكذيب كالمشدد.

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ أي: جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء، «حسابًا»، أي: كافيًا وافيًا، يقال: أحسبت فلانًا، أي: أعطيته ما يكفيه حتى قال: حسبي، وقال ابن قتيبة: «عطاءً حسابًا»، أي: كثيرًا[3]، وقيل: هو جزاء بقدر أعمالهم.

﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «ربُّ» رفع على الاستئناف و«الرحمن» خبره، وقرأ الآخرون بالجر إتباعًا لقوله: «من ربك»، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب «الرحمنِ» جرًا إتباعًا

---

(١) «معاني القرآن» للفرّاء: (٣/ ٢٢٩).
(٢) ساقط من «ب».
(٣) انظر: «القرطين»: (٢/ ٢٠١).

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾

١٨٣/ب لقوله: «ربِّ السموات»، / وقرأ الآخرون بالرفع، فحمزة والكسائي يقرآن «ربِّ» بالخفض لقربه من قوله: «جزاءً من ربك»، ويقرآن «الرحمنُ» بالرفع لبعده منه على الاستئناف، وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ في موضع رفعٍ، خبره.

ومعنى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلّا بإذنه، وقال الكلبي: لا يملكون شفاعة إلّا بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ أي: في ذلك اليوم ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ واختلفوا في هذا الروح، قال الشعبي والضحاك: هو جبريل. وقال عطاء عن ابن عباس: «الروح» ملك من الملائكة، ما خلق الله مخلوقًا أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفًّا وقامت الملائكة كلهم صفًّا واحدًا، فيكون عظم خلقه مثلهم(١).

وعن ابن مسعود قال: «الروح» ملك أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة، وهو في السماء الرابعة، يسبح كل يوم اثني عشر ألف(٢) تسبيحة، يُخلق من كل تسبيحة ملك يجيء يوم القيامة صفًّا وحده(٣). وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح: «الروح» خلق على صورة بني آدم ليسوا بناس، يقومون صفًّا والملائكة صفًا، هؤلاء جند وهؤلاء جند.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: هم خلق على صورة بني آدم، وما ينزل من السماء ملك إلّا معه واحد منهم(٤).

وقال الحسن: هم بنو آدم(٥)، ورواه قتادة عن ابن عباس، وقال: هذا مما كان يكتمه ابن عباس(٦).

«والملائكة صفًّا»، قال الشعبي: هما سماطا(٧) ربِّ العالمين، يوم يقوم سماط من الروح وسماط من الملائكة.

---

(١) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٢).
(٢) ساقط من «ب».
(٣) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٢)، واستغربه ابن كثير: (٤/ ٤٦٦) فقال: (وهذا قول غريب جدًا)، وانظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٠٠).
(٤) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٣).
(٥) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٣).
(٦) الراجح الجمع بين هذه الأقوال كما بيَّن ابن جرير: (٣٠/ ٢٣) فقال: (والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُه أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطابًا، يوم يقوم الروح، والروح خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أي ذلك هو، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعنيّ به دون غيره يجب التسليم له، ولا حجة تدل عليه، وغير ضائر الجهل به).
وراجع: ابن كثير: (٤/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) فقد رجح أنهم بنو آدم.
(٧) والسماط: الصف.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ في الدنيا، أي: حقًا، وقيل: قال: لا إله إلَّا الله[1].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الكائن الواقع، يعني: يوم القيامة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ مرجعًا وسبيلًا بطاعته، أي: فمن شاء رجع إلى الله بطاعته.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني: العذاب في الآخرة، وكل ما هو آت قريب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: كل امرىء يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتًا في صحيفته ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

قال عبد الله بن عمرو[2]: إذا كان يوم القيامة مُدت الأرض مدَّ الأديم، وحشرت الدواب والبهائم والوحوش، ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها، فإذا فرغ من القصاص قيل لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا، ومثله عن مجاهد.

وقال مقاتل: يجمع الله الوحوش والهوام والطير فيقضي بينهم حتى يُقتصّ للجماء من القرناء، ثم يقول لهم: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين إياهم أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي كنتم، كونوا ترابًا، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار ترابًا، يتمنى فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير، وكنت اليوم ترابًا.

وعن (أبي الزناد عبد الله بن ذكوان)[3] قال: إذا قضى الله بين الناس وأمر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقيل لسائر الأُمم ولمؤمني الجن: عودوا ترابًا فيعودون ترابًا، فحينئذ يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا، وبه قال ليث بن أبي[4] سُليم: مؤمنو الجن يعودون ترابًا[5].

---

(١) رواه الطبري: (٣٠/ ٢٤) عن عكرمة، ثم قال:
(والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُه أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفًا إلَّا من أذن له منهم في الكلام الرحمنُ، وقال صوابًا، فالواجب أن يقال كما أخبر إذ لم يخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله أنه عَنَى بذلك نوعًا من أنواع الصواب، والظاهر محتمل جميعه).

(٢) في المخطوطتين: عبد الله بن عمر، أما في الطبري: (٣٠/ ٢٦) فعبد الله بن عمرو، وكذلك عند ابن كثير: (٤/ ٤٦٧).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٠٢) لعبد بن حميد وابن شاهين في كتاب «العجائب والغرائب».

(٣) في نسخة «أ»: (أبي الزناد عن عبد الله بن ذكوان)، والصواب أنه اسم واحد.

(٤) ساقط من «ب»، والصحيح ما أثبتناه كما في «تهذيب التهذيب».

(٥) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٦).

وقيل: إن الكافر هاهنا إبليس[1]، وذلك أنه عاب آدم أنه خلق من التراب وافتخر بأنه خلق من النار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة، وما هو فيه من الشدة والعذاب، قال: يا ليتني كنت ترابًا، قال أبو هريرة: فيقول التراب: لا، ولا كرامة لك، من جعلك مثلي؟

* * *

(١) حكى الثعلبي عن بعض أشياخه أنه رأى ذلك في بعض التفاسير، انظر: «زاد المسير»: (٨/ ١٣)، والصحيح أنها عامة في كل كافر؛ لأنه لم يخص كافرًا معينًا فيدخل إبليس وغيره . . . .

سورة النَّازعات

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾ يعني: الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يُغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المَدِّ بعد ما نزعها حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده فهذا عمله بالكفار، و«الغَرْق» اسم أقيم مقام الإغراق، أي: والنازعات إغراقًا، والمراد بالإغراق المبالغة في المد.

قال ابن مسعود: ينزعها ملك الموت وأعوانه(٢) من تحت كل شعرة ومن الأظافير وأصول القدمين(٣)، (ويرددها في جسده بعد ما ينزعها)(٤)، حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده بعد ما ينزعها، فهذا عمله بالكفار. وقال مقاتل: ملك الموت وأعوانه ينزعون أرواح(٥) الكفار كما ينزع السَّفُّود الكثير الشُّعب من الصوف المبتلّ، فتخرج نفسه كالغريق في الماء.

وقال مجاهد: هو الموت ينزع النفوس(٣).

وقال السُّدِّي: هي النفس حين تغرق في الصدر(٦).

وقال الحسن وقتادة وابن كيسان: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب(٧)، وقال عطاء وعكرمة: هي القِسِيُّ(٧)، وقيل: الغزاة الرماة(٨).

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة النازعات بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٠٣).
(٢) ساقط من «ب».
(٣) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٧).
(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٥) في «ب»: (روح).
(٦) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٨).
(٧) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٨).
(٨) قال صاحب «زاد المسير» (٩/ ١٥): (حكاه الثعلبي).

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ هي[1] الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي: تحل حلًّا رفيقًا فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي: يحل برفق، حكى الفرَّاء هذا القول، ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنْشَطْتُ العقال، إذا حللته، وأنشطته: إذا عقدته بأنشوطة[2]، وفي الحديث: «كأنما أنشط من عقال»[3].

وعن ابن عباس: هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة؛ لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت.

وقال علي بن أبي طالب: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغم، والنَّشْط: الجذب والنزع، يقال: نشطت الدلو نشطًا إذا نزعتها، قال الخليل: النشط والإنشاط مَدُّك الشيء إلى نفسك، حتى ينحل.

وقال مجاهد: هو الموت ينشط النفوس، وقال السدي: هي النفس تنشط من القدمين، أي: تجذب، وقال قتادة: هي النجوم تنشط من أُفق إلى أُفق، أي: تذهب، يقال: نشط من بلد إلى بلد، إذا خرج في سرعة، ويقال: حمار ناشط، ينشط من بلد إلى بلد، وقال عطاء وعكرمة: هي الأوهاق[4].

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾ هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها / سلًّا رفيقًا، ثم يدعونها حتى ١/١٨٤
تستريح، كالسابح بالشيء في الماء يرفق به. وقال مجاهد وأبو صالح: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد، يقال له: سابح إذا أسرع في جريه.

وقيل: هي خيل الغزاة، وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر[5]، قال الله تعالى: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[الأنبياء: ٣٣].

وقال عطاء: هي السفن.

---

(١) في «ب»: (هم).

(٢) «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ٢٣٠)، وقد تصرَّف في العبارة.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الإجارة، باب ما يعطى في الرقية . . . : (٤/ ٤٥٣)، عن أبي سعيد الخدري. وانظر: «فتح الباري»: (٤/ ٤٥٦).

(٤) في «ب»: (الإزهاق). والأوهاق: جمع وهق ـ بسكون الهاء أو تحريكها ـ وهي الحبل المغارير في طرفه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان.
وقد ساق الطبري: (٣٠/ ٢٨ ـ ٢٩) أكثر الأقوال المذكورة، ثم قال مرجحًا: (والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالناشطات نشطًا، وهي التي تنشط من موضع إلى موضع فتذهب إليه، ولم يخصص الله بذلك شيئًا دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات والملائكة تنشط من موضع إلى موضع، وكذلك الموت وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضًا تنشط).
ويلاحظ أن الأكثرية على أنها الملائكة كما قال ابن كثير وابن الجوزي وهو أقرب.

(٥) ساقط من «ب».

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾﴾ قال مجاهد: هي الملائكة تسبق[١] ابن آدم بالخير والعمل الصالح.

وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

وعن ابن مسعود قال: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقًا إلى لقاء الله وكرامته، وقد عاينت السرور.

وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضها بعضًا في السير، وقال عطاء: هي الخيل[٢].

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ قال ابن عباس: هم الملائكة وُكِّلوا بأمور عرَّفهم الله عزَّ وجلَّ العمل بها.

قال (عبد الرحمن)[٣] بن سابط: يدبر الأمور[٤] في الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل عليهم السلام، أما جبريل: فموكل بالريح والجنود، وأما ميكائيل: فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت: فموكل بقبض الأرواح[٥]، وأما إسرافيل: فهو ينزل بالأمر عليهم.

وجواب هذه الأقسام محذوف، على تقدير: لتبعثنَّ ولتحاسبن[٦].

وقيل: جوابه قوله[٧]: «إن في ذلك لعبرة لمن يخشى».

وقيل: فيه تقديم وتأخير[٨]، تقديره: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقًا[٩].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ وهي النفخة الأولى، يتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلائق[١٠].

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ وهي النفخة الثانية ردفت الأولى، وبينهما أربعون سنة.

قال قتادة: هما صيحتان، فالأولى تميت كل شيء، والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عزَّ وجلَّ[١١].

---

(١) في «ب»: (سبقت).

(٢) راجع في هذه الأقوال: الطبري: (٣٠/ ٣٠-٣١)، «زاد المسير»: (٩/ ١٧)، والتعليق السابق على الناشطات.

(٣) في «ب»: (عبد الله)، والصحيح ما أثبتناه من «أ» كما في «تهذيب التهذيب».

(٤) في «ب»: (الأمر).

(٥) في «ب»: (الأنفس).

(٦) انظر: «زاد المسير»: (٩/ ١٨).

(٧) ساقط من «أ».

(٨) ساقط من «ب».

(٩) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٢٠): (وقيل: التقدير يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات على التقديم والتأخير أيضًا وليس بشيء).

(١٠) في «ب»: (الخلق).

(١١) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٣١).

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾

وقال مجاهد: ترجف الراجفة تتزلزل الأرض والجبال، تتبعها الرادفة حين تنشق الشماء، وتُحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة[١].

وقال عطاء: «الراجفة» القيامة، و«الرادفة» البعث، وأصل الرجفة: الصوت والحركة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا محمد بن هارون[٢] الحضرمي، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا قبيصة بن عقبة، عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أُبي بن كعب، عن أبي ابن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام، وقال: «يا أيها الناس اذكروا الله، (اذكروا الله)[٣]، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، (جاء الموت بما فيه)[٣]»[٤].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ خائفة قلقة مضطربة، وسمي «الوجيف» في السير؛ لشدة اضطرابه، يقال: وجف القلب ووجب وجوفًا ووجيفًا ووجيبًا، وقال مجاهد: وجلة، وقال السدي: زائلة عن أماكنها، نظيره: «إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ»[غافر: ١٨].

﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩﴾ ذليلة، كقوله: «خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ...» الآية[الشورى: ٤٥].

﴿يَقُولُونَ﴾ يعني: المنكرين للبعث إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ أي: إلى أول الحال وابتداء الأمر، فنصير أحياءً بعد الموت كما كنَّا؟ تقول العرب: رجع فلان في حافرته، أي: رجع من حيث جاء، والحافرة عندهم: اسم لابتداء الشيء، (وأول الشيء)[٥].

وقال بعضهم: «الحافرة»: وجه الأرض التي تحفر فيها قبورهم، سميت حافرة بمعنى المحفورة، كقوله: «عيشة راضية»، أي: مرضية.

وقال سميت حافرة؛ لأنها مستقر الحوافر[٦]، أي: أئنَّا لمرْدُودون إلى الأرض فنبعث خلقًا جديدًا نمشي عليها؟ وقال ابن زيد: «الحافرة» النار.

---

(١) انظر: الطبري: (٣٠/ ٣٢).

(٢) في «أ»: (محمد بن إبراهيم)، ولعله سقط اسم أبيه هارون، فهو محمد بن هارون بن إبراهيم كما في «تهذيب التهذيب».

(٣) ساقط من «أ».

(٤) أخرجه الترمذي في صفة القيامة: (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣)، وقال: (هذا حديث حسن)، وصححه الحاكم: (٢/ ٤٢١) ووافقه الذهبي. وأخرج بعضه الإمام أحمد: (٥/ ١٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية»: (١/ ٢٥٦)، وحسَّنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم ٩٥٤: (٢/ ٦٧٥).

(٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب»: (الحافر).

أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا
هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب «أئنا» مستفهمًا؟ «إذا» بتركه، ضده أبو جعفر، [الباقون] باستفهامهما، وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: «عظامًا ناخرة»، وقرأ الآخرون «نخرة»، وهما لغتان، مثل: الطمع والطامع، والحذر والحاذر، ومعناهما البالية، وفرّق قومٌ بينهما، فقالوا: النخرة: البالية، والناخرة: المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر، أي: تصوّت.

﴿قَالُواْ﴾ يعني: المنكرين: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ رجعة خائبة، يعني: إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ يعني: النفخة الأخيرة ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة ﴿وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ يسمعونها.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ يعني: وجه الأرض، أي: صاروا على وجه الأرض بعد ما كانوا في جوفها[1]، والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض: ساهرة، قال بعض أهل اللغة[2]: تراهم سموها ساهرة؛ لأن فيه نوم الحيوان وسهرهم، قال سفيان: هي أرض الشام[3]، وقال قتادة: هي جهنم[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ يقول: قد جاءك يا محمد حديث موسى.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾[5] فقال يا موسى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ علا وتكبَّر وكفر بالله.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي، أي: تتزكى وتتطهر من الشرك، وقرأ الآخرون [بالتخفيف]، (وأصله: تتزكى، فأُدغمت التاء الثانية في الزاي في القراءة الأولى، وحذفت في الثانية، ومعناه: تتطهر من الشرك)[6]، أي: تسلم وتصلح، قال ابن عباس: تشهد أن لا إله إلّا الله.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ أي: أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده فتخشى عقابه.

---

(١) وهذا ما رجحه ابن كثير: (٤/ ٤٦٨).
(٢) انظر: الطبري: (٣٠/ ٣٥).
(٣) انظر: الطبري: (٣٠/ ٣٧).
(٤) انظر: الطبري: (٣٠/ ٣٨).
(٥) قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية (٣٠/ ٣٨): (وهل سمعت خبره حين ناجاه ربه بالواد المقدس، يعني: بالمقدس: المطهر المبارك)، ثم ذكر أقوالًا كثيرة في معنى طوى.
(٦) ما بين القوسين ساقط من «ب».

فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ وهي العصا واليد البيضاء ﴿فَكَذَّبَ﴾ بأنهما من الله ﴿وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ تولى وأعرض عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ يعمل بالفساد في الأرض.

﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع قومه وجنوده ﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ لما اجتمعوا.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ فلا رب فوقي، وقيل: أراد أن الأصنام أرباب، وأنا ربكم وربها.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ قال الحسن وقتادة: عاقبه الله فجعله نكال الآخرة والأولى، أي: في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار[(١)].

وقال مجاهد وجماعة من المفسرين: أراد بالآخرة والأولى كلمتي فرعون قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ
١٨٤/ب إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[القصص: ٣٨]، وقوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾، وكان بينهما / أربعون سنة[(٢)].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى ﴿لَعِبْرَةً﴾ لعظة ﴿لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ الله عزَّ وجلَّ.

ثم خاطب منكري البعث فقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعني: أَخَلْقُكم بعد الموت أشدُّ عندكم وفي تقديركم أَمِ السماءُ؟ وهما في قدرة الله واحد، كقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[غافر: ٥٧]، ثم وصف خلق السماء فقال: ﴿بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ سقفها ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ بلا شطور (ولا شقوق)[(٣)] ولا فطور.

﴿وَأَغْطَشَ﴾ أظلم ﴿لَيْلَهَا﴾ والغطش والغبش: الظلمة ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ أبرز وأظهر نهارها ونورَها، وأضافهما إلى السماء؛ لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد خلق السماء ﴿دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ بسطها، والدَّحْو: البسط، قال ابن عباس: خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك. وقيل: معناه: والأرض مع ذلك دحاها، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم: ١٣]، أي: مع ذلك.

---

(١) انظر: الطبري: (٣٠/ ٤٢). (٢) انظر: الطبري: (٣٠/ ٤١). (٣) ساقط من «ب».

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ
الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾
وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ
الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ
ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾﴾ يعني: النفخة الثانية التي فيها البعث، وقامت القيامة، وسميت القيامة: «طامة»؛ لأنها تطم على كل هائلة من الأمور فتعلو فوقها وتغمر ما سواها، و«الطامة» عند العرب: الداهية التي لا تُستطاع.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾﴾ ما عمل في الدنيا من خيرٍ وشرٍّ.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾﴾ قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾﴾ في كفره ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ على الآخرة ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾﴾ عن المحارم التي تشتهيها، قال مقاتل: هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾﴾ متى ظهورها وثبوتها ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾﴾ لست في شيء من علمها وذكرها، أي: لا تعلمها ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾﴾ أي: منتهى علمها عند الله.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾ قرأ أبو جعفر: «منذر» بالتنوين، أي: (إنما أنت)[1] مخوف من يخاف قيامها، أي: إنما ينفع إنذارك من يخافها.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ يعني: كفار قريش ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ يعاينون يوم القيامة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا وقيل: في قبورهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾ قال الفرّاء[2]: ليس للعشية ضحى، إنما الضحى لصدر النهار، ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية أو غداتها، إنما معناه: آخر يوم أو أوله، نظيره: قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) «معاني القرآن» للفرّاء: (٣/ ٢٣٤).

سورة عَبَس

مكية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾

﴿عَبَسَ﴾ كلح ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾ أعرض بوجهه.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ (أي: لأن جاءه الأعمى)(٢)، وهو ابن أم مكتوم، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، وذلك أنه أتى رسولَ الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية، يدعوهم إلى الله، يرجو إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: (يا رسول الله)(٢)، أقرئني وعلمني مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد والسفلة، فعبس وجهه وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين(٣) في غزوتين غزاهما، قال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء(٤).

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾ يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك، وقال ابن زيد: يسلم.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: نزلت سورة عبس بمكة.
انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤١٥).

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٣) انظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥١٧.
وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٨١: (ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه دون قوله: «صناديد قريش» ودون سياق نسب ابن أم مكتوم، وكذا أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة، قال: ذكر لنا ...) فذكره.
وانظر الروايات في: «الصحيح المسند من أسباب النزول» للوادعي: ص١٦٩.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٤٨).

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا
مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى
صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ الموعظة، قرأ عاصم «فتنفعه» بنصب العين على جواب «لعل» بالفاء، وقراءة العامة بالرفع نسقًا على قوله: «يذكر».

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾﴾ قال ابن عباس: عن الله وعن الإيمان بما له من المال.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه، وقرأ أهل الحجاز «تَصَّدَّى» بتشديد الصاد على الإدغام، أي: تتصدى، وقرأ الآخرون بتخفيف الصاد على الحذف.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ لا يؤمن ولا يهتدي، إن عليك إلَّا البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ يمشي، يعني: ابن أم مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾﴾ الله عزَّ وجلَّ.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ تتشاغل وتعرض عنه[1].

﴿كَلَّآ﴾ زجر، أي: لا تفعل بعدها مثلها ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: هذه الموعظة، وقال مقاتل: آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾ موعظة وتذكير للخلق.

﴿فَمَن شَآءَ﴾ من عباد الله ﴿ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ أي: اتعظ به، وقال مقاتل: فمن شاء اللهُ ذكره وفهَّمه، واتعظ بمشيئته وتفهيمه، والهاء في «ذكره» راجعة إلى القرآن والتنزيل والوعظ، ثم أخبر عن جلالته عنده فقال:

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾﴾ يعني: اللوح المحفوظ، وقيل: كتب الأنبياء عليهم السلام، دليل قوله تعالى: «إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ»[الأعلى: ١٨ - ١٩].

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ رفيعة القدر عند الله عزَّ وجلَّ، وقيل: مرفوعة، يعني: في السماء السابعة ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾ لا يمسها إلى المطهرون، وهم الملائكة.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد: كَتَبَة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم: سافر، يقال: سفرت، أي: كتبت، ومنه قيل (للكاتب: سافر، و)[2] للكتاب: سِفْرٌ، وجمعه: أسفار.

وقال الآخرون: هم الرسل من الملائكة، واحدهم: سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم للصلح، وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم.

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) ساقط من «أ».

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾﴾

ثم أثنى عليهم فقال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ أي: كرام على الله، بررة / مطيعين، جمع: بار. ١/١٨٥

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ أي: لُعن الكافر، قال مقاتل: نزلت في عتبة بن أبي لهب[1] ﴿مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾ ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجب، قال الزَّجَّاج: معناه: اعجبوا أنتم من كفره، وقال الكلبي ومقاتل: هو «ما» الاستفهام، يعني: أي شيء حمله على الكفر؟ ثم بيَّن من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾﴾ لفظه استفهامٌ ومعناه التقرير.

ثم فسره فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾﴾ أطوارًا: نطفة ثم علقة إلى آخر خلقه، قال الكلبي: قدَّر خلقه، رأسه وعينيه ويديه ورجليه.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾﴾ أي: طريق خروجه من بطن أمه، قال السدي ومقاتل والحسن ومجاهد: يعني: طريق الحق والباطل، سهل له العلم به، كما قال: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ»[الإنسان: ٣]، «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ»[البلد: ١٠]، وقيل: يسر على كل أحد ما خلقه وقدَّره عليه.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾ جعل له قبرًا يوارَى فيه، قال الفراء: جعله مقبورًا ولم يجعله ممن يلقى كالسباع والطيور، يقال: قبرت الميت إذا دفنته، وأقبره الله: أي: صيَّره بحيث يقبر، وجعله ذا قبر، كما يقال: طردت فلانًا والله أطرده، أي: صيره طريدًا[2].

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾ أحياه بعد موته.

﴿كَلَّا﴾ ردًّا عليه، أي: ليس كما يقول ويظن هذا الكافر، وقال الحسن: حقًّا ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾﴾ أي: لم يفعل ما أمره (الله به)[3]، ولم يؤد ما فرض عليه، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال:

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾﴾ كيف قدره ربُّه ودبره له وجعله سببًا لحياته، وقال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه.

---

(١) انظر: «زاد المسير»: (٩/ ٣٠).
وعزاه صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٤١٩) لعكرمة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٢٣٧).

(٣) في «ب»: (به ربه).

﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١﴾

ثم بيّن فقال: ﴿أَنَّا﴾ قرأ أهل الكوفة[1]: «أَنَّا» بالفتح[2] على تكرير الخافض، مجازه: فلينظر إلى أنا، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف ﴿صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥﴾ يعني: المطر.

﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦﴾ بالنبات ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧﴾ يعني: الحبوب التي يُتغذى بها.

﴿وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨﴾ وهو القت الرطب، سُمي بذلك؛ لأنها يقضب في كل الأيام، أي: يقطع، وقال الحسن: القضب: العلف للدواب.

﴿وَزَيۡتُونٗا﴾ وهو ما يعصر منه الزيت ﴿وَنَخۡلٗا ٢٩﴾ جمع: نخلة.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠﴾ غلاظ الأشجار، واحدها: أغلب، ومنه قيل لغليظ الرقبة: أغلب، وقال مجاهد ومقاتل: الغُلْب: الملتفة الشجر بعضه في بعض، قال ابن عباس: طوالاً.

﴿وَفَٰكِهَةٗ﴾ يريد: ألوان الفواكه ﴿وَأَبّٗا ٣١﴾ يعني: الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس، مما يأكله الأنعام والدواب.

قال عكرمة: «الفاكهة» ما يأكله الناس، و«الأبُّ» ما يأكله الدواب، ومثله عن قتادة قال: الفاكهة لكم، والأبُّ لأنعامكم.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أنبتت الأرض[3] مما يأكل الناس والأنعام.

وروي عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله: «وفاكهة وأبًّا» فقال: أيّ سماء تظلني. وأي أرض تقلني: إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[4].

وروى ابن شهاب عن أنس أنه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الأبُّ؟ ثم رفض عصًا كانت بيده، وقال: هذا والله[2] لَعَمْرُ الله التكلف، وما عليك يا ابن أُم[5] عمر أن

---

(١) في «ب»: (المدينة).
(٢) في «أ»: (بفتح الألف).
(٣) زيادة من «ب».
(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٨٢: (رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» حدثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي، أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ سئل عنه، فذكره . . .، ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد من هذا الوجه، وهذا منقطع، ورواه يحيى الحماني وابن عبد البر في «جامع بيان العلم»: ص٣٥٣ من طريقه من رواية إبراهيم النخعي عن أبي معمر عن أبي بكر فذكر).
وانظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢١)، «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٤٧٤).
(٥) ساقط من «أ».

﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧﴾

لا تدري ما الأبُّ، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا تبين[1] فدعوه[2].

﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ﴾ منفعة لكم، يعني: الفاكهة ﴿وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾ يعني: العشب.

ثم ذكر القيامة فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ يعني: صيحة القيامة، سميت بذلك: لأنها تصخ الأسماع، أي: تبالغ في الأسماع حتى تكاد تصمها.

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه.

حكي عن قتادة قال في هذه الآية: («يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ»)[3]، قال: يفر هابيل من قابيل، ويفر النبي ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبته، ونوح عليه السلام من ابنه[4].

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧﴾ يشغله عن شأن غيره.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد ابن عبد الله، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا ابن أبي أويس، حدثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناسُ حفاةً عُراة غُرْلًا، قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان»، فقلتُ: يا رسول الله، واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «قد شُغِلَ الناس، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه»[5].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٤٩)، وابن سعد في «الطبقات»: (٣/ ٣٢٧)، والطبري: (٣٠/ ٥٩، ٦١)، وصححه الحاكم: (٢/ ٥١٤). وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) عزوه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «الشُّعب» والخطيب. وانظر: «الكافي الشاف»: ص١٨٢.
قال ابن كثير بعد أن ساق رواية الطبري (٤/ ٤٧٤): (وهذا إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلَّا فهو كل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض كقوله: «فأنبتنا . . .» الآية).

(٣) زيادة من «ب».

(٤) انظر: ابن كثير: (٤/ ٤٧٤).

(٥) أخرجه الحاكم: (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢٣) عزوه للطبراني وابن مردويه والبيهقي.
قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٣٣): (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عياش وهو ثقة)، وذكره الهيثمي في «المجمع» من رواية الطبراني وقال: (رواته ثقات). وزاد في «الكنز» عزوه لابن مردويه في «البعث»: (١٤/ ٣٦٣).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مشرقة مضيئة.

﴿ضَاحِكَةٌ﴾ بالسرور ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ فرحة بما نالت من كرامة الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ سواد وكآبة الهم والحزن[1].

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف، قال ابن عباس: تغشاها ذلة، قال ابن زيد: الفرق بين الغبرة والقترة: أن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء، والغبرة ما كان أسفل في الأرض.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يصنع بهم هذا ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ جمع الكافر والفاجر.

* * *

(١) ساقط من «ب».

سورة التَّكْوِير

مكية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سهل السرخسي إملاءً، أخبرنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا عبد الله بن بحير القاضي قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد الصنعاني قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ: إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ»[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أظلمت، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: ذهب ضوؤها، وقال سعيد بن جبير: غوِّرت، وقال مجاهد: اضمحلت، وقال الزَّجَّاج: لُفَّتْ كما تلف العمامة، يقال: كورت العمامة على رأسي، أكورها كورًا، وكورتها تكويرًا، إذا لففتها، / ١٨٥/ب
وأصل التكوير: جمع بعض الشيء إلى بعض، فمعناه: أن الشمس يجمع بعضُها إلى بعض ثم تلف، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها[٣].

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة «إذا الشمس كورت» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة التكوير: (٩/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣)، والإمام أحمد: (٢/ ٣٧)، وصححه الحاكم: (٢/ ٥١٥) ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢٦) عزوه لابن المنذر وابن مردويه.

(٣) ذكر هذه الأقوال ابن جرير: (٣٠/ ٩٤ ـ ٩٥)، ثم قال مرجحًا: (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: «كورت» كما قال الله جل ثناؤه، والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكارة، وهو جمع الثياب بعضها إلى بعض، لفها، وكذلك قوله: «إذا الشمس كورت» إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤها فعلى التأويل الذي تأولناه وبيناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كورت ورمي بها ذهب ضوؤها).

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾

قال ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة[1] في البحر، ثم يبعث عليها ريحًا دبورًا فتضربها فتصير نارًا[2].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، حدثنا عبد الله الداناج، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر يكوَّران يوم القيامة»[3].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي: تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائر، أي: سقط عن عشه، قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجومًا فلا يبقى نجم إلّا وقع.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ قلعت[4] عن وجه الأرض فصارت هباءً منثورًا[5].

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، واحدتها: عُشَراء، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة، وهي أنفس مال عند العرب، «عُطِّلت»: تركت مهملة[6] بلا راع، أهملها أهلها، وكانوا لازمين لأذنابها، ولم يكن لهم مال أعجب إليهم منها، لما جاءهم من أهوال يوم القيامة.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ يعني: دواب البر ﴿حُشِرَتْ ۝٥﴾ جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: حَشْرُها: موتها، وقال: حَشر كل شيء الموتُ، غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة، وقال أُبيُّ بن كعب: اختلطت.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، قال ابن عباس: أوقدت فصارت نارًا تضطرم، وقال مجاهد ومقاتل: يعني: فجر بعضها في بعض، العذب والملح، فصارت البحور كلها بحرًا واحدًا، وقال الكلبي: ملئت، وهذا أيضًا معناه: «وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ»[الطور: ٦]، والمسجور: المملوء، وقيل: صارت مياهها بحرًا واحدًا من الحميم لأهل النار، وقال الحسن: يبست، وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤه فلم يبق فيها قطرة.

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢٦) لابن أبي الدنيا في «الأهوال» وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة».
(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر: (٦/ ٢٩٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١١٥-١١٦).
(٤) زيادة من «ب». (٥) في «ب»: (منبثًا). (٦) في «ب»: (هملًا).

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾

وروى أبو العالية عن أُبيّ بن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، (فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم)[1]، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحش، وماج بعضهم في بعض، فذلك قوله: «وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ» اختلطت[1] «وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ»، قال: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، (وانشقت السماء انشقاقة واحدة)[1] إلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم[2].

وعن ابن عباس أيضًا قال: هي اثنتا عشرة خصلة، ستة في الدنيا وستة في الآخرة، وهي ما ذكره بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

وروى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: يقرن الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار[3]، وهذا معنى[4] قول عكرمة.

وقال الحسن وقتادة: ألحق كل امرىء بشيعته، اليهودي باليهودي، والنصراني بالنصراني.

قال الربيع بن خثيم: يحشر الرجل مع صاحب عمله، وقيل: زوجت النفوس بأعمالها.

وقال عطاء: ومقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين.

وروي عن عكرمة قال: وإذا النفوس زوجت ردت الأرواح في الأجساد[5].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ وهي الجارية المدفونة حية، سميت بذلك؛ لما يطرح عليها من التراب فيؤدها، أي: يثقلها حتى تموت، وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة، يقال: (أود هذا، ليس بصحيح من حيث البناء؛ لأن الموءودة من الوأد لا من الأود، يقال)[1]: وَأَدَ يئدُ وأدًا، فهو وائد، والمفعول موءود.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٦٣ ـ ٦٤) موقوفًا على أبي. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢٧) لابن أبي الدنيا في «الأهوال» وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٦٩). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢٩) لابن مردويه.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) ساق ابن جرير: (٣٠/ ٧٠ ـ ٧١) أقوالًا في الآية، ثم قال: (وأولى التأولين في ذلك بالصحة الذي تأوله عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ للعلة التي اعتل بها، وذلك قول الله تعالى ذِكْرُه: «وكنتم أزواجًا ثلاثة»، وقوله: «احشروا الذين ظلموا وأزواجهم»، وذلك لا شك الأمثال والأشكال في الخير والشر، وكذلك قوله: «وإذا النفوس زوجت» بالقرناء والأمثال في الخير والشر).

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾

روى عكرمة عن ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلامًا حبسته[1].

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما، وأبو جعفر يقرأ «قتّلت» بالتشديد، ومعناه: تُسأل الموءودة، فيقال لها: بأي ذنب قُتِلتِ؟ ومعنى سؤالها: توبيخ قاتلها؛ لأنها تقول: قُتلتُ بغير ذنب.

وروي أن جابر بن زيد كان يقرأ «وإذا الموءودة سَألَتْ * بأي ذنب قتلت»، ومثله قرأ أبو الضحى.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب «نشرت بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، كقوله: «بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيِٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ»[المدثر: ٥٢]، يعني: صحائف الأعمال تنشر للحساب.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ قال الفرَّاء: نزعت فطويت[2]، وقال الزَّجَّاج: قلعت كما يقلع السقف، وقال مقاتل: تكشف عمن فيها، ومعنى «الكشط» رفعك شيئًا عن شيء قد غطاه، كما يكشط الجلد عن السنام.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾ قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم «سُعِّرت» بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، أي: أوقدت لأعداء الله.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ قُرِّبت لأولياء الله.

﴿عَلِمَتۡ﴾ عند ذلك ﴿نَفۡسٞ﴾ أي: كل نفس ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ من خير أو شر، وهذا جواب لقوله: «إذا الشمس كورت» وما بعدها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥﴾ «لا» زائدة، معناه: أقسم بالخنس ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتُخفى فلا تُرى.

وعن علي أيضا: أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس تأوي إلى مجاريها.

وقال قوم: هي النجوم الخمسة: زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد، تخنس في مجراها، أي: ترجع وراءها، وتكنس: تستتر وقت اختفائها وغروبها، كما تكنس الظباء في مغارها.

وقال ابن زيد: معنى «الخنس» أنها تخنس، أي: تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخرًا تتأخره عن تعجيل
١/١٨٦ ذلك الطلوع، تخنس عنه، و«الكُنَّس»، / أي: تكنس بالنهار فلا ترى.

---

(١) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٢٨).
(٢) «معاني القرآن» للفرّاء: (٣/ ٢٤١).

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ
مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣﴾

وروى الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله أنها هي الوحش.

وقال سعيد بن جبير: هي الظباء، وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

وأصل الخنوس: الرجوع إلى وراء، والكنوس: أن تأوي إلى مكانسها، وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾ قال الحسن: أقبل بظلامه، وقال الآخرون: أدبر، تقول العرب: عسعس الليل، وسعسع: إذا أدبر ولم يبق منه إلَّا اليسير.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ أقبل وبدا أوله، وقيل: امتد ضوؤه وارتفع.

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾ يعني: جبريل، أي: نزل به جبريل عن الله تعالى.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وكان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه إلى أقصى[1] جبل بالهند، وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطير[2] ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠﴾ في المنزلة.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي: في السموات[3] تطيعه الملائكة، ومِنْ طاعة الملائكة إياه: أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ، وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله ﴿أَمِينٖ ۝٢١﴾ على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢﴾ يقول لأهل مكة: وما صاحبكم - يعني: محمدًا ﷺ - بمجنون، وهذا أيضًا من جواب القسم، أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمدًا ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا: إنه مجنون، وما يقول بقوله من عند نفسه.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ يعني: رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣﴾ وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق، قاله مجاهد وقتادة.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «ب»: (من الطرف).

(٣) في «ب»: (السماء).

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا الحسن بن عليوة، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، أخبرنا ابن جريج، عن عكرمة ومقاتل[١]، عن ابن عباس: قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء»، قال: لن تقوى على ذلك، قال: «بلى»، قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: «بالأبطح»، قال: لا يسعني، قال: «فهاهنا»، قال: لا يسعني، قال: «فبعرفات»، قال: ذلك بالحري أن يسعني فواعده، فخرج النبي ﷺ في الوقت فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ كبَّر وخرَّ مغشيًا عليه، قال: فتحول جبريل في صورته فضمه إلى صدره، وقال: يا محمد، لا تخف، فكيف لك لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وأن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانًا من مخافة الله عزَّ وجلَّ حتى يصير مثل الصعو[٢] يعني: العصفور، حتى ما يحمل عرش ربك إلَّا عظمته[٣].

﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: الوحي، وخبر السماء، وما اطلع عليه مما كان غائبًا عنه من الأنباء والقصص ﴿بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالظاء، أي: بمتَّهم، يقال: فلان يظن بمال ويزن، أي: يُتَّهم به، والظنة: التهمة، وقرأ، وقرأ الآخرون بالضاد، أي: يبخل، يقول: إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانًا، تقول العرب: ضننت بالشيء بكسر النون أَضِنُّ به ضِنًّا وضِنانةً فأنا به ضَنينٌ، أي: بخيل.

﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ قال الكلبي: يقول: إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (الوضغ)، ولعله وقع تصحيف في النسختين للاسم الصحيح للعصفور الصغير: (الوَصَع) بمهملتين كما في «المصباح».

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ سأل جبريل . . . وهذا منقطع.
وذكره السيوطي في «الحبائك في أخبار الملائك»: ص٢٢.
وفيه إسماعيل بن عيسى ضعيف، وكذلك إسحاق بن بشر، قال فيه ابن حبان: لا يحلّ حديثه إلَّا على جهة التعجب، وقال الدارقطني: (متروك)، وقال الذهبي: (يروي العظائم عن ابن إسحاق وابن جريج).
انظر: «الضعفاء» لابن حبان: (١/ ٣٧)، «الميزان»: (١/ ١٨٤).

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: أين تعدلون عن هذا القرآن، وفيه الشفاء والبيان؟ قال الزَّجَّاج: أيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم.

ثم بيَّن فقال: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ موعظة للخلق أجمعين.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: يتبع الحق ويقيم عليه.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلَّا بمشيئة الله، وفيه إعلام أن أحدًا لا يعمل خيرًا إلَّا بتوفيق الله ولا شرًّا إلَّا بخذلانه.

* * *

سورة الانفطار

مكية(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ انشقت.

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ تساقطت.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ فُجّر بعضها في بعض، واختلط العذب بالملح، فصارت بحرًا واحدًا، وقال الربيع: «فجرت»: فاضت.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ بحثت وقلب ترابها، وبعث ما فيها من الموتى أحياءً، يقال: بعثرت الحوض وبحثرته، إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ قيل: «ما قدمت» من عمل صالح أو سيىء، و«أخرت» من سنة حسنة أو سيئة، وقيل: «ما قدمت» من الصدقات، و«أخرت» من التركات، على ما ذكرنا في قوله: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[القيامة: ١٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ ما خدعك وسوّل لك الباطل حتى أضعت ما وجب عليك، والمعنى: ماذا أمنّك من عذابه(٢)؟ قال عطاء: نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في الأسود بن شريق ضرب النبي فلم يعاقبه الله عزَّ وجلَّ، فأنزل الله هذه الآية(٣) يقول: ما الذين غرك بربك الكريم المتجاوز عنك إذ لم يعاقبك عاجلًا بكفرك؟ قال قتادة: غرَّه عدوه

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت «إذا السماء انفطرت» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٤/٤٣٧).

(٢) في «ب»: (عقابه).

(٣) عزاه ابن كثير في «تفسيره»: (٤/٤٨٢) للبغوي.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾

المُسَلَّط عليه، يعني: الشيطان، قال مقاتل: غرَّه عفو الله حين لم يعاقبه في أول مرة[(١)]، وقال السدي: غرَّه رفق الله به.

١٨٦/أ وقال ابن مسعود: ما منكم من / أحد إلَّا سيخلو الله به يوم القيامة، فيقول: يا ابن آدم ما غرَّك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت[(٢)]؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟

وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله يوم القيامة فقال: ما غرَّك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: أقول غرني ستورك المرخاة[(٣)].

وقال يحيى بن معاذ: لو أقامني بين يديه فقال ما غرَّك بي؟ فأقول[(٤)]: غرني بك بِرُّك بي سالفًا وآنفًا.

وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرَّك بربك الكريم؟ لقلت: غرني كرم الكريم.

قال بعض أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة حتى يقول: غرني كرم الكريم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر «فَعَدَلَك» بالتخفيف، أي: صرفك وأمالك إلى أي صورةٍ شاء حسنًا وقبيحًا وطويلًا وقصيرًا، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي: قوَّمك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ قال مجاهد والكلبي ومقاتل: في أي شبهٍ من أب أو أم أو خال أو عم.

وجاء في الحديث: أن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ: «فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ»[(٥)].

وذكر الفرَّاء قولًا آخر: «فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ»، إن شاء في صورة إنسان، وإن شاء في صورة دابة، أو حيوان آخر.

---

(١) في «ب»: (أمره).
(٢) في «أ»: (عملت).
(٣) انظر: ابن كثير: (٤/ ٤٨٤).
(٤) في «ب»: (قلت).
(٥) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٨٧). وساقه ابن كثير من رواية الطبري: (٤/ ٤٨٢)، وقال: (هكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به. وهذا الحديث لو صح لكان فيصلًا في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت؛ لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث، وقال ابن حبان في «الضعفاء» (٣/ ٢٦): يروي عن موسى بن علي، روى عنه أبو همام الوليد بن شجاع، منكر الحديث، يأتي عن موسى بن علي ما لا يتابع عليه وعن غيره من الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات).
قال الهيثمي (٧/ ١٣٥): (رواه الطبراني، وفيه مطهر بن الهيثم وهو متروك).

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا
بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ
لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ قرأ أبو جعفر بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء؛ لقوله: «إن عليكم لحافظين» ﴿بِالدِّينِ ﴿٩﴾﴾ بالجزاء والحساب.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ من خيرٍ أو شرٍّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ الأبرار الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله عزَّ وجلَّ واجتناب معاصيه.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ روي أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم المدني: ليت شعري، ما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم مالك عند الله، قال: فأين أجد في كتاب الله؟ قال عند قوله: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ»، قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: «قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»[الأعراف: ٥٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ يدخلونها يوم القيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

ثم عظَّم ذلك اليوم فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ ثم كرر تعجبًا لشأنه فقال:

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾ قرأ أهل الكوفة والبصرة «يومُ» برفع الميم، ردًّا على اليوم الأول، وقرأ الآخرون بنصبها، أي: في يوم، يعني: هذه الأشياء في يوم لا تملك ﴿نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ قال مقاتل: يعني: لنفس كافرة شيئًا من المنفعة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ أي: لم يُملِّكِ اللهُ في ذلك اليوم أحدًا شيئًا كما ملَّكهم في الدنيا.

* * *

سورة المُطففين

مدنية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ يعني: الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس، قال الزَّجَّاج: إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان: مطفف؛ لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلَّا الشيء اليسير الطفيف.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد علي الصيرفي، حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، حدثنا عبد الرحمن بن بشر، حدثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلًا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ»، فأحسنوا الكيل(٢).

وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية(٣).

فالله تعالى جعل الويل للمطففين، ثم بيَّـن أن المطففين مَنْ هم فقال:

---

(١) أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة المطففين بمكة.
وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله.
وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال: آخر ما أنزل بمكة سورة المطففين.
وأخرج ابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: أول ما نزل بالمدينة: «ويل للمطففين». انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٤١).

(٢) أخرجه النسائي في «التفسير»: (٢/ ٥٠٢)، وابن ماجه في التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن برقم٢٢٢٣: (٢/ ٧٤٨)، والطبري: (٣٠/ ٩١)، والواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٢٠)، وصححه الحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٣٣) ووافقه الذهبي، وابن حبان في «موارد الظمآن» برقم١٧٧٠: ص٤٣٨. وانظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٤١)، وقد زاد عزوه للطبراني وابن مردويه والبيهقي في «الشعب».
وانظر: «الكافي الشاف»: ص١٨٢، «الصحيح المسند من أسباب النزول»: ص١٧٠.

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي: ص٥٢١، «مجمع الزوائد»: (٧/ ١٣٥).

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ وأراد إذا اكتالوا من الناس أي: أخذوا منهم، و«مِنْ» و«عَلى» متعاقبان. قال الزَّجّاج: المعنى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل والوزن[1]، (وأراد: الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن)[2].

﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾ أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم، أي: للناس، يقال: وزنتك حقك وكلتك طعامك، أي: وزنت لك وكِلت لك، كما يقال: نصحتك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك.

قال أبو عبيدة: وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين يقف على «كالوا» و«وزنوا» ويبتدىء «هم يخسرون»، وقال أبو عبيدة: والاختيار الأول[3]، يعني: أن كل واحدة كلمة واحدة؛ لأنهم كتبوها بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكانت: «كالوا» و[4] «وزنوا» بالألف كسائر الأفعال، مثل جاؤوا وقالوا، واتفقت المصاحف على إسقاط الألف؛ ولأنه يقال في اللغة: كلتك ووزنتك، كما يقال: كلت لك وزنت لك، «يخسرون» أي: ينقصون، قال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ يستيقن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يفعلون ذلك ﴿أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ يعني: يوم القيامة ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ (من قبورهم)[1] ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ أي: لأمره ولجزائه ولحسابه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، أخبرنا إبراهيم بن المنذر، أخبرنا معن، حدثني مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»[5].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، حدثنا محمد بن يعقوب الكسائي، حدثنا عبد الله بن محمود، حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) في «أ»: (الأولى).

(٤) في «ب»: (أو).

(٥) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة المطففين: (٨/ ٦٩٦)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة يوم القيامة أعاذنا الله من أهوالها برقم ٢٨٦٢: (٤/ ٢١٩٥).

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾

عبد الله بن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: (حدثني سليم بن عامر)[1] حدثني المقداد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر[1] / ميل أو اثنين» ـ قال سليم: لا أدري أي الميلين يعني: مسافة الأرض أو الميل الذي تكحل به العين؟ ـ ١/١٨٧
قال: «فتصهرهم الشمس فيكون في العَرَق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا»، فرأيت رسول الله ﷺ وهو يشير بيده إلى فيه يقول: «ألجمه إلجامًا»[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ ردع، أي: ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا، وتمام الكلام هاهنا، وقال الحسن: «كلا» ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقًا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ الذي كتبت فيه أعمالهم ﴿لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ قال عبد الله بن عمر وقتادة ومجاهد والضحاك: «سِجِّينٍ»: هي الأرض السابعة السفلى، فيها أرواح الكفار.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد، حدثنا الحسن بن علويه، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا المسيب، حدثنا الأعمش، عن المنهال، عن زاذان، عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «سجين: أسفل سبع أرضين، وعلّيّون: في السماء السابعة تحت العرش»[3].

وقال شمر بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال: أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: «إن كتاب الفجار لفي سجين»، قال: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبل فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو موضع جند إبليس، فيخرج لها من سجين رقٌّ فيرقم ويختم، ويوضع تحت جند إبليس، لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة[4]، وإليه ذهب سعيد بن جبير، قال: سجين تحت جند إبليس.

---

(١) في «ب»: (قيد).

(٢) أخرجه مسلم في الجنة، باب صفة يوم القيامة برقم ٢٨٦٤: (٤/ ٢١٩٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد مطولًا: (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، وفيه: «... فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ...»، والطيالسي في «مسنده»: ص١٠٢. وأخرجه مختصرًا: أبو داود في الجنائز، باب الجلوس عند القبر: (٤/ ٣٣٧)، والنسائي في الجنائز، باب الوقوف للجنائز: (٤/ ٧٨)، وصححه الحاكم مطولًا في «المستدرك»: (١/ ٣٧ ـ ٣٨)، وساق له شواهد.
وقال ابن القيم في «تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧): (وقد أعلّه أبو حاتم بن حبان بأن قال: زاذان لم يسمع من البراء، وهذه العلة فاسدة، فإن زاذان قال: سمعت البراء بن عازب يقول ـ فذكره ـ ذكره أبو عوانة الإسفرايني في «صحيحه»، وأعله ابن حزم بضعف المنهال بن عمرو، وهذه علة فاسدة، فإن المنهال ثقة صدوق، وقد صححه أبو نعيم وغيره).

(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٩٥)، وشيخ الطبري فيه ضعف.

=

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾

وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السفلى، وفيها إبليس وذريته. وقال الكلبي: هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء خضرة السموات، منها يجعل كتاب الفجار فيها.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضًا قال: «سجين» صخرة تحت الأرض السفلى، تقلب فيجعل كتاب الفجار فيها، وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس.

وجاء في الحديث: «الفلق جبٌّ في جهنم مغطى، وسجين جب في جهنم مفتوح»[1].

وقال عكرمة: «لفي سجين»، أي: لفي خسار وضلال، وقال الأخفش: هو فعيل من السجن، كما يقال: فسيق وشريب، معناه: لفي حبس وضيق شديد.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨﴾ (قال الزَّجّاج)[2]: أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩﴾ ليس هذا تفسير السِّجِّين، بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: «إن كتاب الفجار»، أي: هو كتاب مرقوم، أي: مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به، وقال قتادة ومقاتل: رقم عليه بشركاته كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه كافر، وقيل: مختوم، بلغة حِمْيَر.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾.

﴿كَلَّاۖ﴾ قال مقاتل: أي: لا يؤمنون، ثم استأنف: ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾.

= وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٤٣) لابن المبارك في «الزهد» وعبد بن حميد وابن المنذر.

(١) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٩٦).
قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٤٨٦): (حديث غريب منكر لا يصح . . . والصحيح أن سجينًا مأخوذ من السجن وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منه اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الأرضون، كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى: «ثم رددناه أسفل سافلين، إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات»، وقال هاهنا: «كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين» وهو يجمع بين الضيق والسفول).

(٢) ساقط من «أ».

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي، حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا إبراهيم بن حزيم الشاشي، أخبرنا أبو محمد عبد[1] بن حميد الكَشي، حدثنا صفوان بن عيسى، عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ»»[2].

وأصل «الرين»: الغلبة، يقال: رانت الخمرُ على عقله تَرِينُ رَيْنًا وريونًا إذا غلبت عليه فسكر، ومعنى الآية، غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها، قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب، قال ابن عباس: «ران على قلوبهم»: طبع عليها.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ (قال ابن عباس: «كلا» يريد: لا يصدقون، ثم استأنف فقال: «إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون»)[3]، قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون[4]، وقال قتادة: هو ألا ينظر إليهم ولا يزكيهم، وقال أكثر المفسرين: عن رؤيته.

قال الحسن: لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا.

قال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته.

وسئل مالك عن هذه الآية فقال: لما حجب الله[5] أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه.

وقال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ في قوله: «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون»: دلالة على أن أولياء الله يرون الله[6].

---

(١) في «الأصل»: (عبد الله).

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة المطففين: (٩/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٥٠٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» برقم ٤١٨: ص٣١٧، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر الذنوب برقم ٤٢٤٤: (٢/ ١٤١٨)، والإمام أحمد: (٢/ ٢٩٧)، والطبري: (٣٠/ ٩٨)، وصححه الحاكم: (٢/ ٥١٧) ووافقه الذهبي، وابن حبان برقم ١٧٧١: ص٤٣٩، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ٨٩).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) في «ب»: (ممنوعون).

(٥) لفظ الجلالة ساقط من «ب».

(٦) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٤٨٧): (وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»، وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عزَّ وجلَّ في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة).

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال:

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ لداخلو النار.

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ أي: تقول لهم الخزنة ﴿هَٰذَا﴾ أي: هذا العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿كَلَّا﴾ قال مقاتل: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه.

ثم بيَّن محل كتاب الأبرار فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ روينا عن البراء مرفوعًا: «إن عليين في السماء السابعة تحت العرش»[1].

وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه.

وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى.

وقال عطاء عن ابن عباس: هو الجنة، وقال الضحاك: سدرة المنتهى.

وقال بعض أهل المعاني: علو بعد علو، وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون.

وقال الفراء: هو اسم موضوع على صيغة الجمع، لا واحد له من لفظه، مثل عشرين وثلاثين[2].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ ليس بتفسير عليين، أي: مكتوب أعمالهم، كما ذكرنا في كتاب الفجار، وقيل: كتب هناك ما أعد الله لهم من الكرامة، وهو معنى قول مقاتل، وقولهم: رقم لهم بخير، وتقدير الآية على[3] التقديم والتأخير، مجازها: إنَّ كتاب الأبرار كتاب[4] مرقوم في عليين، وهو محل الملائكة، ومِثله: إن كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين، وهو محل إبليس وجنده.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ يعني: الملائكة الذين هم في عليين، يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين.

١٨٧/ب ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلى ما أعطاهم / الله من الكرامة والنعمة، وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون.

---

(١) انظر: فيما سبق تخريج حديث البراء عند الآية السابعة من السورة: ص٥٧٣.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٢٤٧).

(٣) ليست في النسختين، والسياق يقتضيها.

(٤) زيادة من «ب».

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض، قال الحسن: النضرة في الوجه والسرور في القلب، قرأ أبو جعفر ويعقوب «تُعْرَف» بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل «نُضْرَةُ» رفع، وقرأ الباقون بفتح التاء وكسر الراء «نضرةَ» نصب.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ﴾ خمر صافية طيبة، قال مقاتل: الخمر البيضاء ﴿مَّخۡتُومٍ ٢٥﴾ ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار، وقال مجاهد: «مختوم»، أي: مطين.

﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ أي: طينه ﴿مِسۡكٞۚ﴾ كأنه ذهب إلى هذا المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك، وختام خمر[(١)] الدنيا طين، وقال ابن مسعود: «مختوم»، أي: ممزوج ختامه، أي: آخر طعمه وعاقبته مسك، فالمختوم الذي له ختام، أي: آخر، وخَتْمُ كلِّ شيءٍ الفراغ منه، وقال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك.

وقراءة العامة «ختامه مسك» بتقديم التاء، وقرأ الكسائي «خاتمه» وهي قراءة علي وعلقمة، ومعناهما واحد، كما يقال: فلان كريم (الطابع والطباع)[(٢)] والختام والخاتم، آخر كل شيء.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ، وقال مجاهد: فليعمل العاملون، (نظيره: قوله تعالى: «لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ»[الصافات: ٦١])[(١)]، وقال مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون، وقال عطاء: فليستبق المستبقون، وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويريده كل أحد لنفسه، وينفس به على غيره، أي: يضِنُّ.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾ شرب ينصبُّ عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم، وقيل: يجري (في الهواء متسنمًا فينصبّ)[(٣)] في أواني أهل الجنة على قدر ملئها، فإذا امتلأت أمسك، وهذا معنى قول قتادة.

وأصل الكلمة من العلو، يقال للشيء المرتفع: سنام، ومنه: سنام البعير، قال الضحاك: هو شراب اسمه تسنيم، وهو أشرف الشراب.

قال ابن مسعود وابن عباس: هو خالص للمؤمنين[(٣)] المقربين يشربونها صرفًا ويمزج لسائر أهل الجنة، وهو قوله: «وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ».

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) في «أ»: (الطبع والطابع)، والصواب ما أثبتناه من «ب»، وهو عند الفرَّاء كذلك: (٣/ ٢٤٨).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سئل عن قوله: «من تسنيم»؟ قال: هذا مما قال الله تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ»[السجدة: ١٧] (١).

﴿عَيْنًا﴾ نصبٌ على الحال ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي: منها، وقيل: يشرب بها ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ صرفًا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أشركوا، يعني: كفار قريش: أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل وأصحابهم من مترفي مكة ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين ﴿يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ وبهم يستهزئون.

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ﴾ يعني: من فقراء المؤمنين بالكفار ﴿يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي: يشيرون إليهم بالأعين استهزاءً.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾ يعني: الكفار ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ معجبين بما هم فيه، يتفكهون بذكرهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ رأوا أصحاب النبي ﷺ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ يأتون محمدًا ﷺ يرون أنهم على شيء ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾ يعني: المشركين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ أعمالهم، أي: لم يوكلوا بحفظ أعمالهم.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ قال أبو صالح: وذلك أنه يفتح للكفار في النار أبوابها، ويقال لهم: اخرجوا، فإذا رأوها مفتوحة أقبلوا إليها ليخرجوا، والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، يفعل ذلك بهم مرارًا والمؤمنون يضحكون.

وقال كعب: بين الجنة والنار كُوَى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوٍّ له كان في الدنيا، اطلع عليه من تلك الكوى(٢)، كما قال: «فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ»[الصافات: ٥٥]، فإذا اطلعوا من الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: «فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ».

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٥٢) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٥٧)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٥٣) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ (من الدر والياقوت)[1] ﴿يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إليهم في النار.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ هل جُوزي ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: جزاء استهزائهم بالمؤمنين، ومعنى الاستفهام هاهنا: التقرير، وثوب وأثيب[1] وأصاب بمعنى واحد.

* * *

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

سورة الانشقاق

مكية[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ انشقاقها من علامات القيامة.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الأَذَنِ وهو الاستماع ﴿وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ أي: وحق لها أن تطيع ربها.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ مدّ الأديم العكاظي، وزيد في سعتها، وقال مقاتل: سُوِّيت كمدِّ الأديم، فلا يبقى فيها بناء ولا جبل.

﴿وَأَلْقَتْ﴾ أخرجت ﴿مَا فِيهَا﴾ من الموتى والكنوز ﴿وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ خلت[2] منها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ واختلفوا في جواب «إذا»، قيل: جوابه محذوف، تقديره: إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب.

وقيل: جوابه: «يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ»، ومجازه: إذا السماء انشقت لقي كل كادح ما[2] عمله.

وقيل: جوابه: «وَأَذِنَتْ»، وحينئذ تكون «الواو» زائدة.

ومعنى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: ساعٍ إليه في عملك، والكدح: عمل الإنسان وجهده في الأمر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه، أي: يؤثر، وقال قتادة والكلبي والضحاك: عامل لربك عملًا ﴿فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾﴾ أي: ملاقي جزاء عملك خيرًا كان أو شرًّا.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ» بمكة. انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٤).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝١٥﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ ديوان أعماله[1] ﴿بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا نافع، عن ابن عمر، حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلَّا راجعت فيه حتى تعرفه، قالت: قال النبي ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّب»، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلت: يا رسول الله، أوليس يقول الله عزَّ وجلَّ: فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا»؟ قالت: فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نُوقش (في الحساب هلك)[2]»[3].

١٨٨/أ ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ يعني: في الجنة من الحور العين والآدميات ﴿مَسْرُورًا ۝٩﴾ / بما أوتي من الخير والكرامة.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠﴾ فتغلُّ يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١﴾ ينادي بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه فيقول: يا ويلاه يا ثبوراه، كقوله تعالى: «دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا»[الفرقان: ١٣].

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ قرأ أبو جعفر وأهل البصرة وعاصم وحمزة و«يَصْلى» بفتح الياء خفيفًا، كقوله: «يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ»[الأعلى: ١٢]، وقرأ الآخرون بضم الياء (وفتح الصاد)[4] وتشديد اللام كقوله: «وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ»[الواقعة: ٩٤]، «ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ»[الحاقة: ٣١].

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝١٣﴾ يعني: في الدنيا، باتباع هواه وركوب شهوته.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ أن لن يرجع إلينا ولن يبعث، ثم قال: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: ليس كما ظن، بل يحور إلينا ويبعث ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝١٥﴾ من يوم خلقه إلى أن بعثه.

---

(١) في «ب»: (عمله).

(٢) في «ب»: (الحساب يهلك).

(٣) أخرجه البخاري في العلم، باب من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه: (١/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، وفي تفسير سورة الانشقاق، وفي الرقاق، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب برقم ٢٨٧٦: (٤/ ٢٢٠٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٣١).

(٤) ساقط من «أ».

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾ قال مجاهد: هو النهار كله، وقال عكرمة: ما بقي من النهار، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في الأُفق بعد غروب الشمس، وقال قوم: هو بياض الذي يعقب تلك الحمرة.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ اجتمع أي: جمع وضمَّ، يقال: وسقته أسقه وسقًا، أي: واستوسقت الإبل: إذا اجتمعت وانضمت، والمعنى: والليل وما جمع وضمَّ ما كان بالنهار منتشرًا من الدواب، وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه، روى منصور عن مجاهد قال: ما لف وأظلم عليه، وقال مقاتل ابن حيان: أقبل من ظلمة أو كوكب، وقال سعيد بن جبير: وما عمل فيه.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ اجتمع واستوى وتم نوره وهو في الأيام البيض، وقال قتادة: استدار، وهو افتعل من الوَسْق الذي هو الجمع.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ قرأ أهل مكة وحمزة والكسائي «لتركَبَنَّ» بفتح الباء، يعني: لتركبن يا محمد ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ قال الشعبي ومجاهد: سماء بعد سماء، قال الكلبي: يعني: تصعد فيها، ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والرفعة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا سعيد بن النضر، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد قال: قال ابن عباس: «لتركبن طبقًا عن طبق» حالًا بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ[(١)].

وقيل: أراد به السماء تتغير لونًا بعد لون، فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل، وتنشق بالغمام مرة وتطوى أخرى، وقرأ الآخرون بضم الباء؛ لأن المعنى بالناس أشبه؛ لأنه ذكر من قبل: «فأما من أوتي كتابه بيمينه» وشماله، وذكر من بعد: «فما لهم لا يؤمنون»، وأراد: لتركبُنَّ حالًا بعد حال، وأمرًا بعد أمر في موقف القيامة، يعني: الأحوال تنقلب بهم، فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا، و«عن» بمعنى «بعد».

وقال مقاتل: يعني: الموت ثم الحياة (ثم الموت ثم الحياة)[(٢)].

وقال عطاء: مرة فقيرًا ومرة غنيًا، وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: يعني: الشدائد وأهوال الموت، ثم البعث ثم العرض، وقال عكرمة: حالًا بعد حال، رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ، وقال أبو عبيدة: لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الانشقاق: (٨/٦٩٨).
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عبد العزيز، أخبرنا أبو عمرو الصنعاني من اليمن، عن زيد بن أسلم، عن عطاء ابن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان[(١)] قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لتبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ»[(٢)]؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾؟ استفهام إنكار.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ قال الكلبي ومقاتل: لا يصلُّون.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أيوب بن موسى، عن عطاء بن مينا، عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في «اقرأ باسم ربك»، و«إذا السماء انشقت»[(٣)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا مسدد، أخبرنا معمر قال: سمعت أبي قال: حدثني بكر، عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت، فسجد فقلت: ما هذا؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه[(٤)].

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بالقرآن والبعث ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ في صدورهم من التكذيب، قال مجاهد: يكتمون ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ غير مقطوع ولا منقوص.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»: (١٣/ ٣٠٠) وفي الأنبياء، ومسلم في العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى برقم٢٦٦٩: (٤/ ٢٠٥٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٣٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب في السجدة: (٣/ ١٦٥)، ومسلم في المساجد، باب سجود التلاوة برقم٥٧٨: (١/ ٤٠٦)، وأبو داود في الصلاة، باب السجود في «إذا السماء انشقت»: (٢/ ١١٨)، والنسائي في سجود القرآن، باب السجود في «اقرأ باسم ربك»: (٢/ ١٦١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٣٠١).

(٤) أخرجه البخاري في سجود التلاوة، باب «من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها»: (٢/ ٥٥٩)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة برقم٥٧٨: (١/ ٤٠٧).

سورة البُروج

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ هو يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عبد الله بن موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود: يوم القيامة، والمشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة، ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرًا إلَّا استجاب الله له، أو يستعيذ به[٢] من شرٍّ إلَّا أعاذه منه»[٣]، وهذا قول ابن عباس.

والأكثرون: أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم النحر.

وروي عن ابن عمر: «الشاهد»: يوم الجمعة، و«المشهود»: يوم النحر[٤][٥].

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس والبيهقي وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت «والسماء ذات البروج» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٦١).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة البروج: (٩/ ٢٥٨)، وقال: (هذا حديث لا نعرفه إلَّا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعَّف في الحديث، ضعفه يحيى بن معين من قبل حفظه)، والطبري: (٣٠/ ١٢٨).

وذكره ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٤٩٢)، وقال: (هكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث، وقد روي موقوفًا على أبي هريرة وهو أشبه)، وأخرجه المصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٢٠٤).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ»، والأثر ذكره صاحب «زاد المسير»: (٩/ ٧١)، وفي «ب»: (عرفة).

(٥) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٣٠) عن ابن عباس، وفيه علي بن زيد. ورواه أيضًا عن الحسن بن علي - رضي الله عنه - في الموضع نفسه.

وأخرجه النسائي في «التفسير»: (٢/ ٥١٤). قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٣٦): (رواه البزار ورجاله ثقات).

قال الطبري مرجحًا (٣٠/ ١٣١): (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنيّ مما يستحق أن يقال له: «شاهد ومشهود»).

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾

قال سعيد بن المسيب: «الشاهد»: يوم التروية، و«المشهود»: يوم عرفة.

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: «الشاهد»: محمد ﷺ، و«المشهود»: يوم القيامة، ثم تلا: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[النساء: ٤١]، وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود[١].

١٨٨/ب وقال / عبد العزيز بن حيى: «الشاهد»: محمد ﷺ، و«المشهود»: الله عزَّ وجلَّ، بيانه: قوله: وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا».

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «الشاهد»: آدم، و«المشهود»: يوم القيامة.

وقال عكرمة: «الشاهد»: الإنسان، و«المشهود»: يوم القيامة، وعنه أيضًا: «الشاهد»: الملك يشهد على ابن آدم، و«المشهود»: يوم القيامة، وتلا: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[ق: ٢١]، و﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[هود: ١٠٣]، وقيل: «الشاهد»: (الحفظة، و«المشهود»: بنو آدم، وقال عطاء بن يسار: «الشاهد»)[٢]: آدم وذريته، و«المشهود»: يوم القيامة.

وروى الوالبي عن ابن عباس: «الشاهد»: هو الله عزَّ وجلَّ، و«المشهود»: يوم القيامة.

وقال الحسين بن الفضل: «الشاهد»: هذه الأمة، و«المشهود»: سائر الأمم، بيانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣].

وقال سالم بن عبد الله: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿وشاهد ومشهود﴾، فقال: «الشاهد»: هو الله، و«المشهود»: نحن، بيانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء: ٧٩]، وقيل: «الشاهد»: أعضاء بني آدم، و«المشهود»: ابن آدم، بيانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾[النور: ٢٤]، وقيل: «الشاهد»: الأنبياء، و«المشهود»: محمد ﷺ، بيانه: قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، إلى قوله: ﴿فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١].

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ أي: لعن، و«الأخدود»: الشق المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه: أخاديد، واختلفوا فيهم:

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله بن سعدان الخطيب، أخبرني أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن قريش بن نوح بن رستم، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا هُدْبَة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن

---

(١) انظر: التعليق السابق.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

أبي ليلى، عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه، فشكا ذلك[(١)] إلى الراهب، فقال: إذا جئت[(٢)] الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا جئت[(٢)] أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهبُ أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجرًا ثم قال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، فمضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أيْ بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فاصبر[(١)] فلا تدلَّ عليَّ، فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك وكان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي عزَّ وجلَّ، قال أوَلَكَ ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرىء به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، قال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجي بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى (فدعا بالمنشار)[(١)] فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقَّه به حتى وقع شقاه[(١)]، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلَّا فاطرحوه، (فذهبوا به)[(٣)] فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور (إلى لجة بحر كذا)[(٤)] فإن رجع عن دينه وإلَّا (فاطرحوه في البحر)[(٥)]، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله،

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) في «ب»: (خشيت).
(٣) ساقط من «ب».
(٤) في «ب»: (فتوسطوا به البحر).
(٥) في «ب»: (فاقذفوه).

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيدٍ واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: بسم الله[1] رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم[2] في كبد قوسه، ثم قال: بسم الله[1] رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثًا، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرُك، قد آمن الناسُ، فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخدت وأضرم بها النيران، وقال: مَن لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم، قال: ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّاه، اصبري فإنك على الحق».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن (هُدْبَةَ بن خالد عن)[3] حماد بن سلمة[4].

وذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: أن رجلًا كان قد بقي على دين عيسى فوقع إلى أهل نجران فدعاهم[3] فأجابوه، فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حِمْيَر، وخيَّرهم بين النار واليهودية، فأبوا عليه فخدَّ الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفًا، ثم لما[3] غلب أرياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربًا فاقتحم البحر بفرسه فغرق[5]، قال الكلبي: وذو نواس قتل عبد الله بن التامر.

وقال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر: أن خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعًا يده على ضربة في رأسه إذا أميطت يده عنها انبعثت دمًا، وإذا تركت ارتدت مكانها، وفي يده خاتم من حديد فيه: ربي الله، فبلغ ذلك عمر فكتب / أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه[6]. ١/١٨٩

وروى عطاء عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له: يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن شرحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ (بسبعين سنة)[3]، وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر، وكان أبوه سلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدًّا من طاعة أبيه، فجعل يختلف إلى المعلم وكان[3] في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت، فأعجبه ذلك ـ وذكر قريبًا من معنى حديث صهيب ـ إلى أن قال الغلام للملك: إنك لا تقدر على قتلي إلَّا أن تفعل ما أقول لك، قال: كيف أقتلك؟ قال: تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم باسم إلهي،

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) ساقط من «أ».
(٣) ساقط من «ب».
(٤) في كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام برقم٣٠٠٥: (٤/ ٢٢٩٩).
(٥) «سيرة ابن هشام»: (١/ ٣٢ـ٣٧). وانظر: «البداية والنهاية» لابن كثير: (٢/ ١١٩ ـ ١٢١)، «الكافي الشاف»: ص١٨٣.
(٦) انظر: «سيرة ابن هشام»: (١/ ٣٧ـ٣٨).

ففعل الملك ذلك[١] فقتله، فقال الناس: لا إله إلَّا الله، عبد الله بن تامر لا دين إلَّا دينه، فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وخدَّ أخدودًا وملأه نارًا ثم عرضهم رجلًا رجلًا فمن رجع عن الإسلام تركه، ومن قال: ديني دين عبد الله بن تامر ألقاه في الأخدود فأحرقه، وكان في مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاث أحدهم رضيع، فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلَّا ألقيتك وأولادك في النار، فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار، ثم قال لها: ارجعي عن دينك، فأبت فألقى الثاني في النار، ثم قال لها: ارجعي، فأبت فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهمت المرأة بالرجوع، فقال الصبي: يا أُماه، لا ترجعي (عن الإسلام)[١] فإنك على الحق، ولا بأس عليك، فألقي الصبي في النار، وألقيت أمه على أثره[٢].

وقال سعيد بن جبير وابن أبزى: لما انهزم أهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب: أي شيء يجري على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب؟ فقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: بلىٰ قد كان لهم كتاب، وكانت الخمر أُحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله، فتناول أُخته فوقع عليها، فلما ذهب عنه السكر ندم، وقال لها: ويحك، ما هذا الذي أتيت، وما المخرج منه؟ قالت: المخرج منه أن تخطب الناس، وتقول: إن الله قد أحل نكاح الأخوات، فإذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته، فقام خطيبًا فقال: إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات، فقال الناس بأجمعهم: معاذ الله أن نؤمن بهذا، أو نقرَّ به، ما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا فيه كتاب، فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فجرد فيهم السيف، فأبوا أن يقروا (فخدَّ لهم أُخدودًا)[٣] وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها، فمَن أبى ولم يطعه قذفه في النار، ومَن أجاب خلَّى سبيله[٤].

وقال الضحاك: أصحاب الأُخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالًا ونساءً فخدوا لهم أُخدودًا ثم أوقدوا فيه النيران فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: أتكفرون أم نقذفكم في النار؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما[٥].

وقال أبو الطفيل عن علي ـ رضي الله عنه ـ: كان أصحاب الأُخدود نبيهم حبشي، بعث نبي[١] من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾[غافر: ٧٨]، فدعاهم فتابعه أُناس فقاتلهم فقتل أصحابه وأخذوا وأوثق ما أفلت منهم فخدوا أُخدودًا فملؤوها نارًا فمن

(١) ساقط من «ب».
(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير: (٢/ ١٢١).
(٣) ساقط من «أ».
(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٣٢).
(٥) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٣٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٦٥) لابن المنذر.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

تبع النبي رُمي فيها، ومن تابعهم تركوه، فجاؤوا بامرأة ومعها صبي رضيع فجزعت، فقال الصبي: يا أُماه، مري ولا تنافقي.

وقال عكرمة: كانوا من النبط (أحرقوا بالنار)[1]، وقال مقاتل: كانت الأُخدود ثلاثة: واحدة بنجران باليمن، وواحدة بالشام، والأُخرى بفارس، حرقوا بالنار[2]، أما التي بالشام فهو أبطاموس الرومي، وأما التي بفارس فبختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو ذو نواس يوسف، فأما التي بالشام وفارس فلم يُنَزِّل الله فيهما قرآنًا، وأنزل في التي كانت بنجران[3]، وذلك أن رجلًا مسلمًا ممن يقرأ الإنجيل آجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه (فسأله فلم يخبره)[3]، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام، فتابعه هو وسبعة وثمانون إنسانًا من بين رجل وامرأة، وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخدَّ لهم في الأرض وأوقد فيها نارًا فعرضهم على الكفر، فمن أبى أن يكفر قذفه في النار، ومَن رجع عن دين عيسى لم يقذفه، وإن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار، فضُربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها: يا أُماه، إني أرى أمامك نارًا لا تطفأ، فلما سمعت ذلك قذفا جميعًا أنفسهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة، فقُذِف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون إنسانًا، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: «قُتل أصحاب الأُخدود».

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ بدل من الأُخدود، قال الربيع بن أنس: نجّى الله المؤمنين الذين أُلقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار إلى من على شفير الأُخدود من الكفار فأحرقتهم[4].

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ أي: عند النار جلوس لتعذيب[5] المؤمنين، قال مجاهد: كانوا قعودًا على الكراسي (عند الأُخدود).

﴿وَهُمْ﴾ يعني: الملك وأصحابه الذين خدُّوا الأُخدود[6] ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من عرضهم على النار، وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم ﴿شُهُودٌ ۝٧﴾ حضور، وقال مقاتل: يعني: يشهدون أن المؤمنين في ضلال حين تركوا عبادة الصنم.

---

(١) انظر: ابن كثير: (٤/ ٤٦٩).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) ساقط من «ب».

(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، وانظر: ابن كثير: (٤/ ٤٩٧).

(٥) في «ب»: (يعذبون).

(٦) زيادة من «ب».

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما كرهوا منهم ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ قال مقاتل: ما عابوا منهم، وقيل: ما علموا فيهم عيبًا، قال الزَّجّاج: ما أنكروا عليهم ذنبًا إلَّا إيمانهم بالله ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أفعالهم ﴿شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ عذَّبوا وأحرقوا ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يقال: فتنت الشيء إذا أحرقته، نظيره: «يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ»[الذاريات: ١٣] ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم / ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ بما أحرقوا ١٨٩/ب
المؤمنين، وقيل: ولهم عذاب الحريق (في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي)[1] أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي.

ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

واختلفوا في جواب القسم، فقال بعضهم: جوابه: «قُتِل أصحابُ الأُخدود»، يعني: لقد قتل.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: قتل أصحاب الأُخدود والسماء ذات البروج.

وقال قتادة: جوابه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أَخَذَ الظَّلَمَةَ لشديدٌ، كقوله: «إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ»[هود: ١٠٢].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي: يخلقهم أولًا في الدنيا، ثم يعيدهم أحياءً بعد الموت.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ المحب لهم، وقيل: معناه: المودود، كالحلوب والركوب بمعنى: المحلوب والمركوب، وقيل: يغفر ويود أن يغفر، وقيل: المتودد إلى أوليائه بالمغفرة.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ قرأ حمزة والكسائي «المجيدِ» بالجر، على صفة العرش، أي: السرير العظيم، وقيل: أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم، فقال: «رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ»[المؤمنون: ١١٦]، ومعناه:

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾

الكمال، والعرش: أحسن الأشياء وأكملها، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ لا يعجزه شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء طلبه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝١٧﴾ قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء، ثم بيّن من هم فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك يا محمد ﴿فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩﴾ لك وللقرآن، كدأب (آل فرعون)[1] من قبلهم، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار.

﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠﴾ عالم بهم، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمَن كان قبلهم.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ كريم شريف كثير الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ قرأ نافع «محفوظ» بالرفع على نعت القرآن، فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح، وهو الذي يُعرف باللوح المحفوظ، وهو أُم الكتاب، ومنه نسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، أخبرنا مخلد بن جعفر، حدثنا الحسن بن علويه، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، أخبرني مقاتل وابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح: لا إله إلَّا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عزَّ وجلَّ وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة، قال: واللوح: لوح من درة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب، وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك[2].

قال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

* * *

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) موقوف على ابن عباس، وفيه إسحاق بن بشر، قال ابن حبان: (لا يحل حديثه إلَّا على جهة التعجب)، وقال الدارقطني: (متروك)، وقال الذهبي: (يروي العظائم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري). انظر: «الضعفاء» لابن حبان: (١/ ٣٧)، «الميزان» للذهبي: (١/ ١٨٤)، وراجع: ابن كثير: (٤/ ٤٩٨).

سورة الطَّارق

مكية[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ قال الكلبي: نزلت في أبي طالب، وذلك أنه أتى النبيَّ ﷺ فأتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجمٌ فامتلأ ماءً ثم نارًا، ففزع أبو طالب وقال: أي شيءٍ هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا نجم رُمي به، وهو آية من آيات الله عزَّ وجلَّ»، فعجب أبو طالب، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ»[٢]، وهذا قسم، و«الطارق»: النجم يظهر بالليل، وما أتاك ليلًا فهو طارق.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾؟ ثم فسَّره فقال:

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ أي: المضيء المنير، قال مجاهد: المتوهج، قال ابن زيد: أراد به الثريا، والعرب تسميه النجم، وقيل: هو زُحَل، سُمِّي بذلك لارتفاعه، تقول العرب للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعًا: قد ثقب.

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ﴾ جواب القسم ﴿لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة «لمَّا» بالتشديد، يعنون: ما كل نفس إلَّا عليها حافظ، وهي لغة هذيل يجعلون «لما» بمعنى «إلا»، يقولون: نشدتك الله لما قمت، أي: إلَّا قمت.

وقرأ الآخرون بالتخفيف، جعلوا «ما» صلة، مجازه: إن كل نفس لعليها حافظ (من ربها)[٣]، (وتأويل الآية: كل نفس عليها حافظ من ربها) يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير وشر.

قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة، قال الكلبي: حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير، ثم يخلِّي عنها.

---

(١) أخرجه ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت «والسماء والطارق» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٧٣).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٢٢. قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٨٣: (ذكره الثعلبي والواحدي بغير إسناد).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ أي: من أي شيءٍ خلقه ربُّه، أي: فلينظر نظر المتفكر.

ثم بيَّن فقال: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ مدفوق، أي: مصبوب في الرحم، وهي المني، فاعل بمعنى مفعول، كقوله: «فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ»[الحاقة: ٢١]، أي: مرضية، والدفق: الصب، وأراد لماء الرجل وماء المرأة؛ لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحدًا؛ لامتزاجهما.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ يعني: صُلب الرجل وترائب المرأة، و«الترائب»: جمع التَّربية، وهي عظام الصدر والنحر، قال ابن عباس: هي موضع القلادة من الصدر، وروى الوالبي عنه: بين ثديي المرأة، وقال قتادة: النحر، وقال ابن زيد: الصدر.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ قال مجاهد: على رد النطفة في الإحليل، وقال عكرمة: على رد الماء في الصلب الذي خرج منه، وقال الضحاك: إنه على ردِّ الإنسان ماءً كما كان من قبل لقادر، وقال مقاتل بن حيان: (إن شاء رده)[1] من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة، وقال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج، وقال قتادة: إن الله تعالى على بعث الإنسان وإعادته قادر، وهذا أولى الأقاويل؛ لقوله:

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ وذلك يوم القيامة تبلى السرائر: تظهر الخفايا، قال قتادة ومقاتل: تختبر الأعمال[2]، قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال، كالصوم والصلاة والوضوء[2] والاغتسال من الجنابة،
١/١٩٠ فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صمتُ / ولم يصم، وصليتُ ولم يصل، واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيَّعها.

قال ابن عمر: يبدي الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة كل سر، فيكون زينًا في وجوه وشينًا في وجوه، يعني: من أداها كان وجهه مشرقًا، ومن ضيَّعها كان وجهه أغبر.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ أي: ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله.

ثم ذكر قَسَمًا آخر فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾ أي: ذات المطر؛ لأنه يرجع كل عام ويتكرر، وقال ابن عباس: هو السحاب يرجع بالمطر.

---

(١) في «ب»: (إن شئت رددته).
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ أي: تتصدع وتنشقُّ عن النبات والأشجار والأنهار.

وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ حق وجدٌّ يفصل بين الحق والباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ باللعب والباطل.

ثم أخبر عن مشركي مكة فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ يخافون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ وكيد الله: استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون.

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هذا وعيد من الله عزَّ وجلَّ لهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ قليلًا، ومعنى مهِّل وأمهل: أنظر ولا تعجل، فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال بآية السيف[(١)].

* * *

(١) انظر فيما سبق: (١/ ٦٥٣)، تعليق (١).

سورة الأعلى

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ يعني[٢]: قل: سبحان ربي الأعلى، وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، فقال: «سبحان ربي الأعلى»[٣].

وقال قوم: معناه: نزِّه ربك الأعلى عمَّا يصفه به الملحدون، وجعلوا الاسم صلة، ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدًا؛ لأن أحدًا لا يقول: سبحان اسم الله، وسبحان اسم ربِّنا، إنما يقول: سبحان الله وسبحان ربِّنا، فكان معنى سبِّح اسم ربِّك الأعلى: سبِّح ربك.

وقال آخرون: نزِّه تسمية ربِّك، بأن تذكره وأنت له معظِّم، ولذكره محترم، (ولأوامره مطاوع)[٤]، وجعلوا الاسم بمعنى التسمية.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة «سبح» بمكة، وأخرجه ابن مردويه عن عائشة وابن الزبير. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٧٩).

(٢) زيادة من «ب».

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء في الصلاة: (١/ ٤٢٢)، ومن طريق وكيع رواه البيهقي في «السنن»: (٢/ ٣١١)، وصححه الحاكم: (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (١/ ٢٣٢).
قال أبو داود: (خولف وكيع في هذا الحديث، رواه أبو وكيع ـ وهو الجراح بن مليح ـ وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير).
وانظر: «الكافي الشاف»: ص١٨٤، و«الدر المنثور»: (٨/ ٤٨٢).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥
سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

وقال ابن عباس: سبح (اسم ربِّك الأعلى)[١]، أي: صلِّ بأمر ربِّك الأعلى.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ قال الكلبي: خلق كل ذي روح، فسوَّى اليدين والرجلين والعينين، وقال الزَّجَّاج: خلق الإنسان مستويًا، ومعنى «سوَّى»: عدل قامته.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ قرأ الكسائي «قَدَر» بتخفيف الدال، وشددها الآخرون، وهما بمعنًى واحدٍ.

قال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر، والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتعها.

وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيءٍ مسلكه، «فهدى»: عرَّفها كيف يأتي الذكر الأُنثى.

وقيل: قدر الأرزاق وهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش.

وقيل: خلق المنافع في الأشياء، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها.

وقال السدي: قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج من الرحم.

قال الواسطي: قدر السعادة والشقاوة عليهم، ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك سبيل[٢] ما قدر عليه.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ أنبت العشب وما ترعاه النَّعَم[٣]، من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض.

﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَآءً﴾ هشيمًا باليًا، كالغثاء الذي تراه فوق السيل ﴿أَحْوَىٰ ۝٥﴾ أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس اسودَّ.

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ سنعلمك بقراءة جبريل عليك[١] ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن تنساه، وما نسخ الله تلاوته من القرآن، كما قال: «﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[البقرة: ١٠٦]»، والإنساء نوع من النسخ.

وقال مجاهد والكلبي: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل عليه السلام، لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها؛ مخافة أن ينساها، فأنزل الله تعالى: «﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾»، (فلم ينس بعد)[٢] ذلك شيئًا[٤].

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ منهما، والمعنى: أنه يعلم السر والعلانية.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «أ».

(٣) في «أ»: (الغنم).

(٤) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٨٣).

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ قال مقاتل: نهوّن عليك عمل أهل الجنة ـ وهو معنى قول ابن عباس ـ ونيسرك؛ لأن نعمل خيرًا، و«اليسرى»: عمل الخير.

وقيل: نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة، وقيل: هو متصل بالكلام الأول معناه: أنه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل إذا فرغ من التلاوة، «وما يخفى»: ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان، ثم وعده فقال: «وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ»، أي: نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه.

﴿فَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ الموعظة والتذكير، والمعنى: نفعت أو لم تنفع، وإنما لم يذكر الحالة الثانية، كقوله: «سرابيل تقيكم الحر»، وأراد: الحر والبرد جميعًا.

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ سيتعظ ﴿مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: يتجنب الذكرى ويتباعد عنها ﴿الْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ الشقي في علم الله.

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ العظيمة والفظيعة؛ لأنها أعظم وأشد حرًّا من نار الدنيا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ حياة تنفعه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تطهَّر من الشرك وقال: لا إله إلَّا الله، هذا قول عطاء وعكرمة، ورواية الوالبي وسعيد بن جبير عن ابن عباس(١)، وقال الحسن: من كان عمله زاكيًا(٢). وقال آخرون: هو صدقة الفطر، روي عن أبي سعيد الخدري في قوله: «قد أفلح من تزكى»، قال: أعطى صدقة الفطر(٣).

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ قال خرج إلى العيد فصلى، فكان ابن مسعود يقول: رحم الله امرءًا تصدق ثم صلى، ثم يقرأ هذه الآية(٤)، وروى نافع: كان ابن عمر إذا صلى الغداة ـ يعني: من يوم العيد ـ قال: يا نافع أَخرَجْتَ الصَّدقةَ؟ فإن قلتُ: نعم، مضى إلى المصلى، وإن قلت: لا، قال: فالآن فأَخرِجْ، فإنما نزلت هذه الآية في هذا «قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ»، وهو قول أبي العالية وابن سيرين.

---

(١) انظر: الطبري: (٣٠/ ١٥٦)، «الدر المنثور»: (٨/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٥٦).

(٣) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٨٥).

(٤) ذكره صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٤٨٦) عن أبي الأحوص، وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾

وقال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل؟ لأن هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر[١].

١٩٠/ب (قال الشيخ الإمام محي السنة رَحِمَهُ اللَّهُ)[٢]: / يجوز أن يكون النزول سابقًا على الحكم كما قال: «وأنت حل بهذا البلد»، فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة والسلام: «أُحِلَّتْ لي ساعةً من نهار»[٣]، وكذلك نزل بمكة: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ»[القمر: ٤٥]، قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يَثِبُ في الدرع ويقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر[٤]، «وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ»، أي: وذكر ربه فصلى، قيل: الذكر تكبيرات العيد، والصلاة صلاة العيد، وقيل: الصلاة هاهنا الدعاء.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب «يؤثرون»[٥] بالياء، يعني: الأَشْقَيْن الذين ذكروا، وقرأ الآخرون بالتاء، دليله: قراءة أُبي بن كعب «بل أنتم تؤثرون الحياة الدنيا»، (والمراد بـ «الأشقى» الجمع، وإن كان على لفظ الواحد؛ لأن الشيء إذا دخله الألف واللام للجنس صار مستغرقًا، فكأنه قال: ويتجنبه الأشقون، ثم قال: «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا»)[٥].

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ قال عرفجة الأشجعي: كنّا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية، فقال لنا: أتدرون لِمَ آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا، قال: لأن الدنيا أُحضرت، وعجِّل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وأن الآخرة نُعِتت لنا وزويت عنَّا، فأحببنا العاجل وتركنا الآجل[٦].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: ما ذكر من قوله: «قد أفلح من تزكى» (إلى تمام)[٥] أربع آيات ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: في الكتب الأُولى التي أُنزلت قبل القرآن، ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي، وإيثار الخلق الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى.

---

(١) قال صاحب «زاد المسير» (٩/ ٩٢): (القول قول ابن عباس في الآيتين، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة ولا عيد.

(٢) في «أ»: (قال الشيخ الإمام الأجلّ السيد محيي السنة، ناصر الحديث، قدوة الأئمة، مظهر الإسلام، مفتي الشرق، الحسين بن مسعود رحمة الله عليه).

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها برقم١٣٥٤: (٢/ ٩٨٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٧/ ٣٠٠ـ ٣٠١).

(٤) سبق في سورة القمر: ص٢٧٨ـ ٢٧٩.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٥٧)، وزاد صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٤٨٧) عزوه لابن المنذر والطبراني والبيهقي في «شعب الإيمان»، وذكره ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٥٠٢) وقال: (وهذه منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو الله أعلم).

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

ثم بيَّن الصحف فقال:

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ قال عكرمة والسدي: هذه السورةُ في صحف إبراهيم وموسى.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني، حدثنا محمد بن يحيى (بن أيوب، حدثنا سعيد بن كثير، حدثنا)[1] يحيى بن أيوب، عن يحيى بن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بـ «سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى»، و«قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ»، وفي الوتر بـ «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ» و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ»[2].

* * *

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار»: (١/ ٢٨٥)، والدارقطني في «السنن»: (١/ ٢٤)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: (١/ ٣٠٥) ووافقه الذهبي، وابن حبان: ص١٧٥ من «موارد الظمآن»، والبيهقي في «السنن»: (٢/ ٣٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ٩٩ ـ ١٠٠).

وأعله ابن الجوزي بيحيى بن أيوب، قال أبو حاتم: لا يحتج به، وقد أنكر الإمام أحمد ويحيى بن معين زيادة المعوذتين.

وروى ابن السكن في «صحيحه» له شاهدًا من حديث عبد الله بن سرجس بإسناد غريب.

انظر: «تنقيح التحقيق» لابن عبد الهادي: (٢/ ١٠٦٠ ـ ١٠٦١)، «تلخيص الحبير»: (٢/ ١٨ ـ ١٩).

سورة الغاشية

مكية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ يعني: قد أتاك حديث القيامة، تغشى كلَّ شيء بالأهوال.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يعني: الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام مِنْ عَبَدَةِ الأوثان وكفار أهل الكتاب، مثل: الرهبان وغيرهم، لا يقبل الله منهم اجتهادًا في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، وهو قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم، ومعنى النَّصَب: الدأب في العمل بالتعب.

وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في النار[٢].

وقال بعضهم: عاملة في النار ناصبة فيها، قال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال، وبه قال قتادة، وهي رواية العوفي عن ابن عباس[٣].

قال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل.

وقال الكلبي: يُجرُّون على وجوههم في النار.

(وقال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار)[٤]، والكلام خرج على «الوجوه»، والمراد منها: أصحابها.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا﴾ قرأ أهل البصرة وأبو بكر «تُصْلَى» بضم التاء اعتبارًا بقوله: «تسقى من عين آنية»، (وقرأ الآخرون بفتح التاء ﴿حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ قال ابن عباس: قد حميت، فهي تتلظى على أعداء الله.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة الغاشية بمكة. وأخرج ابن مردويه عن الزبير مثله. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٩٠).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٩١) لابن أبي حاتم.

(٣) انظر: الطبري: (٣٠/ ١٦٠).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾)[1] متناهية في الحرارة، قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وِرْدًا[2] عطاشًا، قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت، هذا شرابهم، ثم ذكر طعامهم فقال:

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ قال مجاهد وعكرمة وقتادة: هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض، تسميه قريش الشبرق، فإذا هاج سموها الضريع[3]، وهو أخبث طعام وأبشعه، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، قال الكلبي: لا تقربه دابة إذا يبس.

قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن «الضريع»: الشوك اليابس الذي يبس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار[4]، وجاء في الحديث عن ابن عباس: «الضريع: شيءٌ في النار شبه[5] الشوك، أمرُّ من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حرًّا من النار»[6].

وقال أبو الدرداء والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غُصَّة، فيذكرون أنهم كان يجيزون الغصص في الدنيا بالماء، فيستسقون فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة، فلما أدنوه من وجوههم، سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله عزَّ وجلَّ: «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ»[محمد: ١٥] [7].

قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع، وكذبوا في ذلك، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطبًا، وتسمى: «شبرقًا»، فإذا يبس لا يأكله شيء، فأنزل الله: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾.

ثم وصل أهل الجنة فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ قال مقاتل: في نعمة وكرامة.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٢) في «أ»: (وردوا).
(٣) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٦١ ـ ١٦٢).
(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٦٢).
(٥) في «ب»: (يشبه).
(٦) عزاه صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) لابن مردويه بسند واهٍ.
(٧) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٤٩٢) لابن مردويه.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾

﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾﴾ لغو وباطل، قرأ أهل مكة والبصرة «لا يُسْمَعُ» بالياء وضمها، «لاغيةٌ» رفع، وقرأ نافع «لا تُسمع» بالتاء وضمها، «لاغيةٌ» رفع، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها «لاغيةً» بالنصب[1] على الخطاب للنبي ﷺ.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى مواضعها.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ عندهم، جمع: كوب، وهو الإبريق الذي / لا عروة له. ١/١٩١

﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ومرافق ﴿مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ بعضها بجنب بعض، واحدتها: «نُمْرُقَة» بضم النون.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ يعني: البسط العريضة، قال ابن عباس: هي الطنافس التي لها خمل، واحدتها: زَرْبِيَّة ﴿مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ مبسوطة، وقيل: متفرقة في المجالس.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ قال أهل التفسير: لما نعت الله تعالى في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكَّرهم الله تعالى صنعه فقال: «أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ» (من بين سائر الحيوانات)[2] «كَيْفَ خُلِقَتْ»، وكانت الإبل من عيش العرب[3]، لهم فيها منافع كثيرة، فلما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع.

وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات؛ فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهد[4] الفيل إلَّا الشاذ منهم، وقال الكلبي: لأنها تنهض بحملها وهي باركة، وقال قتادة: ذكر الله تعالى ارتفاع سُرُرِ الجنة وفُرُشِها، فقالوا: كيف نصعدها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وسئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة؟ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد

---

(١) في «ب»: (نصب).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) انظر: الطبري: (٣٠/ ١٦٥)، «الدر المنثور»: (٨/ ٤٩٤).

(٤) في «ب»: (يشاهدوا).

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠
فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ
ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾

بها، ثم هو (لا خير فيه)[1] لا يُركب ظهرها ولا يُؤكل لحمها ولا يُحلب درها، والإبل أعز مال للعرب وأنفسها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن.

وقيل: إنها[2] مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف، حتى إن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا إلى (كناسة اسطبل)[3] حتى ننظر إلى الإبل كيف خُلقت[4].

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨﴾ عن الأرض حتى لا ينالها شيء بغير عمد.

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩﴾ على وجه الأرض مرساة[5] لا تزول.

﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠﴾ بسطت[6]، قال عطاء عن ابن عباس: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل، أو يرفع مثل السماء، أو ينصب مثل الجبال، أو يسطح مثل الأرض غيري؟

﴿فَذَكِّرۡ﴾ (أي: عِظْ يا محمد)[6] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾ بمسلَّط، فتقتلهم وتكرههم على الإيمان، نسختها آية القتال[7].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣﴾ استثناء منقطع عمَّا قبله، معناه: لكن من تولى وكفر بعد التذكير.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ۝٢٤﴾ وهو أن يدخله النار، وإنما قال: «الأكبر»؛ لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر.

﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥﴾ رجوعهم بعد الموت، يقال: آب يؤب أَوْبًا وإيَابًا، وقرأ أبو جعفر «إيَّابهم» بتشديد الياء، وهو شاذ لم يُجِزْ أحدٌ غير الزَّجَّاج، فإنه قال: يقال: أَيَّبَ إيَّابًا، على: فعل فيعالًا.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ يعني: جزاءهم بعد المرجع إلى الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) في «ب»: (خنزير لأنه).
(٢) في «ب»: (لأنها).
(٣) في «ب»: (الكناسة).
(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ١٦٥).
(٥) في «ب»: (مرسلة).
(٦) ساقط من «ب».
(٧) انظر فيما سبق: (١/ ٦٥٣)، تعليق (١).

سورة الفَجْر

مكية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ أقسم الله عزَّ وجلَّ بالفجر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم، وهو قول عكرمة، وقال عطية عنه: صلاة الفجر، وقال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرم، تنفجر منه السَّنة، وقال الضحاك: فجر ذي الحجة؛ لأنه قرنت(٢) به الليالي العشر.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ روي عن ابن عباس: أنها العشر الأوَل من ذي الحجة، وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والكلبي.

وقال أبو روق عن الضحاك: هي العشر الأواخر(٣) من شهر رمضان.

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر الأُول(٤) من شهر رمضان.

وقال يمان بن رباب: هي العشر الأُول من المحرم التي عاشِرُها يوم عاشوراء(٥).

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾ قرأ حمزة والكسائي «الوِتْر» بكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها، واختلفوا في الشفع والوتر، قيل: «الشفع»: الخلق، قال الله تعالى: «وخلقناكم أزواجًا»، و«الوَتْر» هو الله عزَّ وجلَّ، رُوي ذلك عن (ابن مسعود، وعن)(٦) أبي سعيد الخدري، وهو قول عطية العوفي.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس في «ناسخه» وابن مردويه والبيهقي من طرق عن ابن عباس قال: نزلت «والفجر» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٤٩٧).

(٢) في «ب»: (قرن).

(٣) في «ب»: (الأول).

(٤) في «ب»: (الأواخر).

(٥) ساق أبو جعفر بعض هذه الأقوال: (٣٠/ ١٦٨ ـ ١٦٩)، ثم قال مرجحًا: (والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأن عبد الله بن أبي زياد القَطَواني حدثني قال: حدثني زيد بن حباب قال: أخبرني عباس بن عقبة قال: حدثني جبير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «والفجر وليال عشر» قال: «عَشْر الأضحى»).

(٦) زيادة من «أ».

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾

وقال مجاهد ومسروق: «الشفع» الخلق كله، كما قال الله تعالى: «وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ» [الذاريات: ٤٩]: الكفر والإيمان، والهدى والضلالة، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، «الوَتْر»: هو الله عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى: «قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص: ١].

قال الحسن وابن زيد: «الشفع والوتر»: الخلق كله، منه شفع، ومنه وتر.

وروى قتادة عن الحسن قال: هو العدد، منه شفع ومنه وتر.

وقال قتادة: هما الصلوات، منها شفع ومنها وتر، وروى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعًا، وروى عطية عن ابن عباس: «الشفع» صلاة الغداة، «والوتر»: صلاة المغرب.

وعن عبد الله بن الزبير قال: «الشفع»: يوم النفر الأول، «والوتر»: يوم النفر الأخير، رُوي أن رجلًا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر؟ فقال: أما الشفع والوتر: فقول الله عزَّ وجلَّ: «فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ» [البقرة: ٢٠٣]، فهما الشفع والوتر، وأما الليالي العشر: فالثمان وعرفة والنحر.

وقال مقاتل بن حيان: «الشفع»: الأيام والليالي، و«الوتر»: اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة.

وقال الحسين بن الفضل: «الشفع»: درجات الجنة؛ لأنها ثمان، و«الوتر»: دركات النار؛ لأنها سبع، كأنه أقسم بالجنة والنار.

وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر؟ فقال: «الشفع»: تضاد أخلاق[(١)] المخلوقين من العزِّ والذُّلِّ، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، و«الوتر»: انفراد صفات الله عِزٌّ بلا ذُلّ، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا ممات[(٢)].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ أي: إذا سار وذهب كما قال تعالى: «وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ» [المدثر: ٣٣]، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل، وأراد: كل ليلة.

وقال مجاهد وعكرمة والكلبي: هي ليلة المزدلفة.

قرأ أهل الحجاز والبصرة «يسري» بالياء في الوصل، ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضًا، والباقون

---

(١) في «ب»: (أوصاف).

(٢) ذكر الطبري بعض هذه الأقوال: (٣٠/ ١٦٩ ـ ١٧٢)، ثم قال: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُه أقسم بالشفع والوتر، ولم يخصص نوعًا من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل أنه داخل في قسمه هذا العموم قسمه بذلك).

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾

يحذفونها في الحالين، فمن حذف فلوِفَاق رءوس الآي، ومن أثبت؛ فلأنها لام الفعل، والفعل لا يحذف منه في الوقف، نحو قوله: هو يقضي وأنا أقضي، وسئل الأخفش عن العلة / في سقوط الياء؟ فقال: الليل ١٩١/ب
لا يسري، ولكن يسرىٰ فيه، فهو مصروف، فلما صرفه بخسه حقه من الإعراب، كقوله: «وما كانت أمك بغيًا»، ولم يقل: «بغية»؛ لأنها صرفت من باغية.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكرت ﴿قَسَمٞ﴾ أي: مقنع ومكتفى في القسم ﴿لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾ لذي عقل[(١)]، سمي بذلك؛ لأنه يحجر صاحبه عمَّا لا يحل ولا ينبغي، (كما يسمى «عقلًا»؛ لأنه يعقله عن القبائح، و«نُهى»؛ لأنه ينهى عما لا ينبغي)[(٢)]، وأصل «الحَجْر»: المنع، وجواب القسم قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لبالمِرْصَادِ»، واعترض بين القسم وجوابه قوله عزَّ وجل:

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ قال الفرَّاء: ألم تُخْبَرَ؟ وقال الزَّجاج: ألم تعلم؟ ومعناه التعجب ﴿كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾ يخوِّف أهل مكة، يعني: كيف أهلكهم، وهم كانوا أطول أعمارًا وأشد قوة من هؤلاء، واختلفوا في إرم ذات العماد، فقال سعيد بن المسيب: «إرم ذات العماد» دمشق، وبه قال عكرمة.

وقال القرظي: هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي أُمَّة، وقيل: معناها: القديمة.

وقال قتادة ومقاتل: هم قبيلة من عاد، قال مقاتل: كان فيهم الملك، وكانوا بمَهَرَة[(٣)]، وكان عاد أباهم، فنسبهم إليه، وهو إرم بن عاد بن إرم بن سام بن نوح.

وقال محمد بن إسحاق: هو جد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح[(٤)].

وقال الكلبي: «إرم» هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل الجزيرة، كان يقال: عاد إرم، وثمود إرم، فأهلك الله عادًا ثم ثمود، وبقي أهل السواد والجزيرة، وكانوا أهل عُمُدٍ وخيام وماشية سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزروع، ومنازلهم بوادي القرى، وهي التي يقول الله فيها:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري»: (٣٠/ ١٧٤)، «شعب الإيمان» للبيهقي: (٨/ ٥٢٨).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) مَهَرَة ـ بالتحريك، وقد تسكن الهاء ـ: وهي قبيلة مهرة بن حيدان بن عمرو بن قضاعة وباليمن لهم مخلاف ينسب إليهم. «معجم البلدان»: (٥/ ٢٣٠).

(٤) «سيرة ابن هشام»: (١/ ٨). وانظر: الطبري: (٣٠/ ١٧٦).

﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾

﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ وسموا ذات العماد لهذا[1]؛ لأنهم كانوا أهل عمد سيارة، وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي، ورواية عطاء عن ابن عباس، وقال بعضهم: سموا ذات العماد لطول قامتهم، قال ابن عباس: يعني: طولهم مثل العماد، وقال مقاتل: كان طول أحدهم اثني عشر ذراعًا، وقوله: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾، أي: لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: «من أشدُّ منَّا قوة».

وقيل: سموا ذات العماد؛ لبناء بناه بعضهم فشيد عمده[2]، ورفع بناءه، يقال: بناه شداد بن عاد على صفة لم يخلق في الدنيا مثله، وسار إليه في قومه، فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى مَن معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعًا.

﴿وَثَمُودَ﴾ أي: وبثمود ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ قطعوا الحجر، واحدتها: صخرة ﴿بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ يعني: (وادي القُرى)[3]، كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتًا، وأثبت ابن كثير ويعقوب الياء في الوادي وصلًا ووقفًا على الأصل، وأثبتها ورش وصلًا، والآخرون بحذفها في الحالين على وفق رءوس الآي.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ سمي بذلك؛ لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، وقد ذكرناه في سورة «صٓ»[4].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا الحسين بن علويه، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، عن ابن سمعان، عن عطاء، عن ابن عباس: أن فرعون إنما سُمي «ذي الأوتاد»؛ لأنه كانت امرأة، وهي امرأة خازن فرعون «حزبيل»، وكان مؤمنًا كتم إيمانه مائة سنة، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون، فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: تعس مَنْ كفر بالله، فقالت بنت فرعون: وهل لك من إلهٍ غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلٰهك وإلٰهها وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فأرسل إليها فسألها عن ذلك، فقالت: صدقتْ، فقال لها: ويحك اكفري بإلهك وأقرّي بأني إلهك، قالت: لا أفعل، فمدَّها بين أربعة أوتاد، ثم أرسل عليها الحيات والعقارب، وقال لها: اكفري بإلهك وإلَّا عذبتك بهذا العذاب شهرين، فقالت له: ولو عذبتني سبعين شهرًا ما كفرت بالله، وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قرب منها، وقال لها: اكفري بالله وإلَّا ذبحت الصغرى على قلبك، وكانت رضيعًا، فقالت: لو ذبحت من على وجه الأرض على فيَّ ما كفرت بالله عزَّ وجلَّ،

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «ب»: (عنده).

(٣) وهو واد بين المدينة والشام. «معجم البلدان»: (٥/ ٣٤٥).

(٤) راجع فيما سبق: (٣/ ٦٨٩).

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١﴾

فأتى بابنتها الصغرى فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة، فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت، وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالًا، وقالت: يا أُماه لا تجزعي، فإن الله قد بنى لك بيتًا في الجنة، اصبري فإنك تُفْضِين إلى رحمة الله وكرامته، فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله في الجنة، قال: وبعث في طلب زوجها «حزبيل» فلم يقدروا عليه، فقيل لفرعون: إنه قد رُئِيَ في موضع كذا وكذا في جبل كذا، فبعث رجلين في طلبه فانتهيا إليه وهو يصلي ويليه صفوف من الوحوش خلفه يصلون، فلما رأيا ذلك انصرفا فقال «حزبيل»: اللهم إنك تعلم أني كتمت إيماني مائة سنة، ولم يظهر عليَّ أحد، فأيما هذين الرجلين كتم عليَّ فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سُؤْله، وأيما هذين الرجلين أظهر عليَّ فعجِّل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار، فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن، وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رءوس الملأ، فقال له فرعون: وهل كان معك غيرك؟ قال: نعم فلان، فدعا به فقال: أحقٌّ ما يقول هذا؟ قال: لا، ما رأيت مما قال شيئًا فأعطاه فرعون وأجزل، وأما الآخر فقتله، ثم صلبه.

قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة من نساء بني إسرائيل يقال لها: «آسية بنت مزاحم» فرأت ما صنع فرعون بالماشطة، فقالت: وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي به فرعون، وأنا مسلمة وهو كافر؟ فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريبًا منها، فقالت: يا فرعون، أنت شرُّ الخلق وأخبثهم، عمدت إلى الماشطة فقتلتها، قال: فلعلَّ بك الجنون الذي كان بها، قالت: ما بي من جنون، وإن إلهي وإلهها وإلهك / وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فمزَّق عليها ثيابها وضربها وأرسل إلى أبويها فدعاهما، ١/١٩٢
فقال لهما: ألا تريان أن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها؟ قالت: أعوذ بالله من ذلك، إني أشهد أن ربي وربَّك وربَّ السموات والأرض واحدٌ لا شريك له، فقال لها أبوها: يا آسية، ألست من خير نساء العماليق[١] وزوجك إله العماليق؟ قالت: أعوذ بالله من ذلك، إن كان ما يقول حقًّا فقولا له أن يتوِّجني تاجًا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله، فقال لهما فرعون: اخرجا عني، فمدَّها بين أربعة أوتاد يعذبها، ففتح الله لها بابًا إلى الجنة ليهوِّن عليها ما يصنع بها فرعون، فعند ذلك قالت: « رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ »[التحريم: ١١]، فقبض الله روحها وأسكنها الجنة[٢].

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١﴾ يعني: عادًا وثمود وفرعون، عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا.

---

(١) في «ب»: (العالمين).

(٢) أثر موقوف على ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ وفيه إسحاق بن بشر، كذَّبه ابن أبي شيبة وأبو زرعة، وكأن هذا الأثر متلقى عن أهل الكتاب، والله أعلم.

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ قال قتادة: يعني: لونًا من العذاب صبَّه عليهم، قال أهل المعاني: هذا على الاستعارة؛ لأن السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكل نوع من العذاب، وقال الزَّجَّاج: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ قال ابن عباس: يعني: بحيث يرى ويسمع ويبصر.

قال الكلبي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد، قال مقاتل: ممر الناس عليه، والمرصاد والمرصد: الطريق.

وقيل: مرجع الخلق إلى حكمه وأمره، وإليه مصيرهم، وقال الحسن وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم.

والمعنى: أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد، كما لا يفوت من هو بالمرصاد.

وقال السدي: أرصد الله النار على طريقهم حتى يهلكهم.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ امتحنه ﴿رَبُّهُۥ﴾ بالنعمة ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ بالمال ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾ بما وسع عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ بما أعطاني.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر «فقدَّر» بتشديد الدال، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان، أي: ضيَّق عليه رزقه، وقيل: «قَدَرَ» بمعنى: قتر وأعطاه قدر ما يكفيه ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ أذلَّني بالفقر، وهذا يعني به: الكافر، تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلَّتِه. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر، فردَّ الله على من ظنَّ أن سعة الرزق إكرامٌ وأن الفقر إهانة، فقال: ﴿كَلَّا﴾ لم أبتَلِهِ بالغنى لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره، فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته.

قرأ أهل الحجاز والبصرة «أكرمني» و«أهانني» بإثبات الياء في الوصل، ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضًا، والآخرون يحذفونها وصلًا ووقفًا.

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ قرأ أهل البصرة «يكرمون» و«يحضون» و«يأكلون» و«يحبون» بالياء فيهنَّ، وقرأ الآخرون بالتاء، «لا تكرمون اليتيم» لا تحسنون إليه، وقيل: لا تعطونه حقه.

قال مقاتل: كان قدامة بن مظعون يتيمًا في حجر أُمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه.

وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ
صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ أي: لا تأمرون بإطعامه، قرأ أبو جعفر وأهل الكوفة «تَحَاضُّون» بفتح الحاء وألف بعدها، أي: لا يحض بعضكم بعضًا عليه[1].

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ أي: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ شديدًا، وهو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يُورِّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم.

قال ابن زيد: الأكل اللَّمُّ: الذي يأكل كل شيء يجده، لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام؟ ويأكل الذي له ولغيره، يقال: لممت ما على الخِوان إذا أتيت ما عليه فأكلته.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ أي: كثيرًا، يعني: يتحبون جمع المال وتولعون به، يقال: جمَّ الماءُ في الحوض، إذا كثر واجتمع.

﴿كَلَّآ﴾ ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر، وقال مقاتل: أي لا يفعلون ما أمروا به في اليتيم، وإطعام المسكين، ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال عزَّ من قائل:

﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ مرة بعد مرة، وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر، فلم يبق على ظهرها شيء.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قال الحسن: جاء أمره وقضاؤه[2]، وقال الكلبي: ينزل ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ قال عطاء: يريد: صفوف الملائكة، وأهل كل سماء صف على حدة، قال الضحاك: أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفًّا مختلطين بالأرض ومن فيها فيكون سبعة صفوف[3].

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ قال عبد الله بن مسعود ومقاتل في هذه الآية: (جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها)[4]، لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش ﴿يَوْمَئِذٍ﴾

---

(١) في «الأصل» اختار المؤلف قراءة: (يحضُّون).

(٢) هذا تأويل، والصواب حمل الآية على الحقيقة وعلى مراد الله تعالى. راجع: «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (٥/ ٤٠٢ ـ ٤٠٩)، (١٦/ ٤١٦ ـ ٤٢٠).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥١١) لابن أبي حاتم.

(٤) العبارة المثبتة من الطبري: (٣٠/ ١٨٨)؛ لأن العبارة في المخطوطتين غير مستقيمة وهي: «تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، كل زمام بيد كل زمام سبعين ألف ملك».

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾

يعني: يوم يجاء بجهنم ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يتعظ ويتوب الكافر ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾ قال الزَّجَّاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة؟ ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ أي: قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة، أي: لآخرتي التي لا موت فيها.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾ قرأ الكسائي ويعقوب «لا يُعَذَّب»، «ولا يُوثَق» بفتح الذال والثاء على معنى: لا يعذب أحدٌ (في الدنيا)[1] كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد[2] يومئذ.

قيل: هو رجل بعينه، هو أُمية بن خلف، يعني: لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد.

وقرأ الآخرون بكسر الذال والثاء، أي: لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني: لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق: هو الإسار في السلاسل والأغلال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾ إلى ما وعد الله عزَّ وجلَّ المصدقة بما قال الله، وقال مجاهد: «المطمئنة» التي أيقنت أن الله تعالى ربها وصَبرت جاشًا لأمره وطاعته. وقال الحسن: المؤمنة الموقنة، وقال عطية: الراضية بقضاء الله تعالى، وقال الكلبي: الآمنة من عذاب الله.

وقيل: المطمئنة بذكر الله، بيانه: قوله: ﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ٢٨].

واختلفوا في وقت هذه المقالة، فقال قوم: يقال لها ذلك عند الموت، فيقال لها:

﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ/ رَبِّكِ﴾ إلى الله ﴿رَاضِيَةٗ﴾ بالثواب ﴿مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ عنك. ١٩٢/ب

وقال الحسن: إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها.

قال عبد الله بن عمرو[3]: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عزَّ وجلَّ ملكين إليه، وأرسل إليه بتحفة من الجنة، فيقال لها: اخرجي يا أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى رَوْح وريحان وربك عنك راضٍ، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء منَ الأرض روح طيبة ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلَّا فتح لها ولا بمَلَكٍ إلَّا صلَّى عليها، حتى يُؤتى بها الرحمن فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره: سبعون ذراعًا عرضه، وسبعون ذراعًا طوله، وينبذ له فيه الريحان، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره.

(١) ساقط من «أ».
(٢) ساقط من «ب».
(٣) في «أ»: (عمر)، وهو خطأ.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾

وإن لم يكن جعل له نوره مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس، ينام فلا يوقظه إلَّا أحب أهله إليه.

وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين، وأرسل قطعة من بجاد أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن، فيقال: يا أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان[1].

وقال أبو صالح في قوله: «ارجعي إلى ربك راضية مرضية»، قال: هذا عند خروجها من الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل: «ادخلي في عبادي وادخلي جنتي».

وقال آخرون: إنما يقال لها ذلك عند البعث، يقال: ارجعي (إلى ربك)[2]، أي: إلى صاحبك وجسدك، فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وهذا قول عكرمة وعطاء والضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس. وقال الحسن: معناه: ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته، راضيةً عن الله بما أعد لك، مرضيةً، رضي عنك ربك.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩﴾ أي: مع عبادي في جنتي، وقيل: في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين، نظيره: «وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين».

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ وقال بعض أهل الإشارة: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها، والرجوع إلى الله هو سلوك سبيل الآخرة.

وقال سعيد بن جبير: مات ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر لم نر[3] على صورة خلقه فدخل نعشه، ثم لم نر[3] خارجًا منه، فلما دُفن تليت هذه الآية على شفير القبر، ولم ندرِ مَن قرأها: «يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي»[4].

* * *

(١) قطعة من موقوف عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (٣/ ٥٦٤ ـ ٥٦٦)، وهنَّاد في «الزهد»: (١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣)، قال الهيثمي (٢/ ٣٢٨): (رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات)، وعزاه السيوطي لهنَّاد وعبد بن حميد في «التفسير» والطبراني في «الكبير» بسند رجاله ثقات. انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور»: ص٨٨، وفيه عبد الرحمن بن البيلماني وهو ضعيف، له ترجمة في «الميزان» و«التهذيب».

(٢) ساقط من «أ».

(٣) في «ب»: (لم يُرَ).

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥١٥) لابن أبي حاتم والطبراني.

سورة البَلَد

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾

﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ يعني: أقسم ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾﴾ يعني: مكة.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾ أي: حلال ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم، أحل الله تعالى لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقَتَل وأمر بقتل ابن خَطَل، وهو متعلِّق بأستار الكعبة(٢)، ومِقْيَس بن صُبَابة وغيرهما(٣)، فأحل دماء قوم، وحرَّم دماء قوم، فقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»(٤)، ثم قال: «إن الله حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»(٥).

والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دلَّ ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها، فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده، فهذا وعد من الله عزَّ وجلَّ بأن يحلها له.

قال شرحبيل بن سعد: ومعنى قوله: «وأنت حِلٌّ بهذا البلد» قال: يحرمون أن يقتلوا بها صيدًا ويستحلون إخراجك وقتلك؟

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ يعني: آدم عليه السلام وذريته.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة «لا أقسم بهذا البلد» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام: (٤/ ٥٨)، وفي الجهاد، باب قتل الأسير وقتل الصبر، ومسلم في الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام برقم١٣٥٧: (٢/ ٩٨٩ ـ ٩٩٠).

(٣) عزاه ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٨٤ لأبي داود والنسائي. وانظر: «سيرة ابن هشام»: (٤/ ٥٢).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام»: (٤/ ٤٦).

(٥) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الحج، باب فضل الحرم: (٣/ ٤٤٩)، ومسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها . . . برقم١٣٥٣: (٢/ ٩٨٦).

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ روى الوالبيُّ عن ابن عباس: في نَصَب، قال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، وقال قتادة: في مشقة، فلا تلقاه إلَّا يكابد أمر الدنيا والآخرة.

وقال سعيد بن جبير: (في شدة، وقال عطاء عن ابن عباس)[1]: في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه، وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته.

وقال عمرو بن دينار: عند نبات أسنانه، قال يمان: لم يخلق الله خلقًا يكابد ما يكابد ابن آدم، وهو مع ذلك أضعف الخلق، وأصل الكَبَد: الشدة.

وقال مجاهد وعكرمة وعطية والضحاك: يعني: منتصبًا معتدل القامة، وكل شيء خلق فإنه يمشي مكبًّا، وهي رواية مقسم عن ابن عباس، وأصل[2] الكبد: الاستواء والاستقامة.

وقال ابن كيسان: منتصبًا رأسه في بطن أُمه، فإذا أذن الله له في خروجه انقلب رأسه إلى رجلي أُمه.

وقال مقاتل: «في كبد»، أي: في قوة.

نزلت في أبي الأشدين، واسمه أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديدًا قويًّا يضع الأديم العكاظي تحت قدميه، فيقول: من أزالني عنه فله كذا وكذا، فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلَّا قطعًا ويبقى موضع قدميه.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ يعني: أبا الأشدين من قوته ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ أي: يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى، وقيل: هو الوليد بن المغيرة.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ يعني: أنفقت ﴿مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أي: كثيرًا بعضه على بعض، من التلبيد، في عداوة محمد ﷺ، قرأ جعفر «لُبَّدًا» بتشديد الباء على جمع لابد، مثل: راكع ورُكَّع، وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع «لِبْدَة»، وقيل: على الواحد، مثل: قُثَم وحُطَم.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ قال سعيد بن جبير (وقتادة: أيظن)[1] أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟

وقال الكلبي: إنه كان كاذبًا في قوله: أنفقت كذا وكذا، ولم يكن أنفق جميع ما قال، يقول: أيظن أن الله عزَّ وجلَّ لم يَرَ ذلك منه فيعلم مقدار نفقته، ثم ذكَّره نِعَمَه ليعتبر، فقال:

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) ساقط من «ب».

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ قال قتادة: نِعَمُ الله متظاهرة يقررك كيما تشكر، وجاء في الحديث: أن الله عزَّ وجلَّ يقول: ابن آدم، إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق[1].

١٩٣/أ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ/ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ قال أكثر المفسرين: طريق الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلالة، كقوله: «إنا هديناهُ السبيلَ إما شاكرًا وإما كَفُورًا»، وقال محمد بن كعب عن ابن عباس: «وهديناه النجدين» قال: الثديين، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك: والنجد: طريقٌ في ارتفاع.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ يقول: فهلّا أنفق ماله فيما يجوزُ به من فك الرقاب وإطعام السَّغْبَان، فيكون خيرًا له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، هذا قول ابن زيد وجماعة.

وقيل: «فلا اقتحم العقبة»، أي: لم يقتحمها ولا جاوزها، والاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، وذكْرُ العقبة هاهنا مَثَلٌ ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة ولا طعام، وهذا معنى قول قتادة.

وقيل: إنه شبَّه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها.

وروي عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم[2].

وقال الحسن وقتادة: عقبة شديدة في النار دون جسر، فاقتحموها بطاعة الله تعالى[3].

وقال مجاهد والضحاك والكلبي: هي صراط يضرب على جهنم كحدِّ السيف، مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلًا وصعودًا وهبوطًا، وإن بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان، فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكردس في النار منكوس، فمن الناس من يمرّ كالبرق الخاطف، ومنهم من يمرّ كالريح العاصف، ومنهم من يمرّ كالفارس، ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو، ومنهم من يمر كالرجل يسير، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم الزالُّون، ومنهم من يكردس في النار.

قال ابن زيد: يقول: فهلّا سلك الطريق التي فيها النجاة، ثم بيّن ما هي فقال:

---

(١) انظر: «ابن كثير»: (٤/ ٥١٣)، «الدر المنثور»: (٨/ ٥٢١).

(٢) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٠١)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٢٢) عزوه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٠٢)، وانظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٢٣).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢﴾ ما اقتحام العقبة، قال سفيان بن عيينة: كل شيء قال: «وما أدراك» فإنه أخبر به، وما قال: «وما يدريك» فإنه لم يخبر به.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي «فكَّ» بفتح الكاف، «رَقَبَةً» نصب، «أو أَطْعَمَ» بفتح الهمزة والميم على الماضي، وقرأ الآخرون «فكُّ» برفع الكاف، «رقبةٍ» جرًّا، «أو إطعام» (بكسر الهمزة، فألف بعد العين، ورفع الميم منونة)[1] على المصدر.

وأراد بفك الرقبة: إعتاقها وإطلاقها، ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر بن محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني ابن الهادِ، عن عمر بن علي بن حسين، عن سعيد بن مرجانة قال: سمعته يحدث عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار، حتى يعتق فرجه بفرجه»[2].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا محمد بن كثير العبدي، حدثنا عيسى بن عبد الرحمن السُّلمي، عن طلحة بن مُصَرِّف اليامي، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علِّمني عملًا يدخلني الجنة، قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتقِ النسمةَ وفكَّ الرقبة»، قال: قلت: أوَلَيْسَا واحدًا؟ قال: «لا، عتقُ النسمة: أن تنفرد بعتقها، وفكُّ الرقبة: أن تعين على ثمنها، والمِنْحَةُ الوَكُوفُ[3] وأنفق[4] على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكفَّ لسانك إلَّا من خير»[5].

وقال عكرمة قوله: «فكُّ رقبةٍ» يعني: فك رقبة من الذنوب بالتوبة ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤﴾

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: «أو تحرير رقبة»: (١١/ ٥٩٩)، ومسلم في العتق، باب فضل العتق برقم ١٥٠٩: (٢/ ١١٤٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٣٥١-٣٥٢).

(٣) أي: غزيرة اللبن.

(٤) في «ب»: (والفيء).

(٥) أخرجه البيهقي في «السنن»: (١٠/ ٢٧٣)، والإمام أحمد: (٤/ ٢٩٩)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: (٢/ ٢١٧) ووافقه الذهبي، وابن حبان: ص٢٩٤ من «موارد الظمآن»، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٣٥٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٤٠): (رواه أحمد، ورجاله ثقات).

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

مجاعة، يقال: سَغَبَ يَسْغُبُ سَغْبًا[١] إذا جاع.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ أي: ذا قرابة، يريد: يتيمًا بينك وبينه قرابة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ قد لصق بالتراب من فقره وضره، وقال مجاهد عن ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء، و«المتربة» مصدر تَرِبَ يَتْرَبُ تَرَبًا ومَتْرَبَة، إذا افتقر.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بين أن هذه القُرَبَ إنما تنفع مع الإيمان، وقيل: «ثم» بمعنى «الواو» ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على فرائض الله وأوامره ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ برحمة الناس.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ مطبقة عليهم أبوابها، لا يدخل فيها رَوْح، ولا يخرج منها غم.

قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة هاهنا وفي الهُمَزَة، وقرأ الآخرون بلا همز، وهما لغتان، يقال: آصدت الباب وأوصدته، إذا أغلقته وأطبقته، وقيل: معنى الهمز: المطبقة، وغير الهمز: المغلقة[٢].

* * *

(١) ويقال أيضًا: (سَغِبَ يَسْغَبُ سَغَبًا).

(٢) قال الإمام أبو زرعة ابن زنجلة في كتابه «حجة القراءات» ص٧٦٦: (فمن همزه جعله «مُفْعَلَة» من «آصدت الباب»، أي: أطبقتُه، مثل: آمنت، فاء الفعل همزة، تقول: آصد يُوصِد إيصادًا، ومَنْ ترك الهمز جعله من «أوْصد يُوصِد إيصادًا»، فاء الفعل واو، قال الكسائي: أوْصَدْت الباب وآصدْتُه إذا رددته).

سورة الشَّمْس

مكية(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ قال مجاهد والكلبي: ضوؤها، والضحى: حين تطلع الشمس، فيصفو ضوؤها، قال قتادة: هو النهار كله، وقال مقاتل: حرُّها، كقوله في «طه» «ولا تضحى»، يعني: لا يؤذيك الحر.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾ تبعها، وذلك في النصف الأول من الشهر، إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور، قال الزَّجَّاج: وذلك حين استدار، يعني: كمل ضوؤه تابعًا للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾ يعني: إذا جلَّى الظلمة، كناية عن غير مذكور لكونه معروفًا.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ يعني: يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾﴾ قال الكلبي(٢): ومن بناها وخلقها، كقوله: «فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ» [النساء: ٣]، أي: مَن طاب. قال عطاء: والذي بناها، وقال الفرَّاء والزَّجَّاج: «ما» بمعنى المصدر، أي: وبنائها، كقوله: «بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى» [يس: ٢٧].

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾ بسطها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ عدَّل خلقها وسوَّى أعضاءها، قال عطاء: يريد: جميع ما خلق من الجنِّ والإنس.

١٩٣/ب ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: / بيَّن لها الخير والشر، وقال في رواية عطية: علَّمها الطاعة والمعصية، وروى الكبي عن أبي صالح عنه: عرفها ما تأتي من الخير وما تتقي (من الشر)(٢).

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة «والشمس وضحاها» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٢٧).
(٢) ساقط من «أ».

وقال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها، قال ابن زيد: جعل فيها ذلك، يعني: بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور، واختار الزَّجّاج هذا، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا يبيِّن أن الله عزَّ وجلَّ خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا (أحمد بن)[١] محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله، حدثنا موسى بن محمد بن علي بن عبد الله، أخبرنا عبد الله بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا عروة بن ثابت الأنصاري، حدثنا يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين: أَرأَيْتَ ما يعمل الناس ويتكادحون[٢] فيه، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قَدَرٍ سبق؟ أو فيما يُسْتَقْبَلُونَ به مما آتاهم به نبيُّهم وأُكِّدت عليهم الحُجَّةُ؟ قلت: بل شيء قد قُضِيَ عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلمًا؟ قال: ففزعت منه فزعًا شديدًا، وقلت: إنه ليس شيء إلَّا وهو خَلْقُهُ ومِلْكُ يدِهِ لا يُسْأَل عما يفعل وهم يُسْأَلون، فقال لي: سدَّدك الله، إنما سألتك لأختبر عقلك (إن رجلًا من جهينة أو مزينة)[٣] أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس ويتكادحون فيه أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قدر سبق؟ أو فيما يُسْتَقْبَلُونَ به مما آتاهم نبيُّهم وأُكِّدت به عليهم الحجة؟ فقال: «لا، بل شيءٌ قد قُضِيَ عليهم ومضى فيهم»، قال: قلت: ففيم العمل إذًا؟ قال: «مَنْ كان الله خَلَقه لإحدى المنزلتين يهيئه الله لها، وتَصْديقُ ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾»[٤].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا زهير بن معاوية، عن أبي الزبير، عن جابر قال: جاء سُرَاقةُ بن مالك بن جُعْشُم فقال: يا رسول الله، بيِّن لنا ديننا كأنا خُلقنا الآن، أرأيتَ عمرتنا هذه ألعامنا هذا أم للأبد؟ قال: «بل للأبد»، قال: يا رسول الله، بيِّن لنا ديننا كأننا خُلقنا الآن فيمَ العملُ اليومَ فيما جفَّتْ به الأقلام وجرت به المقادير؟ أو فيما يستقبل؟ قال: «لا، بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير»، قال: ففيمَ العمل؟ فقال زهير: فقال كلمة خفيت عليَّ، فسألت عنها نسبتي بعدُ فذكر أنه سمعها، فقال: «اعملوا، فإنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له»[٥].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) في «ب»: (ويكدحون).

(٣) في «صحيح مسلم»: (إن رجلين من مزينة).

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته برقم ٢٦٥٠: (٢/ ٢٠٤٠ ـ ٢٠٤١).

(٥) أخرجه مسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه.. برقم ٢٦٤٨: (٤/ ٢٠٤٠ ـ ٢٠٤١).

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ وهذا موضع القسم، أي: فازت وسعدت نفسٌ زكاها الله، أي: أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة.

﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ أي: خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها.

وقال الحسن: معناه: قد أفلح مَن زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عزَّ وجلَّ، «وقد خاب من دساها» أهلكها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس.

و«دساها» أصله: دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلت السين الثانية ياءً.

والمعنى هاهنا: أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوريذي، حدثنا أحمد بن حرب، حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلَّا ما قال رسول الله ﷺ لنا: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهمِّ وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليُّها ومولاها، إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١﴾ بطغيانها وعدوانها، أي: الطغيانُ حملهم على التكذيب.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾ أي: قام، والانبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي: كذَّبوا بالعذاب، وكذبوا صالحًا لما انبعث أشقاها وهو: قُدَارُ بن سالف، وكان أشقر أزرق العينين[2] قصيرًا، قام لعقر الناقة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، (أخبرنا موسى بن إسماعيل)[3]، حدثنا وهيب، حدثنا هشام، عن أبيه أنه أخبره عبد الله ابن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال (رسول الله ﷺ)[1]:

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل برقم ٢٧٢٢: (٤/ ٢٠٨٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ١٥٨ ـ ١٥٩).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

«إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا، انبعث لها رجل عزيز عارم[1] منيع في أهله مثل أبي زَمْعَة»[2].

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: احذروا عقر ناقة الله، وقال الزَّجَّاج: منصوب على معنى: ذروا ناقة الله ﴿وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ شربها، أي: ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء، (فلا تتعرضوا)[3] للماء يوم شربها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني: صالحًا ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ يعني: الناقة.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ قال عطاء ومقاتل: فدمَّر عليهم ربهم فأهلكهم، قال المُؤرِّج: الدمدمة: إهلاك باستئصال ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ فسوَّى الدمدمة عليهم جميعًا، وعمهم بها فلم يَفْلِتْ منهم أحد، وقال الفرَّاء: سوَّى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني: سوَّى بينهم.

﴿وَلَا يَخَافُ﴾ قرأ أهل المدينة والشام «فلا» بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو، وهكذا في مصاحفهم ﴿عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ عاقبتها.

قال الحسن: معناه: لا يخاف الله من أحد تبعةً في إهلاكهم، وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وقال الضحاك والسُّدِّي والكلبيُّ: هو راجع إلى العاقر، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها.

* * *

---

(١) هو الشرير المفسد الخبيث، وقيل: القوي الشرس.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الشمس: (٨/ ٧٠٥)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم ٢٨٥٥: (٤/ ٢١٩١).

(٣) في «ب»: (فلا تعترضوا).

سورة الليل

مكية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ أي: يغشى النهار بظلمةٍ فيذهب بضوئه.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ بان وظهر من بين الظلمة.

١/١٩٤ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾﴾ يعني: ومَن خلق، قيل: هي «ما» المصدرية، / أي: وخلق الذكر والأنثى، قال مقاتل والكلبي: يعني: آدم وحواء، وفي قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: والذكر والأنثى، وجواب القسم قوله:

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ إن أعمالكم لمختلفة، فساعٍ في فكاك نفسه، وساعٍ في عطبها. روى أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقُها أو مُوبِقُها»(٢).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ ماله في سبيل الله ﴿وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ ربه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ قال أبو عبد الرحمن والضحاك: وصدَّق بلا إله إلّا الله، وهي رواية عطية عن ابن عباس، وقال مجاهد: بالجنة، دليله: قوله تعالى: «للذين أحسنوا الحسنى»، يعني: الجنة.

وقيل: «صدق بالحسنى»، أي: بالخلف، أي: أيقن أن الله تعالى سيخلفه، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعود الله عزَّ وجلَّ الذي وعده أن يثيبه.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ فسنهيئه في الدنيا ﴿لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ أي: للخلَّة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة «والليل إذا يغشى» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة، باب فضل الوضوء برقم ٢٢٣: (١/ ٢٠٣).

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بالنفقة في الخير ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨﴾ عن ثواب الله فلم يرغب فيه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ سنهيئه للشرِّ، بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله، فيستوجب به النار، قال مقاتل: نعسر عليه أن يأتي خيرًا.

وروينا عن علي، عن النبي ﷺ قال: «ما من نفس منفوسة إلَّا (كتب الله)[1] مكانها من الجنة أو النار»، فقال رجل: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لا، ولكن اعملوا فكل ميسرٌ لما خُلق له، أما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء، وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة»، ثم تلا: «﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾»[2].

قيل: نزلت في أبي بكر اشترى بلالًا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه، فأنزل الله تعالى: «والليل إذا يغشى» إلى قوله: «إنَّ سعيكم لشتى»، يعني: سعي أبي بكر وأمية[3].

وروى علي بن حجر، عن إسحاق، عن أبي نجيح، عن عطاء، قال: كان لرجل من الأنصار نخلة، وكان له جار، يسقط من بلحها في دار جاره، وكان صبيانه يتناولون منه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «بعنيها بنخلة في الجنة» فأبى، فخرج فلقيه أبو الدحداح، فقال له: هل لك أن تبيعها بحَشِ البستان[4]؟ يعني: حائطًا له، فقال له: هي لك، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتشتريها مني بنخلة في الجنة؟ قال: «نعم»، قال: هي لك، فدعا النبيُّ ﷺ جارَ الأنصاري فقال: «خذها»، فأنزل الله تعالى: «والليل إذا يغشى» إلى قوله: «إن سعيكم لشتى»[5] (سعي أبي)[6] الدحداح والأنصاري صاحب النخلة.

«﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾» (يعني: أبا)[7] الدحداح، «﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾» الثواب[7]، «﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾» يعني: الجنة، «﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾» يعني: الأنصاري، «﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾» يعني: الثواب، «﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾» يعني: النار.

---

(١) في «ب»: (قد كُتب).

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله: (٣/ ٢٢٥)، وفي التفسير، وفي الأدب، وفي القدر، وفي التوحيد، ومسلم في أول القدر برقم ٢٦٤٧: (٤/ ٢٠٣٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (١/ ١٣١ ـ ١٣٢).

(٣) انظر: الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٢٤.

(٤) ساقط من «أ».

(٥) انظر: ابن كثير: (٤/ ٥٢٠ ـ ٥٢١)، الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٢٣، «الدر المنثور»: (٨/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣).

(٦) ساقط من «ب».

(٧) زيادة من «أ».

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ الذي بخل به ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ قال مجاهد: إذا مات، وقال قتادة وأبو صالح: هوى في جهنم.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ يعني: البيان، قال الزَّجَّاج: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، وهو قول قتادة، قال: على الله بيان حلاله وحرامه.

قال الفرَّاء: يعني: من سلك الهدى فعلى الله سبيله[(١)]، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[النحل: ٩]، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد.

وقيل: معناه: إن علينا للهدى والإضلال كقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[آل عمران: ٢٦]، (فاقتصر على الهدى؛ لدلالة الكلام عليه، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحل: ٨١]، فاقتصر على ذكر الحر ولم يذكر البرد؛ لأنه يدل عليه)[(٢)].

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ أي: تتلظى، يعني: تتوقد وتتوهج.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ الرسول ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ عن الإيمان.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ يريد بالأشقى: الشقي، وبالأتقى: التقي.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ يعطي ماله ﴿يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ يطلب أن يكون عند الله زاكيًا لا رياء ولا سمعة، يعني: أبا بكر الصديق، في قول الجميع.

قال ابن الزبير: كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال أبوه: أيْ بنيَّ، لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؟ قال: مَنْعَ ظهري أُريدُ، فنزل: «وسيجنبها الأتقى»، إلى آخر السورة[(٣)].

وذكر محمد بن إسحاق قال: كان بلال لبعض بني جمح، وهو بلال بن رباح، واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٢٧١).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٢١)، وزاد صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٥٣٥) عزوه لابن عساكر، وذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٢٦.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾

ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحدٌ أحدٌ.

قال محمد بن إسحاق: عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: مرَّ به أبو بكر يومًا وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية: ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، قال أبو بكر: أفعل! عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيك؟ قال: قد فعلت، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر ستَّ رقاب[١] بلال سابعهم: عامر بن فهيرة شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأم عميس، وزِنِّيرة فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلَّا اللات والعزى، (فقالت: كذبوا وبيت الله، ما تضر اللات والعزى)[٢] وما تنفعان، فرد الله إليها بصرها، وأعتق النهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمرَّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما تحطبان[٣] لها، وهي تقول: والله، لا أعتقكما أبدًا، فقال أبو بكر: خلا يا أم فلان، فقالت: خلا، أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال (أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ)[٤]: فبكم؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، ومر بجارية بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها[٥].

وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال: أتبيعه؟ قال: نعم، أبيعه بـ «نسطاس» عبدٍ لأبي بكر، صاحب عشرة آلاف دينار، وغلمان وجوار ومواش، وكان مشركًا حمله
١٩٤/ب أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له، فأبى فأبغضه أبو بكر، فلما قال له / أمية: أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه وباعه منه، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر ببلالٍ إلَّا ليدٍ كانت لبلال عنده، فأنزل الله:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩﴾[٦]، أي: يجازيه ويكافئه عليها ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾ يعني: لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيدٍ له عنده، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب رضاه.

﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ بما يعطيه الله عزَّ وجلَّ في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل.

---

(١) في «ب»: (رقبات).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) في «ب»: (تطحنان).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) «سيرة ابن هشام»: (١/ ٣٣٩ـ ٣٤٠).

(٦) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٢٨)، الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٢٦، «الدر المنثور»: (٨/ ٥٣٨).

سورة الضُّحَىٰ

مكية[(١)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا الأسود بن قيس قال: سمعت جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[(٢)].

وقيل: إن المرأة التي قالت ذلك: أم جميل امرأة أبي لهب.

وقال المفسرون: سألت اليهودُ رسولَ الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح؟ فقال: «سأخبركم غدًا»، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي[(٣)].

وقال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عنه كون جَرْوٍ في بيته، فلما نزل عاتبه رسول الله ﷺ على إبطائه، فقال: إنَّا لا ندخل بيتًا فيه كلب أو[(٤)] صورة[(٥)].

واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه، فقال ابن جريج: اثنا عشر يومًا، وقال ابن عباس: خمسة عشرة يومًا، وقال مقاتل: أربعون يومًا.

قالوا: فقال المشركون: إن محمدًا ودَّعه ربُّه وقلاه، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل، ما جئت حتى اشتقت إليك»، فقال جبريل: «إني كنت أشدَّ شوقًا إليك[(٦)]، ولكني عبدٌ مأمور»،

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة «الضحى» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الضحى، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: (٨/ ٧١٠) وفي مواضع أخرى، ومسلم في الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين برقم ١٧٩٧: (٣/ ١٤٢٢).

(٣) راجع فيما سبق: (٣/ ٧)، تعليق رقم (١).

(٤) في «ب»: (ولا).

(٥) انظر أحاديث في ذلك: «مسند الإمام أحمد»: (١/ ١٤٨)، «الترغيب والترهيب»: (٤/ ٦٨ ـ ٦٩).

(٦) ساقط من «ب».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾

فأنزل: « وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ »[مريم: ٦٤] (١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ ﴾ أقسم بالضحى وأراد به: النهار كله، بدليل أنه قابلة بالليل (فقال: والليل)(٢) إذا سجى، نظيره: قوله: « أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى »[الأعراف: ٩٨]، أي: نهارًا.

وقال قتادة ومقاتل: يعني: وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في الحر والبرد والصيف والشتاء.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال الوالبي عنه: إذا ذهب، قال عطاء والضحاك: غطى كل شيء بالظلمة، وقال مجاهد: استوى، وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك، يقال: ليل ساج وبحر ساج (إذا كان ساكنًا)(٣).

قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ هذا جواب القسم، أي: ما تركك منذ اختارك، ولا أبغضك منذ أحبك.

﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ حدثنا المطهر بن علي الفارسي، أخبرنا محمد بن إبراهيم الصالحاني(٤)، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، أخبرنا ابن أبي عاصم، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد بن زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا»(٥).

﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن.

---

(١) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٧٩) عن معمر، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٤١)، عزوه لابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس. وانظر: «الفتح السماوي»: (٣/ ١١٠١).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (إذا سكن).

(٤) في «أ»: (الصالحي)، والصحيح ما أثبت.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»: (٢/ ٦٣٣)، وابن أبي شيبة: (١٥/ ٢٣٦)، وابن ماجه مطولًا في الفتن، باب خروج المهدي: (٢/ ١٣٦٦)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٤٦٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٤٨)، قال في «الزوائد» (٢/ ١٣٦٦): (إسناده ضعيف؛ لضعف يزيد بن أبي زياد الكوفي، لكن لم ينفرد به فقد رواه الحاكم في «المستدرك» من طريق عمر بن قيس عن الحكم عن إبراهيم). قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: (موضوع).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾

وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «اللهم أُمّتي أُمّتي وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أُمَّتك، ولا نسوؤك فيهم»[1].

وقال حرب بن شريح: سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول: إنكم يا معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله»، وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله «ولسوف يعطيك ربك فترضى»[2] من الثواب، وقيل: من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين «فترضى». ثم أخبره الله عزَّ وجلَّ عن حالته التي كان عليها قبل الوحي، وذكَّرهُ نعمه فقال جلَّ ذكره:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي فقال: أنبأني عبد الله بن حامد الأصفهاني، أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابوري، حدثنا محمد بن عيسى، أنا أبو عمرو الجويني وأبو الربيع الزهراني قالا: حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألةً ووددت أني لم أكن سألته، قلت: يا رب، إنك آتيت سليمان بن داود ملكًا عظيمًا، وآتيت فلانًا كذا، وآتيت فلانًا كذا؟ قال: يا محمد، ألم أجدك يتيمًا فآويتك؟ قلت: بلى، أيْ ربِّ، (قال: ألم أجدك ضالًا فهديتُك؟ قلت: بلى، أيْ ربِّ، قال: ألم أجدك عائلًا فأغنيتُك؟ قلت: بلى، أيْ ربِّ»، وزاد غيره عن حماد قال: «ألم أشرح لك صدرك ووضعتُ عنك وزرك؟ قلت: بلى، أيْ ربِّ)[3]»[4].

ومعنى الآية: ألم يجدك يتيمًا صغيرًا فقيرًا حين مات أبواك ولم يخلِّفا لك مالًا ولا مأوًى، فجعلت لك مأوًى تأوي إليه، وضمَّك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ يعني: ضالًا عما أنت عليه ﴿فَهَدَىٰ ۝٧﴾ أي: فهداك للتوحيد والنبوة.

قال الحسن والضحاك وابن كيسان: «ووجدك ضالًا» عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلًا عنها، فهداك إليها، (كما قال)[3]: «وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ»[يوسف: ٣]، وقال: «مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ»[الشورى: ٥٢].

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم برقم ٢٠٢: (١/ ١٩١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) عزاه صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٥٤٣) لابن المنذر وابن مردويه وأبي نعيم في «الحلية».

(٣) ساقط من «أ».

(٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٤): (رواه الطبراني في «الكبير»: ١١/ ٤٥٥، و«الأوسط»، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط)، وساقه ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٥٢٥-٥٢٦) من رواية ابن أبي حاتم وأبي نعيم في «دلائل النبوة»، وعزاه في «كنز العمال»: (١١/ ٤٥٦) للحاكم والبيهقي وابن عساكر عن ابن عباس.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾

وقيل: ضالًا في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب، وروى أبو الضحى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير، فرآه أبو جهل منصرفًا عن أغنامه فرده إلى عبد المطلب.

وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة «ميسرة» غلام خديجة، فبينما
١/١٩٥ هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقةً إذ جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل / فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة، ورده إلى القافلة، فمنَّ الله عليه بذلك[١].

وقيل: «وجدك ضالًا»: ضالّ[٢] نفسك، لا تدري مَن أنت، فعرَّفك نفسك وحالك.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ أي: فقيرًا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم.

وقال مقاتل: فأرضاك[٣] بما أعطاك من الرزق، واختاره الفرَّاء وقال: لم يكن غنيًا عن كثرة المال ولكن الله أرضاه[٤] بما آتاه، وذلك حقيقة الغنى.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد ابن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه أنه قال: أخبرنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ، ولكن الغنى غنى النفس»[٥].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزغرتاني[٦]، أخبرنا أحمد بن سعيد، أخبرنا أبو يحيى محمد بن عبد الله، حدثنا أبي حدثني شرحبيل بن شريك، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه»[٧].

ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ قال مجاهد: لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيمًا، وقال الفرَّاء والزَّجَّاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه[٨]، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم.

---

(١) عزاهما ابن كثير في «التفسير»: (٤/ ٥٢٤) للبغوي.
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في «ب»: (فرضّاك).
(٤) في «ب»: (رضّاه).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في روايته لصحيفة همام بن منبه برقم٦٢: ص٢٣٧، بتحقيق: د. رفعت فوزي، والبخاري في الرقاق، باب الغنى غنى النفس: (١١/ ٢٧١)، ومسلم في الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض برقم١٠٥١: (٢/ ٧٢٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٤٣_٢٤٤).
(٦) في «أ»: (الزغرغتاني)، وفي «ب»: (الزعفراني)، والصحيح ما أثبت.
(٧) أخرجه مسلم في الزكاة، باب في الكفاف والقناعة برقم١٠٥٤: (٢/ ٧٣٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٤٥).
(٨) انظر: «معاني القرآن» للفرَّاء: (٣/ ٢٧٤).

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾

أخبرنا أبو بكر محمد عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا (عبد الله)[1] بن محمود، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن[2] سليمان، عن يزيد بن أبي عتاب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يحسن إليه، وشرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُساء إليه»، ثم قال بأصبعيه: «أنا وكافل اليتيم (في الجنة)[3] هكذا (وهو يشير)[4] بأصبعيه (السبابة والوسطى)[3]»[5].

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾ قال المفسرون: يريد: السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره إذا سألك، فقد كنت فقيرًا، فإما أن تطعمه، وإما أن ترده ردًّا لينًا، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره.

وقال قتادة: رُدّ السائل برحمة ولين، قال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤّال يحملون زادنا إلى الآخرة.

وقال إبراهيم: السائل يريد الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشيء؟

وروي عن الحسن في قوله: «أما السائل فلا تنهر»، قال: طالب العلم.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ قال مجاهد: يعني: النبوة، روى عنه أبو بشر واختاره الزَّجّاج، وقال: أي بلِّغ ما أُرسلت به، وحدِّث بالنبوة التي آتاك الله[3].

وقال الليث عن مجاهد: يعني: القرآن، وهو قول الكلبي، أمره أن (يقرأ به)[6].

وقال مقاتل: اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والإغناء بعد العَيْلة، والتحدث بنعمة الله شكرًا.

---

(١) في «أ»: (عبد)، والصحيح ما أثبت.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) ساقط من «أ».
(٤) في «ب»: (وهو يشير).
(٥) حديث ضعيف، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: ص٤٧، وابن ماجه في الأدب، باب حق اليتيم برقم٣٦٧٩: (٢/ ١٢١٣)، وأبو نعيم في الحلية عن عمر ـ رضي الله عنه ـ: (٦/ ٣٣٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ٤٣).
وضعفه البوصيري فقال في «الزوائد»: (في إسناده يحيى بن سليمان، أبو صالح، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وأخرج ابن خزيمة حديثه في «صحيحه»، وقال: في النفس من هذا الحديث شيء، فإني لا أعرف يحيى بعدالة ولا جرح، وإنما خرجت خبره؛ لأنه يختلف العلماء فيه، قلت: قد ظهر للبخاري وأبي حاتم ما خفي على ابن خزيمة، فجرحهما مقدم على مَن عدَّله).
وانظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» للعراقي والزبيدي: (٣/ ١٢٠٩ ـ ١٢١٠)، «سلسلة الأحاديث الضعيفة»: (٤/ ١٤٢).
(٦) في «ب»: (يقرأه).

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمي البسطامي، حدثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد ابن يحيى بن سختويه، أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسين النصر أبادي، (حدثنا علي بن سعيد النسوي)[1]، أخبرنا سعيد بن عفير، حدثنا يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية، عن شرحبيل مولى الأنصاري، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «مَن صُنع إليه معروفٌ فليجز به، فإن لم يجد ما يُجزي به فليثنِ عليه، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلَّى بما لم يُعْطَ كان كلابس ثوبين من زور»[2].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، حدثنا أبو القاسم بن منيع، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا وكيع، عن أبي عبد الرحمن، يعني: القاسم بن الوليد، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «مَن لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ، ومن لم يشكر الناسَ لم يشكر الله تعالى، التحدث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[3].

والسنة ـ في قراءة أهل مكة ـ أن يكبر من أول سورة «والضحى» على رأس كل سورة حتى يختم القرآن، فيقول: الله أكبر.

قال الشيخ الإمام الأجل محيي السنة ناصر الحديث قدوة الأئمة ناشر الدين ركن الإسلام إمام الأئمة مفتي الشرق أبو محمد الحسين بن مسعود رحمه الله: كذلك قرأته على الإمام المقرىء أبي نصر محمد بن أحمد بن علي الحامدي بمرو، قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، قال: قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقرىء، قال: قرأ على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي، قال: قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد، وهما قرآ على أبي الحسين ابن أبي بزة، وأخبرهما (ابن أبي بزة)[4] أنه قرأ على عكرمة بن سليمان بن كثير المكي، وأخبره عكرمة أنه قرأ

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: ص٦٩، من حديث سعيد بن عفير عن يحيى بن أيوب عن عمارة بن غَزِيَّة عن شرحبيل مولى الأنصار عن جابر، وشرحبيل ضعفه غير واحد، ومع ذلك فقد صححه ابن حبان برقم٢٠٧٣: ص٥٠٦، وأخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، عن طريق إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية، عن أبي الزبير عن جابر، وقال: (هذا حديث حسن غريب).
وأخرجه أبو داود في الأدب، باب في شكر المعروف: (٧/ ١٧٩)، وللحديث شاهد عند أحمد والطبراني في «الأوسط»، قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨١): (وفيه صالح بن أبي الأخضر، وقد وثق على ضعفه، وبقية رجال أحمد ثقات، فهو حديث صحيح بطرقه).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٤/ ٢٧٨)، وابنه عبد الله في «زوائد المسند»: (٤/ ٣٧٥)، قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢١٨): (رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات)، وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٣٦٦): (رواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» عن النعمان، وأخرجه عبد الله بن أحمد بإسناد لا بأس به . . .)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٤٥) للبيهقي في «الشعب بسند ضعيف، وضعفه ابن كثير: (٤/ ٥٢٤). وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني: (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

على شبل بن عباد وإسماعيل بن قسطنطين، وأخبراه أنهما قرآ على عبد الله بن كثير، وأخبرهما عبد الله (بن كثير ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ)(١) أنه قرأ على مجاهد، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أُبيّ بن كعب.

وأخبرنا الإمام المقرىء أبو نصر محمد بن أحمد بن علي وقرأت عليه بمرو، وقال: أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد الزيدي بالتكبير، وقرأت عليه بثغر حران، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش، وقرأت عليه بمدينة السلام، حدثنا أبو ربيعة محمد بن إسحاق الربعي، وقرأت عليه بمكة قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة(٢)، وقرأت عليه قال لي: قرأته على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد قال: فلما بلغت «والضحى» قالا لي: كبِّر حتى تختم، مع خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس (فأمره بذلك)(٣)، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أُبي بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أُبيٌّ أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك(٤).

وكان سبب التكبير أن الوحي لما احتبس قال المشركون: هجره شيطانه، وودعه، فاغتمَّ النبي ﷺ لذلك، فلما نزل «والضحى» كبَّر رسول الله ﷺ فرحًا بنزول الوحي، فاتخذوه سنَّة(٥).

* * *

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «أ»: (توبة)، والصحيح ما أثبت.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) ساقه ابن كثير: (٤/ ٥٢٢)، ثم قال: (فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إمامًا في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشافعي أنه سمع رجلًا يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال: أحسنت وأصبت السنة، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث).

وراجع في ذلك «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي..

(٥) ذكره ابن كثير: (٤/ ٥٢٢)، وقال: (ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، والله أعلم).

سورة الشَّرْح

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ ألم نفتح ونوسّع / ونليِّن لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة. ١٩٥/ب

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك: وحططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وهو كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢].

وقال الحسين بن الفضل: يعني: الخطأ والسهو، وقيل: ذنوب أُمَّتك فأضافه[٢] إليه؛ لاشتغال قلبه بهم، وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة: يعني: خففنا عنك أعباءَ النبوة والقيام بأمرها[٣].

﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ أثقل ظهرك فأوهنه حتى سُمِعَ له نقيض، أي: صوت.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي المؤذن، حدثنا أبو بكر بن حبيب، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل، حدثنا صفوان يعني: ابن صالح عبد الملك، حدثنا الوليد يعني: ابن مسلم حدثني عبد الله بن لهيعة، عن درَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية «ورفعنا لك ذكرك»؟ قال: قال الله تعالى: «إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي»[٤].

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة «ألم نشرح» بمكة، زاد بعضهم بعد الضحى. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٤٧).

(٢) في «ب»: (فأضافها).

(٣) هذا موضعه في «أ»، وفي «ب» بعد تفسير قوله تعالى: «الذي أنقض ظهرك».

(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٣٥)، وأبو يعلى في «المسند»: (٢/ ١٣١)، وابن حبان برقم١٧٧٢: ص٤٣٩ من «موارد الظمآن»، وفيه وابن لهيعة وقد اختلط، ودراج ضعيف.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

وعن الحسن قال: «ورفعنا لك ذكرك» إذا ذكرتُ ذكرتَ معي[1]، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد: الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر، ولو أن عبدًا عبد الله وصدَّقه في كل شيء ولم يشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ لم ينتفع بشيء، وكان كافرًا، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلَّا ينادي: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمد رسول الله[2].

وقال الضحاك: لا تقبل صلاة (إلَّا به)[3]، ولا تجوز خطبة إلَّا به، وقال مجاهد: (ورفعنا لك ذكرك)[4]، يعني: بالتأذين.

وفيه يقول حسان بن ثابت:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الله أرسـلَ عبـدَهُ ... ببرهـانـه، والله أعْلَـى وأمْـجَـدُ
أَغَـرُّ، عليـه للنّبـوةِ خَـاتَـمٌ ... مـن الله مشهـودٌ يَلُـوحُ ويشهَـدُ
وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ مع اسمِه ... إذا قالَ في الخمسِ المؤذنُ: أشهدُ
وشـقَّ لـه مـن اسمـه لِيُجِلَّـه ... فَذُو العَرْشِ محمودٌ، وهذا محمدُ[5]

وقيل: رفع الله ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله.

ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة، وذلك أنه كان بمكة في شدة، فقال الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ أي: مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرًا ورخاءً بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به، «إن مع العسر يسرًا» كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء، وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أبشروا، قد جاءكم اليسر، لن يغلب عسرٌ يسرين»[6]، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل، إنه لن يغلب عسرٌ يسرين[7].

---

(١) زيادة من «أ».

(٢) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٣٥)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩) عزوه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي في «الدلائل».

(٣) ساقط من «أ».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) انظر: «ديوان حسان ـ رضي الله عنه ـ»: ص٤٧ طبع بيروت.

(٦) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، وهو منقطع. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٥٠) أيضًا لعبد بن حميد وابن مردويه.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، والطبري: (٣٠/ ٢٣٦)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٥٠ ـ ٥٥١) عزوه للطبراني وابن مردويه.

قال المفسرون: ومعنى قوله: «لن يغلب عسر يسرين»: أن الله تعالى كرر العُسْرَ بلفظ المعرفة واليُسْرَ بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسمًا معرَّفًا، ثم أعادته كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين، وإذا أعادته معرفة فالثاني هو الأول، كقولك: إذا كسبتُ درهمًا أنفقتُ درهمًا، فالثاني غير الأول، وإذا قلت: إذا كسبتَ درهمًا فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف، فكان عسرًا واحدًا، واليسر مكرر بلفظ التنكير[1]، فكانا يسرين، فكأنه قال: فإن مع العسر يسرًا، إن مع ذلك العسر يسرًا آخر.

وقال أبو علي الحسن[2] بن يحيى بن نصر الجرجاني صاحب «النظم»[3]: تكلم الناس في قوله: «لن يغلب عسرٌ يسرين»، فلم يحصل منه غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة، فوجب أن يكون عسرٌ واحد ويسران، وهذا قول مدخول، إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفًا، (إن مع الفارس سيفًا)[4]، فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحدًا والسيف اثنين، فمجازُ قوله: «لن يغلب عُسْرٌ يسرين» أن الله بعث نبيه ﷺ وهو مُقِلٌّ مخفٌّ، فكانت قريش تعيره بذلك، حتى قالوا: إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالًا حتى تكون كأيسر أهل مكة، فاغتمَّ النبي ﷺ لذلك، فظن أن قومه إنما يكذِّبونه لفقره، فعدَّد الله نعمه عليه في هذه السورة، ووعده الغنى، ليسليه بذلك عمَّا خامره من الغم، فقال: «فإن مع العسر يسرًا»، مجازه: لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسرًا في الدنيا عاجلًا، ثم أَنجَزَهُ مَا وَعَدَهُ، وفتح عليه القرى العربية ووسَّع عليه ذات يده، حتى كان يعطي المئين من الإبل، ويهب الهبات السَّنِيَّة، ثم ابتدأ فضلًا آخر من أمر الآخرة، فقال: «إن مع العسر يسرًا»، والدليل على ابتدائه: تعرِّيه من الفاء والواو، وهذا وعد لجميع المؤمنين، ومجازه: إن مع العسر يسرًا، أي: إن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسرًا في الآخرة، فربما اجتمع له اليسران: يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الأولى، ويسر الآخرة وما ذكره في الآية الثانية، فقوله عليه السلام: «لن يغلب عسرٌ يسرين»، أي: يغلب عسرُ الدنيا اليسرَ الذي وعده للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة، وإنما يغلب أحدهما، وهو يسر الدنيا، وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل، أي: لا يجمعهما في الغلبة، كقوله ﷺ: «شهرا عيدٍ لا ينقصان»[5]، أي: لا يجتمعان في النقصان.

---

(١) في «ب»: (النكرة).

(٢) في «أ»: (الحسين)، والصحيح ما أثبت.

(٣) أي: «نظم القرآن»، ويقع في مجلدين.
انظر: ترجمة أبي علي الحسن بن يحيى في «تاريخ جرجان» للسهمي: ص١٨٧ ـ ١٨٨.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) أخرجه البخاري في الصوم، شهرا عيدٍ لا ينقصان: (٤/ ١٢٤)، ومسلم في الصيام، بيان معنى قول ﷺ شهرا عيدٍ لا ينقصان برقم١٠٨٩: (٢/ ٧٦٦).

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾ أي: فاتعب، والنَّصَب: التعب، قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي: فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يُعْطِكَ[1].

(وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة)[2].

وقال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل[3].

وقال الشعبي: إذا فرغت من التشهد فادعُ لدنياك وآخرتك.

وقال الحسن وزيد بن أسلم: إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربِّك[4].

وقال منصور عن مجاهد: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربِّك وصلِّ[5].

وقال حيان عن الكلبي: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب، أي: استغفر لذنبك وللمؤمنين.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ قال عطاء: تضرع إليه راهبًا من النار راغبًا في الجنة، وقيل: فارغب إليه في

١٩٦/أ جميع أحوالك، قال الزَّجَّاج: / أي: اجعل رغبتك إلى الله وحده.

* * *

---

(١) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٣٦)، وزاد صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٥٥١) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٥١) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٣٧). وانظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٥٢).

(٥) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٣٧)، وقال مرجحًا: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان به مشتغلًا من أمر دنياه وآخرته، مما أدى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قربه إليه، ومسألته حاجته، ولم يخصص بذلك حالًا من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشتغلًا؛ لعموم الشرط في ذلك من غير خصوص حال فراغ دون حال أخرى).

سورة التِّين

مكية[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وإبراهيم وعطاء بن أبي رباح ومقاتل والكلبي: هو تينكم هذا[2] الذي تأكلونه، وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت.

قيل: خصَّ التين بالقسم؛ لأنها فاكهة مخلَّصة لا عجم لها، شبيهة بفواكه الجنة، وخص الزيتون لكثرة منافعه؛ لأنه شجرة مباركة جاء بها الحديث، وهو ثمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح.

وقال عكرمة: هما جبلان، قال قتادة: «التين»: الجبل الذي عليه دمشق، و«الزيتون»: الجبل الذي عليه بيت المقدس؛ لأنهما ينبتان التين والزيتون.

وقال الضحاك: هما مسجدان بالشام، قال ابن زيد: «التين» مسجد دمشق، و«الزيتون»: مسجد بيت المقدس، وقال محمد بن كعب: «التين»: مسجد أصحاب الكهف، و«الزيتون»: مسجد إيليا.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ يعني: الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكرنا معناه عند قوله: «وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ» [المؤمنون: ٢٠] [3].

﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ أي: الآمن، يعني: مكة، يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام، هذه كلها أقسام والمقسَم عليه قوله:

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾﴾ أي: أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبًا على وجهه إلَّا الإنسان خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده، مزيَّنًا بالعقل والتمييز.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: أنزلت سورة «التين» بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٥٣).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر فيما سبق: (٣/ ٢٤٣ـ٢٤٤).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ يريد: إلى الهرم وأرذل العمر، فينقص عقله ويضعف بدنه، والسافلون: هم الضعفاء والزَّمْنَى والأطفال، فالشيخ الكبير أسفل[1] من هؤلاء جميعًا، («وأسفل سافلين» نكرة تعمُّ الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائم، فإذا عرَّفت قلت: أكرم القائمين، وفي مصحف عبد الله «أسفل السافلين»)[1]، وقال الحسن وقتادة ومجاهد: يعني: ثم رددناه إلى النار، يعني: إلى أسفل السافلين؛ لأن جهنم بعضها أسفل من بعض. قال أبو العالية: يعني: إلى النار في شرِّ صورةٍ، في صورة خنزير.

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (فإنهم لا يردون إلى النار، ومن قال بالقول الأول قال: رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة إلَّا الذين آمنوا)[2] ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة.

قال ابن عباس: هم نفرٌ رُدُّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عذرهم، وأخبر أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم[3].

قال عكرمة: لم يضر هذا الشيخ كبره[2] إذ ختم الله له بأحسن ما كان يعمل[4].

وروى عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس قال: «إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات»، قال: «إلَّا الذين آمنوا[5]» قرؤوا القرآن، وقال: من قرأ القرآن لم يردَّ إلى أرذل العمر[6] ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ غير مقطوع؛ لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل، قال الضحاك: أجر بغير عمل، ثم قال: إلزامًا للحجة:

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ (أي: أمن يكذبك، وقيل: أي شيء يكذبك؟ أي: يحملك على الكذب، وقيل: على التكذيب)[1] أيها الإنسان ﴿بَعْدُ﴾ أي: بعد هذه الحجة والبرهان ﴿بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ بالحساب والجزاء، والمعنى: ألا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر، وتقول: إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج؟

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٤٧)، «الدر المنثور»: (٨/ ٥٥٧)، وقد عزاه أيضًا لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٤٤).

(٥) زيادة من «ب».

(٦) صححه الحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩) ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٥٨) عزوه للبيهقي في «شعب الإيمان».

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ بأقضى القاضين، قال مقاتل: (أليس الله)[1] يحكم بينك وبين أهل التكذيب بك[2] يا محمد.

وروينا أن رسول الله قال: «من قرأ والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: «أليس الله بأحكم الحاكمين» فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، أخبرنا أبو الوليد، حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت الأنصاري قال: سمعت البراء بن عازب قال: إن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون[4].

* * *

(١) ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه أبو داود مطولًا في الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود: (١/ ٤٢٣)، ومن طريقه البيهقي في «السنن»: (٢/ ٣١٠)، والإمام أحمد: (٢/ ٢٤٩).
ورواه الترمذي: (٩/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) مختصرًا عن إسماعيل بن أمية قال: سمعت رجلًا بدويًا يقول سمعت أبا هريرة . . . وقال: (هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة التين: (٨/ ٧١٣).

سورة العَلَق

مكية[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ أكثر المفسرين: على أن هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: «ما لم يعلم».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بُكَيْر، حدثنا الليث، عن عُقَيْل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدِىءَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فَلَقِ الصُّبْح، ثم حُبِّبَ إليه الخَلَاءُ، فكان يخلو بغار حراء، فَيَتَحَنَّثُ فيه ـ وهو التعبُّد ـ الليالي ذوات العَددِ قبل أن يَنْزِع إلى أهله، ويتزوَّدُ لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجَهْدُ ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، (قال: فأخذني)[٢] فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجَهْدُ ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثالثة (حتى بلغ مني الجَهْدُ)[٢]، ثم أرسلني، فقال: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ»، فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فؤادُه، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زمِّلُوني زمِّلُوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجة: ما ليَ؟ وأخبرها الخبر، وقال: لقد خَشِيتُ على نفسي، فقالت خديجة: كلّا، والله ما يُخْزِيك الله أبدًا، إنك لتصل الرَّحِم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقةَ بنَ نوفل بنِ أسدِ بن عبدِ العُزى ـ ابن عمّ خديجة ـ وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب

(١) أخرج ابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال: أول ما نزل من القرآن بمكة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٦٠ـ ٥٦٢).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

الكتابَ العربيَّ، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عميَ، فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا النَّاموسُ الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكون
١٩٦/ب حيًّا إذ يُخرِجُكَ قومُك، فقال رسول الله ﷺ: أَوَمُخرِجِيَّ هم[(١)]؟ قال: نعم لم / يأت (أحدٌ بمثل ما)[(٢)] جئتَ به إلَّا عُودِيَ، وإن يُدرِكْني يومُكَ أنْصُرْكَ نصرًا مؤزَّرًا، ثم لم يمكث[(٣)] ورقةُ أنْ تُوفِّيَ، وفَتَر الوحي[(٤)].

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث في موضع آخر من كتابه، عن يحيى بن بُكَيْر بهذا الإسناد، وقال: حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قال الزهري: فأخبرني عروة عن عائشة وذكر الحديث، قال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، حتى بلغ «ما لم يعلم»، وزاد في آخره فقال: وفَتَر الوحيُ فَتْرَةً حتى حَزِنَ النبيُّ ﷺ فيما بلغنا حزنًا غدا منه مرارًا حتى يتردَّى من رؤوس شَواهِقِ الجبال، فكلما أوفى بذِرْوة جبلٍ لكي يُلقِيَ نفسه منه، تبدَّى له جبريل فقال: يا محمدُ، إنك رسولُ الله حقًّا، فيسكنُ لذلك جأشُه وتقرُّ نفسُه فيرجع، فإذا طالت عليه فترةُ الوحي غدا لمثلِ ذلك، فإذا أوفى بذِرْوة جبلٍ تبدَّى له جبريلُ، فقال له مثل ذلك»[(٥)].

أخبرنا أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريجي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد الوراق، أخبرنا مكي بن عبدان، أخبرنا عبد الرحمن بن بشر، حدثنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أول سورة نزلت قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[(٦)].

قال أبو عبيدة: مجازُه: اقرأ اسم ربك، يعني: أن الباء زائدة، والمعنى: اذكر اسمه، أُمِرَ أن يبتدىء القراءة باسم الله تأديبًا[(٧)].

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ قال الكلبي: يعني: الخلائق، ثم فسره فقال:

---

(١) زيادة من «أ».

(٢) في «ب»: (رجل قط بما)، وهو موافق لرواية البخاري.

(٣) في «ب»: (يَنْشَب).

(٤) أخرجه البخاري في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: (١/ ٢٣).

(٥) أخرجه البخاري في التعبير، باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة: (١٢/ ٣٥١ـ٣٥٢)، ومسلم في الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم ١٦٠: (١/ ١٣٩ـ١٤٢).

(٦) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٥٢)، وصححه الحاكم: (٢/ ٥٢٩)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٦١) عزوه لابن مردويه والبيهقي في «الدلائل».

(٧) في «ب»: (تأدبًا).

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: خلق[1] ابن آدم ﴿مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ جمع: علقة.

﴿ٱقْرَأْ﴾ كرره تأكيدًا، ثم استأنف فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ قال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ يعني: الخط والكتابة.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ من أنواع الهدى والبيان، وقيل: علم آدم الأسماء كلها، وقيل: الإنسان هاهنا محمد ﷺ، بيانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء: ١١٣].

﴿كَلَّآ﴾ حقًا ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ ليتجاوز حده ويستكبر على ربه.

﴿أَن﴾ لأن ﴿رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ أي: رأى نفسه غنيًا، قال الكلبي: يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، كان إذا أصاب مالًا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه، فذلك طغيانه.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ أي: المرجع في الآخرة، («الرجعى»: مصدر على وزن فُعْلَى)[2].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ نزلت في أبي جهل، نهى النبي ﷺ عن الصلاة[3].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عبد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الأعلى القيسي قالا: حدثنا المعتمر، عن أبيه، حدثني نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات[4] والعُزَّى لئن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ على رقبته، ولأعفِّرَنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، عزم[5] ليطأ على رقبته، فما فَجَأَهُمْ منه إلَّا وهو ينكُصُ على عقبيه، ويتَّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني

(١) ساقط من «ب».
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٣) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٥٤)، ابن كثير: (٤/ ٥٢٩).
(٤) زيادة من «ب».
(٥) في «ب»: (زعم).

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾

وبينه لخندقًا من نار، وهولًا وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»، قال: فأنزل الله ـ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ـ: «﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ * أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾» الآيات[(١)].

ومعنى «أرأيت» هاهنا: تعجيب للمخاطب، وكرّر هذه اللفظة للتأكيد:

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ يعني: العبد المنهي، وهو محمد ﷺ.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ يعني: بالإخلاص والتوحيد.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ يعني: أبا جهل ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ عن الإيمان.

وتقدير نظم الآية: أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى، والمنهي[(٢)] عن الهدى آمِرٌ بالتقوى، والناهي مكذِّبٌ مُتَوَلٍّ عن الإيمان، فما أعجب من هذا!

﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ يعني: أبا جهل ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ذلك فيجازيه به.

﴿كَلَّا﴾ لا يعلم ذلك ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عن إيذاء نبيه[(٣)] ﷺ وتكذيبه ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ لنأخذن بناصيته فلنجرنه إلى النار، كما قال: «﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾»[الرحمن: ٤١]، يقال: سفعتُ بالشيء، إذا أخذته وجذبته جذبًا شديدًا، و«الناصية»: شعر مقدم الرأس.

ثم قال على البدل: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ أي: صاحبها كاذب خاطىء، قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسولُ الله ﷺ، فقال أبو جهل: أتنهرني (يا محمد، لقد علمت ما بها أكثر ناديًا مني؟ ثم قال)[(٤)]: فوالله لأملأنَّ عليك هذا الوادي إن شئت خيلًا جردًا ورجالًا مردًا[(٥)].

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي: قومه وعشيرته، أي: فليستنصر بهم.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ جمع: زِبْنِيّ، مأخوذ من الزَّبْن، وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد: زبانية جهنم سموا بها؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها، قال الزَّجاج: هم الملائكة الغلاظ الشداد، قال ابن عباس:

---

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ برقم٢٧٩٧: (٤/ ٢١٥٤).

(٢) في «ب»: (وهو).

(٣) في «ب»: (محمد).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) انظر: الطبري: (٣٠/ ٢٥٥).

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ (١٩)﴾

لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله[١]، ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ في ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾ صلِّ لله ﴿وَاقْتَرِب ۩ (١٩)﴾ من الله.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، حدثنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، حدثنا أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو بن السراج ومحمد بن سلمة قالوا: أخبرنا وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غُزَيَّة، عن سُمَيّ مولى أبي بكر أنه سمع أبا صالح ذكوان يُحدِّث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثروا الدعاء فيها[٢]»[٣].

* * *

(١) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٥٦).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود: (١/ ٤٢٠)، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم ٤٨٢: (١/ ٣٥٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ١٥١).

سورة القَدْر

مكية[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ يعني: القرآن، كناية عن غير مذكور، أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعه في بيت العزة، ثم كان ينزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نجومًا في عشرين سنة[2]، ثم عجَّب نبيه فقال:

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾ سُمِّيتْ ليلة القدر؛ لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[الدخان: ٤]، وهو مصدر قولهم: قَدَر الله الشيء بالتخفيف، قَدْرًا وقَدَرًا، كالنَّهْر / والنَّهَر، والشَّعْر والشَّعَر، وقدَّره ـ بالتشديد ـ 1/197 تقديرًا، (وقَدَر ـ بالتخفيف ـ قدرًا)[3] بمعنى واحد.

قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: بلى[4]، قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سَوْق المقادير إلى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدر، وقال الأزهري: «ليلة القدر»، أي: ليلة العظمة والشرف، من قول الناس: لفلان عند الأمير قدر، أي: جاه ومنزلة، ويقال: قَدَرْتُ فلانًا، أي: عظمته، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[الأنعام: ٩١، الزمر: ٦٧]، أي: ما عظموه حق تعظيمه، وقيل: لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله؛ لكونه مقبولًا.

واختلفوا في وقتها، فقال بعضهم: إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة، ورُوي عن عبد الله بن مكانس مولى معاوية قال: قلت لأبي هريرة:

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٦٧).
(٢) انظر: ابن كثير: (٤/ ٥٣٠).
(٣) ما بين القوسين زيادة من «أ».
(٤) في «ب»: (نعم).

زعموا أن ليلة القدر قدْ رُفعتْ؟ قال: كذب مَن قال ذلك، قلت: هي في كل شهر أستقبله؟ قال: نعم[(١)].

وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علَّق رجل طلاق امرأته وعتق عبده بليلة القدر، لا يقع ما لم تمض سنة من حين حلف، يروى ذلك عن ابن مسعود، قال: مَن يقم الحول يُصِبْهَا، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه علم أنها في شهر رمضان، ولكن أراد أن لا يتكل الناس[(٢)].

والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان.

واختلفوا في تلك الليلة، قال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان، وقال الحسن: ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر.

والصحيح والذي عليه الأكثرون: أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحرَّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»[(٣)].

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى، حدثنا قتيبة، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما[(٤)] لا يجتهد في غيرها[(٥)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي يعقوب، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر[(٤)] من رمضان: شدَّ مئزره، وأحيا ليلة، وأيقظ أهله[(٦)].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٧٠) لعبد بن حميد.

(٢) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في ليلة القدر: (٣/ ٥٠٤)، والبخاري في فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر: (٤/ ٢٥٩)، وأخرج مسلم الجملة الأخيرة: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» في الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها برقم ١١٦٩: (٤/ ٨٢٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٨١).

(٤) ساقط من «أ».

(٥) أخرجه الترمذي في الصوم: (٣/ ٥٠٩)، وقال: (هذا حديث غريب حسن صحيح)، ومسلم في الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان برقم ١١٧٤: (٢/ ٨٣٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٩٠).

(٦) أخرجه البخاري في فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان: (٤/ ٢٦٩)، ومسلم في الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان برقم ١١٧٤: (٢/ ٨٣٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٨٩).

واختلفوا في أنها في أي ليلة من العشر؟

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا أبو سهل بن مالك، عن أبي، عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «تحرَّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»(١).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا مكي بن عبدان، حدثنا عبد الله بن هاشم(٢) بن حيان، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عيينة بن عبد الرحمن، حدثني أبي قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال: ما أنا بطالبها بعد شيء سمعتُه من رسول الله ﷺ إلَّا في العشر الأواخر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في العشر الأواخر من تسع بقِينَ أو سبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليلة»(٣)، فكان أبو بكرة إذا دخل رمضان يصلي كما يصلي في سائر السنة، فإذا دخل العشر الأخير(٤) اجتهد.

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثنى، حدثني خالد بن الحارث، حدثنا حميد حدثنا أنس بن مالك، عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتَلاحَى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجتُ لأخبركم بليلة القدر فتَلاحَى فلان وفلانٌ فرُفعتْ، وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»(٥).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ أُروا(٦) ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر: (٤/ ٢٥٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٨١ـ ٣٨٢).

(٢) في «أ»: (هشام)، والصحيح ما أثبتناه كما في «التهذيب».

(٣) أخرجه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في ليلة القدر: (٣/ ٥٠٧ـ ٥٠٨)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن حبان: ص٢٣١ من «موارد الظمآن»، وابن خزيمة: (٣/ ٣٢٤)، وصححه الحاكم: (١/ ٤٣٨) ووافقه الذهبي، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٢٨٠)، والإمام أحمد: (٥/ ٣٦)، والطيالسي في «المسند» برقم٨٨١: ص١١٨، وابن أبي شيبة: (٣/ ٧٦)، وصححه الألباني في تعليقه على «المشكاة»: برقم٢٠٩٢، و«صحيح الجامع»: برقم١٢٤٣. وانظر: الأحاديث الواردة في تعيين ليلة القدر بالتفصيل في: «إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام» لابن حجر الهيتمي: ص١٦٦، وما بعدها.

(٤) في «ب»: (الأواخر).

(٥) أخرجه البخاري في فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس: (٤/ ٢٦٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٨٠).

(٦) في «ب»: (رأوا).

«إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمَن كان متحريًا فليتحرَّهَا في السبع الأواخر»[(١)].

ورُوي عن أبي سعيد الخدري: أنها ليلة إحدى وعشرين.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الوسطى من رمضان، واعتكف عامًا حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبحها من اعتكافه، قال: مَنْ (كان سيعتكف)[(٢)] معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة ثم أُنسِيتُها، وقد رَأَيْتُني أسجد في صبيحتها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر»[(٣)].

قال أبو سعيد الخدري: فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فَوَكَفَ المسجد.

قال أبو سعيد: فأبْصَرَتْ عينايَ رسولَ الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وأنفه أثَرُ الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين.

وقال بعضهم: هي ليلة ثلاث وعشرين:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أحمد بن خالد الحمصي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، حدثني عبد الله بن أنيس، عن أبيه أنه قال لرسول الله ﷺ: إني أكون ببادية يقال لها: الوَطْأة، وإني بحمد الله أُصليّ بهم، فمُرْني بليلةٍ من هذا الشهر أنزلُها إلى المسجد فأُصلِّيها فيه، فقال: «انزلْ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين فصلِّها فيه، وإن أحببت أن تَسْتَتِمَّ آخر الشهر فافعل، / وإن أحببت فكُفّ»[(٤)]، قال: فكان إذا صلَّى العصر دخل المسجد ١٩٧/ب

---

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»، كتاب الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر: (١/ ٣٢٠)، والبخاري في فضل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر: (٤/ ٢٥٦)، ومسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها برقم١١٦٥: (٢/ ٨٢٢-٨٢٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٨١).

(٢) في «ب»: (من اعتكف).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر: (١/ ٣١٩)، والبخاري في الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر: (٤/ ٢٧١)، ومسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها برقم١١٦٧: (٢/ ٨٢٥)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٨٣-٣٨٤).

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في ليلة القدر: (٢/ ١١٠)، والبيهقي في «السنن»: (٤/ ٣١٠)، وفي «شعب الإيمان»: (٧/ ٢٧٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»: (٣/ ٨٨)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (٤/ ٢٥١). ورواه مالك منقطعًا: (١/ ٣٢٠)، ووصله مسلم وغيره كما تقدم. قال المنذري: (وفي سنده محمد بن إسحاق وقد تقدم الكلام عليه، وقد أخرج مسلم في «صحيحه» في كتاب الصيام برقم١١٦٨، من حديث بُسْر بن سعيد، عن عبد الله بن أُنيس: أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني صبحها أسجد في ماء وطين»، قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه. وأما ابن إسحاق=

فلم يخرج إلّا من حاجة حتى يصليَ الصبح، فإذا صلى الصبح كانت دابته بباب المسجد.

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ: «كم مضى من الشهر»؟ فقلنا: ثنتان وعشرون(١) وبقي سبع، (فقال: «مضى اثنتان وعشرون وبقي سبع)(١) اطلبوها الليلةَ، الشهرُ تسعٌ وعشرون»(٢).

وقال قوم: هي ليلة سبع وعشرين، وهو قول علي وأُبيّ وعائشة:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زر بن حبيش قال: قلت لأُبي بن كعب: يا أبا المنذر، أخبِرْنا عن ليلةِ القدرِ، فإن ابنَ أمِّ عبدٍ يقول: مَن يَقُمِ الحولَ يُصِبْهَا، فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن، أما إنه قد علم أنها في رمضان، ولكن كره أن يُخبِرَكم فتتَّكِلوا هي - والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ - ليلةُ سبع وعشرين، فقلنا: يا أبا المنذر أنّى علمتَ هذا؟ قال: بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظنا ووعينا(٣)، وهي والله (لا تنسى)(٤)، قال: قلنا لزِرٍّ: وما الآية؟ قال: تطلع الشمس كأنّها طَاسٌ ليس لها شعاع(٥).

ومن علاماتها: ما رُوي عن الحسن رَفَعَهُ: أنها ليلة بَلْجَةٌ(٦) سَمْحَةٌ، لا حارّة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها لا شُعاع لها(٧).

= فإن تدليسه لا يضر، فهو ليس من القادح في العدالة، وقد أطال العلامة اللكنوي في الرد على جرحه، وأنتهى إلى توثيقه في كتابه: «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام»: ص٢٨٠ - ٢٩٠، وبالجملة فهو حسن اختلف فيه، وهو حسن الحديث كما قال المنذري. انظر: «مجمع الزوائد»: (٣/ ١٧٨).

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣/ ٨٤) ومن طريقه أخرجه ابن ماجه في الصيام، باب ما جاء في «الشهر تسع وعشرون» برقم١٦٥٦: (١/ ٥٣٠)، وقال البوصيري في «الزوائد»: (إسناده صحيح على شرط مسلم)، وزاد الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» على أنه شرط البخاري. وصححه ابن حبان: ص٢٣٠ من «موارد الظمآن»، وأخرجه البيهقي في «السنن»: (٤/ ٣١٠)، والإمام أحمد في «المسند»: (٢/ ٢٥١) بإسناد صحيح، وبشرح الشيخ أحمد شاكر: (١٣/ ١٥٦). وأخرجه المصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٨٦).

(٣) في «ب»: (وعدنا).

(٤) في «ب»: (لا نستثني).

(٥) أخرجه مسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث عليها برقم٧٦٢: (٢/ ٨٢٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (٦/ ٣٨٧).

(٦) أي: مشرقة. «النهاية»: (١/ ١٥١).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» عن الحسن مرسلًا: (٣/ ٥١٤)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (٤/ ٢٥٢ - ٢٥٣)، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٦٠): (وقد ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلّا بعد أن تمضي، منها في «صحيح مسلم» عن أُبي بن كعب - الحديث السابق - وفي رواية لأحمد من حديث: «مثل الطست»، ونحوه لأحمد من حديث أبي عون عن ابن مسعود، وزاد: «صافية»، ومن حديث ابن عباس نحوه، ولابن خزيمة من حديثه مرفوعًا: «ليلة القدر صافية بلجاء طلقة لا حارة ولا باردة...».

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾

وفي الجملة: أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعًا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاةَ الوسطى في الصلوات الخمس، واسمَه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطَه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيامَ الساعة ليجتهدوا في الطاعة حذرًا من قيامها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ قال عطاء عن ابن عباس: ذُكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته، فقال: يا رب، جعلت أُمتي أقصر الأمم أعمارًا وأقلها أعمالًا؟ فأعطاه الله ليلة القدر، فقال: «لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله، لك ولأُمَّتك إلى يوم القيامة(١).

قال المفسرون: «ليلة القدر خير من ألف شهر» معناه: عملٌ صالح في ليلة القدر خيرٌ من عَمَلِ ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

حدثنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري إملاءً، حدثنا أبو نعيم الإسفراييني، أخبرنا أبو عوانة، حدثنا أبو إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا الزهري، أخبرني أبو سلمة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

قال سعيد بن المسيب: مَن شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر(٣)

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو بكر بن عبدوس المزكي، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا كهمس، عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت للنبي ﷺ: إنْ وافيتُ ليلةَ القدر فما أقول؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري: (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٣٣، كلاهما عن مجاهد.
وأخرجه أيضًا البيهقي في «السنن»: (٤/ ٣٠٦)، وقال: (هذا مرسل)، وأشار إليه في «شعب الإيمان»: (٧/ ٢٦٥).
وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلًا من بني إسرائيل . . . وهو منقطع، وفيه مسلم بن خالد الزنجي صدوق له أوهام.

(٢) أخرجه البخاري في التراويح، باب فضل من قام رمضان: (٤/ ٢٥٠)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان برقم ٧٦٠: (١/ ٥٢٤).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٨٢).

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات: (٩/ ٤٩٥)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٥٣٨)، وفي «عمل اليوم=

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام معهم ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلة القدر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ أي: بكلِّ أمرٍ من الخير والبركة، كقوله: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١١]، أي: بأمر الله.

﴿سَلَٰمٌ﴾ قال عطاء: يريد: سلامٌ على أولياء الله وأهل طاعته، وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر[(١)].

وقال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنًا أو مؤمنة سلَّموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: «بإذن ربهم من كل أمر»، ثم ابتدأ فقال: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ أي: ليلة القدر سلامٌ وخيرٌ كلُّها، ليس فيها شر.

قال الضحاك: لا يُقدِّر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلَّا السلامةَ.

وقال مجاهد: يعني: أن ليلة القدر سالمة[(٢)] لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا، ولا أن يحدث فيها أذى[(٣)].

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ أي: إلى مطلع الفجر، قرأ الكسائي «مَطْلِع» بكسر اللام، والآخرون بفتحها، وهو الاختيار، بمعنى: الطلوع، على المصدر، يقال: طلع الفجر طُلوعًا ومطلعًا، والكسر: موضع الطلوع.

* * *

= والليلة»: ص٤٩٩، ومن طريقه أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»: ص٣٥٩، وابن ماجه برقم٣٨٥٠: (٢/ ١٢٦٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٢٩٩)، والإمام أحمد: (٦/ ١٦١، ١٨٢، ١٨٣)، والحاكم: (٢/ ٥٣٠)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ومحمد بن نصر في قيام الليل وقيام رمضان: ص٢٣٩ من «مختصر المقريزي».
وصححه النووي في «الأذكار». وانظر: «الفتوحات الربانية على الأذكار النووية» لابن علَّان: (٤/ ٣٤٦).

(١) أخرجه البيهقي عنه في «شعب الإيمان»: (٧/ ٢٩٩)، ورجاله ثقات، وذكره القرطبي عنه: (٢٠/ ١٣٤).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٢٩٩).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠)، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

سورة البيّنة

مدنية[(١)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهم عبدة الأوثان ﴿مُنفَكِّينَ﴾ (منتهين عن كفرهم وشركهم، وقال أهل اللغة)[(٢)]: زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفكَّ، أي: انفصل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ لفظه مستقبل ومعناه الماضي، أي: حتى أتتهم البينة، الحجة الواضحة، يعني: محمدًا ﷺ، أتاهم بالقرآن فبيَّنَ لهم ضلالاتهم[(٣)] وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان، فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة، ثم فسَّر البينة فقال:

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟﴾ يقرأ ﴿صُحُفًا﴾ كتبًا، يريد: ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن؛ لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن الكتاب[(٤)]، قوله: ﴿مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ من الباطل والكذب والزور.

﴿فِيهَا﴾ أي: في الصحف ﴿كُتُبٌ﴾ يعني: الآيات والأحكام المكتوبة فيها ﴿قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ عادلة مستقيمة غير ذات عوج.

ثم ذكر مَنْ لم يؤمن من أهل الكتب فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في أمر محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ أي: البيان في كتبهم أنه نبي مرسل.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة «لم يكن» بالمدينة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٨٥).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (ضلالتهم).

(٤) في «ب»: (كتاب).

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾

قال المفسرون: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله، فلما بُعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فآمن / به بعضهم، وكفر آخرون. ١/١٩٨

وقال بعض أئمة اللغة: معنى قوله: «منفكّين»: هالكين، من قولهم: انفك صلا[(١)] المرأة عند الولادة، وهو أن ينفصل فلا يلتئم فتهلك.

ومعنى الآية: لم يكونوا هالكين معذبين إلَّا من بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتاب، والأول أصح.

ثم ذكر ما أُمروا به في كتبهم فقال:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ يعني: هؤلاء الكفار ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يعني: إلَّا أن يعبدوا الله ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ قال ابن عباس: ما أُمروا في التوراة والإنجيل إلَّا (بالإخلاص في)[(٢)] العبادة لله موحدين ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة في أوقاتها ﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ عند محلها ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الذي أُمروا به ﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ أي: الملة والشريعة المستقيمة، أضاف الدين إلى القيّمة وهي نعته؛ لاختلاف اللفظين، وأنَّث «القيّمة» ردًّا بها إلى الملة.

وقيل: الهاء فيه للمبالغة، وقيل: «القيّمة» هي الكتب التي جرى ذكرها، أي: وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمر به، كما قال: «وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ»[البقرة: ٢١٣].

قال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله: «وذلك دين القيّمة»؟ فقال: «القيّمة»: جمع القيّم، والقيّمُ والقائمُ واحدٌ، ومجاز الآية: وذلك دين القائمين لله بالتوحيد.

ثم ذكر ما للفريقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ قرأ نافع وابن عامر «البريئة» بالهمزة في الحرفين؛ لأنه من قولهم: برأ الله الخلق، وقرأ الآخرون مشددًا بغير همز، كـ «الذرية» ترك همزها في الاستعمال.

---

(١) وسط الظهر منّا ومن كل ذي أربع.

(٢) في «ب»: (بإخلاص).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ
عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ وتناهى عن المعاصي.

وقيل: الرضا ينقسم إلى قسمين: رضًا به ورضًا عنه، فالرضا به: ربًّا ومُدَبِّرًا، والرضا عنه: فيما يقضي ويُقَدِّر.

قال السدي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة، عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ لأُبَيّ: «إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾»، قال: وسمَّاني؟ قال: «نعم» فبكى[(١)].

وقال همام عن قتادة: «أمرني أن أقرأ عليك القرآن»[(٢)].

* * *

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة البينة: (٨/ ٧٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب أبي بن كعب، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذق فيه.. برقم ٧٩٩: (١/ ٥٥٠).

سورة الزَّلْزَلَة

مكية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ حُرِّكت الأرض(٢) حركةً شديدةً لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ تحريكها.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقِيءُ الأرضُ أفلاذَ كبدها أمثال الأُسطُوان(٣) من الذهب والفضة، فيجيء القاتلُ فيقولُ: في هذا قَتَلْتُ، ويجيء القاطع فيقولُ: في هذا قَطَعْتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعَتْ يدي، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئًا»(٤).

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾ قيل: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ فيقول الإنسان: «ما لها»، أي: تخبر الأرض بما عمل عليها.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك،

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٩٠) عن ابن عباس وعن قتادة أن السورة مدنية.
وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٢٠١): (وفيها قولان، أحدهما: أنها مدنية، قاله ابن عباس وقتادة ومقاتل والجمهور، والثاني: مكية، قاله ابن مسعود وجابر وعطاء).
والغالب على آياتها خصائص الآيات المكية، والله أعلم.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) جمع أسطوانة: وهي السارية أو العمود، وشبهه بالأسطوانه لعظمه.

(٤) أخرجه مسلم في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من لا يقبلها برقم١٠١٣: (٢/ ٧٠١).

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾

عن سعيد بن أبي أيوب، حدثنا يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا»، قال: «أتدرون ما أخبارُها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهدَ على كلِّ عبدٍ وأَمَةٍ بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل عليَّ يوم كذا وكذا كذا وكذا»، قال: «فهذه أخبارها»[(١)].

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي: أمرها بالكلام، وأذِن لها بأن تخبر بما عمل عليها، قال ابن عباس والقرظي: أوحى إليها.

ومجاز الآية: يوحِي اللهُ إليها، يقال: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحَى لها، ووحَى إليها، واحد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يرجع الناسُ عن موقف الحساب بعد العرض ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار، كقوله: «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ»[الروم: ١٤]، «يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ»[الروم: ٤٣] ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾ قال ابن عباس: ليروا جزاء أعمالهم، والمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فرقًا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل ﴿خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًّا في الدنيا إلَّا أراه الله إياه يوم القيامة[(٢)]، فأما المؤمن فيرَى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فتردُّ حسناته ويعذبه بسيئاته.

قال محمد بن كعب في هذه الآية «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ»: من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير، «وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»: من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر

---

(١) أخرجه الترمذي في القيامة، باب الأرض تحدث أخبارها يوم القيامة: (٧/ ١١٦)، وقال: (هذا حديث حسن غريب)، وفي التفسير: (٩/ ٢٨٦)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٥٤٤)، وصححه الحاكم: (٢/ ٢٥٦) على شرط الشيخين وأقره الذهبي، ثم كرره في: (٢/ ٥٣٢) فتعقبه الذهبي بقوله: (يحيى هذا يحيى بن أبي سليمان، منكر الحديث، قاله البخاري). وصححه ابن حبان برقم٢٥٨٦: ص٦٤١ من «موارد الظمآن»، وأخرجه الإمام أحمد: (٢/ ٣٧٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١١٦ ـ ١١٧)، وله شاهد عند الطبراني: (٧/ ١٤١ ـ ١٤٢). وانظر: «الكافي الشاف»: ص١٨٦ ـ ١٨٧، و«الدر المنثور»: (٨/ ٥٩٢).

(٢) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٦٨)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٩٥) عزوه لابن المنذر والبيهقي في «البعث».

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في رجلين، وذلك أنه لما نزل «ويطعمون الطعام على حبه» كان أحدهما يأتيه السائل فيستقلُّ أن يعطيه التمرة والكِسْرة والجوزة ونحوها، يقول: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك، ويقول: إنما وعد الله النارَ على الكبائر، وليس في هذا إثم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يرغِّبهم في القليل من الخير أن يعطوه، فإنه يوشك / أن يكثر، ويحذِّرهم اليسير من الذنب، فإنه يوشك أن يكثر[1]، فالإثم الصغير في عين صاحبه ١٩٨/ب
أعظم من الجبال يوم القيامة وجميع محاسنه (في عينه)[2] أقل من كل شيء.

قال ابن مسعود: أَحْكَمُ آيةٍ في القرآن: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يسميها الجامعةَ الفاذَّة حين سئل عن زكاة الحمر فقال: «ما أُنزل عليَّ فيها شيءٌ إلَّا هذه الآية الجامعة الفاذَّة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾»[3].

وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة بحبة عنب، وقالا: فيها مثاقيل كثيرة[4].

وقال الربيع بن خثيم: مرَّ رجلٌ بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال: حسبي قد انتهت الموعظة[5].

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا محمد بن القاسم، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا علي بن حجر، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا اليمان بن المغيرة، حدثنا عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ تعدل نصف القرآن، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن»[6].

* * *

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥) معزوًا لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٢) زيادة من «أ».

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الزلزلة، باب ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾: (٨/ ٧٢٧)، وفي الجهاد، باب الخيل لثلاثة: (٦/ ٦٣ ـ ٦٤)، ومسلم في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة برقم ٩٨٧: (٢/ ٦٨٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٩٧).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٨٨).

(٦) ضعيف، أخرجه الترمذي في فضائل القرآن: (٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث يمان بن المغيرة).
وصححه الحاكم: (١/ ٥٦٦)، وتعقبه الذهبي فقال: (بل يمان ضعفوه).
والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٥/ ٤٥٢)، وابن عدي في «الكامل»: (٧/ ٢٦٣٨).
وانظر: «فيض القدير» للمناوي: (١/ ٣٦٧)، «ضعيف الجامع» للألباني: برقم ٥٣١: ص ٧٦.

سورة العَاديَات

مكية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾ قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن والكلبي وقتادة والمقاتلان[٢] وأبو العالية وغيرهم: هي الخيل العادية في سبيل الله عزَّ وجلَّ تَضْبَحُ، والضَّبْحُ: صوت أجوافها إذا عَدَتْ.

قال ابن عباس: وليس شيء من الحيوانات تضبح غير الفرس والكلب والثعلب، وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغيَّر حالها من تعب أو فزع، وهو من قولهم[٣]: ضَبَحَتْهُ النارُ، إذا غيَّرت لونه.

(وقوله: «ضبحًا» نصب على المصدر، مجازه: والعاديات تضبح ضبحًا)[٤].

وقال علي: هي الإبل في الحج، تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى مِنًى، وقال إنها نزلت في وقعة بدر، (كانت أولُ غزوة في الإسلام بدرًا)[٥]، وما كان معنا إلَّا فَرَسان، فَرَسٌ للزبير وفرس للمقداد ابن الأسود، فكيف تكون الخيل العاديات؟ وإلى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسُّدِّي.

وقال بعض مَن قال: هي الإبل: قوله «ضبحًا»، يعني: ضباحًا تمد أعناقها في السير[٦].

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾﴾ قال عكرمة وعطاء والضحاك ومقاتل والكلبي: هي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة، يعني: والقادحات قدحًا يقدحن بحوافرهنَّ.

وقال قتادة: هي الخيل تهيج الحربَ ونارَ العداوة بين فرسانها.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٥٩٩).

(٢) يعني: مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان.

(٣) في «ب»: (قول العرب).

(٤) ما بين القوسين جاء في «أ» متأخرًا لآخر معنى ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٦) ساق الطبري: (٣٠/ ٢٧١ ـ ٢٧٣) هذه الأقوال ـ التي ترجع إلى رأيين ـ ثم قال مرجحًا: (وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بالعاديات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضبح وإنما تضبح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبحًا).

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هي الخيل تغزو في سبيل الله، ثم تأوي بالليل (إلى مأواها)[1] فيورون نارهم، ويصنعون طعامهم.

وقال مجاهد وزيد بن أسلم: هي مكر الرجال، يعني: رجال الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك ثم لأُورِيَنَّ لك.

وقال محمد بن كعب: هي النيران تجتمع[2].

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣﴾ هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح، هذا قول أكثر المفسرين، وقال القرظي: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جَمْع[3] إلى مِنًى، والسُّنَّةُ أن لا تدفع (بركبانها يوم النحر)[1] حتى تصبح، والإغارة سرعة السير، ومنه قولهم: أشرق ثبير كيما نغير.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ أي: هيَّجن بمكان سيرهنَّ[4] كناية عن غير مذكور؛ لأن المعنى مفهوم ﴿نَقْعًا ۝٤﴾ غبارًا، والنَّقْع: الغبار.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾ أي: دخلن به وسط جمع العدو، وهم الكتيبة، يقال: وَسَطْتُ القوم بالتخفيف، ووسَّطتهم بالتشديد، وتوسَّطهم بالتشديد، كلها بمعنى واحد، قال القرظي: (هي الإبل توسط بالقوم)[1]، يعني: جَمْع منى، (هذا موضع القسم)[1]، أقسم الله بهذه الأشياء.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: «الكنود»: لكفور جحود لنعم الله تعالى، قال الكلبي: هو بلسان مضر وربيعة: الكفور، وبلسان كندة وحضرموت: العاصي[5]. وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم[6]، وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في النائبة مع قومه.

وقال أبو عبيدة: هو قليل الخير، والأرض الكنود: التي لا تنبت شيئًا.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ذكره الطبري: (٣٠/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) هذه الأقوال، ثم قال مرجحًا: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُه أقسم بالموريات التي توري النيران قدحًا، فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزِّند، واللسان مثلًا يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلًا، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فكل ما أورت النار قدحًا، فداخلة فيما أقسم به لعموم ذلك بالظاهر).

(٣) مزدلفة.

(٤) في «ب»: (سيرها).

(٥) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي: (٨/ ٥٠٧).

(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب»: (٨/ ٥٠٨)، وعزاه السيوطي لابن جرير وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الشعب».

وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

وقال الفضيل بن عياض: «الكنود»: الذي أنسَتْه الخصلةُ الواحدة من الإساءة الخصالَ الكثيرة من الإحسان، و«الشكور»: الذي أنسَتْه الخصلة الواحدة من الإحسان الخصالَ الكثيرة من الإساءة.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ قال (أكثر المفسرين)[1]: وإن الله على كونه كنودًا لشاهد، وقال ابن كيسان: الهاء راجعة إلى الإنسان، أي: إنه شاهد على نفسه بما يصنع.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لحب المال ﴿لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ أي: لبخيل، أي: إنه من أجل حب المال لبخيل، يقال للبخيل: شديد ومتشدد.

وقيل: معناه: وإنه لحب الخير لقوي، أي: شديد الحب للخير، أي: المال.

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: أفلا يعلم هذا الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أي: أُثِيرَ وأُخرِج ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ (من الموتى)[2].

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ أي: مُيِّز وأبرز ما فيها من خير أو شر.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ جمع[3] الكناية؛ لأن الإنسان اسم الجنس ﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾ عالم، قال الزَّجَّاج: إن الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم[2].

* * *

(١) في «ب»: (المفسرون).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (بجمع).

سورة القَارِعَة

مكية، وقيل: مدنية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾﴾ اسم[٢] من أسماء القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بالفزع.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ تهويل وتعظيم.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ هذا الفَراش: الطير (الصغار البق، واحدها فراشة، أي: كالطير)[٣] التي تراها تتهافت في النار، والمبثوث: المتفرق، وقال الفرّاء: كغوغاء الجراد، شبّه / الناس عند البعث بها؛ (لأن الخلق)[٣] يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضًا من الهول، كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[القمر: ٧]. ١٩٩/أ

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ كالصوف المندوف.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ رجحت حسناته (على سيئاته)[٣] ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ مَرْضِيّة في الجنة، قال الزَّجّاج: ذات رضا، يرضاها صاحبها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ رجحت سيئاته على حسناته.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة القارعة بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٠٥).
وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»: (٩/ ٢١٣): (وهي مكية بإجماعهم).
وعبارة المصنف رحمه الله توحي بضعف كونها مدنية.

(٢) زيادة من «أ».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾ مسكنه النار، سمي المسكن أمًّا؛ لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهو المهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: وهي كلمة عربية تقولها العرب للرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أمه، وقيل: «فأمه هاويه»، أراد: أم رأسه منحدرة منكوسة، يعني: أنهم يهوون في النار على رءوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠﴾ يعني: الهاوية، وأصلها: ما هي، أدخل الهاء فيها للوقف والاستراحة، ثم فسرها فقال:

﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ أي: حارة، قد انتهى حرها.

* * *

سورة التكاثر

مكية[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ شغلتكم المباهاة والمفاخرة والمكاثرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه.

﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ حتى متم[٢] ودُفنتم في المقابر.

قال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، شغلهم ذلك حتى ماتوا ضُلَّالًا[٣].

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف بن قصي، وبني سهم بن عمرو، كان بينهم تفاخر، فتعادَّ[٤] السادة والأشراف أيهم أكثر عددًا؟ فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدًا وأعز عزيزًا وأعظم نفرًا وأكثر عددًا، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدُّ موتانا، حتى زاروا القبور فعدوهم، فقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات؛ لأنهم كانوا في الجاهلية أكثر عددًا، فأنزل الله هذه الآية[٥].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا عبد الرحيم بن منيب، حدثنا النضر بن شُمَيْل، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله الشخِّير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: «أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ»، قال:

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت بمكة سورة ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٠٩).

(٢) زيادة من «ب».

(٣) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٣٧، وانظر: الطبري: (٣٠/ ٢٨٣)، ابن كثير: (٤/ ٥٤٦)، «الدر المنثور»: (٨/ ٦١٠).

(٤) في «ب»: (فتعادوا)، والصواب ما أثبتناه.

(٥) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٣٧. وانظر: ابن كثير: (٤/ ٥٤٤).

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾

«يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلّا ما أكلتَ فأفنيتَ أو لَبِسْتَ فأبليتَ أو تصدقت فأمضيت»[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه سمع أنس ابن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «يَتْبَعُ الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد، يتبعُه أهلُه ومالُه وعملُه، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[2].

ثم رد الله عليهم فقال: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر بالتكاثر ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ وعيد لهم، ثم كرره تأكيدًا فقال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ قال الحسن ومقاتل: هو وعيد بعد وعيد، والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت.

وقال الضحاك: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»، يعني: الكفار، «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»، يعني: المؤمنين، وكان يقرأ الأولى بالياء والثانية بالتاء.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ أي: علمًا يقينًا، فأضاف العلم إلى اليقين، كقوله: «لهو حق اليقين»، وجواب «لو» محذوف، أي: لو تعلمون علمًا يقينًا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر.

قال قتادة: كنّا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت[3].

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ قرأ ابن عامر والكسائي «لَتُرَوُنَّ» بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ الآخرون بفتح التاء، أي: ترونها بأبصاركم عن بعيد.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ مشاهدة ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ قال مقاتل: يعني: كفار مكة، كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيُسْألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا ربَّ النعيم حيث عبدوا غيره، ثم يعذبون على ترك الشكر، هذا قول الحسن.

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد برقم ٢٩٥٨: (٤/ ٢٢٧٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب سكرات الموت: (١١/ ٣٦٢)، ومسلم في أول كتاب الزهد برقم ٢٩٦٠: (٤/ ٢٢٧٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٥٩).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦١١) للفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وعن ابن مسعود رفعه قال: «لتسئلن يومئذ عن النعيم»، قال: «الأمن والصحة»[(١)].

وقال قتادة: إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه[(٢)].

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، حدثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي، حدثنا عَبْدُ بن حُمَيْد، حدثنا شبابة، عن عبد الله بن العلاء، عن الضحاك بن عرزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يُسأل العبدُ يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصحَّ جسمك؟ ونروِّك من الماء البارد»[(٣)].

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شيبان أبو معاوية، حدثنا عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: ما جاء بك يا أبا بكر؟ فقال: خرجتُ لألقى رسولَ الله ﷺ وأنظر إلى وجهه وللتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: ما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوعُ يا رسول الله، قال (النبي ﷺ)[(٤)]: «وأنا قد وجدتُ بعضَ ذلك»، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيِّهان الأنصاري، وكان رجلًا كثير النخل والشاء، ولم يكن له خَدَم، فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبُكِ؟ فقالت: انطلق ليستعذبَ لنا الماء، فلم يلبثوا أن جاء / أبو الهيثم ١٩٩/ب
بقربة يزعبها ماءً فوضعها، ثم جاء يلتزمُ رسول الله ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطًا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقِنْوٍ فوضعه، فقال النبي ﷺ: «أفلا تنقَّيْتَ لنا من رُطَبِهِ وبُسْرِهِ»، فقال: يا رسول الله، إني أردت أن تخيَّروا (أو قال: أن تختاروا)[(٥)] من رطبه وبسره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال النبي ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة: ظلٌّ بارد، ورُطَبٌ طيب، وماء بارد»، فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعامًا، فقال النبي ﷺ: «لا تذبحنَّ ذات دَرٍّ»،

---

(١) أخرجه مرفوعًا عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»: ص١٥٧، ٣٩٠، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان»: (٢/ ١٥٧)، وفيه محمد بن سليمان: صدوق يخطىء، وابن أبي ليلى: صدوق سيىء الحفظ. وأخرجه هناد في «الزهد» موقوفًا على ابن مسعود: (٢/ ١٠٢)، والطبري في «التفسير»: (٣٠/ ٢٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٨/ ٤٩٤)، وزاد السيوطي نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه. وانظر: «الزهد» لهناد مع تعليق المحقق.

(٢) وروي عنه قال: الأمن والصحة. انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي: (٨/ ٤٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة التكاثر: (٩/ ٢٩٠)، وقال: (هذا حديث غريب)، وابن حبان برقم٢٥٨٥: ص٦٤٠، وصححه الحاكم: (٤/ ١٣٨)، ووافقه الذهبي والبيهقي في «الشعب»: (٨/ ٤٨٩)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»: ص٣١، والطبري: (٣/ ٢٨٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد»: (٧/ ٢٢٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٣١١)، وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور»: (٨/ ٦١٣) لعبد بن حميد، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم٥٣٩: (٢/ ٦٦ ـ ٦٧).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».   (٥) زيادة من «أ».

فذبح لهم عَنَاقًا أو جَدْيًا فأتاهم بها فأكلوا، فقال النبي ﷺ: «هل لك خادم»؟ قال: لا، قال النبي ﷺ: «فإذا أتانا سبيٌ فَأْتِنَا»، فأُتي النبيُّ ﷺ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ: «اختر منهما»، فقال: يا نبي الله اخترْ لي، فقال النبي ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذْ هذا، فإني رأيته يصلي، واستوصِ به معروفًا»، فانطلق به أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغٍ فيه، ما قال رسول الله ﷺ إلّا أن تعتقه، قال: فهو عتيق، فقال النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيًّا ولا خليفة إلّا وله بِطَانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالًا، ومن يُوقَ بِطانةَ السوء فقد وُقِي»[(١)].

وروي عن ابن عباس قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العبيد فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم[(٢)]، وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٦].

وقال عكرمة: عن الصحة والفراغ.

وقال سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال.

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدثنا الحسين بن الحسن بمكة، حدثنا عبد الله ابن المبارك والفضل بن موسى قالا: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحَّةُ والفراغ»[(٣)].

قال محمد بن كعب: يعني: عمَّا أنعم عليكم بمحمد ﷺ.

وقال أبو العالية: عن الإسلام والسنن، وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.

* * *

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ: (٧/ ٣٤ - ٣٩)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب)، وصححه الحاكم: (٤/ ١٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٨/ ٤٨٣، ٤٨٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار»: (١/ ١٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: برقم٦٩٤٨، وأخرجه مسلم بنحوه من طريق آخر في الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك برقم٢٠٣٨: (٣/ ١٦١٠).

(٢) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٨٩)، والبيهقي في «الشعب»: (٨/ ٤٩٣)، وإسناده حسن لكن فيه انقطاع، وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦١٢) عزوه لابن أبي حاتم وابن مردويه. وانظر التعليق على «شعب الإيمان».

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»: ص٢، والبخاري في الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلّا عيش الآخرة: (١١/ ٢٢٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٢٣).

سورة العَصْر

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ قال ابن عباس: والدهر، قيل: أقسم به؛ لأن فيه عبرة للناظر، وقيل: معناه: ورب العصر، وكذلك في أمثاله، وقال ابن كيسان: أراد بالعصر: الليل والنهار، يقال لهما: العصران، وقال الحسن: من بعد زوال الشمس إلى غروبها(٢)، وقال قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار(٣)، وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ أي: خسران ونقصان، قيل: أراد به: الكفار(٤)، بدليل أنه استثنى المؤمنين، و«الخسران»: ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي(٥)، وهما أكبر رأس ماله.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنهم ليسوا في خسر ﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾ أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بالقرآن، قاله الحسن وقتادة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ على أداء الفرائض وإقامة أمر الله، وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد: أن الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا وهرم، لفي نقص وتراجع إلَّا المؤمنين، فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، وهي مثل قوله: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات».

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٢١).

(٢) انظر: عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٩٤)، «فتح الباري»: (٨/ ٧٢٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٣٩٤) دون قوله: (آخر).

(٤) في «ب»: (الكافر).

(٥) زيادة من «ب».

سورة الهُمَزَة

مكية[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ قال ابن عباس: هم المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب[٢]، ومعناهما واحد: وهو العيّاب.

وقال مقاتل: «الهُمَزة» الذي يعيبك في الغيب، و«اللُّمَزة»: الذي يعيبك في الوجه، وقال أبو العالية والحسن بضده.

وقال سعيد بن جبير وقتادة: «الهُمَزة»: الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، و«اللمزة»: الطَّعّان عليهم.

وقال ابن زيد: «الهُمَزة»: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، و«اللمزة»: الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم.

وقال سفيان الثوري: ويهمز بلسانه ويلمز بعينه، ومثله قال ابن كيسان: «الهمزة»: الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، و«اللمزة»: الذي يومض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفاعل، نحو سُخَرة وضُحَكَة: الذي يسخر ويضحك من الناس، (والهُمْزة واللُّمْزة ساكنة الميم: الذي يُفْعل ذلك به)[٣].

وأصل الهَمْز: الكسر والعض على الشيء بالعنف.

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، قال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شُريق بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم[٤].

وقال محمد بن إسحاق: مازلنا نسمع أن سورة الهمزة (نزلت في أمية بن خلف الجمحي)[٥].

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٢٣).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور. انظر: «فتح الباري»: (٨/ ٧٢٩).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦٢٣) لابن أبي حاتم عن السدي.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ»، وانظر: ابن هشام: (١/ ٣٨٢).

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه، ويطعن عليه في وجهه.

وقال مجاهد: هي عامة في حق كل من هذه صفته، ثم وصفه فقال:

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي «جمَّع» بتشديد الميم على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ أحصاه، وقال مقاتل: استعده وادخره وجعله عتادًا له، يقال: أعددت الشيء[1] وعددته إذا أمسكته.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ في الدنيا، يظن أنه لا يموت مع يساره.

﴿كَلَّا﴾ ردًّا عليه أن لا يخلده ماله ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ ليطرحنَّ ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ في جهنم، والحطمة من أسماء النار، مثل: سَقَر ولَظَى[2]، سميت «حطمة»؛ لأنها تحطم العظام وتكسرها.

٢٠٠/أ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ/ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ أي: التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، والاطِّلاع والبلوغ بمعنًى واحدٍ، يحكى عن العرب: متى طلعت أرضنا؟ أي: بلغت.

ومعنى الآية: أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، قاله القرظي والكلبي.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ مطبقة مغلقة.

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «في عُمُد» بضم العين والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما، كقوله تعالى: «رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» [الرعد: ٢]، وهما جميعًا جمع عمود، مثل: أديم وأَدَم وأُدُم[3]، قاله الفرَّاء[4].

وقال أبو عبيدة: جمع عماد، مثل: إهاب وأَهَب وأُهُب[5].

قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد.

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) وهو قول الفراء، وذكره البخاري في ترجمة: (٨/ ٧٢٩).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٢٩١).

(٥) قال الفيومي في «المصباح المنير» (١/ ٢٨): (الإهاب: الجلد.. والجمع: أُهُب) بضمتين على القياس، مثل: كتاب وكُتُب، وبفتحتين على غير قياس، قال بعضهم: وليس في كلام العرب فِعال يجمع على فَعَل بفتحتين إلَّا إهاب وأَهَب، وعماد وعَمَد.

(وقيل: «في عمد ممددة»)[١]: في أعناقهم الأغلال السلاسل.

(وقيل: هي عمد ممددة على باب جهنم)[١]، سدت عليهم بها الأبواب (لا يمكنهم الخروج)[١].

وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار.

وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي: أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة، وهي في قراءة عبد الله «بعُمُدٍ» بالباء.

قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سُدَّت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمُّها وحرُّها، فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم رَوْح، والممددة من صفة العمد، أي: مطولة، فتكون أرسخ من القصيرة.

* * *

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

سورة الفِيْل

مكية[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾؟ وكانت قصة أصحاب الفيل - على ما ذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي:

أن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث «أرياطَ» إلى أرض اليمن فغلب عليها، فقام رجل من الحبشة يقال له: «أبرهة بن الصباح» (أبو يكسوم)[2]، فساخَطَ أرياطَ في أمر الحبشة، حتى انصدعوا صدعين، وكانت طائفة مع أرياط وطائفة مع أبرهة، فتزاحفا فقتل أبرهةُ أرياطَ، واجتمعت الحبشة لأبرهة، وغلب على اليمين وأقرَّه النجاشيُ على عمله.

ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله، فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يُبْنَ لملِك مثلها، ولست منتهيًا حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة (فخرج إليها مستخفيًا)[3] فدخلها ليلًا، فقعد فيها وتغوَّط بها، ولطخ بالعذرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال: مَن اجترأ عليَّ ولطخ كنيستي بالعذرة؟ فقيل له: صنع ذلك رجلٌ من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلتَ، فحلف أبرهةُ عند ذلك: ليسيرنَّ إلى الكعبة حتى يهدمها، فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له: «محمود»، وكان فيلًا لم ير مثله عِظَمًا وجسمًا وقوة، فبعث به إليه، فخرج أبرهةُ من الحبشة سائرًا إلى مكة، وخرج معه بالفيل، فسمعت العرب بذلك فأعظموه ورأوا جهاده حقًّا عليهم، فخرج ملك من ملوك اليمن، يقال له: «ذو نفر» بمن أطاعه من قومه، فقاتله فهزمه أبرهةُ وأخذ «ذا نفر»، فقال: أيها الملك لا تقتلني فإنَّ استبقائي خير لك من قتلي، فاستحياه وأوثقه، وكان أبرهة رجلًا حليمًا.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أنزل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٢٧).

(٢) ما بين القوسين زيادة من «أ».

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خَثْعَم، خرج نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه فهزمهم وأخذ «نفيلًا»، فقال نفيل: أيها الملك، إني دليل بأرض العرب، وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة، فاستبقاه، وخرج معه يدله حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب في رجال من ثقيف فقال: أيها الملك، نحن عبيدك، ليس لك عندنا خلاف، وإنما تريد البيت الذي بمكة، نحن نبعث معك من يدلُّك عليه، فبعثوا معه «أبا رِغَال» مولًى لهم، فخرج حتى إذا كان بالمُغَمَّس[(١)] مات أبو رِغَال وهو الذي يرجم قبره، وبعث أبرهة من المُغَمَّس رجلًا من الحبشة، يقال له: الأسود بن مسعود، على مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نَعَمِ الناس، فجمع الأسود إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير.

ثم إن أبرهة بعث حباطة الحِمْيَرِي إلى أهل مكة، وقال: سلْ عن شريفها ثم أبلِغْه ما أرسِلُكَ به إليه، أخبِرْه أني لم آتِ لقتالٍ، إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتالٍ إلَّا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم.

فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال ولا لنا به يد إلَّا أن نخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يُخلِّ بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة.

قال: فانطلِقْ معي إلى الملك، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر، وكان «ذو نفر» صديقًا لعبد المطلب فأتاه فقال: ياذا نفر، هل عندك من غَناء[(٢)] فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشيًا، ولكن سأبعث إلى «أنيسٍ» سائسِ الفيل، فإنه لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده، قال: فأرسل إلى «أنيس» فأتاه فقال له: إن هذا سيد قريش صاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي، أُحِبُّ ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال، يستأذن إليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلِّمك، وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له، وكان عبد المطلب رجلًا جسيمًا وسيمًا، فلما رآه أبرهة
٢٠٠/ب أعظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته، فهبط إلى / البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردَّ عليَّ مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين

---

(١) موضع قرب مكة في طريق الطائف. انظر: «معجم البلدان».

(٢) في «أ»: (غنى)، وما أثبت موافق لما ورد في «السيرة».

رأيتك، وقد زهدت فيك، قال (عبد المطلب)[١]: لِمَ؟ قال: جئتُ إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها؟ قال عبد المطلب: أنا رب هذه الإبل، وإن لهذا البيت ربًا سيمنعه، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: فأنت وذاك، فأمر بإبله فرُدَّت عليه.

فلما رُدَّت الإبل إلى عبد المطلب خرج فأخبر قريشًا الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رءوس الجبال، تخوُّفًا عليهم من معرة الجيش ففعلوا، وأتى عبدُ المطلب الكعبةَ، وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يا ربِّ لا أَرْجو لَهُمْ سِواكَا ... يا ربِّ فامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكَا
إنَّ عدوَّ البيتِ مَنْ عَادَاكَا ... امْنَعْهُمُ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَا

وقال أيضًا:

لَاهُمَّ[٢] إن العَبْدَ يَمْـ ... ـنَعُ رَحْلَه فامْنَعْ حِلَالَكْ[٣]
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهم غَدْوًا[٤] مِحَالَكْ[٥]
جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ ... والفِيلَ كي يَسْبُوا عِيَالَكْ
عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ ... جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكْ
إنْ كُنْتَ تَارِكَهم وكَعْـ ... ـبَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ
فلم أَسْمَعْ بِأَرْجَسَ مِنْ رِجَالٍ ... أَرَادُوا الغَزْوَ ينتهكوا حَرَامَكْ[٦]

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح أبرهة بالمُغَمَّس قد تهيأ للدخول وعبَّأ جيشه وهيأ فيله، وكان فيلًا لم يُرَ مثله في العظم والقوة، ويقال: كان معه اثنا عشر فيلًا.

فأقبل «نفيل» إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه فقال: ابرُكْ «محمود» وارجع راشدًا من حيث جئت فإنك[٧] في بلد الله الحرام، فبرك الفيل فبعثوه فأبى، فضربوه بالمعول في رأسه فأبى، فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم.

---

(١) زيادة من «أ».
(٢) أصلها اللهم، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفي بما بقي، تقول: لاه أبوك، وهي تريد: لله أبوك.
(٣) جمع حِلَّة، وهي جماعة البيوت، ويريد هنا القول الحلول، والحلال أيضًا: متاع البيوت.
(٤) غَدْوًا: غدًا، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك، فحذف لامه، ولم يستعمل تامًّا إلَّا في الشعر.
(٥) القوة والشدة.
(٦) هذا البيت زيادة من «أ».
(٧) ساقط من «ب».

وخرج «نفيل» يشتد حتى صعد[١] في الجبل، وأرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر[٢] منها ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، أمثال الحمص والعدس، فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدًا إلّا هلك، وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه، يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال، فصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل مهلك[٣].

ويعث الله على أبرهة داءً في جسده فجعل يتساقط أنامله كلما سقطتْ أنملةٌ اتبعتها (مِدَّةٌ من قيح ودم)[٤]، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك[٥].

قال الواقدي: وأما «محمود» فيل النجاشي، فربض ولم يسر[٦] على الحرم فنجا، والفيل الآخر شجع فحصب.

وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جَرَّأ أصحاب الفيل: أن فتية من قريش خرجوا تجارًا إلى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثَمَّ بِيعَة للنصارى تسميها قريش «الهيكل»، فنزلوا فأجّجوا نارًا واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فعجَّت الريح فاضطرم الهيكل نارًا، فانطلق الصريخ إلى النجاشي فأسف غضبًا للبيعة، فبعث أبرهة لهدم الكعبة.

وقال فيه: إنه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلًا نبيهًا نبيلًا تستقيم الأمور برأيه، وكان خليلًا لعبد المطلب، فقال له عبد المطلب: ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك؟ فقال أبو مسعود: اصعد بنا إلى حراء فصعد الجبل، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها لله وقلّدها نعلًا ثم أرسلها في الحرم لعل بعض هذه السودان يعقر منها شيئًا، فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو، فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت ربًّا يمنعه، فقد نزا «تُبّعٌ» ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه، وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تُبّع ذلك كساه القباطي البيض، وعظمه ونحر له جزورًا.

---

(١) في «ب»: (أصعد).
(٢) في «ب»: (طير).
(٣) في «ب»: (منهل).
(٤) وهي الغليظة من القيح، أما الرقيقة فهي صديد.
(٥) أخرجه ابن هشام: (١/ ٤٤ـ٥٦)، وأخرجه الطبري في «التاريخ»: (٢/ ١٢٨ـ١٣٩)، من طريق ابن إسحاق.
(٦) في «ب»: (يشجع).

(ثم قال أبو مسعود)[1]: فانظر نحو البحر، فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيرًا بيضاء نشأت من شاطىء البحر، فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد دارت على رؤوسنا، قال: فهل تعرفها؟ قال: فوالله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية، قال: ما قدُّها؟ قال: أشباه اليعاسيب[2]، في منقارها حصًى كأنها حصى الحذف، قد أقبلت كالليل يكسع بعضُها بعضًا، أمام كل رفقةٍ طيرٌ يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق، فجاءت حتى إذا حاذت بعسكر القوم وَكَدَت[3] فوق رؤوسهم، فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقيرها على مَن تحتها، مكتوب في كل حجر اسمُ صاحبه، ثم إنها انصاعت راجعة من حيث جاءت، فلما أصبحا انحطَّا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدًا ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حِسًّا، فقالا: بات القوم ساهرين[4] فأصبحوا نيامًا، فلما دنوا من عسكر القوم فإذا هم خامدون، وكان يقع الحجر على بيضة[5] أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه، فعمد عبد المطلب فأخذ فأسًا / من فؤوسهم فحفر حتى أعْمَقَ في الأرض ٢٠١/أ
فملأه من أموالهم من الذهب الأحمر والجوهر، وحفر لصاحبه حفرة فملأها كذلك، ثم قال لأبي مسعود: هات فاختر إن شئت حفرتي وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك معًا، قال أبو مسعود: اخترْ لي على نفسك، فقال عبد المطلب: إني لم آل أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهو لك، وجلس كلٌّ واحد منهما على حفرته، ونادى عبد المطلب في الناس، فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعًا، وساد عبد المطلب بذلك قريشًا وأعطته المقادة، فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنًى من ذلك المال، ودفع الله عن كعبته وبيته.

واختلفوا في تاريخ عام الفيل، فقال مقاتل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة.

وقال الكلبي: بثلاث وعشرين سنة.

والأكثرون على أنه كان في العام الذي وُلِدَ فيه رسول الله ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ»؟ قال مقاتل: كان معهم فيل واحد، وقال الضحاك: كانت الفيلة ثمانية، وقيل: اثنا عشر، سوى الفيل الأعظم، وإنما وُحِّد؛ لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم، وقيل: لِوِفَاقِ رؤوس الآي.

---

(١) ما بين القوسين زيادة من المطبوع، وهي لازمة لتمام المعنى.

(٢) الجراد.

(٣) أقامت وقصدت وأصابت.

(٤) في «ب»: (سامدين).

(٥) ما يلبس على الرأس لوقايته في القتال.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ «كيدهم» يعني: مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة، وقوله: «في تضليل» عمَّا أرادوا، وأضلَّ كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة، وإلى ما أرادوه بكيدهم، قال مقاتل: في خسارة، وقيل: في بطلان.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضًا، وقيل: أقاطيع كالإبل المؤبلة، قال أبو عبيدة: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من هاهنا وهاهنا.

قال الفرَّاء: لا واحد لها من لفظها، وقيل: واحدها إبَّالة[1]، وقال الكسائي: إني كنت أسمع النحويين يقولون: واحدها: أَبُّول، مثل: عجول وعجاجيل[2]. وقيل: واحدها من لفظها[3] إِبِّيل.

قال ابن عباس: كانت طيرًا لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب[4].

وقال عكرمة: لها رؤوس كرؤوس السباع، قال الربيع: لها أنياب كأنياب السباع.

وقال سعيد بن جبير: خضر لها مناقير صفر، وقال قتادة: طير سود جاءت من قبل البحر فوجًا فوجًا مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، لا تصيب شيئًا إلَّا هشمته.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾ قال (ابن عباس)[5] وابن مسعود: صاحت الطير ورمتهم بالحجارة، فبعث الله ريحًا فضربت الحجارة فزادتها شدَّة فما وقع منها حجر على رجل إلَّا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ كزرع وتبن أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه، شُبِّه تقطُّعُ أوصالهم بتفرُّقِ أجزاء الرَّوْث، قال مجاهد: «العصف»: ورق الحنطة، وقال قتادة: هو التبن، وقال عكرمة: كالحب إذا أُكل فصار أجوف، وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٢٩٢).

(٢) ذكر الفراء العبارة في الموضع السابق على النحو التالي: (وقد قال بعض النحويين وهو الكسائي: كنت أسمع النحويين يقولون: أبوك مثل العِجّول والعجاجيل).

(٣) ساقط من «أ».

(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٢٩٧).

وزاد السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦٣٠) عزوه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل».

(٥) ساقط من «ب».

سورة قُرَيْش

مكية(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾﴾ قرأ أبو جعفر «لِيلافِ» بغير همز «إلافِهم» طلبًا للخفة، وقرأ ابن عامر «لالآفِ» بهمزة مختلسة من غير ياء بعدها (على وزن لغلاف)(٢)، وقرأ الآخرون بهمزة مشبعة وياء بعدها، واتفقوا ـ غير أبي جعفر ـ في «إيلافهم» أنها بياء بعد الهمزة، إلَّا عبد الوهاب بن فليح عن ابن كثير فإنه قرأ «إلْفِهِمْ» ساكنة اللام بغير ياء. وعدَّ بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة، منهم أُبَيّ بن كعب، لا فصل بينهما في مصحفه، وقالوا: اللام في «لإيلاف» تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكَّر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ»(٣).

وقال الزَّجَّاج: المعنى: جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي: (يريد إهلاك أهل)(٤) الفيل لتبقى قريش، (وما ألفوا من)(٥) رحلة الشتاء والصيف.

وقال مجاهد: ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف(٦).

والعامة على أنهما سورتان، واختلفوا في العلة الجالبة للَّام في قوله «لإيلاف»، قال الكسائي والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربِّ هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته، كما تقول في الكلام: لزيد وإكرامنا إيَّاه، على وجه التعجب: اعجبوا لذلك، والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلًا على التعجب من إظهار الفعل منه.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٣٤).
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٣) انظر: «فتح الباري»: (٨/ ٧٣٠).
(٤) في «ب»: (أهلك أصحاب).
(٥) في «أ»: (قال الفراء: . . .) وبالرجوع إلى الفراء: (٣/ ٢٩٣) نجد قوله: (كأنه قال: ذلك إلى نعمته عليهم في رحلة الشتاء والصيف).
(٦) انظر: «فتح الباري»: (٨/ ٧٣٠).

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾

وقال الزَّجَّاج: هي مردودة إلى ما بعدها، تقديره: فليعبدوا ربَّ هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف.

وقال (ابن عيينة)[1]: لنعمتي على قريش.

وقريش هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلده النضر فليس بقرشي.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوربذي، حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، حدثني شداد أبو عمار، حدثنا واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانةَ قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[2].

وسموا قريشًا من القرش، والتقرُّش وهو التكسب والجمع، يقال: فلان يقرش لعياله ويقترش، أي: يكتسب، وهم كانوا تجارًا حراصًا على جمع المال والإفضال.

وقال أبو ريحانة[3]: سأل معاويةُ عبدَ الله بن عباسٍ: لِمَ سُميت قريش قريشًا؟ قال: لدابّة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها: «القرش»، لا تمر بشيء من الغث والسمين إلَّا أكلته، وهي تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى، قال: وهل تعرف العربُ ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، فأنشده / شعر الجمحي: ٢٠١/ب

وقُرَيْشٌ هي التي تَسْكُنُ البَحْـ ـرَ، بها سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا
سلِّطَتْ بالعُلُوِّ في لُجَّةِ البَحْـ ـرِ على سائر البُحُورِ جُيُوشَا
تأكلُ الغثَّ والسمينَ ولا تَتـ ـركُ فيه لذي الجَناحَيْن رِيْشَا
هكذا في الكتاب حيّ قريش يأكلونَ البلادَ أكلا كميشا[4]
ولهم في آخرِ الزمانِ نبيٌّ يُكْثِرُ القَتْلَ فيهم والخُمُوشَا

قوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ بدل من الإيلاف الأول ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ «رحلة» نصب على المصدر، أي: ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف.

---

(١) في «ب»: (أبو عبيدة).

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ برقم٢٢٧٦: (٤/ ١٧٨٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٣/ ١٩٤).

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية»: (٢/ ٢٠٢)، وعزاه البيهقي. وانظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٣٨).

(٤) في «ب»: (نكيشا)، وما أثبت هو الصواب، والمعنى: سريعًا.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾

روى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كانوا يُشَتُّون بمكة ويُصَيِّفون بالطائف، فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا ربَّ هذا البيت[1].

وقال الآخرون: كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة، إحداهما في الشتاء إلى اليمن؛ لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام.

وكان الحرم واديًا جدبًا لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته، فلولا الرحلتان لم يكن لهم بمكة مقام، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، وشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تَبَالَة وجُرَش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة أهلُ الساحل من البحر على السفن، وأهلُ البر على الإبل والحمير، فألقى أهل الساحل بجدة، وأهل البر بالمحصَّب، وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فألقوا بالأبطح، فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين، وأمرهم بعبادة ربِّ البيت فقال:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ أي: الكعبة.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ بالحرم، وكونهم من أهل مكة[2] حتى لم يتعرض لهم (في رحلتهم)[3].

وقال عطاء عن ابن عباس: إنهم كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم.

قال الكلبي[4]: وكان أول مَن حمل السمراء[5] من الشام ورحل إليها الإبل: هاشم بن عبد مناف، وفيه يقول الشاعر[6]:

قل للذي طلب السماحةَ والنَّدى ... هــلَّا مــررت بــآلِ عبــدِ مَنــافِ
هــلَّا مــررت بهــم تــريــد قِــراهــم ... منعــوكَ مــن ضَــرّ ومــن أكفــافِ

---

(١) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٣٠٨)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٥٥٢) بإسناد حسن، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦٣٥) لابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «أ».

(٤) انظر: الطبري: (٢/ ٢٥٢)، «البداية والنهاية»: (٢/ ٢٥٣).

(٥) في «أ»: (السمن).

(٦) هو ابن الزِّبعرى، كما في «البداية والنهاية» والطبري.

الرائشينَ وليس يُوجدُ رائِش والقائلين هلمَّ للأضيافِ
والخالطين فقيرَهم بغنيهم حتى يكونَ فقيرُهم كالكافي
والقائمين بكل وعدٍ صادقٍ والراحلين برحلة الإيلافِ
عَمْرُو العَلا[١] هَشمَ الثريدَ لقومه ورجالُ مكةَ مُسْنِتُونَ[٢] عِجَافِ
سَفَرَيْنِ سنهما له ولقومِهِ سفَرَ الشتاءِ ورحلةَ الأصيافِ

وقال الضحاك والربيع وسفيان: «وآمنهم من خوف» من خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم الجذام.

* * *

(١) في «أ»: (العالي)، وفي «البداية والنهاية» والطبري: (الذي).
(٢) مجدبون.

سورة المَاعُوْن

مكية[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ
طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾﴾ قال مقاتل: نزلت في العاص بن وائل السهمي[(٢)]، وقال السُّدِّي ومقاتل بن حيان وابن كيسان: في الوليد بن المغيرة، قال الضحاك: في عمرو[(٣)] بن عائذ المخزومي، وقال عطاء عن ابن عباس: في رجل من المنافقين[(٤)].

ومعنى «يُكذِّب بالدين»، أي: بالجزاء والحساب.

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ يقهره ويدفعه عن حقه، والدعُّ الدفع بالعنف والجفوة.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه؛ لأنه يكذب بالجزاء.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ (أي: عن مواقيتها غافلون)[(٥)].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفَّار، أخبرنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي، حدثنا حَرَمِيُّ بن حفص القَسْمَلِيّ[(٦)]، حدثنا عكرمة بن إبراهيم الأزدي، حدثنا (عبد الملك)[(٧)] بن عمير، عن مصعب بن سعد[(٨)]، عن أبيه أنه

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٤١).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي: ص٥٠٤.

(٣) في «أ»: (عمر)، والصحيح ما أثبت.

(٤) انظر: «زاد المسير»: (٩/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٦) في «أ»: (القاسم)، والصحيح ما أثبت كما في «التهذيب».

(٧) في «ب»: (عبد الكريم)، والصحيح ما أثبت كما في «التهذيب» و«شرح السنة».

(٨) في «أ»: (سعيد)، والصحيح ما أثبت كما في «التهذيب» و«شرح السنة».

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

قال: سئل رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون؟ قال: «إضاعة الوقت»(١).

قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا(٢)، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ وقال في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[النساء: ١٤٢].

وقال قتادة: ساهٍ عنها لا يبالي صلَّى أم لم يصل.

وقيل: لا يرجون لها ثوابًا إن صلُّوا، ولا يخافون عقابًا إن تركوا.

وقال مجاهد: غافلون عنها يتهاونون بها.

وقال الحسن: هو الذي إن صلاها صلَّاها رياءً، وإن فاتته لم يندم.

وقال أبو العالية: لا يصلونها لمواقيتها، ولا يتمون ركوعها وسجودها.

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: هي الزكاة، وهو قول ابن عمر والحسن وقتاد والضحاك. وقال عبد الله بن مسعود: «الماعون»: الفأس والدلو والقِدْر وأشباه ذلك(٣)، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال مجاهد: الماعون: (العارية، وقال عكرمة)(٤): أعلاها الزكاة المعروفة، (وأدناها عارية المتاع)(٥).

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن»: (٢/ ٢١٤، ٢١٥) مرفوعًا وموقوفًا، وأبو يعلى في «المسند» موقوفًا: (١/ ٣٣٦)، والطبري: (٣٠/ ٣١١)، والمصنف في «شرح السنة»: (٢/ ٢٤٦). قال البيهقي في «السنن»: (وهذا الحديث إنما يصح موقوفًا، وعكرمة بن إبراهيم قد ضعفه يحيى ابن معين وغيره من أئمة الحديث)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٣٢٥): (رواه البزار وأبو يعلى مرفوعًا وموقوفًا ...)، وقال البزار: (رواه الحافظ موقوفًا، ولم يرفعه غير عكرمة).
وراجع: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٤٢).

(٢) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٣١)، وزاد السيوطي في «الدر»: (٨/ ٦٤٢) عزوه لابن مردويه.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٣١): (وقال بعض العرب: الماعون: الماء، وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة، وأدناها عارية المتاع، أما القول الأول فقال الفرّاء: قال بعضهم: إن الماعون المعروف كله، حتى ذكر القصعة والدلو والفأس، ولعله أراد ابن مسعود فإن الطبري أخرج من طريق سلمة بن كهيل عن أبي المغيرة: سأل رجل ابن عمر عن الماعون، قال: المال الذي لا يؤدي حقه، قال قلت: إن ابن مسعود يقول: هو المتاع الذي يتعاطاه الناس بينهم، قال: هو ما أقول لك، وأخرجه الحاكم أيضًا وزاد في رواية أخرى عن ابن مسعود: هو الدلو والقدر والفأس، وكذا أخرجه أبو داود والنسائي عن ابن مسعود بلفظ: «كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر» وإسناده صحيح إلى ابن مسعود، وأخرجه البزار والطبراني من حديث ابن مسعود مرفوعًا صريحًا).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٣١): (وأما قول عكرمة فوصله سعيد بن منصور بإسناد إليه باللفظ المذكور، وأخرج الطبري والحاكم من طريق مجاهد عن علي مثله).

وقال محمد بن كعب والكلبي: «الماعون»: المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم.

قال قطرب: أصل الماعون من القلة، تقول العرب: ما له سعة ولا منعة، أي: شيء قليل، فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونًا؛ لأنه قليل من كثير.

وقيل: «الماعون»: ما لا يحل منعه، مثل: الماء والملح والنار)[١][٢].

* * *

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) قال صاحب «البحر المحيط» (٨/ ٥١٨): (يعني بالماعون: الزكاة، وهذا القول يناسبه ما ذكره قطرب من أن أصله من المعن، وهو الشيء القليل فسميت الزكاة ماعونًا؛ لأنها قليل من كثير، وكذلك الصدقة وغيرها).

سورة الكوثر

سورة الكوثر(١) مكية(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد / بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن ١/٢٠٢
أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر، عن المختار ـ يعني: ابن فلفل ـ، عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ بين أظهُرِنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أُنزلتْ عليَّ آنفًا سورةٌ»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾»، ثم قال: «أتدرون ما الكوثَرُ»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وَعَدَنِيهِ ربي عزَّ وجلَّ عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ تَرِدُ عليه أُمتي يومَ القيامة، آنيتُهُ عددُ النُّجومِ، فيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقول: ربِّ إنه مني، فيقولُ: ما تدري ما أحدث بعدك»(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «الكوثر»: الخيرُ الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: إن أُناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهرُ الذي في الجنة من الخير الذي أعطاهُ الله إياه(٤).

قال الحسن: هو القرآن العظيم. قال عكرمة: النبوة والكتاب(٥).

---

(١) في «أ»: (سورة إنا أعطيناك).

(٢) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٤٦).

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة برقم ٤٠٠: (١/ ٣٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة الكوثر: (٨/ ٧٣١) وفي الرقاق، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨).

(٥) أخرجه هناد في «الزهد»: (١/ ٢٢١)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١١/ ٥٠٨)، والطبري: (٣٠/ ٣٢٢)، وإسناده صحيح.

وقال أهل اللغة: الكوثر: فَوْعل (من الكثرة، كنوفل: فَوْعَلَ)[1] من النفل، والعرب تسمي كل شيء (كثير في العدد أو)[2] كثير في القدر والخطر: كوثرًا، والمعروف: أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسوله ﷺ كما جاء في الحديث:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله ابن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي[3] الكشميهني، حدثنا علي بن حُجْر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا حُمَيْد عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بنهرٍ يجري، بياضُه بياض[2] اللَّبَنِ، وأحلى من العسل، وحافَّتاه خيامُ اللؤلؤ، فضربت بيدي فإذا الثرى مسك أَذْفَرُ، فقلت لجبريل: ما هذا؟ قال: الكوثرُ الذي أعطاكه الله عزَّ وجلَّ»[4].

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداوودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى الصَّلْت، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو سعيد الأشج، حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء ابن السائب، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافَّتاه الذهبُ، مجراه على الدرِّ والياقوت، تربتُه أطيبُ من المِسْكِ، وأشدُّ بياضًا من الثلج»[5].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا نافع (بنُ عمر، عن)[1] ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله ابن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهرٍ، ماؤه أبيض من اللَّبَن، وريحه أطيب من المسك، وكِيزانُه كنجوم السماء، من يشرب منها لم يظمأ أبدًا»[6].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) في «أ»: (عبد الله)، والصحيح ما أثبت.

(٤) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٣/ ١٠٣، ١١٥)، من طريق حميد عن أنس، وهناد في «الزهد»: (١/ ٢١١)، والنسائي في «التفسير»: (٢/ ٥٥٩)، والطبري: (٣٠/ ٣٢٣ـ٣٢٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٣/ ١٤٧)، والآجري في «الشريعة»: ص٣٩٦، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٧٠)، وأخرجه البخاري من طريق قتادة عن أنس بنحوه، في الرقاق، باب في الحوض: (١١/ ٤٦٤).

(٥) حديث صحيح، أخرجه أبو داود في الرقاق: (٢/ ٣٣٧)، والترمذي في التفسير، تفسير سورة الكوثر: (٩/ ٢٩٤)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في الزهد برقم٤٣٣٤: (٢/ ١٤٥٠)، من طرق عن عطاء بن أبي السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر، والدارمي في الرقاق، باب في الكوثر: (٢/ ٣٣٨)، والحاكم: (٣/ ١٧١)، وهنَّاد في «الزهد»: (١/ ٢٠٨)، والإمام أحمد: (٢/ ٦٧، ١٥٨)، والطبري: (٣٠/ ٣٢٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٦٨ ـ ١٦٩)، وقال الشيخ الأرناؤوط: (... وعطاء سمع من محارب قبل الاختلاط). وانظر: «فتح الباري»: (٨/ ٧٣٢)، و«الزهد» لهناد: (١/ ٢٠٩) مع تعليق المحقق.

(٦) أخرجه مسلم في الرقاق، باب في الحوض: (١١/ ٤٦٣)، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ برقم٢٢٩٢: (٤/ ١٧٩٤)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٦٨).

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد ابن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن سالم ابن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «(أنا عند عُقْرِ حوضي)[١] أذودُ الناسَ عنه لأهل اليمن»، إني لأضربهم بعصاي حتى يرفضُّوا عنه، وإنه لَيَغُتُّ[٢] فيه مِيزَابَانِ من الجنةِ، أحدهما من وَرِق، والآخرُ من ذهب، طوله ما بين بُصَرى وصَنْعَاء، أو ما بين أَيْلَةَ ومكة، أو من مقامي هذا إلى عُمان»[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ قال محمد بن كعب: إن أُناسًا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيَّه ﷺ أن يصلي وينحر لله عزَّ وجلَّ[٤].

وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصلِّ لربِّك صلاة العيد يوم النحر، وانحر النسك.

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: فصلِّ الصلوات المفروضة بجَمْع، وانحر البُدْن بمِنًى[٥].

وروي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: «فصل لربك وانحر»، قال: وَضْعُ اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر[٦].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ عدوك[٧] ومبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ هو الأقلُّ الأذلُّ المنقَطِعُ دابره[٨].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ»، وعُقْر الحوض: مؤخره.

(٢) يدفق الماء فيه دفقًا متابعًا.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/ ٤٠٦)، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته برقم ٢٣٠١: (٤/ ١٧٩٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٥/ ١٦٩).

(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٣٢٧).

(٥) انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٥١).

(٦) يروى هذا أيضًا عن علي كما هو عند الطبري: (٣٠/ ٣٢٥)، وعن الشعبي مثله ولا يصح.
وقد ساق الطبري: (٣٠/ ٣٢٥-٣٢٨)، ثم قال: (وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نَحرك اجعله له دون الأوثان، شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر)، وقد استحسنه ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٥٦٠).

(٧) ذكره البخاري تعليقًا عن ابن عباس في «الفتح»: (٨/ ٧٣١)، ووصله ابن مردويه.

(٨) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٦٠): (فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره ومات وحاشا وكلّا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد، إلى يوم المحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد).

نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه رأى النبي ﷺ يخرج من باب[١] المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم وتحدَّثا، وأُناسٌ من صناديد قريش جلوس في المساجد، فلما دخل العاص قالوا له: مَنِ الذي كنتَ تتحدثُ معه؟ قال: ذلك الأبتر، يعني: النبي ﷺ، وكان قد توفي ابنٌ لرسول الله ﷺ من خديجةَ رضي الله عنها[٢].

وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنه رجل أبتر، لا عَقِبَ له، فإذا هلك انقطع ذِكْرُه، فأنزل الله تعالى هذه السورة[٣].

وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعةٍ من قريش، وذلك أنه لم قَدِمَ كعبٌ مكة قالت له قريش: نحن أهلُ السِّقَايَةِ والسِّدَانة، وأنت سيِّدُ أهل المدينة، فنحن خيرٌ أم هذا الصنبور[٤] المُنْبَتِر من قومه؟ فقال: بل أنتم خيرٌ منه، فنزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ...﴾ الآيَة[النساء: ٥١]، ونزل في الذين قالوا إنه أبتر: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٥]، أي: المنقطع من كل خير.

* * *

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٣٢٩)، والواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٤١، وانظر: ابن كثير: (٤/ ٥٦٠)، «الدر المنثور»: (٨/ ٦٥٣).
قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٣٢): (اختلف الناقلون في تعيين الشانيء المذكور، فقيل: هو العاص بن وائل، وقيل: هو أبو جهل، وقيل: عقبة بن أبي معيط». وانظر: ابن كثير: (٤/ ٥٦٠)، فقد ذكر أقوالًا أُخر.

(٣) أخرجه ابن إسحاق بلاغًا: (١/ ٣٩٣) من «سيرة ابن هشام». وانظر: الطبري: (٣٠/ ٣٢٩)، وابن كثير: (٤/ ٥٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول»: ص٥٤١ـ٥٤٢، و«الدر المنثور»: (٨/ ٦٥٢).

(٤) في «أ»: (الصنو).

(٥) أخرجه النسائي في «التفسير»: (٢/ ٥٦٠)، والطبري: (٣٠/ ٣٣٠)، وصححه ابن حبان برقم١٧٣١ من «موارد الظمآن»، وذكره ابن كثير: (٤/ ٥٦٠) من رواية البزار: (وليس عنده ذكر آية سورة النساء)، وصحح إسناده، وزاد السيوطي في «الدر»: (٨/ ٦٥٢) عزوه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

سورة الكَافِرُون

مكية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ إلى آخر السورة. نزلت في رهط من قريش منهم: الحارث بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود[٢] بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن أسد، / وأمية بن خلف، قالوا: يا محمد (هلمَّ فاتبعْ)[٣] ديننا ونتبع دينك ونشركك في أمرنا كلِّه، تعبد آلهتنا سنة ونعبد ٢٠٢/ب
إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيرًا كنَّا قد شركناك فيه وأخذنا حظَّنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظِّك منه، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك، فقال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ» إلى آخر السورة، فغدَا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقام على رءوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه[٤].

ومعنى الآية: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ في الحال ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ في الحال ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾﴾ في الاستقبال ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ في الاستقبال[٥].

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٥٤).

(٢) في «أ»: (الأسد)، والصحيح ما أثبت.

(٣) في «أ»: (هل تتبع).

(٤) أخرجه ابن إسحاق، «سيرة ابن هشام»: (١/ ٣٦٢).
وانظر الطبري: (٣٠/ ٣٣١)، ابن كثير: (٤/ ٥٦١)، «أسباب النزول» للواحدي: ص٥٤٣.
قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٣٣): (وقد أخرج ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: كف عن آلهتنا فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فنزلت، وفي إسناده أبو خلف عبد الله بن عيسى وهو ضعف).

(٥) انظر: البخاري: (٨/ ٧٣٣) ترجمة الباب.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون.

وقوله: «ما[1] أعبد»، أي: مَنْ أعبد، لكنه ذكره لمقابلة: «ما تعبدون».

ووجه التكرار: قال أكثر أهل المعاني: هو أن القرآن نزل بلسان العرب، وعلى مجاز خطابهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز.

وقال القتيبي: تكرار الكلام لتكرار الوقت، وذلك أنهم قالوا: إنْ سرَّك أن ندخل في دينك عامًا فادخل في ديننا عامًا، فنزلت هذه السورة.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك ﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾[2] الإسلام، قرأ ابن كثير ونافع وحفص «ولِيَ» بفتح الياء، قرأ الآخرون بإسكانها، (وهذه الآية منسوخة بآية السيف)[3].

* * *

(١) في «ب»: (لا).

(٢) قال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٧): (ولم يقل: «ديني»؛ لأن الآيات بالنون فحذفت الياء، كما قال: «يهدين» و«يشفين»).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وقوله: وهذه الآية منسوخة بآية السيف:

نقل ذلك عن ابن عباس، وهذه الآية لا تعارض بينها وبين آية السيف، فلا مجال للقول فيها بالنسخ؛ لأن الجمع بينهما ممكن، ولا يصار إلى القول بالنسخ إلّا بعد تعذر الجمع بين الآيتين.

ومعنى الآية: «لكم دينكم» فلا تتركونه أبدًا؛ لأنه ختم على قلوبكم، «ولي دين» الذي لا أتركه أبدًا، وذلك أن المشركين ـ كما تقدم ـ طلبوا من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزلت السورة بيانًا لحالهم وتيئيسًا للرسول ﷺ من إيمان أشخاص بأعيانهم وعدم الطمع في إيمانهم.

انظر: «تفسير الطبري»: (٣٠/ ٣٣٠ ـ ٣٣١)، «الناسخ والمنسوخ» للبغدادي: ص١٦١ ـ ١٦٢ مع التعليق.

وراجع فيما سبق: (١/ ٦٥٣)، تعليق (١).

سورة النَّصْر

مدنية(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ أراد: فتح مكة.

وكانت قصته ـ على ما ذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار ـ أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشًا عام الحديبية، واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضُهم عن بعض، وأنه مَن أحب أن يدخل في عَقْد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عَقْد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خُزَاعَةُ في عهد رسول الله ﷺ، وكان بينهما شرٌّ قديم.

ثم إن بني بكر عَدَتْ على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة، يقال له: «الوَتِير»، فخرج نوفل ابن معاوية الدؤلي في بني الدّئل من بني بكر حتى بيَّت خزاعة، وليس كلُّ بكرٍ تابعه، فأصابوا منهم رجلًا وتحاربوا واقتتلوا، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش مَن قاتل مستخفيًا بالليل، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين: صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، مع عبيدهم، فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يا نوفل إنا دخلنا الحرم، إلهَك إلهَك، فقال كلمة عظيمة: إنه لا إله لي اليوم، (يا بني بكر)(٢) أصيبوا ثأركم فيه.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزل بالمدينة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.
وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال: أنزل ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ بالمدينة.
وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ كلها بالمدينة بعد فتح مكة ودخول الناس في الدين، ينعى إليه نفسه. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٥٩).

(٢) من «سيرة ابن هشام» لتمام المعنى.

فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد بما استحلوا من خزاعة ـ وكان في عقده ـ خرج عمرو بنُ سالم الخزاعيُّ حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينةَ، وكان ذلك مما هاج فتح مكَّة، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظَهْراني الناس، فقال:

لا هــم إنِّــي نــاشِــدٌ محمَّــدَا ... حِلْــفَ أبينــا وأبيــهِ الأتْلَــدَا

إنَّ قــريشًــا أخلَفُــوكَ المَــوْعِـدَا ... ونقضُــوا مِيثــاقَــك المــؤكَّــدا

الأبيات كما ذكرنا في سورة التوبة(١).

فقال رسول الله ﷺ: «قد نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم»، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال: «إن هذه السحابةَ لتستهلُّ بِنَصْرِ بني كعب»، وهم رهط عمرو بن سالم.

ثم خرج بُدَيْلُ بن وَرْقَاء في نفرٍ من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة(٢) قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس: «كأنكم بأبي سفيان قد جاء لِيَشُدَّ العَقْدَ ويزيد في المدة».

ومضى بديل بن ورقاء فلقي أبا سفيان بعُسْفَان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ لِيَشُدَّ العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بُدَيلًا قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ وظنَّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ، قال: سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي، قال: أوَما أتيت محمدًا؟ قال: لا، فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النَّوى، فعمد إلى مَبْرَك ناقته فأخذ من بعرها ففتَّه فرأى فيه النَّوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُدَيْلٌ محمدًا.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت
١/٢٠٣ به عني؟ قالت: بلى هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش / رسول الله ﷺ، فقال: والله لقد أصابك يا بُنَيَّة بعدي شيء(٣).

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئًا (غير أنه قال: «نقض أهل مكة العهد»)(٤).

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجد إلَّا الذَّرَّ لجاهدتُكم به، ثم خرج فدخل

---

(١) راجع فيما سبق: (٢/٢٤٧).
(٢) المعاونة.
(٣) في «ب»: (شر).
(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ غلامٌ يَدِبُّ بين يديها، فقال: يا علي، إنك أمسُّ القوم بي رَحِمًا وأقربُهم مني قرابةً، وقد جئت في حاجةٍ فلا أرجعنَّ كما جئتُ خائبًا، اشفع لنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيع أن نكلِّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري بُنَيَّكِ هذا فيجير بين الناس فيكون سيِّدَ العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنَيَّ أن يجير بين الناس، وما يجير على رسول الله ﷺ أحد، فقال: يا أبا الحسن، إني أرى الأُمور قد اشتدَّت عليَّ فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئًا يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجِرْ بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أوَترى ذلك مغنيًا عني شيئًا؟ قال: لا والله، ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: يا أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدًا فكلمته والله ما ردَّ عليَّ شيئًا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيرًا، فجئت ابن الخطاب فوجدته أعْدَى القوم، ثم أتيت على ابن أبي طالب فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليَّ بشيءٍ صنعتُه، فوالله ما أدري هل يغنيني[(١)] شيئًا أم لا؟ قالوا: وماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: والله إن زاد عليٌّ على أن لعب بك، فلا يغني عنَّا ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجَهَازِ، وأمر أهله أن يجهِّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي بنية، أمركم رسول الله ﷺ بأن تجهِّزوه؟ قالت: نعم، فتجهَّزْ، قال: فأين تَرَيْنَهُ يريد؟ قالت: ما أدري، ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: «اللهمَّ خُذِ العيونَ والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَها[(٢)] في بلادها»، فتجهز الناس.

وكتب حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ كتابًا إلى قريش، (ـ وفيه قصة)[(٣)] ذكرناها في سورة الممتحنة ـ[(٤)].

ثم استخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رُهْم كلثومَ بنَ حُصَيْن بن خلف الغفاري، وخرج عامدًا إلى مكة لعشر مَضَيْنَ من رمضان سنة ثمانٍ، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد ـ ماء بين عُسْفَان وأَمَجَ ـ أفطر.

---

(١) في «أ»: (يغني عنا).

(٢) نفجؤها.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) راجع فيما سبق: ص٣٧١ـ٣٧٣.

ثم مضى حتى نزل بمرّ الظَّهْران في عشرة آلاف من المسلمين، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد، فلما نزل بمر الظَّهران، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل، فخرج في تلك الليلة: أبو سُفْيان بن حَرْب، وحكيمُ بن حِزَام، وبُدَيْلُ بن ورقاء، يتحسسون الأخبار هل يجدون خبرًا؟ وقد قال العباس بن عبد المطلب لَيْلَتَئِذٍ: وَاْصباحَ قريش، والله لئن بغتها[1] رسول الله ﷺ في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ وقال: اخرج إلى الأراك لعليّ أرى حطابًا أو صاحب لبن أو داخلًا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال العباس: فخرجت وإني ـ والله ـ لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذْ سمعتُ صوتَ أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر، فسمعت أبا سفيان يقول: والله ما رأيت كالليلة قطُّ نيرانًا، وقال بُدَيل: هذه والله نيرانُ خزاعةَ حَمَشَتْها[2] الحرب، فقال أبو سفيان: خزاعة ألأمُ من ذلك وأذلُّ، فعرفت صوتَه فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: يا أبا الفضل، فقلت: نعم، فقال: مالَكَ فداكَ أبي وأمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا والله رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قِبَل لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين، قال: وما الحيلة؟ قلت: والله لئن ظفر بك لَيَضْرِبَنَّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه، فردفني، ورجع صاحباه فخرجت أركض به بغلةَ رسولِ
٢٠٣/ب الله ﷺ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إليّ قالوا: / هذا عمّ رسول الله ﷺ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: مَن هذا؟ وقام إليَّ، فلما رأى أبا سفيان على عَجُزِ الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عَقْد، ثم اشتدَّ نحو رسول الله ﷺ فركضتُ البغلة وسبقته بما تسبق الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء، فاقتحمت عن البغلة فدخلتُ على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني فلأضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله، إني قد أجَرتُه، ثم جلست إلى رسول الله فأخذت برأسه وقلت: والله لا يناجيه الليلة أحدٌ دوني، فلما أكثر فيه عمر ـ رضي الله عنه ـ قلت: مهلًا يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلَّا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عديٍّ بن كعب ما قلتَ هذا، قال: مهلًا يا عباس، فوالله لإسلامُكَ يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم، (وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم)[3]، فقال رسول الله ﷺ: «اذهبْ به يا عباس إلى رَحْلِك، فإذا أصبحتَ فأْتِني به»، قال: فذهبت

---

(١) في «أ»: (دخلها).

(٢) أحرقتها.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

إلى رَحْلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان، (ألم يَأْنِ)[(١)] لك أن تعلم أن لا إله إلَّا الله»؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إلهٌ غيره فقد أغنى عني شيئًا بعدُ، قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أني رسول الله»؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمَّا هذه فإن في النفس منها (حتى الآن)[(٢)] شيئًا، قال العباس: قلت له: ويحك! أَسْلِمْ واشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله، قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادةَ الحقِّ وأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعلْ له شيئًا، قال: «نعم، مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمِنٌ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: يا عباسُ، احبِسْهُ بمَضِيق الوادي عند خَطْم[(٣)] الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ.

قال: ومرَّتْ به القبائلُ على راياتها، كلَّما مرَّتْ قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: أقول: سُلَيْم، قال يقول: ما لي ولِسُلَيْم، ثم تمر القبيلة فيقول: مَن هؤلاء؟ فأقول: مُزَيْنَةُ، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى نفذت القبائل لا تمرّ قبيلة إلَّا سألني عنها، فإذا أخبرته يقول: ما لي ولبني فلان حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الخضراء، كتيبة رسول الله، فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرَى منهم إلَّا الحَدَق من الحديد، قال: سبحان الله مَن هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: والله ما لأحدٍ بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، فقال: ويحك! إنها النبوة، قال: نعم إذًا.

فقلت: الْحَقِ الآن بقومك فحذِّرهم، فخرج سريعًا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به، قالوا: فمه؟ قال: مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: ويحك وما تغني عنَّا دارك؟ قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومَن أغلق عليه بابه فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

قال: وجاء حَكِيمُ بنُ حزامٍ وبُدَيْلُ بن ورقاء إلى رسول الله ﷺ بمرِّ الظهران فأسلما وبايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه إلى قريش يَدْعُوَانهم إلى الإسلام.

ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند النبي ﷺ عامدين إلى مكة بعث في إثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمَّره على خيل المهاجرين والأنصار، وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحُجُون، وقال: لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك، ومن ثَمَّ دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك قبته، وأمَّر خالد بن الوليد

---

(١) ألم يَحِنْ، يقال: آن شيء يئين، وأنى يأني (كرمى يرمي) وأنى يأنى (من باب فرح) كله بمعنى حان.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أنف الجبل، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق.

فيمن أسلم من قضاعة وبني سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومَن كان من الأحابيش، أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، وإن صفوان بن أُمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا أُناسًا بالخَنْدَمة ليقاتلوا، وقال النبي ﷺ لخالد والزبير حين بعثهما: لا تقاتلا إلَّا مَن قاتلكم، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كُدَي، فقال سعد حين توجه داخلًا: اليوم يوم المَلْحَمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحرمةُ، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله، اسمعْ ما قال سعد بن عبادة، وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: أدْرِكْه فخذِ الراية
١/٢٠٤ منه، فكن أنت الذي تدخل بها، فلم يكن بأعلى مكة مِنْ قِبَل / الزبير قتالٌ، وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة، فقاتلهم فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك.

وقُتِل من المشركين قريبٌ من اثني عشر أو ثلاثة عشر، ولم يُقتل من المسلمين إلَّا رجل من جُهَيْنَة يقال له: سَلَمة بن المَيْلاء، من خيل خالد بن الوليد، ورجلان يقال لهما: كُرْزُ بن جابرٍ وخُنَيْس[1] بن خالد، كانا في خيل خالد بن الوليد، فشذَّا عنه وسلكا طريقًا غير طريقه، فقتلا جميعًا.

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحدًا إلَّا مَن قاتلهم، إلَّا (أنه قد عهد)[2] في نَفَرٍ سمَّاهم أمر بقتلهم، وإنْ وُجدوا تحت أستار الكعبة، منهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإنما أمر بقتله؛ لأنه كان قد أسلم فارتدَّ مشركًا، ففرَّ إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيَّبه حتى أتى به (رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له.

وعبد الله بن خَطَل، كان رجلًا من بني تميم بن غالب)[3]، وإنما أمر بقتله؛ لأنه كان مسلمًا فبعثه رسول الله ﷺ مصدِّقًا، وكان له مولى يخدمه وكان مسلمًا، فنزل منزلًا وأمر المولى أن يذبح له تَيْسًا ويصنع له طعامًا ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركًا، وكانت له قَيْنَتَان تغنِّيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه.

والحُوَيْرِث بن نُقَيْذ بن وهب، كان ممن يؤذيه بمكة.

ومِقْيَس بن صبابة، وإنما أمر بقتله؛ لقتله الأنصاريّ الذي قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مرتدًا.

وسارة، مولاة كانت لبعض بني المطلب، كانت ممن يؤذيه بمكة.

وعكرمة بن أبي جهل، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمَنتْ له رسولَ الله فأمَّنه، فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم.

---

(١) في «أ»: (حنيش)، وفي «ب»: (خبيش)، والمثبت من «سيرة ابن هشام».

(٢) استدركناها من «سيرة ابن هشام».

(٣) ا بين القوسين ساقط من «أ». (٤) في «ب»: (نفير).

وأما عبد الله بن خطل فقتله سعدُ بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي، اشتركا في دمه، وأما مقيس ابن صبابة فقتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله، رجلٌ من قومه، وأما قَيْنَتَا ابن خطل فقُتِلتْ إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ فأمَّنها، وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها فأمَّنها، فعاشت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرسًا له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها، وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب.

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقف قائمًا على باب الكعبة وقال: لا إله إلَّا الله وحده، صدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحده، ألا إن كل مَأْثَرَةٍ أو دم أو مالٍ في الجاهلية يدعى فهو تحت قدميَّ هاتين، إلَّا سَدَانة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية وتعظُّمَها بالآباء، الناسُ من آدم وآدم خُلق من تراب، ثم تلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾ الآية[الحجرات: ١٣]، يا أهل مكة، ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطُّلَقَاء فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة، فلذلك سُمِّي أهل مكة الطلقاء.

ثم اجتمع الناس للبيعة، فجلس لهم رسول الله ﷺ على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء.

قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب الجمحي: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيِّدُ قومي، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه في البحر، فأمِّنْهُ، قال رسول الله ﷺ: هو آمن، قال: يا رسول الله، أعطِني شيئًا يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان، فداك أبي وأمي، أذكِّرُكَ الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتك به، فقال: ويلك اغْرُبْ عني فلا تكلِّمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضلُ الناس، وأبرُّ الناس، وأحلمُ الناس، وخير الناس، ابن عمِّك عِزُّه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمَّنْتَنِي؟ قال: صدق، قال: فاجعلني في أمري بالخيار شهرين، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر.

قال ابن إسحاق: وكان جميع مَن شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بَقِينَ من رمضان سنة ثمان، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر[1] الصلاة.

ثم خرج إلى هوازن وثقيف، وقد نزلوا حنينًا[2]:

---

(١) في «أ»: (يقضي).

(٢) أخرجه ابن إسحاق، «سيرة ابن هشام»: (٣/ ٣٩٨-٤١٩).

=

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: «أن خزاعة قتلوا رجلًا . . .»، وقال محمد بن إسماعيل: قال عبد الله بن رجاء: حدثنا حرب عن يحيى حدثنا أبو سلمة حدثنا أبو هريرة: أنه عامَ فتحِ مكةَ قتلتْ خزاعةُ رجلًا من بني لَيْث بقتيلٍ لهم في الجاهلية، فقام رسول الله ﷺ فقال[1]: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلَّط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تَحِلَّ
٢٠٤/ب لأحد قبلي، ولا تحلُّ لأحدٍ مِن بعدي، ألا وإنها أُحِلَّتْ لي ساعةً من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام، / لا يُخْتَلى شوكُها، ولا يُعْضَدُ شجرُها، ولا يَلْتقِط ساقطتَها إلَّا منشدٌ، ومَنْ قُتِل له قتيلٌ فهو بخير النظر: إما يؤدَّى، وإما أن يقاد»، فقام[2] رجل من أهل اليمن يقال له: أبو شاهٍ، فقال: اكتبْ لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «اكتبوا لأبي شاه»، ثم قام رجل من قريش فقال: يا رسول الله، إلَّا الإذخِرَ، فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ: «إلَّا الإذخر»[3].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي النضر ـ مولى عمر بن عبيد الله ـ أن أبا مرّة مولى أُم هانيء بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أُم هانيء بنت أبي طالب تقول: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدتُه يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوبٍ، قالت: فسلَّمتُ، فقال: «مَن هذه؟» فقلت: أنا أُم هانيء بنت أبي طالب، قال: «مرحبًا بأُمِّ هانيء»، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات مُلْتَحِفًا في ثوبٍ واحد ثم انصرفَ، فقلت له: يا رسول الله، زعم ابن أُمي، عليُّ بن أبي طالب، أنه قاتلٌ رجلًا أَجَرْتُه، فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أَجَرْنَا من أَجَرْتِ يا أُمَّ هانيء»، وذلك ضحًى[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إذا جاءك نصر الله يا محمد على مَن عاداك وهم قريش ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾ فتح مكة.

= وانظر: «تاريخ الطبري»: (٣/ ٧٠ـ٨٦)، «البداية والنهاية»: (٤/ ٣٥٢ـ٣٦١)، «إمتاع الأسماع» للمقريزي: ص٤٠١، وما بعدها، «زاد المعاد» لابن القيم: (٣/ ٤٦٥ـ٤٧٤).

(١) في «ب»: (فحمد الله وأثنى عليه ثم قال).

(٢) في «أ»: (إما أن يؤدوا وإما يفادوا).

(٣) أخرجه البخاري في الديات، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين: (١٢/ ٢٠٥)، ومسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها . . . برقم١٣٥٥: (٢/ ٩٨٨).

(٤) أخرجه مالك في قصر الصلاة في السفر، باب صلاة الضحى: (١/ ١٥٢)، والبخاري في الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به: (١/ ٤٦٩)، وفي الجزية والموادعة وفي الأدب، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى برقم٣٣٦: (١/ ٤٩٨)، والمصنف في «شرح السنة»: (١١/ ٨٩).

وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ زُمَرًا وأرسالًا، القبيلة بأسرها، والقوم بأجمعهم من غير قتال.

قال الحسن: لما فتح الله عزَّ وجلَّ مكة على رسوله قالت العربُ بعضها لبعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم ـ وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل ـ فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجًا بعد أن كانوا يدخلون واحدًا واحدًا، واثنين اثنين.

وقال عكرمة ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبًا وأرق أفئدة، الإيمان والحكمة يمانية»(١).

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ فإنك حينئذ لاحقٌ به.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان عمر يُدْخِلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تُدْخِل هذا الفتى معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال: إنه ممَّن قد علمتم، قال: فدعاهم ذاتَ يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيتُه دعاني يومئذ إلّا لِيُرِيَهم مني، فقال: ما تقولون في قوله: «إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ»، حتى ختم السورة؟ فقال بعضُهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقلْ بعضهم شيئًا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به، «إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ»: فتح مكة، فذلك علامة أجلك «وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا»، فقال عمر: ما أعلم منها إلّا ما تعلم(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن: (٨/ ٩٩)، ومسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه برقم ٥٢: (١/ ٧١)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٤/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النصر، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾: (٨/ ٧٣٤ ـ ٧٣٥).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروقٍ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقولَ في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأوّل القرآن[(١)].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد ابن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن المثنى، حدثني عبد الأعلى، حدثنا داود، عن عامر، عن مسروقٍ، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»، (قالت: فقلت: يا رسول الله، أراك تكثر من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه»؟)[(٢)]، فقال: «أخبَرَني ربي أنّي سأرى علامةً في أُمَّتي، فإذا رأيتَها أكْثِرْ من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقدْ رأيتُها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، فالفتح: فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾»[(٣)].

قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نُعيتْ إليه نفسه[(٤)].

قال الحسن: أُعلم أنه قد اقترب أجله فأُمرَ بالتسبيح والتوبة، ليختم له بالزيادة في العمل الصالح[(٥)].

قال قتادة ومقاتل: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النصر: (٨/ ٧٣٣)، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم٤٨٤: (١/ ٣٥٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (٣/ ١٠٠).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم٤٨٤: (١/ ٣٥١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد: (١/ ٢١٧)، وأخرجه النسائي في «التفسير» مطولًا: (٢/ ٥٦٧) من حديث هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس، قال يحيى بن معين: ثقة مأمون لم يتغير، ووثقه ابن حبان وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه الطبراني في «الكبير»: (١١/ ٣٢٨).

قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٧٣٦): (أخرجه الإمام أحمد عن أبي رزين عن ابن عباس وفي إسناده عطاء بن السائب وقد اختلط. وللحديث شاهد أخرجه البخاري عن ابن عباس في جوابه لعمر عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ...﴾ الآية، قال: «مَثَلٌ ضرب لمحمد ﷺ، نُعِيَتْ له نفسه») «صحيح البخاري»، كتاب التفسير: (٨/ ٧٣٤).

وانظر: «مجمع الزوائد»: (٧/ ١١٤)، (٩/ ٢٢ـ٢٣).

(٥) انظر: الطبري: (٣٠/ ٣٣٥).

سورة المَسَد

مكية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا محمد بن حماد، حدثنا أبو معاوية الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صَعِد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فقال: «يا صباحاه»، قال: فاجتمعتْ إليه قريشٌ، فقالوا له: ما لَكَ؟ قال: «أرأيتم لو أخبرتُكم أن العدو مصبّحكم أو ممسّيكم أما كنتم تصدِّقوني»؟ قالوا: بلى، قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديدٍ»، فقال أبو لهب: تبًّا لك، ألهذا دعوتنا جميعًا؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ ...» إلى آخرها(٢).

قوله: ﴿تَبَّتۡ﴾ أي: خابت وخسرت يدا أبي لهب، (أي: هو)(٣)، أخبر عن يديه، والمراد به نفسه، على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله.

وقيل: «اليد» صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرَّزايا والبلايا.

وقيل: المراد بها ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به: المال، و«التباب»: الخسار والهلاك.

وأبو لهب: هو ابن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ / واسمه عبد العزى، قال مقاتل: كني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه. ٢٠٥/١

وقرأ ابن كثير «أبي لَهْب» ساكنة الهاء، وهي مثل: نَهْر ونَهَر، واتفقوا في «ذات لَهَب» أنها مفتوحة الهاء لوِفَاقِ الفواصل.

---

(١) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ بمكة. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة المسد: (٨/ ٧٣٧)، ومسلم في الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ برقم٢٠٨: (١/ ١٩٣ـ ١٩٤).

(٣) ساقط من «أ».

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾

﴿وَتَبَّ﴾ أبو لهب، وقرأ عبد الله «وقد تب»[(١)]، قال الفرَّاء: الأول دعاء، والثاني خبر، كما يقال: أهلكه الله، وقد فعل[(٢)].

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ قال ابن مسعود: لمَّا دعا رسول الله ﷺ أقرباءه إلى الله عزَّ وجلَّ قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا فإني أفتدي نفسي ومالي وولدي[(٣)]، فأنزل الله تعالى:

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾ أي: ما يغني، وقيل: أي شيءٍ يغني عنه ماله، أي: ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال، وكان صاحب مواشٍ ﴿وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ قيل: يعني: ولده؛ لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث: «أطيبُ ما يأكل أحدُكم من كسبه، وإنَّ ولده من كسبه»[(٤)].

ثم أوعده بالنار فقال: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾﴾ أي: نارًا تلتهب عليه.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾﴾ قال ابن زيد والضحاك: كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه لتعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس.

وقال قتادة ومجاهد والسُّدِّي: كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين الناس، وتوقد نارها كما توقد النار بالحطب[(٥)]، يقال: فلان يحطب على فلان، إذا كان يُغري به[(٦)].

وقال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا، دليله: ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾[الأنعام: ٣١].

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: (٨/ ٥٢٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٢٩٨).

(٣) ذكره صاحب «البحر المحيط»: (٨/ ٥٢٥).

(٤) حديث صحيح، رُوي من طرق بألفاظ متقاربة، فأخرجه أبو داود في الإجارات (من البيوع)، باب في الرجل يأكل من مال ولده: (٥/ ١٨٢)، والترمذي في الأحكام، باب ما جاء في أن الوالد يأخذ من مال ولده: (٤/ ٥٩٢)، وقال: (هذا حديث حسن)، والنسائي في البيوع، باب الحث على الكسب: (٧/ ٢٤١)، وابن ماجه في التجارات، باب ما للرجل من مال ولده برقم ٢٢٩٠: (٢/ ٧٦٨ـ ٧٦٩)، والدارمي في البيوع، باب في الكسب: (٢/ ٢٤٧)، وصححه ابن حبان: ص٢٦٨ من «موارد الظمآن».
وأخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٦/ ٣١)، وفي مواضع أخرى، وعبد الرزاق في «المصنف»: (٩/ ١٣٣)، وابن أبي شيبة: (٧/ ١٥٧)، والمصنف في «شرح السنة»: (٩/ ٣٢٩).

(٥) في «ب»: (الحطب).

(٦) أورد الطبري: (٣٠/ ٣٣٨ـ ٣٣٩) أقوالًا مردها إلى رأيين، ثم قال مرجحًا: (وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك).

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

قرأ عاصم «حمَّالةَ» بالنصب على الذم، كقوله: «ملعونين».

وقرأ الآخرون بالرفع، وله وجهان، أحدهما: سيصلى نارًا هو وامرأته حمالةُ الحطب، والثاني: وامرأته حمالةُ الحطب في النار أيضًا.

﴿فِي جِيدِهَا﴾ في عنقها، وجمعه أجياد ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ واختلفوا فيه، قال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديدٍ ذَرْعُها سبعون ذراعًا، تدخل في فيها وتخرج من دبرها، ويكون سائرها في عنقها، وأصله من «المسْد» وهو الفتل، و«المَسَدُ»: ما فُتِل وأحكم من أي شيء كان، يعني: السلسلة التي في عنقها فتلت من الحديد فتلًا محكمًا.

وروى الأعمش عن مجاهد: «من مَسَدٍ»، أي: من حديد، والمسد: الحديدة التي تكون في البَكَرَةِ، يقال لها المحور.

وقال الشعبي ومقاتل: من ليف، قال الضحَّاك وغيره: في الدنيا من ليف، وفي الآخرة من نار، وذلك الليف هو الحبل الذي كانت تحتطب به، فبينما هي ذات يوم حاملة حزمة فأعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها.

قال ابن زيد: حبل من شجر ينبت باليمن يقال له: المسد.

قال قتادة: قلادة من ودع[1]، وقال الحسن: كانت خرزات في عنقها فاخرة[2]، وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة في عنقها فاخرة، فقالت: لأنفقنَّها في عداوة محمد ﷺ.

* * *

(١) ساق الطبري: (٣٠/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) أقوال المفسرين، ثم قال: (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو حبل جُمع من أنواع مختلفة، ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله على النحو الذي ذكرنا).

(٢) زيادة من «ب».

سورة الإخلاص

مكية[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ روى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انْسُبْ لنا ربَّك، فأنزل الله تعالى هذه السورة[(٢)].

وروى أبو ظبيان وأبو صالح عن ابن عباس: أن عامر بن الطفيل وأَرْبَدَ بنَ ربيعةَ أتيا النبي ﷺ فقال عامر: إلَامَ تدعونا يا محمد؟ قال: «إلى الله»، قال: صِفْهُ لنا أَمِنْ ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من حديد؟ أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة، فأهلك الله أَرْبَدَ بالصاعقة وعامرَ بن الطفيل بالطاعون، وقد ذكرناه في سورة الرعد[(٣)].

وقال الضحاك وقتادة ومقاتل: جاء ناسٌ من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: صِفْ لنا ربك يا محمد لعلَّنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ وهل يأكل ويشرب؟ ومن يرث منه؟ فأنزل الله هذه السورة[(٤)].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد، يدل عليه قراءة ابن مسعود: «قل هو الله الواحد»[(٥)].

---

(١) أخرج ابن الضريس وابن جرير عن أبي العالية ـ رضي الله عنه ـ قال: قالوا: انسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾. وأخرج الطبري وأبو الشيخ في «العظمة عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قالت قريش: يا رسول الله، انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠)، وما يأتي من الأحاديث.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة الإخلاص: (٩/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠)، وأخرجه مرسلًا أيضًا: (٩/ ٣٠١)، والإمام أحمد: (٥/ ١٣٤)، وصححه الحاكم: (٢/ ٥٤٠) ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (١/ ٤١٩)، والطبري: (٣٠/ ٣٤٢).

(٣) راجع فيما سبق: (٢/ ٥١٦).

(٤) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣). وانظر: «الفتح السماوي»: (٣/ ١١٣٥)، «الدر المنثور»: (٨/ ٦٧١).

(٥) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٥٢٨): (وأحد بمعنى واحد).

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير: «الصمد» الذي لا جوف له.

قال الشعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب.

وقيل: تفسيره ما بعده، روى أبو العالية عن أُبي بن كعب قال: «الصمد» الذي لم يلد ولم يولد؛ لأن من يولد سيموت، ومن يرث يورث منه[1].

قال أبو وائلٍ شقيقُ بن سلمة: هو السيد الذي قد انتهى سُؤْدُده، وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد[2]، وعن سعيد بن جبير أيضًا: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وقيل: هو السيد المقصود في (الحوائج، وقال السدي)[3]: هو المقصود إليه في الرغائب، المستغاث به عند المصائب، تقول العرب: صمدت فلانًا أصمده صمْدًا ـ بسكون الميم ـ إذا قصدته، والمقصود[4]: صمَد، بفتح الميم.

وقال قتادة: «الصمد» الباقي بعد فناء خلقه، وقال عكرمة: «الصمد» الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي، وقال الربيع: الذي لا تعتريه الآفات، قال مقاتل بن حيان: الذي لا عيب فيه.

﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ قرأ حمزة وإسماعيل «كفْؤا» ساكنة الفاء مهموزًا، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزًا، وكلها لغات صحيحة، ومعناه[5]: المثل، أي: هو أحد.

وقيل: على التقديم والتأخير، مجازه: ولم يكن له أحدًا كفوًا، أي: مثلًا.

قال مقاتل: قال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل[6].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الطبري: (٣٠/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٤٠٧)، والطبري: (٣٠/ ٣٤٦).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) في «ب»: (والمصمود).

(٥) في «ب»: (ومعناها).

(٦) ذكره صاحب «زاد المسير»: (٩/ ٢٦٩).

«قال الله تعالى: كذَّبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشَتَمَني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبُه إيَّايَ فقولُه: لن يعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهونَ عليَّ من إعادته، وأما شتمُهُ إيَّاي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أُولد ولم يكن لي كفوًا أحد»[1].

٢٠٥/ب أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، / أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ويردّدها، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأنَّ الرجل يتقالُّها، فقال له رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لَتَعْدِل ثُلُثَ القرآن»[2].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن الأصفهاني، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن قتادة: سمعت سالم بن أبي الجعد يحدِّث عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدُكم أن يقرأ ثُلثَ القرآن في ليلةٍ»؟ قلت: يا رسول الله، ومن يطيقُ ذلك؟ قال: «اقرؤوا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»[3].

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن عبيد الله بن عبد الرحمن، عن عبيد بن جبير مولى زيد بن الخطاب أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلتُ مع رسولِ الله فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «وجبتْ»، فسألته: ماذا يا رسول الله؟ فقال: «الجنة»، فقال أبو هريرة: فأردتُ أن أذهبَ إلى الرجُلِ فأبشِّره، ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ فآثرت الغداء، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب[4].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: (٨/ ٧٣٩).

(٢) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في كتاب القرآن، باب ما جاء في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: (١/ ٢٠٨)، والبخاري في فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: (٩/ ٥٨ ـ ٥٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٤٧٤).

(٣) أخرجه الطيالسي في «المسند»: ص١٣١، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ برقم ٨١١: (١/ ٥٥٦).

(٤) صحيح، أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في القرآن، باب ما جاء في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: (١/ ٢٠٨)، والترمذي في ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص: (٨/ ٢٠٩)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلّا من حديث مالك بن أنس، وابن حنين وهو عبيد بن حنين)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»: ص٧٠٢، وفي «السنن»، كتاب الافتتاح: (٢/ ١٧١)، وفي «التفسير»: (٢/ ٥٧٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»: ص٣٢٤، وصححه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٦٦) ووافقه الذهبي، والبيهقي في=

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا عبد الرحيم بن منيب، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا المبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس قال: قال رجلٌ لرسول الله ﷺ: إني أُحبُّ هذه السورة «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»، قال: «حبُّكَ إيَّاها أدخلَكَ الجنَّة»[1].

* * *

= «شعب الإيمان»: (٥/ ٤٨٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، وله شواهد عند أحمد والطبراني وابن السني والدارمي.

انظر: التعليق على «تفسير النسائي» في الموضع السابق.

وراجع: «مجمع الزوائد»: (٨/ ١٤٥).

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة: (٢/ ٢٥٥)، ووصله الترمذي من طريقه في ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص: (١٨/ ٢١٢ ـ ٢١٣)، وقال: (هذا حديث غريب من هذا الوجه)، والبيهقي في «السنن»: (٢/ ٦١)، وفي «شعب الإيمان»: (٥/ ٤٨٣)، وأبو يعلى في «المسند»: (٣/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩).

وأخرجه الدارمي في فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: (٢/ ٢٣٠)، وابن منده في «التوحيد»: (١/ ٦٨ ـ ٦٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»: ص٣٢٤، وابن حبان: ص٣٤٩ من «موارد الظمآن»، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٤٧٥)، وله شاهد عند الشيخين من حديث عائشة ـ رضي الله عنها. وانظر: «فتح الباري»: (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧).

سورة الفَلَق

مدنية(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ قال ابن عباس وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبت(٢) إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطة رأسِ النبي ﷺ وعدَّة أسنانٍ من مشطه، فأعطاها اليهود فسحروه فيها، وتولَّى ذلك لَبِيدُ بن الأَعْصَمِ، رجلٌ من يهود، فنزلت السورتان فيه(٣):

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا محمد بن عبد الله بن (عبد الحكم)(٤)، أخبرنا أنس بن عياض، عن هشام(٥)، عن أبيه، عن عائشة أن النبي ﷺ طُبَّ حتى إنه ليُخَيَّل إليه أنه قد صنع شيئًا وما صنعه، وأنه دعا ربه، ثم قال: أَشَعَرْتِ أن الله تعالى أفتاني فيما استفتيتُه فيه، فقالت عائشة: وما ذاك يا رسولَ الله؟ قال: جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجْلَيَّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وَجَعُ الرَّجُل؟ قال الآخر: هو مَطْبُوبٌ، قال: من طَبَّه؟ قال لَبِيدُ بنُ الأعصم، قال: في ماذا؟ قال: في مُشْطٍ ومُشَاطة وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في ذَرْوَانَ ـ وذروانُ بئرٌ في بني زُرَيْقٍ ـ قالت عائشة: فأتاها رسولُ الله ﷺ، ثم رجع إلى عائشة، فقال: والله لكأنَّ ماءها نُقَاعةُ الحِنَّاء، ولكأنَّ نخلَها رؤوسُ الشياطين، قالت: فقلت له:

---

(١) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٢٧٠): (وفيها قولان، أحدهما: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين، والثاني: مكية، رواه كريب عن ابن عباس، وبه قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر.
والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان.

(٢) في «أ»: (فذهبت).

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٥٧٥) عن الثعلبي، ثم قال: (هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم).

(٤) في «أ»: (عبد الحكيم)، والصحيح ما أثبت.

(٥) في «أ»: (هاشم)، والصحيح ما أثبت.

يا رسول الله، هلّا أخرجتَه؟ قال: «أما أنا فقد شفاني الله، فكرهت أن أُثير على الناس به شرًا»[١].

وروي أنه كان تحت صخرة في البئر، فرفعوا الصخرة وأخرجوا جُفَّ الطلعة، فإذا فيه مشاطة رأسه، وأسنان مشطه[٢]:

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي، أخبرنا محمد بن إبراهيم الصالحاني، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، أخبرنا ابن أبي عاصم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد بن حيان بن أرقم قال: سَحَرَ النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، قال: فاشتكى لذلك أيامًا، قال: فأتاه جبريل، فقال: إن رجلًا من اليهود سحرك وعقد لك عقدًا[٣]، فأرسل رسول الله ﷺ عليًا فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلما حلَّ عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهود ولا رأوه في وجهه قط[٤].

قال مقاتل والكلبي: كان في وتر عُقِد عليه إحدى عشرة عقدة، وقيل: كانت العُقَدُ مغروزة بالإبرة، فأنزل الله هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية، سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات، كلما قرئت آية انحلَّت عقدة، حتى انحلت العُقَدُ كلُّها، فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال[٥].

وروي: أنه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال، فنزلت المعوذتان:

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا بشر بن هلال الصواف، حدثنا (عبد الوارث)[٦]، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد: أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيتَ؟ قال: «نعم»، فقال: «بسم الله أرقيك من كل شيءٍ يؤذيك من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك، بسم الله أرقيك والله يشفيك»[٧].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ أراد بالفلق: الصبح، وهو قول جابر بن عبد الله

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: (٦/ ٣٣٤)، ومسلم في السلام، باب السحر برقم٢١٨٩: (٤/ ١٧١٩ - ١٧٢٠)، والمصنف في «شرح السنة»: (١٢/ ١٨٥ - ١٨٦).

(٢) عزاه صاحب «الدر المنثور»: (٨/ ٦٨٧) لابن مردويه والبيهقي في «الدلائل».

(٣) زاد الإمام أحمد: (في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٧/ ٣٠) القسم الثاني، والإمام أحمد في «المسند»: (٤/ ٣٦٧).

(٥) ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٨/ ٦٨٧).

(٦) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري.

(٧) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى برقم٢١٨٦: (٤/ ١٧١٨) ماعدا الجملة الأخيرة «والله يشفيك» وهي من نسخة «أ» فقط.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾

والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين(١)، وهي رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾[الأنعام: ٩٦].

وروي عن ابن عباس: إنه سجن في جهنم، وقال الكلبي: واد في جهنم.

وقال الضحاك: يعني: الخلق، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، والأول هو المعروف.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا جعفر بن محمد المغلس، حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب، عن خاله(٢) الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر إلى القمر فقال: «يا عائشة، استعيذي بالله من شرِّ غاسق إذا وقب، هذا غاسق إذا وقب»(٣).

فعلى هذا: المراد به: القمر إذا خسف واسودَّ «وَقَبَ»، أي: دخل في الخسوف وأخذ في الغيبوبة وأظلم(٤).

وقال ابن عباس: «الغاسق»: الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء وأظلم، و«الغسق»: الظلمة، يقال: غسق الليل وأغسق(٥) إذا أظلم، وهو قول الحسن ومجاهد، يعني: الليل إذا أقبل / ودخل، ٢٠٦/أ
و«الوقوب»: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس.

قال مقاتل: يعني: ظلمة الليل إذا دخل سوادُه في ضوء النهار، وقيل: سمي الليل غاسقًا؛ لأنه أبرد من النهار، والغَسَق: البَرْد، وقال ابن زيد: يعني(٦): الثريا إذا سقطت(٧)، ويقال: إن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها(٨).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٣٠١)، «فتح الباري»: (٨/ ٧٤١).

(٢) في «ب»: (خالد بن)، والصحيح ما أثبت.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير المعوذتين: (٩/ ٣٠٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم ٣٠٥: ص٢٧١، والحاكم: (٢/ ٥٤١)، والإمام أحمد: (٦/ ٦١، ٢١٥)، وأبو يعلى في «المسند»: (٤/ ٢٧٢)، والطبري: (٣٠/ ٣٥٢)، والمصنف في «شرح السنة»: (٥/ ١٦٧)، زاد ابن حجر في «الكافي الشاف»: ص١٩٠ لإسحاق وابن أبي شيبة، وحسنه في «الفتح»: (٨/ ٧٤١).

(٤) ساقط من «ب».

(٥) في «أ»: (واغتسق).

(٦) زيادة من «ب».

(٧) قال ابن جرير (٣٠/ ٣٥٢ - ٣٥٣): (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ «من شر غاسق» وهو الذي يُظلم، يقال: غسق الليل يغسق غسوقًا: إذا أظلم «إذا وقب»، يعني: إذا دخل في ظلامه، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك، بل عمَّ الأمر بذلك فكلُّ غاسق، فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذ من شره إذا وقب).

(٨) انظر: تعليقنا على شرح حديث «إذا طلع النجم ارتفعت العاهة» في «حجة الله البالغة» للدهلوي، تحت الطبع، «مشكل الآثار» للطحاوي: (٣/ ٩٢).

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ يعني: السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها، قال أبو عبيدة: هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ يعني: اليهود[1]، فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ.

* * *

(١) ساقط من «أ».

سورة النَّاس

مدنية[(١)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ يعني: الشيطان، يكون مصدرًا واسمًا.

قال الزَّجَّاج: يعني: الشيطان ذا الوسواس «الخنَّاس»: الرجاع، وهو الشيطان جاثم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس.

وقال قتادة: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا ذكر العبد ربه خنس، ويقال: رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يُمَنِّيه ويحدِّثه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا لم يذكر رجع فوضع رأسه، فذلك:

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ يعني: يدخل في الجنِّي كما يدخل في الإنسي، ويوسوس للجنِّي كما يوسوس للإنسي، قاله الكلبي.

وقوله: «في صدور الناس» أراد بالناس: ما ذكر من بعد، وهي الجِنَّة والناس، فسمَّى الجنَّ ناسًا، كما سمَّاهم رجالًا، فقال: «وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ»[الجن: ٦].

وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث: جاء قوم من الجن فوقعوا، فقيل: من أنتم؟ قالوا: أناس من الجن، وهذا معنى قول الفرَّاء[(٢)].

---

(١) أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: أنزل بالمدينة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. انظر: «الدر المنثور»: (٨/ ٦٩٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣/ ٣٠٢)، الطبري: (٣٠/ ٣٥٦).

قال بعضهم: أثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان، فجعل «الوسواس» من فعل الجِنَّة والناس جميعًا، كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[الأنعام: ١١٢]، كأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن والإنس جميعًا.

أخبرنا إسماعيل (بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر)[١] بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم يُرَ مثلهنَّ قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٢].

أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم العدل، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أبو العباس بن الوليد بن مرثد، أخبرني أبي حدثنا الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن عقبة بن عامر الجهنيّ أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوَّذ المتعوذون»؟ قلت: بلى، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٣].

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة، حدثنا المفضل بن فضالة، عن عقيلٍ، عن الزهريِّ، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلة جمع كفَّيه فنفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٤].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالكٍ، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتهما[٥].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين برقم٨١٤: (١/٥٥٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٣/٤١٧)، وعزاه صاحب «الكنز»: (١/٤٨٥) للطبراني.

(٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل»: ص١٥٧ بشرح الباجوري، والبخاري في فضائل القرآن، باب فضل المعوذات: (٩/٦٣)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/٤٧٨).

(٥) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»، كتاب العين، باب التعوذ والرقية في المرض: (٢/٩٤٣)، والبخاري في فضائل القرآن، باب فضائل المعوذات: (٩/٦٣)، ومسلم في السلام، باب رقية المريض بالمعوذات . . . برقم٢١٩٢: (٤/١٧٢٣).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالا: حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني، أخبرنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلّا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثني ابن أبي حازم، عن يزيد يعني: ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أَذِنَ الله لشيءٍ ما أَذِنَ لنبيٍّ حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن يجهر به»[2]، تم[3].

* * *

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٣/ ٣٦٠)، والبخاري في «فضائل القرآن»، باب اغتباط صاحب القرآن: (٩/ ٧٣)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضائل من يقوم بالقرآن ويعلمه برقم٨١٥: (١/ ٥٥٩)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن: (٩/ ٦٨)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم٢٣٤: (١/ ٥٤٦)، والمصنف في «شرح السنة»: (٤/ ٤٨٥).

(٣) من «أ»، ومن «ب»: (والله عزّ وجلّ سبحانه أعلم).

الفهارس

(١) قائمة المصادر والمراجع

- الآثار - للإمام محمد بن الحسن الشيباني - إدارة القرآن بكراتشي ١٤٠٧ هـ .
- إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام - لابن حجر الهيتمي - تحقيق : محمود النواوي - مكتبة النهضة بمكة المكرمة .
- الإتقان في علوم القرآن - للسيوطي - تحقيق : إبراهم الإبياري - طبعة الشعب .
- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة - للزركشي - تحقيق : سعيد الأفغاني - المكتب الإسلامي .
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام - للدكتور عبدالكريم زيدان - مؤسسة الرسالة .
- الإحكام في أصول الأحكام - لابن حزم - مطبعة الإمام بالقاهرة .
- أحكام القرآن - لابن العربي - تحقيق : علي البجاوي .
- أحكام القرآن - للجصاص - دار المصحف بالقاهرة .
- أحكام القرآن - للشافعي - جمعه البيهقي - تحقيق : عبدالغني عبدالخالق .
- اختلاف الحديث بهامش الأم - للشافعي .
- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى - لابن رجب - مكتبة المؤيد بالطائف .
- الأدب المفرد - للبخاري - مكتبة الآداب بالقاهرة .
- الأربعين النووية - للنووي .
- أسباب النزول - للسيوطي بهامش الجلالين - المكتب الإسلامي ببيروت .
- أسباب النزول - للواحد - تحقيق : السيد أحمد صقر - الطبعة الأولى بالقاهرة، والطبعة الثانية بجدة .
- أسد الغابة - لابن عبدالبر - طبعة الشعب .
- الإسرائيليات في التفسير والحديث - للذهبي - مكتبة وهبة بالقاهرة .
- الإسرائيليات والموضوعات - لمحمد أبي شهبة - الطبعة الأولى منشورات مجمع البحوث، والطبعة الثاني منشورات مكتبة السنة بالقاهرة .
- الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة - لملا علي القاري - تحقيق : د. محمد لطفي الصباغ .
- الأسماء والصفات - للبيهقي - تحقيق : عماد أحمد حيدر - دار الكتاب العربي بيروت .
- الإشراف على مذهب العلماء - لابن المنذر - جزء واحد دار طيبة بالرياض، وجزءان طبع قطر .
- الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر - تحقيق : علي البجاوي - مكتبة نهضة مصر .
- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن - للشنقيطي .
- الأعلام - للزركلي .
- أعلام الحديث - للخطابي - تحقيق : د . محمد بن سعد بن عبدالرحمن - منشورات جامعة أم القرى .

● **اقتضاء العلم العمل** ـ للخطيب البغدادي ـ تحقيق : الألباني مع أربع رسائل من كنوز السنة ـ دار الأرقم بالكويت .
● **الاكتفاء في مغازي رسول الله** ـ للقلاعي ـ تحقيق : مصطفى عبدالواحد .
● **إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام** ـ للكنوي ـ تحقيق : عثمان جمعة ضميرية ـ مكتبة السوادي بجدة ١٤١١ هـ .
● **الأم** ـ للشافعي ـ طبعة الشعب مصورة عن طبعة بولاق .
● **إمتاع الأسماع** ـ للمقريزي ـ تحقيق : محمود محمد شاكر ـ طبع قطر .
● **الأمثال في الحديث النبوي** ـ لأبي الشيخ الأصبهاني ـ تحقيق : الدكتور عبدالعلي عبدالحميد ـ الدار السلفية بالهند .
● **الأموال** ـ لأبي عبيد ـ تحقيق : محمد خليل هراس ـ الكليات الأزهرية ـ وطبعة الشئون الدينية بقطر .
● **الأوسط في السنن والإجماع** ـ لابن المنذر ـ تحقيق : حنفي محمد صغير ـ دار طيبة بالرياض .
● **الإيمان** ـ لابن أبي شيبة ـ تحقيق : الألباني ـ دار الأرقم .
● **الإيمان** ـ لابن تيمية ـ طبع المكتب الإسلامي .
● **الإيمان** ـ لأبي عبيد ـ تحقبق : الألباني ـ دار الأرقم .

(ب)

● **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث** ـ لابن كثير ـ تأليف : أحمد شاكر ـ دار التراث بالقاهرة .
● **البحر المحيط في التفسير** ـ لأبي حيان الغرناطي ـ مكتبة النصر بالرياض .
● **البداية والنهاية** ـ لابن كثير ـ مكتبة المعارف بيروت .
● **البرهان في علوم القرآن** ـ للزركشي ـ طبعة الحلبي .
● **البيان في غريب إعراب القرآن** ـ لابن الأنباري ـ تحقيق : طه عبدالحميد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(ت)

● **تاريخ بغداد** ـ للخطيب البغدادي ـ دار الكتاب العربي عن طبعة الخانجي .
● **تاريخ جرجان** ـ للسهمي ـ عن طبعة دائرة إحياء المعارف بالهند .
● **تاريخ الطبري** ـ تحقيق : الإبياري ـ دار المعارف بمصر .
● **التاريخ الكبير** ـ للبخاري .
● **التبيان في إعراب القرآن** ـ للعكبري ـ تحقيق : السيد أحمد صقر ـ طبع عيسى الحلبي .
● **تحفة الأحوذي شرح الترمذي** ـ للمباركفوري ـ راجعه : عبدالرحمن محمد عثمان ـ نشر محمد عبدالمحسن الكتبي ـ مطبعة المعرفة بالقاهرة .

● تحفة الأشراف ـ للمزي .
● تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ـ لابن كثير ـ تحقيق : عبدالغني الكبيسي ـ دار حراء مكة .
● تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ـ للعراقي وابن السبكي والزبيدي ـ دار العاصمة بالرياض .
● تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ـ للسيوطي ـ تحقيق : عبدالوهاب عبداللطيف ـ مكتبة إحياء السنة .
● تذكرة الحفاظ ـ للذهبي ـ مصورة عن طبعة دائرة إحياء المعارف العثمانية بالهند .
● ترتيب مسند الشافعي ـ نشره عزت العطار ـ مصورة بيروت .
● الترغيب والترهيب ـ للمنذري ـ تحقيق : مصطفى عمارة ـ طبع قطر .
● تعظيم قدر الصلاة ـ لمحمد بن نصر المروزي ـ تحقيق : الدكتور عبدالرحمن الفريوائي ـ مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
● تفسير ابن أبي حاتم الرازي ـ تحقيق : د. حمد الزهراني ، د. حكمت بشير ـ مكتبة الدار بالمدنية المنورة .
● تفسير ابن عطية ـ تحقيق المجلس العلمي ـ طبع مراكش ، وطبعة قطر .
● تفسير ابن كثير ـ مكتبة الرياض ـ وبتحقيق الوادي ـ دار الأرقم بالكويت .
● تفسير الخازن ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
● تفسير الطبري ـ بتحقيق محمود شاكر ـ دار المعارف ، وطبعة مصطفى البابي الحلبي .
● تفسير القاسمي المسمى « محاسن التأويل » ـ طبعة بيروت .
● تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » ـ الطبعة الثاني عن طبعة دار الكتب المصري .
● تفسير عبدالرزاق ـ تحقيق : د. مصطفى مسلم ـ دار الرشد بالرياض .
● التفسير والمفسرون ـ للذهبي ـ مكتبة وهبة بالقاهرة .
● تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ـ دار المنار بالقاهرة .
● تفسير النسائي ـ تحقيق : صبري عبدالخالق وسيد الجليمي ـ مكتبة الرشد بالرياض .
● تفسير الواحدي ـ تحقيق : محمد أبو العزم الزفيتي ـ القاهرة .
● تقريب التهذيب ـ لابن حجر ـ تحقيق : محمد عوامة ـ دار القلم .
● تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ـ لابن حجر ـ عني بتصحيحه : عبدالله بن هاشم اليماني ١٣٨٤ هـ .
● التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ـ لابن عبدالبر .
● تمييز الطيب من الخبيث ـ لابن الديبع الشيباني ـ طبع بيروت .
● تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة ـ لابن عراق الكناني ـ دار الكتب العلمية بيروت .

- تنقيح التحقيق ـ لابن عبدالهادي ـ تحقيق : عامر صبري ـ المكتبة الحديثية بالإمارات ١٤٠٩ هـ .
- تهذيب الأسماء واللغات ـ للنووي ـ دار الكتب العلمية بيروت .
- تهذيب التهذيب ـ لابن حجر ـ دار الفكر بيروت .
- تهذيب الكمال ـ للمزي .
- التوحيد ـ لابن خزيمة .
- التوحيد ـ لابن منده .

(ث)

- الثقات ـ لابن حبان .

(ج)

- جامع بيان العلم وفضله ـ لابن عبدالبر ـ دار الكتب الإسلامية بالقاهرة ١٤٠٢ هـ .
- جامع العلوم والحكم ـ لابن رجب الحنبلي ـ مطبعة مصطفى الحلبي .
- الجرح والتعديل ـ لابن أبي حاتم الرازي ـ تحقيق : عبدالله المعلمي ـ مصور عن طبعة الهند .
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ـ لابن القيم ـ تحقيق : عبدالقادر وشعيب الأرناؤوط ـ دار العروبة بالكويت .
- جمهرة أشعار العرب ـ لأبي زيد القرشي ـ تحقيق : د . محمد على الهامشي ـ مطابع جامعة الإمام بالرياض .

(ح)

- الحاوي للفتاوي ـ للسيوطي ـ تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة .
- حجة القراءات ـ لابن زنجلة ـ تحقيق : سعيد الأفغاني ـ طبعة دار الفكر .
- حلية الأولياء ـ لأبي نعيم ـ دار الكتاب العربي ، بيروت عن طبعة الخانجي .
- حياة محمد صلى الله عليه وسلم ـ محمد حسين هيكل ـ مكتبة النهضة المصرية .

(خ)

- خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ـ محمد أبو زهرة ـ طبع قطر .
- الخراج ـ لأبي يوسف ـ المطبعة السلفية .
- خلاصة البدر المنير ـ لابن الملقن ـ حققه : حمدي السلفي ـ دار الرشد بالرياض .
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن ـ للدكتور : محمد علي البار ـ الدار السعودية بجدة .

(د)

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ للسيوطي ـ دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ .

- الدعوات الكبرى ـ للبيهقي .
- دقائق التفسير ـ لابن تيمية ـ تحقيق : محمد السيد الجليند ـ دار علوم القرآن بيروت .
- دلائل النبوة ـ للبيهقي .
- الديات ـ لابن أبي عاصم ـ دار الأرقم بالكويت .
- ديوان جرير ـ طبع بيروت .

(ر)

- الرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر ـ للشيخ أحمد محمد أبو طالب ـ قطر .
- الرد على الجهمية ـ للإمام عثمان بن سعيد ـ مصورة بيروت عن طبعة أوربا .
- الرسالة ـ للشافعي ـ تحقيق : أحمد محمد شاكر .
- الرسالة المستطرفة ـ للكتاني ـ طبع بيروت .
- الروح ـ لابن القيم ـ قدم له : محمود حسن ربيع ـ القاهرة .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ للآلوسي ـ دار التراث العربي عن الطبعة المنيرية .
- الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام ـ للسهيلي ـ طبعة السلطان عبد الحفيظ .

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير ـ لابن الجوزي ـ المكتب الإسلامي .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ـ لابن القيم ـ تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة .
- الزهد ـ لأحمد بن حنبل ـ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة .
- الزهد ـ لهناد ـ تحقيق : محمد أبو الليث الآبادي ـ طبع قطر .
- الزهر النضر ـ لابن حجر ـ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية طبع أمين .

(س)

- سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي .
- السنة ـ لابن أبي عاصم ـ تحقيق : الألباني ـ المكتب الإسلامي .
- سنن ابن ماجه ـ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- سنن أبي داود مع مختصر المنذري ، وتهذيب السنن .
- سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي .
- سنن الدارمي ـ تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ـ دار الكتب العلمية .

- السنن الكبرى ـ للبيهقي ـ دار المعرفة عن طبعة الهند .
- سنن النسائي ـ بعناية الشيخ عبدالفتاح أبو غدة .
- سير أعلام النبلاء ـ للذهبي ـ مؤسسة الرسالة .
- السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ تحقيق : مصطفى السقا وآخرين بيروت .

(ش)

- شذرات الذهب ـ لابن العماد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ للالكائي ـ تحقيق : د . محمد سعد حمدان ـ دار طيبة .
- شرح ديوان زهير ـ طبع بيروت .
- شرح السنة ـ للبغوي ـ تحقيق : شعيب الأرناؤوط ـ المكتب الإسلامي .
- شرح السير الكبير ـ للسرخسي ـ تحقيق : صلاح المنجد ـ جامعة الدول العربية .
- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ـ للسيوطي ـ مؤسسة الإيمان بيروت ١٤٠٧ هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية ـ لابن أبي العز ـ تحقيق : محمد بشير عون ـ مكتبة المؤيد بالطائف .
- شرح قانون الأحوال الشخصية ـ للسباعي ـ مطبعة جامعة دمشق .
- شرح الكافية الشافية ـ لابن مالك ـ تحقيق : د . عبدالمنعم هريدي ـ منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .
- شرح ما ذئبان جائعان ـ لابن رجب .
- شرح مسند أبي حنيفة ـ لملا علي القاري ـ تقديم : خليل الميس ـ طبع بيروت .
- شرح معاني الآثار ـ للطحاوي ـ تحقيق : محمد النجار ـ مطبعة الأنوار المحمدية .
- شرح المعلقات السبع ـ للأنباري ـ طبع دار المعارف بمصر .
- الشريعة ـ للآجري ـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- شعب الإيمان ـ للبيهقي ـ تحقيق : عبدالله عبدالحميد حامد ـ الدار السلفية بالهند .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ للقاضي عياض ـ مطبعة عيسى الحلبي .
- شفاء العليل ـ لابن القيم ـ مطبعة المدني بالقاهرة .
- الشمائل المحمدية ـ للترمذي بشرح الباجوري ـ مطبعة السعادة بمصر .

(ص)

- صحيح ابن خزيمة ـ تحقيق : الأعظمي ـ المكتب الإسلامي .
- صحيح البخاري مع فتح الباري .
- صحيح الجامع الصغير ـ للألباني ـ المكتب الإسلامي .
- صحيح مسلم ـ تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ـ تصوير بيروت .
- الصحيح المسند في أسباب النزول ـ للوادعي ـ دار الأرقم بالكويت .

- صحيفة همام بن منبه - تحقيق : د . رفعت فوزي عبد المطلب - مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- صفة الجنة - لابن أبي الدنيا

(ض)

- الضعفاء الصغير - للبخاري - مطبوع مع الضعفاء للنسائي .
- الضعفاء والمتروكين - لابن الجوزي .
- الضعفاء والمتروكين - للنسائي - طبع الهند .
- ضعيف الجامع الصغير - للألباني - المكتب الإسلامي .

(ط)

- طبقات الشافعية - للإسنوي .
- طبقات الشافعية - للسبكي - تحقيق : الطناحي - مطبعة الحلبي بمصر .
- الطبقات الكبرى - لابن سعد .
- طبقات المفسرين - للداودي .
- طبقات المفسرين - للسيوطي - مكتبة وهبة .

(ع)

- عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي - عثمان ضميرية - الطبعة الثانية مكتبة السوادي بجدة .
- العبر - للذهبي .
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية - لابن الجوزي .
- العلو - للذهبي - طبعة منير الدمشقي مصورة عن طبعة الهند .
- علوم الحديث - لابن الصلاح - تحقيق : د . نور الدين عتر - دار الفكر دمشق .
- علوم القرآن - د . عدنان زرزور - المكتب الإسلامي بدمشق .
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير - للشيخ أحمد شاكر - دار المعارف بمصر .
- عمل اليوم والليلة - لابن السني - تحقيق : محمد بشير عيون - دار البيان مكتبة المؤيد .
- عمل اليوم والليلة - للنسائي - تحقيق : د . فاروق حمادة - مؤسسة الرسالة .

(غ)

- غريب الحديث - لأبي عبيد القاسم بن سلام - تصوير بيروت عن طبعة الهند .

(ف)

- الفائق في غريب الحديث - للزمخشري - تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل - مطبعة عيسى الحلبي .

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ـ لابن حجر العسقلاني ـ إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض .
- **الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي** ـ للمناوي ـ تحقيق : أحمد السلفي ـ دار العاصمة بالرياض .
- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد** ـ للشيخ عبدالله بن حسن ـ تحقيق : الأرناؤوط ـ مكة ـ المؤيد .
- **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية** ـ لابن علان ـ عن طبعة لجنة التأليف والنشر الأزهرية .
- **فضائل الصحابة** ـ للإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق : وصي الله عباس ـ مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .
- **فضائل القرآن** ـ لابن كثير ـ مطبوع في آخر التفسير ـ كلية الرياض .
- **فضائل القرآن** ـ للفريابي ـ تحقيق : يوسف عثمان ـ دار الرشد .
- **فقه السيرة** ـ للغزالي بتخريج الألباني ـ طبع قطر .
- **الفقيه والمتفقه** ـ للخطيب البغدادي ـ تحقيق : إسماعيل الأنصاري ـ مطابع القصيم بالرياض .
- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** ـ للشوكاني ـ بتحقيق : المعلمي ـ بيروت .
- **في ظلال القرآن** ـ سيد قطب ـ دار الشروق .
- **فيض القدير بشرح الجامع الصغير** ـ للمناوي ـ دار المعرفة بيروت .

(ق)

- **القرطين** ـ لابن مطرف الكناني .
- **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع** ـ للسخاوي ـ تحقيق : محمد بشير عيون ـ مكتبة المؤيد .

(ك)

- **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف** ـ لابن حجر العسقلاني ـ مطبوع في نهاية الكشاف للزمخشري .
- **كتاب الديات** ـ لابن أبي عاصم .
- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما يدور من الحديث على ألسنة الناس** ـ للعجلوني ـ تحقيق : أحمد قلاش ـ مؤسس الرسالة .
- **كشف الظنون** ـ لحاجي خليفة ـ مكتبة المثنى ببغداد .
- **الكلم الطيب** ـ لابن تيمية ـ تحقيق : الألباني ـ المكتب الإسلامي .
- **الكنى** ـ للدولابي .
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ـ للمتقي المنذري ـ مؤسسة الرسالة .

(ل)

- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ـ للسيوطي ـ دار المعرفة بيروت .
- لباب التفسير ـ لمحمود حمزة الكرماني ـ رسالة دكتوراة ـ تحقيق : د . ناصر ـ على الآلة الكاتبة .
- اللباب في تهذيب الأنساب ـ لابن الأثير الجزري ـ دار صادر . بيروت .
- لباب النقول ـ للسيوطي ـ مطبوع بهامش تفسير الجلالين ـ المكتب الإسلامي .
- لسان العرب ـ لابن منظور ـ دار صادر . بيروت .
- لسان الميزان ـ لابن حجر .
- لوامع الأنوار البهية ـ للسفاريني ـ المكتب الإسلامي .

(م)

- مجاز القرآن ـ لأبي عبيدة معمر بن المثنى ـ تحقيق : فؤاد سزكين ـ مؤسسة الرسالة .
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ـ لابن حبان تحقيق : محمود إبراهيم زايط ـ دار الوعي بحلب .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمي ـ تصوير بيروت عن طبعة المقدسي .
- المجموع شرح المهذب ـ للنووي ـ مطبعة الإمام بالقاهرة .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ طبعة المغرب .
- محاضرات في النصرانية ـ للشيخ محمد أبو زهرة ـ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء .
- المحرر الوجيز ـ لابن عطية .
- مختصر سنن أبي داود ـ للمنذري مع معالم السنن للخطابي ـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- مختصر قيام الليل والوتر ـ لمحمد بن نصر المروزي ـ طبع الهند .
- المدخل إلى السنن الكبرى ـ للبيهقي ـ تحقيق : د . محمد حبيب الرحمن الأعظمي ـ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت .
- المدونة الكبرى ـ للإمام مالك بن أنس ـ دار صادر .
- مرآة الجنان .
- المراسيل ـ لأبي داود ـ القلعجي ـ مؤسسة الرسالة .
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ـ للبغدادي ـ طبع عيسى الحلبي .
- مسائل الرازي وأجوبتها ـ لمحمد عبدالقادر الرازي ـ تحقيق : إبراهيم عطوة ـ دار الكتب العلمية ـ لاهور .
- المستدرك على الصحيحين ـ للحاكم ـ تصوير دار المعرفة عن طبعة الهند .
- مسند أبي بكر الصديق ـ للمروزي ـ تحقيق : شعيب الأرناؤوط ـ المكتب الإسلامي .
- مسند أبي داود الطيالسي ـ دار المعرفة عن طبعة الهند .

- مسند أبي يعلى الموصلي ـ تحقيق : إرشاد الحق الأثري ـ دار القبلة بجدة .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ المكتب الإسلامي .
- مسند الحميدي .
- مسند الفردوس ـ للديلمي ـ طبع بيروت .
- مشكاة المصابيح ـ للتبريزي ـ بتحقيق : الألباني ـ المكتب الإسلامي .
- مشكل الآثار ـ للطحاوي ـ تصوير مؤسسة قرطبة بالقاهرة عن طبعة الهند .
- مشكل القرآن ـ لابن قتيبة ـ تحقيق : السيد أحمد صقر تصوير بيروت .
- مصابيح السنة ـ للبغوي ـ تحقيق : المرعشلي وآخرين ـ دار المعرفة بيروت .
- المصنف ـ لابن أبي شيبة ـ تحقيق : على الأعظمي وآخرين ـ طبعة الهند .
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ـ لملا علي القاري ـ تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
- المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية ـ لابن حجر ـ تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ـ وزارة الأوقاف ـ الكويت .
- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ـ للدكتور : زاهر عواض الألمعي .
- معاني القرآن ـ للفراء ـ تحقيق : أحمد نجاتي ومحمد النجار ـ دار السرور . بيروت .
- معاني القرآن ، للنحاس ـ تحقيق : محمد علي الصابوني ـ مركز البحث العلمي بمكة المكرمة .
- معجم البلدان ـ لياقوت الحموي .
- المعجم الصغير ـ للطبراني .
- المعجم الكبير ـ للطبراني ـ تحقيق : حمدي السلفي ـ بغداد .
- معجم المؤلفين ـ عمر كحالة .
- معجم مقاييس اللغة ـ لابن الفارس .
- معرفة علوم الحديث ـ للحاكم النيسابوري ـ تحقيق : د . السيد معظم حسين ـ منشورات المكتبة العلمية بالمدينة عن طبعة حيدر آباد .
- المغني عن حمل الأسفار ـ للعراقي ـ مطبوع مع الإحياء للغزالي .
- المغني في الضعفاء ـ للذهبي ـ تحقيق : د . نور الدين عتر ـ طبع قطر .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ لابن القيم ـ مكتبة الرياض .
- مفتاح السعادة ـ لطاش كبرى زادة .
- مفردات القرآن ـ للراغب الأصفهاني ـ تحقيق : سيد كيلاني ـ مطبعة الحلبي .
- مقدمة ابن خلدون ـ دار الكتاب اللبناني .
- مكارم الأخلاق ـ للخرائطي .
- ملاك التأويل ـ لابن الزبير الغرناطي ـ تحقيق : د . محمود كامل أحمد ـ دار النهضة العربية .

- المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف ـ لابن القيم ـ تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة .
- المنتخب من مسند عبد بن حميد ـ تحقيق : مصطفى بن العدوي ـ دار الأرقم وطبعة أخرى تحقيق صبحي السامرائي .
- منهاج السنة النبوية ـ لابن تيمية ـ تحقيق : محمد رشاد سالم ـ جامعة الإمام .
- المنهاج في شعب الإيمان .
- منهج الإسلام في الحرب والسلم ـ عثمان ضميرية ـ دار الأرقم بالكويت .
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ـ للهيثمي ـ حققه محمد عبدالرزاق حمزة .
- موافقة الخبر الخبر ـ لابن حجر .
- الموضوعات لابن الجوزي .
- موطأ الإمام مالك ـ تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ـ طبع عيسى الحلبي .
- ميزان الاعتدال ـ للذهبي ـ تحقيق : البجاوي ـ دار المعرفة بيروت .

(ن)

- الناسخ والمنسوخ ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ دار الرشد ـ الرياض .
- الناسخ والمنسوخ ـ للبغدادي ـ دار الفرقان ـ عمان .
- الناسخ والمنسوخ ـ هبة الله بن سلامة ـ طبع مصطفى الحلبي .
- النجوم الزاهرة ـ لابن تغري بردي .
- نصب الراية لأحاديث الهداية ـ للزيلعي ـ المكتبة الإسلامية ـ بيروت عن طبعة المجلس العلمي بالهند .
- نظم المتناثر في الحديث المتواتر ـ للكتاني ـ دار الكتب السلفية بالقاهرة .
- نقائض جرير والأخطل .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لابن الأثير ـ تحقيق : الزاوي والطناحي ـ المكتبة الإسلامية بيروت .
- النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ـ تصنيف جاسم الدوسري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت .
- نوادر الأصول ـ للحكيم الترمذي ـ طبع بيروت .
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ـ للشوكاني ـ طبع مصطفى الحلبي .

(و)

- الوسيط في تفسير القرآن ـ للواحدي ـ تحقيق : محمد حسن أبو العزم ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ تحقيق : إحسان عباس ـ دار الثقافة بيروت .

(٢) فهارس الأحاديث والآثار

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

(٣) فهرس الموضوعات

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

المجلد الرابع